

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لك ربى على ما أوليتنى من سابع نعمك ، وأبليتنى من بالغ توفيقك ، وصلاة وسلاما على رسولك الأمين ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الهداة الأعلام .

وبعد : فهانذا أصدر الجزء الرابع من « جهرة رسائل العرب » حاويا الشطر الثانى من رسائل العباسيين فى العصر العباسى الأول - من أول خلافة المعتصم إلى استيلاء بنى بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ - وقد بقيت من هذه الجهرة حلقة خامسة هى « رسائل الأندلسيين » أرجو أن يوفقنى المولى القدير إن شاء الله إلى إنجازها ، كما وفقنى إلى إنجاز أخوتها الأربع ، ومن قبل ما وفقنى إلى إصدار « جهرة خطب العرب » فى حلقاتها الثلاث ، فله أوفر الحمد وأوفاه .

وقد سلّختُ حتى الآن فى تأليف هاتين الجهرتين سبع سنين دأباً - ثلاثاً فى جهرة الخطب ، وأربعا فى الأخرى - قطعت فيها أشواطهما السبعة ، مشارباً على العمل فى صيف وشتاء ، سحابة النهار أجمع وقطعا من الليل فى بعض الأحيان ، واهباً لهما كل أوقات فراغى من عملى الدراسى - عدا

مأخرجته في هذه الفترة من مؤلفات أخر^(١) - دون أن أنيل نفسي حظها من
الجمام والراحة ، والآن - بعد أن كدّها ذلك الإيجاف ، الذي كاد يُشرف
بها على البُهر والإيجاف - أراها ظمئة ظمًا مُلِحًا إلى فترة راحة قصيرة ، تستجِمُّ
فيها وتسترُوح ، حتى تُثوب إلى الميدان فتيةً النشاط ، قوية الرّكض ،
فتقطع الشوط الأخير في غير ضَجَر ولا ملالة ، فإلى القراء الكرام معذرتي
في هذا التريث ، وإلى الملتقى القريب ، إن شاء الله .

وإني لأحتمل في سبيل ذلك العمل الشاقّ المضني ما ألقاه فيه من جَهد
ولُغوب ، بصدر رحيب ، وعين قريرة ، وليس لي من ورائه مطمع إلا أن يذكر
اسمي في عِداد من نصبوا أنفسهم لخدمة هذه اللغة العربية الشريفة ، ففازوا
على تماقب الأجيال بطيب الذكرى ، وخالد الأثر ، سددنا الله وإياكم إلى
طريق الخير والصلاح ، وكتب لنا سعادة الدنيا والأخرى ، إنه المنعم المتفضل
المحمود

أحمد زكي صفوت

وحرر بالقاهرة في { جادى الآخرة سنة ١٣٥٧
أغسطس سنة ١٩٣٨

(١) وهي : ترجمة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكتاب الكامل في النحو والصرف ،
في أربعة أجزاء لطلبة دار العلوم ، وكتاب علم البيان ، وكتاب علم المعاني ، وتاريخ الخطابة في الجامعة
والإسلام ، وتاريخ الجدل والمناظرة ، وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة بالاشتراك مع بعض حضرات البرملاء .

فهرس الرساء

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر	١	١
» » » » » » » »	٢	٢
» » إلى الآفاق عند القبض على بابك الخرمى	٣	٢
» » إلى ملك الروم	٤	٨
» إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم	٥	٨
كتابه إلى إسحق بن إبراهيم الموصلى	٦	١٠
رواية أخرى	٧	١١
كتابه إلى صديق له	٨	١٢
كتاب له	٩	١٢
» »	١٠	١٢
» » في التشوق	١١	١٣
» »	١٢	١٣
» »	١٣	١٤
» »	١٤	١٥
كتابة إلى منصور بن المهدي	١٥	١٥
» إلى العباس بن موسى	١٦	١٦
فصل له	١٧	١٦
فصل له	١٨	١٦
كتاب يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه	١٩	١٧
بين عبد الله بن الحسن الأصفهاني وابن الزيات	٢٠	١٨

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات	٢١	١٩
» » » » » » »	٢٢	١٩
رد ابن الزيات عليه	٢٣	٢٠
كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب	٢٤	٢١
رد الحسن بن وهب على ابن الزيات	٢٥	٢١
كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب	٢٦	٢٢
كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الحسن بن سهل	٢٧	٢٣
» » » » إلى القاسم بن الحسن بن سهل	٢٨	٢٥
» » » » إلى محمد بن إسحاق	٢٩	٢٥
» » » » إلى إسحاق بن يحيى	٣٠	٢٦
» » » » إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	٣١	٢٧
جواب تعزية له	٣٢	٢٧
تعزية له	٣٣	٢٨
كتابه إلى إسحاق بن إبراهيم	٣٤	٣٠
» إلى عبد الرحمن بن خاقان	٣٥	٣١
كتاب تعزية له	٣٦	٣٢
» له في الشكر	٣٧	٣٢
» في الشكر	٣٨	٣٣
كتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس	٣٩	٣٤
» » » » إلى أبي تمام الطائي	٤٠	٣٤
كتاب له	٤١	٣٥
كتاب ميمون بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب	٤٢	٣٥
» الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له	٤٣	٣٦

الرسالة	رقم الصفحة الرسالة	رقم
رد صديقه عليه	٤٤	٣٧
كتاب عبد الرحمن الخرائي إلى محمد بن سهل	٤٥	٣٧
» ابن الزيات بالعهد للواثق على مكة	٤٦	٣٧
» إبراهيم بن العباس إلى الواثق	٤٧	٣٨
» » » إلى ابن الزيات	٤٨	٣٩
» » » » » » »	٤٩	٤٠
» » » » » » »	٥٠	٤٠
» » » » » » »	٥١	٤١
» » » » » » »	٥٢	٤١
» » » » » » »	٥٣	٤٣
» ابن الزيات عن الخليفة إلى أحد عماله	٥٤	٤٣
فصول لابن الزيات	٥٥	٤٤
كتاب لابن الزيات	٥٦	٤٥
كتاب رجل إلى ابن الزيات	٥٧	٤٥
» الجاحظ إلى »	٥٨	٤٦
» الجاحظ إلى أحمد بن أبي دواد	٥٩	٤٨
» » في الاستعطاف	٦٠	٥٠
» » إلى بعض إخوانه في ذم الزمان	٦١	٥٣
» » في استنجاز وعد	٦٢	٥٦
» آخر	٦٣	٥٦
» »	٦٤	٥٦
كتاب له في الاستمناح	٦٥	٥٧

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتابه إلى أبي حاتم السجستاني	٦٦	٥٧
« إلى قليب المغربي	٦٧	٥٧
فصول للجاحظ	٦٨	٥٨
رسالة الجاحظ في بني أمية	٦٩	٦٠
« أبي العاصم بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي	٧٠	٧٥
رسالة ابن التوعم إلى الثقفي	٧١	٩٨
كتاب عمر بن عثمان القيني إلى محمد بن عبيد الله العتيبي	٧٢	١٣٧
« المتوكل في الإعلان بقبه	٧٣	١٣٨
« المتوكل إلى عماله في النصارى وأهل الذمة	٧٤	١٣٩
« بولاية العهد لبنيه	٧٥	١٤٣
« عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الحسن بن عثمان	٧٦	١٥٠
« أبي العيناء إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان	٧٧	١٥٢
« عبد الله بن خاقان إلى أبي الجهم	٧٨	١٥٤
« أبي العيناء إلى أبي نوح	٧٩	١٥٥
« أبي علي البصير إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان	٨٠	١٥٦
« « « « « « « « « «	٨١	١٥٨
« إلى أبي العيناء	٨٢	١٥٩
« « « « في الاعتذار	٨٣	١٦٤
« آخر	٨٤	١٦٥
« «	٨٥	١٦٦
كتابه إلى علي بن يحيى	٨٦	١٦٧
كتاب له في الصفح	٨٧	١٦٨
فصول لأبي علي البصير	٨٨	١٦٩

الرسالة

رقم
الصفحة
الرسالة

الرسالة	رقم الصفحة الرسالة	رقم
كتاب نغان بن عمرو الباهلي في النيم	٨٩	١٦٩
» » » » » » » »	٩٠	١٧٠
» آخر له	٩١	١٧٢
كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل	٩٢	١٧٢
تحميد لإبراهيم بن العباس صدر رسالة الخميس	٩٣	١٧٢
» » » » في فتح إسحاق بن إسماعيل	٩٤	١٧٤
» من رسالة » » في قتل » » »	٩٥	١٧٤
تحميد له	٩٦	١٧٦
» » في فتح	٩٧	١٧٦
» آخر له	٩٨	١٧٧
تحميد له	٩٩	١٧٨
» » في فتح	١٠٠	١٧٨
» » في آخر كتاب فتح	١٠١	١٧٨
كتابه إلى بعض إخوانه في شقاعة	١٠٢	١٧٩
» عن المتوكل إلى أهل حمص	١٠٣	١٧٩
» عن المنتصر إلى طاهر بن عبد الله	١٠٤	١٨٠
» عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله	١٠٥	١٨١
» عن المؤيد وهو ولي عهد إلى » » » »	١٠٦	١٨١
» إلى طاهر بن عبد الله	١٠٧	١٨٢
» » » » » » » »	١٠٨	١٨٣
» » » » » » » »	١٠٩	١٨٤
» » » » » » » »	١١٠	١٨٥
» إلى عبد الرحمن بن خاقان	١١١	١٨٦

الرسالة

رقم
الصفحة الرسالة

الرسالة	رقم الصفحة الرسالة	رقم
كتابه إلى الحسن بن رجاء	١١٢	١٨٧
» إلى محمد بن الحسن بن الفياض	١١٣	١٨٧
» إلى عامل له	١١٤	١٨٨
كتاب له في السلامة	١١٥	١٨٨
» » » »	١١٦	١٨٩
» آخر	١١٧	١٩٠
ومن فصوله	١١٨	١٩٢
ومن كلامه	١١٩	١٩٢
كتاب الفضل بن حباب إلى إبراهيم بن العباس	١٢٠	١٩٢
» رجل إلى المتوكل	١٢١	١٩٣
» إلى مالك بن طوق	١٢٢	١٩٤
» الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق	١٢٣	١٩٤
» أحد الكتاب إلى إبراهيم وأحمد بن المدبر	١٢٤	١٩٤
» عمر بن أيوب إلى أحمد بن المدبر	١٢٥	١٩٥
» أبي العباس المبرّد إلى إبراهيم بن المدبر	١٢٦	١٩٦
» إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون	١٢٧	١٩٦
كتابه إلى عريب	١٢٨	١٩٨
كتاب لابن المدبر	١٢٩	١٩٩
الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر	١٣٠	١٩٩
كتاب محمد بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر	١٣١	٢٤٢
» » » » إلى أحمد بن المدبر	١٣٢	٢٤٣
» » » » إلى أحمد بن دينار	١٣٣	٢٤٣
» » » » » » » »	١٣٤	٢٤٤

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب محمد بن مكرم إلى نصراني أسلم	٢٤٦	١٣٥
» » » » إلى حاج	٢٤٦	١٣٦
» » » » إلى بعض الرؤساء	٢٤٧	١٣٧
كتابه إلى سليمان بن وهب	٢٤٧	١٣٨
كتابه إلى أبي العيناء	٢٤٩	١٣٩
فصول لابن مكرم	٢٥٠	١٤٠
كتاب سعيد بن موسى إلى أبي شراعة	٢٥٢	١٤١
رد أبي شراعة على سعيد بن موسى	٢٥٢	١٤٢
كتاب البيعة المنتصر بالله	٢٥٥	١٤٣
كتاب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	٢٥٨	١٤٤
رقعة المعتز والمؤيد في خلع أنفسهما من البيعة	٢٦٢	١٤٥
كتاب المنتصر بخلع المعتز والمؤيد	٢٦٣	١٤٦
كتاب البيعة للمعتز بالله	٢٦٨	١٤٧
كتاب عن محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد - كتبه سعيد بن حميد	٢٧١	١٤٨
» سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان	٢٨١	١٤٩
» » » » إلى صديق له	٢٨٢	١٥٠
كتاب سعيد بن حميد إلى أبي العباس بن ثوابة	٢٨٣	١٥١
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة	٢٨٤	١٥٢
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة	٢٨٤	١٥٣
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة	٢٨٥	١٥٤
كتاب سعيد بن حميد إلى أبي هفان	٢٨٥	١٥٥
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	٢٨٦	١٥٦
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	٢٨٧	١٥٧

الرسالة

رقم
الصفحة
الرسالة

الرسالة	رقم الصفحة الرسالة	رقم
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	١٥٨	٢٨٨
كتاب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه	١٥٩	٢٨٩
كتاب له في السلامة	١٦٠	٢٨٩
كتاب له في الشوق	١٦١	٢٩٠
كتاب آخر	١٦٢	٢٩٠
كتاب آخر	١٦٣	٢٩١
كتاب له في توصية	١٦٤	٢٩١
كتاب له في الاعتذار	١٦٥	٢٩١
كتاب تعزية له	١٦٦	٢٩٢
كتاب تعزية له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	١٦٧	٢٩٣
تعزية له في مثله	١٦٨	٢٩٤
كتاب له	١٦٩	٢٩٤
تحميد له في فتح	١٧٠	٢٩٥
فصول لسعيد بن حميد في المودة	١٧١	٢٩٧
كتاب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد	١٧٢	٢٩٨
رد سعيد بن حميد عليه	١٧٣	٢٩٨
كتاب لسعيد بن عبد الملك في السلامة	١٧٤	٢٩٩
» » » » في سلامة القطر	١٧٥	٣٠٠
كتاب له في الاعتذار	١٧٦	٣٠١
تعزية لسعيد بن عبد الملك	١٧٧	٣٠١
» » » » »	١٧٨	٣٠٢
كتاب له في توصية	١٧٩	٣٠٢
» آخر	١٨٠	٣٠٣

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب له في إطلاق محبوب	١٨١	٣٠٣
» له	١٨٢	٣٠٣
فصول له	١٨٣	٣٠٤
كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المعتز	١٨٤	٣٠٤
» » » » » » إلى عمال النواحي	١٨٥	٣٠٦
رد الأتراك على كتاب ابن طاهر	١٨٦	٣٠٧
كتاب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمود الإسكافي	١٨٧	٣٠٩
رد جعفر على محمد بن عباد	١٨٨	٣٠٩
كتاب ابن طاهر إلى عماله	١٨٩	٣١٠
رقعة المعتز بخلع نفسه	١٩٠	٣١١
كتاب الموالى بالكرخ والدور إلى المهتدي	١٩١	٣١٢
رد المهتدي عليهم	١٩٢	٣١٣
كتاب الموالى إلى المهتدي	١٩٣	٣١٤
كتاب المهتدي إليهم	١٩٤	٣١٥
كتابهم إلى المهتدي	١٩٥	٣١٦
» إلى القواد	١٩٦	٣١٧
كتاب المهتدي إليهم	١٩٧	٣١٧
» القواد إليهم	١٩٨	٣١٨
كتاب علي بن يحيى إلى سليمان بن وهب	١٩٩	٣١٩
رد ابن وهب عليه	٢٠٠	٣١٩
كتاب ابن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر	٢٠١	٣٢٠
» رجل إلى سليمان بن وهب	٢٠٢	٣٢٠
رده عليه	٢٠٣	٣٢١

الرسالة	رقم الصفحة	رقم الرسالة
كتاب اعتذار سليمان بن وهب	٢٠٤	٣٢١
كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر إسماعيل بن بلبل	٢٠٥	٣٢٢
» » » إلى بعض الرؤساء	٢٠٦	٣٢٣
» أبي العباس بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل	٢٠٧	٣٢٣
» عبيد الله بن عبد الله بن طاهر إلى عبيد الله بن سليمان	٢٠٨	٣٢٤
» سعيد بن عبد الملك إلى » » »	٢٠٩	٣٢٥
» أبي العيناء إلى » » »	٢١٠	٣٢٦
رد عبيد الله عليه	٢١١	٣٢٦
كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان	٢١٢	٣٢٧
جواب لأحمد بن سليمان بن وهب	٢١٣	٣٢٧
كتابه إلى ابن أبي الأصبع	٢١٤	٣٢٩
» إلى أخيه عبيد الله بن سليمان	٢١٥	٣٢٩
» إلى صديق له	٢١٦	٣٣٠
كتاب أبي العباس بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان	٢١٧	٣٣١
» له	٢١٨	٣٣٢
» ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان	٢١٩	٣٣٢
جواب عن تعزية لابن ثوابة	٢٢٠	٣٣٣
تعزية له إلى ابني عمر	٢٢١	٣٣٣
عهد من الموفق إلى أحد الولاة - كتبه ابن ثوابة	٢٢٢	٣٣٤
كتاب جعفر بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان	٢٢٣	٣٤٤
» أحمد بن أبي طاهر إلى علي بن يحيى	٢٢٤	٣٤٣
» » » » » » » »	٢٢٥	٣٤٤
كتابه في ذم ابن ثوابة	٢٢٦	٣٤٥

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب أحمد بن أبي طاهر إلى أبي علي البصير	٢٢٧	٣٤٧
كتاب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يهنئه بالعيد	٢٢٨	٣٥٢
» » » » » » » » » » يهنئه بقدمه	٢٢٩	٣٥٣
» » » » » » » » » » يعزيه عن ابنه	٢٣٠	٣٥٣
فصل لابن المعتز من تعزية بولد	٢٣١	٣٥٥
تعزية له	٢٣٢	٣٥٥
تعزية أخرى	٢٣٣	٣٥٥
وله تهنئة بمولود	٢٣٤	٣٥٦
فصل له في قبول عذر	٢٣٥	٣٥٦
» » في حاجة	٢٣٦	٣٥٦
» »	٢٣٧	٣٥٧
» »	٢٣٨	٣٥٧
» »	٢٣٩	٣٥٧
» »	٢٤٠	٣٥٨
» » في الشوق	٢٤١	٣٥٨
وله شفاعة في شغل	٢٤٢	٣٥٨
فصل له في فراق	٢٤٣	٣٥٩
» »	٢٤٤	٣٥٩
» »	٢٤٥	٣٥٩
» »	٢٤٦	٣٦٠
وله في وصف البيان	٢٤٧	٣٦٠
وله في وصف الكتاب والقلم	٢٤٨	٣٦٢
كتاب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب	٢٤٩	٣٦٢

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب آخر إليه	٢٧٣	٤٠٧
» إلى عبد الله بن شبيب من صديق له	٢٧٤	٤٠٧
» إلى محمد بن طيفور من بعض إخوانه	٢٧٥	٤٠٨
» » » » من بعض خاصته	٢٧٦	٤٠٨
رده عليه	٢٧٧	٤٠٩
كتاب صاحب البريد بالدينور	٢٧٨	٤٠٩
» على بن القرات عن المقتدر في المواريث	٢٧٩	٤١٠
» الوزير ابن مقلّة إلى القواد والعمال	٢٨٠	٤١١
» أحمد بن الضحاك إلى صديق له يصف شعب تون	٢٨١	٤١٢
» عن الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم - كتبه النجيري	٢٨٢	٤١٤
» أبي الطيب المتنبي إلى أحد إخوانه	٢٨٣	٤٢٥
» الراضي إلى المتقى	٢٨٤	٤٢٥

التوقيعات في العصر العباسي الأول

توقيعات السفاح	٤٢٦
» المنصور	٤٢٧
» المهدي	٤٣٢
» الهادي	٤٣٤
» الرشيد	٤٣٤
» المأمون	٤٣٧
» الواثق	٤٤٢
» أبي مسلم الخراساني	٤٤٢

رقم الصفحة	
٤٤٣	توقيعات عمرو بن عبيد
٤٤٣	» أبي عبيد الله
٤٤٤	» الفيض بن أبي صالح
٤٤٤	» يحيى بن خالد البرمكى
٤٤٤	» جعفر بن يحيى البرمكى
٤٤٩	» الفضل بن يحيى
٤٤٩	» الفضل بن سهل
٤٥١	» الحسن بن سهل
٤٥٢	» طاهر بن الحسين
٤٥٤	» عبد الله بن طاهر
٤٥٥	» يوسف بن القاسم
٤٥٧	» أحمد بن يوسف
٤٥٩	» عمرو بن مسعدة
٤٦٠	» محمد بن يزداد
٤٦٠	» عبد الله بن محمد بن يزداد
٤٦١	» إبراهيم بن العباس
٤٦١	» محمد بن عبد الله بن طاهر
٤٦٢	» عبید الله بن سليمان بن وهب
٤٦٣	» عبد الله بن المعتز
٤٦٣	» علي بن عيسى

رسالة الإمام مالك بن أنس ٤٦٥

فهرس أعلام الكتاب

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

(أ)	
أبو عبيد الله ٤٤٣	
أبو علي البصير ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،	إبراهيم بن العباس ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،
١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،	٤٢ ، ٤٣ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
أبو العيناء ١٥٢ ، ١٥٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،	١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
٣٢٦ ، ٣٢٧	١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
أبو مسلم الخراساني ٤٤٢	١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ،
أحمد بن أبي طاهر طيفور ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،	٤٦١
٣٤٥ ، ٣٤٧	إبراهيم بن المدبر ١٦٩ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
أحمد بن إسماعيل ٣٦٢ ، ٣٦٣	إبراهيم بن المهدي ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ،
أحمد بن سليمان بن وهب ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،	١٤ ، ١٥ ، ١٦
٣٣٠	ابن التوعم ٩٨
أحمد بن الضحاك ٤١٢	ابن عبد كان ٣٦٦
أحمد بن علي المازراني ٣٦٥	ابن مقلة ٤١١
أحمد بن يحيى الأسدي ٣٦٤	أبو شراعة ٢٥٢
أحمد بن يوسف ٤٥٧	أبو الطيب المتنبي ٤٢٥
أم الشريف ٣٩٣ ، ٣٩٤	أبو العاص بن عبد الوهاب ٧٥
(ج)	أبو العباس بن ثوانة ٣٢٣ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
الجاحظ ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ،	٣٣٣ ، ٣٣٤
٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠	أبو العباس المبرد ١٩٦

(ط)

ظاهر بن الحسين ٤٥٢

(ع)

عبد الرحمن بن أحمد الحراقي ٣٧

عبد الله بن أحمد ٣٦٥

عبد الله بن الحسن الأصبهاني ١٨

عبد الله بن خاقان ١٥٤

عبد الله بن طاهر ٤٥٤

عبد الله بن محمد بن يزداد ٤٦٠

عبد الله بن المعتز ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥

٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠

٣٦٢ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢

٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٦٣

عبيد الله بن سليمان بن وهب ٣٢٦ ، ٤٦٢

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٣٢٤

عبيد الله بن يحيى بن خاقان ١٥٠

علي بن عيسى ٤٦٣

علي بن الفرات ٤١٠

علي بن يحيى ٣١٩

عمر بن أيوب ١٩٥

عمرو بن عبيد ٤٤٣

عمرو بن عثمان القيني ١٣٧

عمرو بن مسعدة ٤٥٩

(غ)

عسان بن عمرو الهايلي ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢

جعفر بن ثوابة ٣٤٢

جعفر بن محمود ٣٠٩

جعفر بن يحيى ٤٤٤

(ح)

الحسن بن وهب ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢

٣٤ ، ٣٥ ، ١٩٤

الحسن بن سهل ٤٥١

الحسين بن الحسن بن سهل ٣٦

(ر)

الراضي ٤٢٥

الرشيد ٤٣٤

(س)

سعيد بن حميد ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨

سعيد بن عبد الملك ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠

٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٢٥

سعيد بن موسى ٢٥٢

السفاح ٤٢٦

سليمان بن وهب ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢

(ص)

صاحب الشامة ٣٩٥

محمد بن يزداد ٤٦٠
المعز ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢١١
العتصم ١ ، ٢ ، ٨
المتصر ٢٥٨ ، ٢٦٣
المنصور ٤٢٧
المهتدي ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧
المهدي ٤٣٢
ميمون بن ابراهيم ٣٥
(ن)
النجيري ٤١٤
(هـ)
الهادي ٤٣٤
(و)
الواثق ٤٤٢
(ي)
يحيى بن خالد البرمكي ٤٤٤
يعقوب الكندي ١٧
يوسف بن القاسم ٤٥٥

(ف)

الفصل بن حباب ١٩٢
الفصل بن سهل ٤٤٩
الفضل بن يحيى ٤٤٩
الفيض بن صالح ٤٤٤

(م)

المأمون ٤٣٨
مالك بن أنس ٤٦٥
المتوكل ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣
محمد بن سليمان ٣٩٩
محمد بن طيعور ٤٠٩
محمد بن عباد ٣٠٩
محمد بن عبد الله بن طاهر ١٧٢ ، ٣٠٤ ،
٤٦١ ، ٣١٠
محمد بن عبد الملك الزيات ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ،
٢٢ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥
محمد بن مكرم ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ،
٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

[تم فهرس الكتاب]

فهرس

بعض ما ورد في الهامش من القوائد التي قد يحتاج القارىء إلى مراجعتها

١٥٠	سر من رأى	٢	بابك الخرمى
١٧١	شُطَب السيف	٨	عمورية
١٩٦	تلقيب أبي العباس صاحب الكامل بالمبرد	١٠	الأشنان
٢٠٨	سجنا نافع والخيس	١٧	أبو يوسف يعقوب الكندى
٢١١	حذف الواو والياء من هو وهى	١٩	الأنواء
٢١٧	لا تجعلونى كقدح الراكب	٣٨	زعم والسقاية
٢١٨	المنشار والمنشار	٥٠	المرّة وانخلط والمزاج
٢٢٣	ابن قيس الرقيات	٥٥	لقيته على أوفاز
٢٢٤	عتبة وأبو العتاهية	٦٢	لا جرم
٢٣٥	ابن الزيات وابن أبي دواد	٦٦	على بن الحسين وابن زياد
٢٣٩	بزر جهر	٦٧	المعتزلة أهل العدل
٢٤٠	إنا معشر النبأ بكاء	٦٩	مقاصح بنى أمية
٢٥٣	الكلالة - الفلكوة	٨٨	يخل أهل خراسان
٢٥٤	لم أبال ولم أبل	٩٢	الصدى
٢٣٥	ابن الزيات والوزارة	١١٣	الخبيص والفالودج واللوزينج
٢٨٣	آل ثوبة بن يونس	١١٤	الشفارج
٢٠٧	دُعِيَتْ نَزَال	١١٧	إبراهيم بن هرمة
٣١٦	من أصلح جَوَانِيَه أصلح الله برانيه	١١٨	الزوراء
٣٦٦	العباس بن أحمد بن طولون وعقوقه لأبيه	١٢٣	أورغال
٣٧٤ ، ٣٩٥	القرامطة	١٣٠	إن أخاك الصدق من لم يخذلك
٣٨٢	الشجرة الملعونة في القرآن		

٤٣٤	يا ابن اللعناء	٣٨٤	الحكم طريد رسول الله
٤٣٥	لا أم لك	٣٨٦	عمار بن ياسر
٤٤٦	حديث « يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج . . . »	٤٢٧	أبوسلمة الخلال
٤٥٢	بل رحمه	٤٢٨	حديث « كما تكونوا يولى عليكم »
٤٥٩	تنجيم الديون	٤٣٠	الرافضة
٤٧٤	ساء وأساء	٤٣٠	السيد الحميرى
		٤٣١	بخل أبي جعفر المنصور

فهرس الأمثال التي ورد شرحها في الهامش

٤١	بلغ السكين العظم	١٢٧	رب أكلة تمنع أكالات
٨١	أجود من كعب بن مامة	١٢٧	رب عجلة تهب ريثا
٨٦	أسمع من لافظة	١٢٨	تطلب أنرا بعد عين
٨٦	جوع كلبك يتبعك	١٢٩	أشام من خوتعة
٨٧	نعم كلب في يؤس أهله	١٢٩	أشام من البسوس
٨٧	سمن كلبك يا كك	١٢٩	أشام من عطر منشم
٨٧	أجوع من كلبة حومل	١٣٠	عش ولا تغتر
٩٦	عند الصباح محمد القوم السرى	١٣٠	إن أخا الهيحاء من يسعى معك
٩٧	غمرات ثم ينجلين		ومن يضر نفسه لينفعك
١٠٢	لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا	١٣١	لم يذهب من مالك ما وعظك
١١٦	القيد والرثة	١٣٢	لا تعدم صناع ثلثة
١١٢	كتاركة بيضها بالعراء	١٣٢	ليس لها راع ولكن حلبة
	وملبسة بيص أخرى جناحا	١٣٣	للرمي يراش السهم - قبل الرماء
١١٢	أحمق من نعامة		يملا الكنان
١٢٤	إن المنبت لا أرضا قطع ولاظهرا أبقى	١٣٣	عند النطاح تغلب القرناء - عند
١٢٤	شر السير الحقة		النطاح يغلب الكتس الأجم
١٢٥	الرشف أقع للظمان	١٣٣	ايس عليك نسجه فاسحب وخرق
١٢٥	ليس الرى عن التشاف	١٣٦	سمنك في أديمك
١٢٥	ياعاقد اذ كر حلا	١٣٦	غثك خير من صمين غيرك
١٢٥	رب لائم ملئم - رب ملوم لا ذنب له	٢١٣	أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكك
١٢٦	الفرار بقراب أكيس	٤٣٣	قد أنصف القارة من رامها

الباب الخامس

الترسل

في

العصر العباسي الأول أيضاً

١ - كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

وروى صاحب زهر الآداب قال :

وكتب المعتصم، حين صارت له الخلافة سنة ٢١٨ هـ، إلى عبد الله بن طاهر :
« عافانا الله وإياك ، قد كانت في قلبي منك هفوات غفرتها الاقذار ،
وبقيت حزازات^(١) أخاف منها عليك ، عند نظري إليك ، فإن أتاك ألف
كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم ، وحسبك معرفة بما أنا منطوٍ لك عليه ،
إِطْلَاعِي إِيَّاكَ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِي مِنْكَ وَالسَّلَامُ » . (زهر الآداب ٣ : ٩١)

(١) الحرارة : وقع في القلب ، من عيط ونحوه .

٢ - كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

وروى صاحب العقد الفريد قال :

كتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر :

« أَعَزُّ عَلَيَّ بِأَنْ أُرَاكَ عَلِيلاً أَوْ أَنْ يَكُونَ بِكَ السَّقَامُ نَزِيلاً
فَوَدِدْتُ أَنَّي مَالِكٌ لِسَلَامَتِي فَأَعِيْبُهَا لَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً
فَتَكُونُ تَبَقِي سَالماً بِسَلَامَتِي وَأَكُونُ مِمَّا قَدْ عَرَكَ بِدِيلاً
هَذَا أَخُوكَ يَشْتَكِي مَا تَشْتَكِي وَكَذَا الْخَلِيلُ إِذَا أَحَبَّ خَلِيلاً»^(١)

(العقد الفريد ١ : ٢٣٠)

٣ - كتاب المعتصم إلى الآفاق عند القبض على بابك الخرمي

وهذه نسخة كتاب كتب بها عن المعتصم ، إلى ملوك الآفاق من المسلمين ، عند قبض الأفشين حيدر بن كاوس على بابك الخرمي^(٢) ، وهي :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العافية لدينه ، والعصمة لأوليائه ، والعز لمن نصره ، والفليح^(٣) لمن أطاعه ، والحق لمن عرف حقه ، وجعل دائرة البوء على من عصاه وصدف عنه^(٤) ، ورغب عن ربيته ، وابتغى إلهها

(١) أقول : الظاهر أن المعتصم كتب إليه هذا الكتاب ، قبل أن يلى الخلافة.

(٢) قدم لك في الجزء الثالث ما كان من أمر بابك الخرمي في خلافة المأمون (انظر ص ٥٣٠) فلهذا كتب المعتصم الخلافة ، وحثه لحره سنة ٢٢٠ الأندلس التركي وكان من أهل قوادشوش سنة وبنه ونعمات وحروب ، كانت حاتمها أن فتحت الد - مدية ناك - ودخلها المسلمون واستأجروها ، وأمر الأندلس ناك ، وقدم به على المعتصم حراً من رأى ، وصل بها سنة ٥٢٢٣ .

(٣) الفليح : الطفر والفرور .

(٤) صدف عنه كصرت : أعرض .

غيره ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، يحمده أمير المؤمنين حمد من لا
يعبد غيره ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفوض أمره إلا إليه ، ولا يرجو
الخير إلا من عنده ، والمزيد إلامن سعة فضله ، ولا يستعين في أحواله كلها
إلا به ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله وصفوته من عباده ، الذي
ارتضاه لنبوته ، وابتعته بوحيه ، واختصه بكرامته ، فأرسله بالحق شاهداً
ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً نيراً ، والحمد لله الذي توجه
لأمير المؤمنين بصنعه ، فبسر له أمره ، وصدق له ظنه ، وأنجح له طلبته ،
وأنفذ له حيلته ، وبلغ له محبته ، وأدرك المسلمون بثأرم على يده ، وقتل
عدوهم ، وأسكن روعتهم^(١) ، ورحم فاقتهم ، وآس وخشتهم ، فأصبحوا
آمنين مطمئنين مقيمين في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ، بعد القتل
والخوف والتشريد وطول العناء ، وتتابع البلاء ، منأمن الله عز وجل على
أمير المؤمنين بما خصه به ، وصنعا له فيما وفقه لطلبه ، وكرامة زادها فيما
أجرى على يده ، فالحمد لله كثيراً كما هو أهله ، ونرغب إلى الله في تمام نعمه ،
ودوام صنعه ، وسعة ما عنده بمنه وأطفه .

ولا يعلم أمير المؤمنين - مع كثرة أعداء المسلمين ، وتكفهم^(٢) إياه
من أقطاره ، والضغائن التي في قلوبهم على أهله ، وما يترصدونه من العداوة ،
وينطوون عليه من المكيدة ، إذ كان هو الظاهر عليهم^(٣) ، والآخذ منهم -

(١) أي فرعهم .

(٢) تكفوه : أحاطوا به .

(٣) أي الغالب لهم .

عَدُوًّا كَانَ أَعْظَمَ بَلِيَّةً ، وَلَا أَجَلَ خَطْبًا ، وَلَا أَشَدَّ كَلْبًا ^(١) ، وَلَا أَبْلَغَ
مَكَايِدَةً ، وَلَا أَرْمَى بِمَكْرُوهِ ، مِنْ هَوْلَاءِ الْكُفْرَةِ الَّذِينَ يَغْزُوهُمْ الْمُسْلِمُونَ ،
فِيَسْتَعْلُونَ عَلَيْهِمْ ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ حَيْثُ شَاءُوا مِنْهُمْ ، وَلَا يَقْبَلُونَ لَهُمْ
صُلْحًا ، وَلَا يَمِيلُونَ مَعَهُمْ إِلَى مُوَادَعَةٍ ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ عَلَى طَوْلِ الْأَيَّامِ ، وَتَصَرَّفِ
الْحَالَاتِ ، وَبَعْضِ مَا لَا يَزَالُ يَكُونُ مِنْ فِتْرَاتِ وُلَاةِ الشُّعُورِ - أُدْتِيَ دَوْلَةٌ مِنْ
دَوْلَاتِ الظَّفَرِ ، وَخُلِسَتْ مِنْ خُلْسِ الْحَرْبِ ، كَانَ بِهَا مِنْ خَوْفِ الْعَاقِبَةِ فِي
ذَلِكَ مَنْغَصًا لِمَا تَعَجَّلُوا مِنْ سُرُورِهِ ، وَمَا يَتَوَقَّعُونَ مِنَ الدَّوَائِرِ بَعْدُ ، مَكْدَرًا
لِمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ فَرَحَةٍ

فَأَمَّا اللَّعِينُ بِأَبِكَ وَكَفَرْتُهُ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَغْزُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يُغْزَوْنَ ،
وَيَتَالُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يُنَالُ مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ الْمُنْحَرِفُونَ عَنِ الْمُوَادَعَةِ ، الْمُتَوَخَّشُونَ
عَنِ الْمِرَاسَلَةِ ، وَمَنْ أُدِيلُوا ^(٢) مِنْ تَتَابُعِ الدَّوَلِ ، وَلَمْ يَخَافُوا عَاقِبَةَ تَدْرِكِهِمْ ،
وَلَا دَائِرَةَ ^(٣) تَدْوِيرِ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ مِمَّا وَدَّ أَنْ ذَلِكَ وَكَانَهُ لَهُمْ ، أَنْهُمْ قَوْمٌ ابْتَدَعُوا
أَمْرَهُمْ عَلَى حَالِ تَشَاغُلِ السُّلْطَانِ ، وَتَتَابُعِ مِنَ الْفِتَنِ ، وَاصْطِرَابِ مِنَ الْحَبْلِ ،
فَاسْتَقْبَلُوا أَمْرَهُمْ بَعِزَّةً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَضَعْفٍ وَاسْتِثَارَةٍ مِنْ بَارَاهِمِ ، فَاجْتَلَوْا مَنْ
حَوْلَهُمْ لِتَخْلُصِ الْبِلَادِ لَهُمْ ، ثُمَّ أَخْرَبُوا الْبِلَادَ لِيَعِزَّ مَطْلَبُهُمْ ، وَتَشْتَدَّ الْمُؤْتَنَةُ ،
وَتَعْظُمَ الْكُلْفَةُ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ، فَلَمْ يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُوَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا
وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمْ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْجَلَ أَمْرَهُمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ ،

(١) من كلب الرمان والشتاء كمرح : أى اشتد .

(٢) الإدالة : العلة ، أداله الله من عدوه .

(٣) الدائرة : الهرجة .

واشتدت ضرورتهم ، واستجمع لهم كيدهم ، وكثر عددهم واعتدادهم ، وتمكنت الهيئة في صدور الناس منهم ، وتحقق في نفوسهم أن كل ما يعدهم الكافر ويمنيهم أخذ باليد ، وكان الذي بقي عندهم منه كالذي مضى ، وبدون هذا ما يُخْتَدَعُ الأريبُ ، ويُستَنْزَلُ العاقلُ ، ويُعْتَقَلُ القَطِينُ ، فكيف بمن لا فكرة له ولا روية عنده !

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النعم ، ومنافستهم على ما في أيديهم ، وتقطعهم حسرات في إثر ما خُصُوا به ، وأنهم إن لا يكونوا يرون أنفسهم أحقَّ بذلك ، فإنهم يرون أنهم فيه سواء .

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُفْضِيَ إليه الخلافةُ ، مادًا عنقه ، موجهاً همته ، إلى أن يوليّه الله أمرَ هؤلاء الكفرة ، ويعلِّكهُ حربهم ، ويجعله المقارع^(١) لهم عن دينه ، والمناجز لهم عن حقه ، فلم يكن يألُو^(٢) في ذلك حرصاً وطلباً واحتيالاً ، فكان أمير المؤمنين - رضى الله عنه - يَأْتِي ذلك إضِنَّه به ، وصيائته بقربه ، مع الأمر الذي أعدّه الله له وآثره به ، ورأى أن شيئاً لا يبقى بقوام الدين وصلاح الأمر .

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته ، وأطلق الأمر في يده ، لم يكن شيء أحب إليه ، ولا أخذ بقلبه ، من المعاجلة للكافر وكفرته ، فأعزّه الله ، وأعانه الله ، فله الحمد على ذلك وتيسره ، فأعدّ من أمواله أخطرَها ، ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب ، وأنهبهم بالمعضلات ، ومن أوليائه وأبناء دعوته

(١) المقارعة : الماصلة .

(٢) ألا . يألُو : فصر .

ودعوة آباءه - صلوات الله عليهم - أحسنهم طاعة ، وأشدّهم نكايّة ،
وأكثرهم عُدةً ، ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصّة
مواليه وعدّد غلماناه ، وقبّل ذلك ما أتكل عليه من صنّع الله جل وعز ، ووجّه
إليه من رعيته ، فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملائعِين ؟ ألم يكذب
الله ظنّونهم ، ويشف صدور أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شاءوا في كل
مَوطِن ومُعْتَرَك ، ما دامت عند أنفسهم مقاومة .

فلما ذلّوا وقلّوا ، وكرهوا الموت ، صاروا لا يترأءون إلا في رعوس الجبال ،
ومضايق الطُرُق ، وخلف الأودية ، ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تناههم
الخيل ، حصناً للمطاولة ، وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك ، وهو خير
الكائدين ، واستدرجهم حتى جمّعهم إلى حصنه معتصمين فيه عند أنفسهم ،
فجعلوا اعتصامهم ليحِين^(١) لهم ، وصنّع لأوليائه ، وإحاطة منه به تبارك
وتعالى ، فجمّعهم وحصرهم لكيلا تبقى منهم بقية ، ولا تُرجى لهم عاقبة ،
ولا يكون الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأوليائه ، ولا التعسُّ والنكسُ
إلا من خذله .

فلما حصرهم الله ، وجبّسهم عليهم ، ودانتهم^(٢) مصد رعيهم ، سلطهم الله
عليهم كيد واحدة ، يخطفونهم بسيوفهم ، وينتظّمونهم^(٣) برماحهم . فلا
يجدون ملجأ ولا مهزباً ، ثم أمكنهم من أهاليهم ، وأولادهم . ونسأهم ،

(١) احين : الهلاك .

(٢) دانتهم : أي قاربهم .

(٣) اسطمه بالرمح : اختله .

وحرّمهم ، وصبروا الدار دارهم ، والمجلة محلتهم ، والأموال قنماً بينهم ،
والأهل إماماً وعبيداً ، وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء وأعطاهم من الرحمة
والثواب ، وما أعدّ لأولئك من الخزي والعقاب ، وصار الكافر بابك لا فيمن
قُتل ، فسليم من ذلّ الغلبة ، ولا فيمن نجا ، فعائناً في الحياة بعض العوض ، ولا
فيمن أُصيب ، فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ، لكنه سبحانه وتعالى
أطلقه وسدّ مذهبِهِ ، وتركه مُتَلَدِّداً^(١) بين الذل والخوف ، والغصّة والحسرة ،
حتى إذا ذاق طعم ذلك كله وفهمه ، وعرف موقع المصيبة ، وظنّ مع ذلك
كله أنه على طريق من النجاة ، فضرب الله وجهه ، وأعمى بصره ، وسدّ
سبيله ، وأخذ بسّمعه وبصره ، وحازه إلى من لا يرقّ له ، ولا يرثي لمصرعه ،
فامتثل ما أمر به الأفسين « حيدر بن كاوس^(٢) » مولى أمير المؤمنين في
أمره ، فبثّ له الجبائل ، ووضع عليه الأرصاء ، ونصب له الأشرار ، حتى
أظفره الله به أسيراً ذليلاً موثقاً في الحديد ، يراه في تلك الحالة من كان يراه
رباً ، ويرى الدائرة عليه من كان يظن أنها ستكون له .

فالحمد لله الذي أعزّ دينه ، وأظهر حجّته . ونصر أوليائه ، وأهلك أعداءه ،
حمداً يُقضى به الحقُّ ، وتمُّ به النعمة ، وتتصل به الزيادة ، والحمد لله الذي
فتح على أمير المؤمنين وحقّق ظنّه ، وأنجح سعيه ، وحاز له أجر هذا الفتح
وذخره وشرفه ، وجعله خالصاً لتمامه وكماله ، بأكل الصنّع وأحسن الكفاية ،

(١) تلدد : تلتفت يمينا وشمالا ، وتغير متبدا ، وتلبث .

(٢) هكذا في تاريخ الطبري (١٠ : ٣٠٧) وفي زهر الآداب (١ : ٣٢٤) وفي صبح الأعشى

« حيدر بن طاوس » بالطاء .

ولم يرُبُّوسًا فيه ما يُقْذِي عَيْنَهُ ، ولا خلا من سُرُور يراه ، وبشارةٍ تَجِدُّ له عنه ، فما يَدْرِي أميرُ المؤمنِينَ ما مُتَّعَ فيه من الأمل ، أو ما خُتِمَ له من من الظفر ، فالحمد لله أولاً ، والحمد لله آخراً ، والحمد لله على عطاياه التي لا تُحْصَى ، ونِعَمَهُ التي لا تُنْسَى ، إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى . (صبح الأعشى ٦ : ٤٠٠)

٤ - كتاب المعتصم إلى ملك الروم

وكتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه ويتوعده ، فأمر بجوابه ، فلما قرئت الأجوبة عليه لم يَرْضَها ، وقال لبعض الكتاب اكتب ، وأملِ عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فقد قرأتُ كتابك ، وفهمتُ خطاك ، والجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيعلم الكافرُ لمن عُتِيَ الدَّارِ . (رعر الآداب ٣ : ٩٢ ، وصبح الأعشى ١ : ١٩٢ ، وهاية الأرب ٧ : ٢٦١ ، وأدب الكتاب ص ٢٣٥)

٥ - كتاب إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم

وشخصَ المعتصمَ غازياً إلى بلاد الروم سنة ٢٢٣ هـ ، بعد قتل بابك ، ففتح عَمُورِيَّةَ^(١) ، وكتب إليه إبراهيم بن المهدي يهتته ، بخروجه عن أرض الروم ، بعد فتح عمورية :

(١) عمورية : بلد من بلاد الروم ، فتحه المعتصم سنة ٢٢٣ هـ ، وكان المحمورون أولوا له . إنَّ حَدِيثِي كَتَبْنَا أَنْ مَدِينَتَنَا لَا تَفْتَحُ إِلَّا فِي وَجْتِ إِدْرَائِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَبِئْسَ وَبِئْسَ ذَلِكَ الْوَقْتُ شَمْرًا ، وَعَسَّكَ مِنْ الْمَقَامِ الرَّدِّ وَالنَّالِجِ ، وَأَبْ أَنْ يَصْرَفَ وَأَكَّ عَالِيهَا حَتَّى مَحَّجَهَا ، وَأَطْلَسَ مَا قَالُوا ، وَفِي ذَلِكَ عَمَلُ أَبُو تَمَامٍ فِي مَطْلَعِ نَائِيَتِهِ الشَّهْرَةِ مِمَّنْ أَلَهُ

« الحمد لله الذي تَمَّمْ لأمير المؤمنين غزوته ، فأذلَّ بها رقابَ المشركين ،
وشَفَى بها صدور قومٍ مُؤْمِنِينَ ، ثمَّ سَهَّلَ اللهُ لَهُ الأوبَةَ سَالِمًا غَانِمًا ، (وكذا
وكذا) وَلِيَهِنَّهُ مَا كَتَبَهُ اللهُ لَهُ مِمَّا أَحْصَاهُ فَلَا يَنْسَاهُ ، لِيَقِفَهُ بِهِ مَوْقِفًا
يَرْضَاهُ ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا
عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ،
فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعِيكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

فَطَوَى اللهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَارِحَ^(١) الْبَعْدَبَرَّاءِ وَبَحْرًا ، وَوَقَاهُ وَصَبَّ
السَّفَرَ سَهْلًا وَوَعْرًا ، وَحَاطَهُ بِحِرَامَتِهِ كَالِئَاءِ^(٢) ، وَدَافَعَ عَنْهُ بِحِفْظِهِ رَاعِيًا ،
حَتَّى يُؤَدِّيَهُ إِلَى الْمَحَلِّ مِنْ دَارِهِ ، وَالْوَطَنِ سِنِ قَرَارِهِ ، وَجَزَاءَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ
خَاصَّةً وَعَنْ رِعْيَتِهِ كَافَّةً ، بِتَخْيِيرِهِ مُسْتَخْلَفًا عَلَيْهِمْ ، وَقَاتِمًا مَقَامَهُ فِيهِمْ :
هَرُونَ^(٣) ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ رَفِيقًا شَفِيقًا ، حَلِيمًا وَقُورًا ، يَقْظَانَ
سَاكِنًا ، لَمْ يُشَدِّبْ^(٤) عَلَيْهِ أَمْرًا ، وَلَمْ يَتَشِيرْ عَلَيْهِ طَرْفًا ، وَلَمْ يَضِعْ مَعَهُ سَبِيلًا ، وَلَمْ
يُسْخِطْ وَلِيًا مُكَاتِفًا ، وَلَا عَدُوًّا مُخَالِفًا ، بِلَا سَيْفٍ أُشْرَعَهُ ، وَلَا سُورٍ أُقْرِعَ بِهِ^(٥) ،

السيف أصدق أساء من الكتب في حده الحد بين الحد والعب

وفيها يقول :

يايوم وقعت عمورية انصرفت عسك الى حفلا معسولة الحل

(١) النارح : العيد .

(٢) كائئا : أي حارسا حافظا .

(٣) هرون : هو الملقب بالوائق بالله ، وقد ولي الخلافة بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفي سنة ٢٣٢ هـ .

(٤) التشديب : التفريق ، والطرف بالتحريك : الناحية .

(٥) أشرع نحوه الرمح والسيف وشرعها كعب : أقلهما إياه وسددهما له ، وأقرع الدابة بلحامها

وقرعها كعب : كعبها وكعبها .

فمثل جزاء أمير المؤمنين في تخيرها إياه ، فجزاه الله على ما حفظ من وصاته
على محمود مقامه ، إنه محيب الداعي » .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٩٨)

٦ - كتابه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي

وأهدى إبراهيم بن المهدي ، إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(١) ، جراب
ملح ، وجراب أشنان^(٢) ، وكتب إليه :

« لولا أن القلة قصرت عن بلوغ الهمة ، لأتعبت السابقين إلى برك ،
ولكن البضاعة قعدت بالهمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي
فيها ذكر ، فبعثت بالبتداً به ليمنه وبركته ، والمختوم به لطيبه ونظافته ،
وأما ما سوى ذلك ، فالمعبر عنا فيه كتاب الله تعالى ، إذ يقول « ليس على
الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ، إذا
نصحوا لله ورسوله ، ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم »^(٣) .
(العقد المرمد ٣ : ٣٠٨)

(١) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، الذي المشهور ، المتوفى سنة ٢٣٥ ، وقد أورد صاحب الأغانى
كثيراً جداً من أخباره ، ورجع إليها فيه .

(٢) الأشنان بالضم والكسر : نبات حمص (والحمص من البان - كشمس - كل بيت ملح أو
حامص يهضم على سوق ولا أصل له) تعمل به الأيدي على أثر الطعام ، معرب ، وعربية حرص كعمق
انظر لسان العرب مادة أشن وحرص . وشفاء العليل ص ١١ .

(٣) وفي رواية الصولى ، في كتاب الأوراق ٢ : ٣٠ « عن إسحاق قال : صهرت نعل ولدي ،
فكتب إلى إبراهيم بن المهدي : « لولا أن البضاعة قصرت عن الهوى ، لأتعبت السابقين إلى برك ،
وحسبك أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ربه ، وقد نعت إليك ما المبتدأ به لئمه » والمختوم به
لطيبه ورائحته ، جراب ملح ، وجراب أشنان » .

٧ - رواية اخرى

وفي رواية أخرى ، أن يحيى بن خالد بن برمك ، عزم على ختان ولده ، فأهدى إليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حاله وقدرته ، فصنع بعض المتجملين العاجزين خريطتين^(١) ، وملاً إحداهما ملحاً مطيباً ، والأخرى سُدّاً^(٢) معطراً ، وكتب معهما رقعة فيها :

« لو تمت الإرادة ، لأسعفتِ العادة ، ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة ، لتقدمتُ السابقين إلى خدمتك ، وأتعبتُ المجتهدين في كرامتك ، لكن قعدتُ بي القدرة عن مساواة أهل النعمة ، وقصرتُ بي الجِدَّةُ^(٣) عن مباهاة أهل المَكِينة^(٤) ، وخشيتُ أن تُطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ذِكرٌ ، فأنقذتُ المفتَحَ يمينه وبركته ، وهو الملح ، والمختَمَ بطيبه ونظافته وهو الشُّعد ، باسطاً يد المَعذِرة ، صابراً على ألم التقصير ، متجرّماً غُصَصَ الاقتصار على اليسير ، والقائمُ بعذري في ذلك : « أَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ » والخادِمُ ضارِعٌ في الامتنان عليه بقبول خدمته ومعذرتة ، والإِحسانِ إليه ، بالإِعراضِ عن جرائته ، والرأى أسمى »

ثم دخل دار يحيى ، ووضع الخريطتين والرقعة بين يديه ، فلما قرأ الرقعة أمر أن تُفَرَّغَا وتَمَلَّأَا إحداهما دنانير والأخرى دراهم .

(عرر الحصاص الواضحة ص ٤٤٨)

(١) الخريطة : وعاء من آدم وغيره .

(٢) السعد : نبت طيب الريح .

(٣) الجِدَّة : الغنى .

(٤) المَكِينة : القوة والتدَّة .

٨ - كتابه إلى صديق له

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى صديق له :
« لو كانت الشُّحفة على حَسَب ما يوجبُه حَقُّكَ ، لَأَجْحَفَ بنا أَدَّتِي
حقوقك ، ولكنه على قدر ما يُخْرِج الوَحْشَةَ ، ويُوجِب الأُنْسَ ، وقد بعثتُ
بكذا وكذا » . (العقد العريد ٣ : ٢٠٩)

٩ - كتاب له

« وصل كتابك السَّارُّ المُوَسِّسُ ، فكان أسْرَ طالِعٍ إليَّ ، وأحْسَنَه مَوْعِياً
مَنِي ، إذ كنت أستعلي بِمُلُوكِ ، وأرى نِعْمَتَكَ تَحِطُّ إليَّ ، ويتَّصل بي ما يتصل
بالأدنين من حُمتك ^(١) ، وحملة شُكرك ، ومَظانِّ معروفك ، والمقيمين على
تأميلك ، فلا أعدَّني اللهُ ما أَسْتَجِنِي [منك] ^(٢) ، ولا أزال عنِّي ظِلْمَكَ ، ولا
أَقْدَنِي شَخْصَكَ » . (الأوراق للصولي ٢ : ٣٧)

١٠ - كتاب له

كتبتُ إليك ونحن في عافية مجدِّدة ، والحمد لله المتطوِّل بالنعمة ،
المرجوُّ للمزيد ، ولست وإن باعدتْكَ الدارُ مني ، ونأى بك الزمنُ عنا ،

(١) اللحمة : الفرائد .

(٢) استجنى : طلب الحى ، والمعنى ما أحياه وآمله منك ، وكلمة « مك » يست في الأصل ،

والمقام يقتضها .

بِمَقْصِيِّ الْقَلْبِ عَنِ بَرِّكَ بِالذِّكْرِ وَالْعِنَايَةِ ، وَلَا اللِّسَانِ بِالدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ ، وَلَا
النِّيَّةِ فِي الْإِخْلَاصِ وَالْمَحَبَّةِ لِإِحْيَاءِ الْعَهْدِ بِالْمَكَاتِبَةِ ، وَتَجْدِيدِ الْوَصْلَةِ بِالْمُرَاسَلَةِ ،
فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « التَّوَاصُلُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَضَرِ التَّزَاوُرُ ،
وَفِي السَّفَرِ التَّكَاتُبُ » . (الأوراق للصوى ٢ : ٣٧)

١١ - كتاب له في التشوق

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي مُذْفَارِقُكَ ، وَغَابَ عَنِّي شَخْصُكَ ، وَبَعُدَ مِنِّي قُرْبُكَ ،
أَجِدُ مِنْ نَفْسِي مُنَازِعًا إِلَيْكَ ، وَأَمَلًا وَاقِفًا عَلَيْكَ ، وَشَوْقًا مُرْتَجِبًا إِلَى قُرْبِكَ ،
وَالْأَخْذِ بِالْحِظِّ مِنْكَ ، وَإِنْ عَدَانِي عَنْ مَشَاهِدَتِكَ بِاللِّقَاءِ ، أَوْ بِكِتَابٍ ،
تَقْصِيرٌ مُشَوَّبٌ بِعَذْرِ ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ رَاغِبًا إِلَيْهِ أَنْ يَجْمَعَنَا فِي دَوَامٍ مِنْ نِعْمَتِهِ ،
وِظِلٍّ مِنْ كِرَامَتِهِ ، وَكِفَايَةٍ مِنْ حِرَاسَتِهِ » . (اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣٩٥)

١٢ - كتاب له

وله في ترك وداع عند فراق :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَنَا مِنَ الْأَنْسِ بِمُودَّتِكَ ،
وَالسَّرُورِ بِمَكَانَتِكَ ، مَا لَوْ وَصَفْنَاهُ فَأَطْبَبْنَا ، لَجَاوَزَ^(١) ذَلِكَ مَا نَنْطَوِي عَلَيْهِ ،
وَقَدْ تَرَكْتُ مِنْ تَوَدِّعِكَ عِنْدَ شَخْصِي عَنِ الْبَلَدِ الَّذِي يَجْمَعُنَا ، مَا لَوْ لَا حَسَنُ

(١) في الأصل « ابادر » وهو تحريف .

ظنني بك ، لَوَقَعَ مني بأعظمِ مواقعِ المسَاءَةِ والفيْظِ على نفسي ، وأنتَ من
أَعُدُّهُ سروري وأنسي ، وأهْوَى مشاهدَةَ غُدُوِّي وَرَواحِي إليه ، ولَقَلُّ
ما أَعْلَمُ أَنَّهُ ما استتمَّ لي سرورٌ بعدك ، أو نزلَ بأحدٍ ما نَزَلَ بي من الشوقِ
إليك ، أو حَلَّ مني أحدٌ بمثلِ مكانك ، أو استصفيْتُ لذةً أو راحةً إلا معك
وفي قُرْبِكَ . (اختيار المَطُومِ والمشورِ ١٣ : ٢٩٥)

١٣ - كتاب له

وكتب^(١) إبراهيم بن المهدي :

« كتابي إليك كتابٌ مُخَيَّرٌ وسائِلٌ ؛ فأما الإخبارُ ، فمن تصرَّف

الخطوب ، على ما يوجب العذرَ عندَ صديقِ العزيزِ عليٍّ ، في إبطائي عنه بالتههيدِ

له ، وأما السؤالُ ، فعن إمساكِ هذا الأخِ الوادِ^(٢) عن مثلِ ذلك ، فإن العذرَ^(٣)

كاشِفٌ لما أسأَفَ ، مُصْلِحٌ لما استأنَفَ .

(اختيار المَطُومِ والمشورِ ١٣ : ٣٧٧ والعقد المُرِيدُ ٢ : ١٥٢)

(١) في المَطُومِ والمشورِ أن هذا الكتاب لإبراهيم بن العباس .

(٢) في العقد « هذا الأخ الودود الودود » .

(٣) وفيه « فإن الدل » .

١٤ - كتاب له

وكتب :

« أما بعد ، فإنك لو عرفت فضل الحسن ، لتجنبته شين القبيح ،
ورأيتك : آثر القول عندك ما يضرك ، فكنت فيما كان منك ومنا ، كما قال
زهير بن أبي سلمى :

وذى خطلٍ في القول يحسبُ أنه مُصِيبٌ ، فما يُلمِمُ به فهو قائلُهُ^(١)
عبأتُ له حِلماً وأكرمتُ غيره وأعرضتُ عنه وهو بادٍ مقائلُهُ^(٢)
وأن من إحسانِ الله إلينا ، وإساءتِك إلى نفسك ، أنا صفحنا عما أمكنا ،
وتناولت ما أعجزك ، فله الحمدُ كما هو أهله .

(العقد العريد ٢ : ١٩٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٣٦)

١٥ - كتابه إلى منصور بن المهدي

وفصل منه إلى المنصور بن المهدي :

« وما الحقُّ إلا حقُّ الله ، فمن أدّاه فلنفسه ، ومن قصر عنه فعلها ،
نسأل الله أن يعمرنا بالحق ، ويصلحنا بالتوفيق ، ويحصننا بالتقوى . »

(الأوراق للصولي ٢ : ٣٥)

(١) الخطل : الخطأ .

(٢) عما الأمر كمع : هياه .

١٦ - كتابه إلى العباس بن موسى

« عبد الرحمن بن عبد الله ، مَنْ لا أحتاج إلى وصف حاله لك ، ولعلِّي عرَفْتُها بعدك ، غير أنني أحبُّ مسرَّتَه ، بقضاء حقه ، وواجب حُرْمته ، في موَدَّته وموالاته ، وقد جعلك ممن يحافظ على ذلك ومثله ، أراك الله ما تحبُّ أن تحفظني ونفْسك فيه ، وتُوَلِّيه ما جعلك الله أهله ، وجعله حقيقةً به .
(الأوراق للصولي ٢ : ٣٥)

١٧ - فصل له

« لم يبق لنا بعد هذا الجنس شيء نمدُّ أعيننا إليه ، إلا الله الذي هو الرجاء ، قبله ومعه وبعده » . (الأوراق للصولي ٢ : ٦٣)

١٨ - فصل له

« أمَّا الصَّبْرُ ، فصير كل ذي مصيبة ، غير أن الحازم يقدم ذلك عند اللوعة طلباً للمثوبة ، والعاجز يؤخر ذلك إلى السَّلْوة ، فيكون مغبوناً نصيب الصابرين ، ولو أن الثواب الذي جعل الله لنا على الصبر كان على الجزع ، لكان ذلك أثقل علينا ، لأن جزع الانسان قليل ، وصبره طويل ، والصبر في أوانه أيسرُ مئونةً من الجزع بعد السَّلْوة ، ومع هذا فإن سبيلنا من أنفسنا على ما ملكنا الله منها ألا نقول ولا تفعل ما كان لله مُسْتَخِطاً ، فأما ما يملكه الله من حُسن عِزاء النفس ، فلا تملكه من أنفسنا .

١٩ - كتاب يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه

وأهدى يعقوب^(١) الكندي إلى بعض إخوانه سيفاً وكتب معه :
« الحمد لله الذي خصَّك بِنافع ما أُهدى إليك : فجعلك تهتزُّ للمكارم ،
اهتزازَ الصَّارِمِ ، وتمضي في الأمور ، مضاءً المأثور^(٢) ، وتصون عِرْضَكَ
بالإِرْفَادِ^(٣) ، كما تصان السيوف في الأغماد ، ويظهر دمُ الحياء في صفحة خَدِّكَ
المشوف^(٤) ، كما يشف الرِّوْنَقُ في صَفَحَاتِ السيوف ، وتَصْقَلُ شرفك
بالعَطِيَّاتِ ، كما تُصْقَلُ مُتُونُ المَشْرِفِيَّاتِ^(٥) » .

(غرر الحقائق الواضحة ص ٤٤٧)

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، كان أبوه إسحق أميراً على الكوفة للمهدي والرشد ، وكان يعقوب عظيم المنزلة عند المأمون والعتصم ، فاضل دهره ، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ، ويسمى فيلسوف العرب ، وله مؤلفات كثيرة في عارم مختلفة من المنطق والفلسفة والهندسة والحساب (الأرنطاطيقي) والموسيقى والسجور وغيرها ، وقد عدله ابن النديم ٢٣١ كتاباً في ١٧ علماً .

وله حديث مع أبي تمام ، حين أنشد المعتصم سبنيته المشهورة في مدحه (وفيات الأعيان ١: ١٢٢)
انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ٣٥٧ ، وتاريخ الحكماء لابن القطي ص ٣٦٦ (طبع
أوربة) وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١ : ٢٠٦ .
هذا إن صح أنه كاتب هذه الرسالة وأشك في أنه هو ، لأن الصبغة البديعة البيئة الأثر في أسلوبها
لم تفش إلا بعد ذلك العصر .

(٢) سيف مأثور : في منته أثر بالفتح والكسر : وهو فرند السيف وروقه ودياجته .

(٣) الإرفاد : الإعطاء والإعانة .

(٤) المشوف : المجلو ، من شافه شوقاً ، أي جلاه ، ودينار مشوف : محلو ، وفي الأصل
« مشروف » وهو تحريف .

(٥) المشرفي : السيف ، نسبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف ،
وقيل : نسبة إلى موضع باليمن .

٢٠ - بين عبد الله بن الحسن الأصبهاني وابن الزيات

وكان عبد الله بن الحسن الأصبهاني، يخاف عمرو بن مسعدة على ديوان
الرسائل، فكتب إلى خاله بن يزيد بن مزيد:
« إن المعتصم أمير المؤمنين ينقح منك في غير فحتم، ويخاطب امرأ
غير ذى فهم » .

فقال محمد بن عبد الملك الزيات: هذا كلام ساقط سخيف، جعل
أمير المؤمنين ينقح بالزق^(١) كأنه حداد! وأبطل الكتاب.
ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر:
« وأنت تجرى أمرك على الأريج فالأريج، والأرجح فالأرجح، لاتسعى
بتقصان، ولا تميل برجحان » .

فقال عبد الله الأصبهاني: الحمد لله، قد أظهر من سخافة اللفظ، ما دل
على رجوعه إلى صناعته من التجارة^(٢)، بذكره ربح السلع، ورجحان
الميزان، وتقصان الكيل، والخسران من رأس المال، فضحك المعتصم وقال:
ما أسرع ما انتصف الأصبهاني من محمد، وحقدها عليه ابن الزيات حتى نكبه.
(الأغانى ٢٠ : ٥٩)

(١) الرق : اسقاء .

(٢) وذلك أنه كان حداداً . نزل الزيت من مواضعه إلى مداد ويتجر فيه ، ثم أقام هو وولده
عند المذابح الكرج (حملا ، معداد) فبدأ عبد الملك في التجارة ، ووجد حتى صار من تاجر الكرج
اليسير ، وكان تحت يده مجدا على التجارة وملازمها ، فبأنى إلا الكفاية ، وطلبها ونفسه العالي ، حتى
دعا منها أن ورر ثلاث دفعات ، كما قدما .

٢١ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات

وروى أنه دامت الأمطار بسراً من رأى ، فتأخر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذ وزير ، والحسن يكتب له ، فاستبطأه محمد ، فكتب إليه الحسن يقول :

أوجِبَ العُذْرَ في تَرَاحِي اللِّقَاءِ مَا تَوَالَى مِنْ هذِهِ الأَنْوَاءِ^(١)

لست أدري ماذا أقول وأشكو من سماء تعوقني عن سماء^(٢)

غير أني أدعو على تلك بالشكْلِ وأدعو لهذه بالبقاء^(٣)

فسلامُ الإله أهديه غضاً لك مني يا سيِّد الوزراء^(٤)

(الأغانى ٢٠: ٥٤ والعقد العريد ٢ : ١٩٣)

٢٢ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات

واعتلَّ الحسن بن وهب فتأخر عن محمد بن عبد الملك أياما كثيرة ، فلم

يأته رسوله ، ولا تعرَّفَ خبره^(٥) ، فكتب إليه الحسن :

أَيُّهَا ذَا الوَازِرِ أَيْدِكَ اللِّسَةُ وَأَبْقَاكَ لِي بَقَاءً طَوِيلًا

(١) الأنواء جمع نوء بالفتح : وهو سقوط نجم من المارل في العرب مع الفجر ، وطلوع رقيه من المشرق يقابله من ساعته ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، وقيل إلى الطالع ، فتقول « مطرنا بتوء كذا » .

(٢) السماء الأولى : المطر ، والسماء الثابتة يريد بها الوزير .

(٣) التكل : الموت والهلاك .

(٤) النص : الناصر .

(٥) هذه رواية الأغانى ، وفي العقد العريد : « وكان شاعر يختلف إلى يحيى بن خالد بن برمك ويمتدحه ، فغاب عنه أياما لعله عرضت له فلم يفتدده يحيى ، ولم يسأل عنه ، فلما أفاق الرجل من علته كتب إليه ... الخ .

أَجِيلاً تراه ، يا أكرمَ الناسِ من لَكَيْمًا أراه أيضاً جِيلاً
أَنْتَى قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيلاً مَا تَرَى مُرْسِيلاً إِلَى رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ مُوجِبُ التَّعْهُدِ فِي الصَّحَّةِ مَنَا عَلَى مِنْكَ طَوِيلًا^(١)
فَهُوَ أَوْلَى بِالسَّيِّدِ النَّاسِ بِرًا وَافْتِقَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيلاً
فَلِمَاذَا تَرَكْتَنِي غَرَضَةَ الظَّنِّ مِنَ الحَاسِدِينَ جِيلاً فَجِيلاً
الذَّنْبِ؟ فَمَا عَلِمْتَ سِوَى الشُّكْرِ قَرِينًا لِنَيْتِي وَدَخِيلاً
أَمْ مَلَالٍ؟ فَمَا عَلِمْتَكَ لِلصَّاحِبِ مِثْلِي عَلَى الزَّمَانِ مَلُولًا
قَدْ أَتَى اللَّهَ بِالشُّفَاءِ ، فَمَا أَعْرَفُ مِمَّا أَنْكَرْتُ إِلَّا قَلِيلاً
وَأَكَلْتُ الدَّرَّاجَ ، وَهُوَ غَدَاةٌ أَفَلَتُ عَلَيَّ عَلَيْهِ أَفُولًا^(٢)
بَعْدَ مَا كُنْتُ قَدْ حَمَلْتُ مِنَ العِلَّةِ عَيْبًا عَلَى الطَّبَاعِ تَقِيلاً
وَلَعَلِّي - قُدِّمْتُ قَبْلَكَ - آتِيكَ غَدًا إِنْ وَجَدْتُ فِيهِ سَبِيلاً

(الأعاني ٢٠: ٥٤ والعقد العريد ١: ٢٣٠)

٢٣ - رد ابن الزيات عليه

فأجابه محمد بن عبد الملك^(١) :

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ الدَّهْرِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَائِيلاً
أَشْهَدُ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ العُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
وَلَعَسَى أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا رِمْتُكَ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلاً

(١) في الأعاني « التعمد » وهو تحريف .

(٢) الدراج : طائر من طيور العراق ، وأقل النعم : عاب .

(٣) وفي العقد العريد : « وكف الوزر يعتذر... الخ » .

إني أرتجى (وإن لم يكن ما كان مما تقمت إلا جليلا)
أن أكون الذي إذا أضعر الإخلاص لم يلتمس عليه كفيلا
ثم لا يبذل المودة حتى يجعل الجهد دونها مبدولا
فإذا قال كان ما قال إذ كان بعيداً من طبعه أن يقول
فاجعلنى لى إلى التعلق بالعدو سبيلا إن لم أجد لى سبيلا
فقدىما ما جاد بالصَّفح والعفو وما سامح الخليل الخيلا
(الأغانى ٢٠: ٥٥ والعقد الصريد ١ : ٢٣٠)

٢٤ - كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب

وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب ، وقد تأخر عنه :
قالوا : جفاك فلا عهد ولا خبر
ماذا تراه دهاه؟ قلت : أيلول^(١)
شهر تجذ حبال الوصل فيه فما
عقد من الوصل إلا وهو محلول^(٢)
(الأغانى ٢٠ : ٥٥)

٢٥ - رد الحسن بن وهب على ابن الزيات

وكان محمد قد تدبه لأن يخرج فى أمر مهم ، فأجابه الحسن فقال :
إنى بحول امرى أعليت ربتة
فخطه منك تعظيم وتجميل
وأنت عدته فى نيل همته
وأنت فى كل ما يهواه مأول
ما غالتى عنك أيلول بلدته
وطيبه ولنعم الشهر أيلول

(١) أيلول : شهر من شهور الروم .

(٢) تجذ : تقطع .

الليل لا قصر فيه ولا طول
والعود مستنطق عن كل معجبة
لكن توقع وشك البين عن بلد
مالي (إذا شممت بي عنك مبتكراً
إلا رعاياتك اللاتي يعود بها
والجؤصاف، وظهر الكأس مر حول^(١)
يصحى بها كل قلب وهو متبول^(٢)
تحله ، فوكاء العين محلول^(٣)
دهم البغال أو الهوج المراسيل^(٤)
حد الحوادث عنى وهو مقلول^(٥)
(الأعلى ٢٠ : ٥٥)

٢٦ - كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب

واستسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبينا ببلاد الروم ،
وهو مع المعتصم ، فسقاه وكتب إليه :

لم تلق مثلي صاحباً أندى دأ وأعم جوداً
يسقى النديم بقفرة لم يسقى فيها الماء عوداً
صفراء صافية كأن تكأسها ذراً نصيداً
وأجود حين أجود لا حصراً بذاك ولا بليداً
وإذا استقل بشكرها أوجبت بالشكر المزيداً^(٥)

(١) رحل العير كرم : حط عليه الرجل . فهو مرحول ، أى مهياً للركوب ، والمعنى هنا : أن الكأس مهياً للشرب .

(٢) صحا السكران كعدا وصحى كرضى : أفاق ، وعلب مسول : إذا غلبه الحب وهيمه ، وتله الحب كصر : أسقمه وأفسده

(٣) وشك البين : قرب العراق ، والفوكاء . رباط الفرفة وغيرها ، والمعنى : مسالت غيره .

(٤) ابتكر : بكر . والدهم جمع أدم : وهو الأسود . والهوج جمع هوجاء : وهى الناقة المرعة حتى كأن بها هوج . والمراسيل جمع مراسال : وهى الناقة السريعة السير .

(٥) استقل : بهن .

خَذَهَا إِلَيْكَ كَأَنَّمَا كُتِبَتْ زَجَاجَتُهَا عُقُودًا
وَاجْعَلْ عَلَيْكَ بِأَنَّ تَقْوَى مَ بِشَكَرِهَا أَبَدًا عُهُودًا

(الأمانى ٢٠ : ٥٦)

٢٧ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب ، يعزى ابن الحسن بن سهل ، عن أبيه (١)

الحسن :

« إن أحقَّ النعم المرتبجة ، والعواري المستردة ، بأن تودعها النفوسُ
بالسكون عليها ، والرضا عن الله عز وجل فيها ، والستاء عما ارتبج واستردَّ
منها ، نعمة عارية أعظم الله قدرها (٢) ، وأجلَّ خطرَها ، وفسحَ في مدتها ،
وأطال الانتفاع بها ، حتى إذا حداها (٣) طولُ الثواء بأهلها ، وتقادم الإلفِ
بينهما ، فجرى مجرى أخلق الأشياء بالدوام ، - إن (٤) كان الدوام في شيء
مأمولا - وأبعدها من النفاذ - إن (٥) كان النفاذ على شيء مأمونا - فكانوا
لذلك من حالها [في غيرة (٦)] عنها ، وإغفال لموقعها ، أمضى (٧) الله أمره
الذي هو فناء كل مادونه ، وهلاك كل شيء إلا وجهه ، فكان ذلك قضاءه

(١) في الأصل « عن ابنه » وهو تصحيف .

(٢) في الأصل « فقدها » .

(٣) من حدا الليل النهار أي تبعه ، وحدا الإبل أي ساقها ، والمعنى : صحبها ولارمها ، والثواء :

الإقامة ، وفي الأصل « حتى إذا حراها طول الثواء أهلها » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « وإن » .

(٥) في الأصل « وإن أيضا » .

(٦) في الأصل « لعمرهم » وقد أصلحته كما ترى .

(٧) جواب إذا .

القضاء الفاضل ، وحُكْمُه الحكم الذي ليس مرَدًّا ، ثم نبّه به على فقد ما منح منه ، حتى عاد مشكوراً ، وعلى ما يجب به التسليم ، حتى عاد مُطاماً .

وإن أميرنا وسيدنا وموئيل نعمتنا ، ومبتدئ أسلافنا ، وكافل أعقابنا ، وعامر مجدنا ، وباني مكارمنا ، بالبر الذي هو كان المعتدّ له ، ثم بالأدب الذي رفع مناره وأعلامه ، وأثن^(١) به لأهله ، وأقام له سوقه ، فلم يقرب إلا عليه ، ولم يُحْظِ إلا من ناحيته . فالتمسهُ الناس حين التمسوه من جهتيه اللتين : إحداهما الرغبة فيه لفضله ، والأخرى طلب التحير لمعرفة أبا محمد ، رضى الله عنه كل الرضا ، ورحمة الله كل الرحمة عليه ، كان ذلك النعمة التي دامت أحسن دوام ، وتلك العارية التي ثوت طول العواء ، فما أحقك - بموضعك من ولادته - وأحقنا - بموضعنا من جميل بلائه - أن تكون على ما وقاه من أمره شاكرين ، وعنه تبارك وتعالى راضين ، وأن تقول قول المحسنين المَجْمِلِينَ المُسَامِينَ (إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) وأنا أسأل الله أن يصلي على محمد وعلى آل محمد ويسلم تسليماً ، وأن يحسن لنا ولك العزاء ، ويوقر علينا وعليك الأحر والشواب ، وأن يجزي أبا محمد خيراً ، بنيته الجميلة ، وسعيه الحميد ، وأن يسند بك وبإخوتك - أبقاك لله لهم ، وأبقاهم لك وبعك - ما فلت^(٢) الأيام من مكانه ، وأخلت من مشاهدته وأوطانه ، حتى لا يعفوله أثر ، ولا يُفقد منه إلا ما فقد ، وأن يستقبل بكم أيّامكم ، بأحسن ما مضى تمامه ، لمن

(١) في الأصل « وآثر » وأرى أن صوابه « وآثن » يقال : أسه سعه وآثن له : أعاده ثمياً والمعنى : أجاز أهل الأدب وحنام ، ويؤيد هذا التصويب ، قوله بعد « وأقام له سعة » وربما كان « وآثر » أهله .

(٢) أى نمت ، وفي الأصل « ماملت » وهو تحريف .

مضى منكم ، فيجعلكم الخلف الذي لا وصمة معه ، ولا وحشة عليه في نفسه ،
وأسأله أن يتولاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليّه .

وكتابك - أكرمك الله - بما أحضركم الله من توفيقه ، الذي أرجو
ألا يغيب عنكم ، وإرشاده الذي أرجو أن يكون مقروناً بكم في كل أحوالكم ،
ما يلزمك في مروءتك وأخلاقك ، لا تُخْلِي مني ، ولا تؤخر إيناسي بتعجيله ،
تولاك الله بكل صلحة ، وعودك بك من كل رزية ، وأتم عليك النعمة ،
ولا أخلاك فيها من الزيادة » . (اختيار المطوم والثور ١٣ : ٣١٤)

٢٨ - كتاب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب ، إلى القاسم بن الحسن بن سهل ، يعزیه :
« مد الله في عمرك ، موفوراً غير متقص ، وممنوحاً غير ممتحن ،
ومنعطى غير مستلب » . (رهر الآداب ٣ : ١٩٩)

٢٩ - كتاب الحسن بن وهب إلى محمد بن إسحاق

وكتب الحسن بن وهب ، إلى محمد بن إسحاق ، يعزیه عن ابنه إسحاق :
« الأمير أعلم بالدين ، من أن يدكر به ، وبالدينيا ، من أن يدل على ما خلقت
له ، وقد ورد - أعز الله الأمير - ما كان من النبأ العظيم ، والخطب الجليل ،
في سيف الخلافة ودعامتها ، ورؤيتها في يومها وغدها ، فلو أن حدثاً سبق
بالنفوس آجالها ، وأعجلها عن الآجال المقدرة ، لكانت الرزية أحق الرزايا

بذلك ، فكنْتُ أحمق المنكوبين بمصابه أن ينالني ذلك منه .

(اختيار المظوم والثور ١٣ : ٣١٢)

٣٠ - كتابه إلى إسحق بن يحيى

وكتب الحسن ، إلى إسحق بن يحيى بن مُعاذ ، يعزّيه عن ابنه :

« مَنْ شكَّ في موضعٍ من هذه المصيبة ، وبموقعها مني ، فأنت - أعزك الله - غيرُ شكِّ في ذلك ولا مرتاب به ، فإننا كنا من صفاء الخُلَّة^(١) على ما لم يكن عليه أخو مودَّة ، تغيّب إذا غيبتنا ، على إخلاص ومِقَّة ، ونحضر إذا حضرنا ، على برٍّ وصلَّة ، ونتقارض المحبة قروضا مجزيَّة ، رضى الله عنه ، وشكر له ما كنتُ أعتدُّ به منه ، ولقد كانت الدنيا ترداد حيا إلى بمكانه ، وتضعف حسنا في عيني بحياته ، ولقد أحدثت لي ميته زهدا في الحياة ، وقصداً في الشحِّ عليها ، وذمًّا للدنيا ، واستقباحاً لصورها ، ولكن ما الحيلة ، جعلت فداءك؟! وممن الظلّامة؟! وما نصنع بهذه الغرارة ، التي سيرتها - منذ كانت - سيرة واحدة ، وأحكامها في كدر الصفاء ، وتنغيص السرور ، أحكام راتبة^(٢) ؟ والله المستعان ، والمشتكى إليه . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، لا تقصّ لك عددا ، ولا أراك في شيء من نعمه عندك فجعماً ولا تبديلاً . »

(اختيار المظوم والثور ١٣ : ٣١٢)

(١) الخلة : الصداقة المحصنة لاحتلال ميثاقها .

(٢) راتبة : أي ثابتة لا تتغير .

٣١ - كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وله إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، يعزیه :

« أطال الله بقاء الأمير مسروراً غير محزون ، ومُعْطَى غير مسلوب ،
ووفقه في إحواله كلها بما يستديم به النعم ، ويستحق به المثوبة .
أفطنى^(١) ما رأيت في الأمير - أعزه الله - من أثر هذه الرزية ، التي
تكاد أن تكون أشبه بالنعم ، منها بالرزايا ، لما وفرَّ الله للأمير - إن شاء الله - من
ثوابها له ، وحاطه من بعدها في نفسه ، فإن حياة الأمير - أعزه الله - حياة
لأهله وذوي نائله ، بعد الذي جعل الله للدين والخلافة والعز بسلامته ،
وللأمة من جمال مكانه وموضعه ، فوفرَّه الله للأمير المؤمنين ، ولا نقصه ،
وتولاه بحسن المدافعة عنه ، والحياطة له ، ولا أراه سوءاً في نفس ولا حيمٍ
بقدرته ، وأماذ الأمير من المكاره ، وأعاذنا فيه منها ، إنه ولي قدير . »

(اختيار المطوم والثور ١٣ : ٣١٦)

٣٢ - جواب تعزية له

وللحسن بن وهب جواب تعزية عن ابنه ، إلى الطائي^(٢) الشاعر :

« أمتنى الله بما وفرَّ على من موافقتك ، وبلوغ الوطر كل الوطر من
استتمام اليد عليك ، وإحاطة الملك لك ، زاد الله في النعمة عندك بطول حياتك ،

(١) أقطعه : وحده قطيعاً ، أي شق عليه وأخره .

(٢) المهور منه ، أنه أوتى من حبيب بن أوس الطائي ، الشاعر العباسي المعروف .

وتراقى أيامك ، وغفلة الدهر عنك وعن حظى منك .
كتابي ، بأبي أنت وأمي ، وطاري في وتلادي ، وكتابك في يدي ،
وفلان عندي ، ونحن نصعد ونصوب في الشعر العجيب ، الذي أنفذه
في درجه^(١) ، وبيننا من ذكرك أطيّب من روائح الرياض غيب القطر ،
والحال سارة ، والعافية شاملة بحمد الله على النعمة ، ونسأله أحسن التمام
والزيادة ، وذكرت مشاركتك^(٢) إياي في المصيبة ، وما كان أحوجّني - حين
طرقت بها الأيام - إلى أن تكون حاضرا ، فتؤيد ضعفا ، وتعمّ سدادا^(٣) ،
فإنها^(٤) كانت حالا وافت غريراً بها ، شديدة الغفلة عنها ، حتى كأنني كنت
لا أحسب الأيام على هذه الخليقة . ولا الدهر على هذه العادة ، فسيحان الله
لهذا السهو الطويل ، والتفريط الذي لا يُشبه السفة ، فضلا عما يحب أن
يقال عاقل حلیم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، لا انفكّت أقدارُ السوء تسقط
دونك ، والردي يُخطفك ، وكلاءة الله تُحيط بك .

(احياز المطوء والسور ١٣ : ١٥٠)

٣٣ - تعزية له

وله تعزية :

« جَبَلَك اللهُ على التسليم لأمره والرضا بقضائه ، وصبرك على ما واقع

(١) درجه : أي في طيه .

(٢) في الأصل « مشاورتك » وهو تحريف .

(٣) في الأصل « وتعم سداد » والمعنى : وتعم بالسداد وترشدنا إلى وحيب التملك لصبر والتك

عن الخرج ، وربما كان الأصل « وتعلم سدادا » أو « وتعم سرادا » .

(٤) في الأصل « فاما » وهو تحريف .

أقداره ، واحتمالِ الحقوقِ لنعمته ، إن الله عز وجل جعل النعم سبيلاً لاختبار
الشكر، والمحَنَ سبيلَ ابتلاءِ الصبرِ؛ وأحقُّ الناسَ بالشكرِ على النعمة ، والصبرِ
عند المِحْنَةِ ، مَنْ قَرَنَ اللهُ له بينَ الحالينِ ، فلم يُخْلِهِ من النعمة التي حقُّها
الشكرُ ، ولا من المِحْنَةِ التي حقُّها الصبرُ ، وهي حالك التي أصبحتَ عليها
بحمدِ اللهِ ، إلى الأحوالِ المنتظرة لك بعدها ، المرجوَّةُ زيادةُ اللهِ إياك
في أحسنها .

وكانت الحادثة في أبي فلان وما آثره من طاعة من مضى من خلفائه ،
وطاعة أمير المؤمنين ، الرزية المرجوة المنتظر يومها ، صنع الله بك وفيك في
غدها ، وحلت من أمير المؤمنين ومن أوليائه وعوام رعيته محلها ، ثم كنت
من أمير المؤمنين بموضع الرجاء لسدِّ ثَمَمِها ، ولم شَعَمِها . حتى تَعَفَوْا بِإِذْنِ اللهِ
آثارُ كُلِّومِها^(١) ، ويعود الصلاح في جميعها إلى أجل ما برت به عادةُ اللهِ
فيها ولها ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، فبولا من الله تبارك وتعالى لقوله ،
وانتهاء إلى أمره ، ووليك الله في هذه المصيبة بأعظم الأجر ، وأجزل
الدُّخْرِ ، وألهمك الله في النعم أحسن ما ألهمه محتملاً لنعمة ، أوقائماً
بحق ، وسرِّبك من بعد من كنا نضين ببقائه ، ونشح على حياته ، ونعتد بنعمة
الله فيه ، نضر الله وجهه ، ونسأل الله أن يهب له جزاء الآخرة ، وشريف
منازلها ، ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ما نقله عنه من حظوظ
الدنيا التي قد كان نشأ فيها ، وتقلب في أعلى مراتبها ، وأثابه الله أجلاً ما أثاب

(١) عما الأثر : درس واحي ، والكلام جمع كام بالفتح : وهو الجرح .

شاكرًا لأنعمه ، مؤدبًا لما يستحقُّ به من طاعته ، وهناك الله ما أعطاك من
رأى خليفته ، ووفَّقك لاستقبال ما استدعى به مرضاته ، والزُّلفَةَ لديه ، بقدرته .
(اختيار المظوم والمشور ١٣ : ٣١٥)

٣٤ - كتابه إلى إسحق بن إبراهيم

وكتب الحسن بن وهب ، إلى إسحق بن إبراهيم يعزیه ، عن يحيى
ابن خاقان :

« صرَفَ اللهُ المكارِهَ كُلَّهَا عن الأمير ، وأبعدها عن جنابه ومقرِّ
داره ، ولا فجَّعه بوليٍّ يؤيِّدُ عزَّه ، وينهي^(١) بفضائله ، ويتدحُّ بزنده ،
ويحطِّب في حبله ، ويرادى من راداه^(٢) وعند^(٣) عن طاعته ، كان يحيى
ابن خاقان أحد الشيوخ ، أو شيخ الشيوخ العارفين بفضائل الأمير ،
الحافظين لما أثر أسلافه ، فلا أعلمني رأيتُ في دار الأمير رجلاً أصفى من
جانبه ، ولا أظهر من محبته ، ولا غائبًا كان يغيب عنها بأنتق من غيبه ،
وسريره ، ولا أنصح من جيبه ونيتته ، وكان لى مع ذلك أبا بعد أبى ، وكافلا
بعد من كان يكفلى ، وكانت عنايته بلغتنى . حتى خلطنى بإخوته وأقاربه .

وأتاني خبر مُصابه ، فوَحَقَّ الأمير الذى أعظمه ، لقد هدتنى . وبلغ
مساءتى وكُرهِى ، وتذكرتُ ما يتعطلُّ على الأمير من عمارة الأُنس به ،

(١) أهدى الشيء : أبلغه .

(٢) رادى عن النوم : رمى عنهم بالحجارة .

(٣) عند عن الطريق كصبر وسمع وكرم : مال .

والإفشاء إليه ، والاستراحة إلى خلوته ، فاستوحشتُ لذلك ، وإن كنت أرجو أن يؤنس الله الأميرَ من سلامته ، بما يسدُّ كلَّ خللٍ وتُلْمَة ، ويدمُلُ^(١) كلَّ كَلْمٍ ورزِيَّةٍ ، فعظمَ اللهُ أجرَ الأميرِ ، وتظاهرتُ عنده مِننُ الله وطَوَّله وقدرتُه على ما يشاء في عبادته .

(اختيار المنظوم والنثور : ١٣ : ٣١٧)

٣٥ - كتابه إلى عبد الرحمن بن خاقان

وله تعزية إلى عبد الرحمن بن خاقان :

« حَرَسَكَ اللهُ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْغَيْرِ ، مُؤَيِّدًا بِالتَّوْفِيقِ وَالْعَصْمَةِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، إِنْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكَ فِيمَا عَصَمَ مِنْ دِينِكَ وَنَفْسِكَ ، وَالْهَمَّكَ حِظَّكَ وَرُشْدَكَ فِي السَّعْيِ لِمَعَادِكَ ، وَالتَّمَسَّ الْقُرْبَةَ إِلَى رَبِّكَ ، النِّعْمَةُ الْجَلِيلَةُ الَّتِي تَضَعُ أَكْثَرَ الْمَثُونَةِ عَنِ التَّمَسُّ تَذَكِيرُكَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ . وَوَعَظَّكَ بِمَا يَلْزِمُكَ مِنْ تَلَقُّي نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشُكْرِهَا ، وَمُحَنَّتِهِ بِالتَّسْلِيمِ لَهَا وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا .

وقد وافانا من خبر الحادثة فيمن أكرم الله مشواه ومُنْقَلَبِهِ ، مَا جَلَّ حَتَّى اسْتَفْرَغَ الْجَمِيعَ ، وَعَمَّ حَتَّى كَادَ يَسْوَى بَيْنَ الْأَقْرَبِ وَالْأَبْعَدِ ، فإلى الله نشكو ذلك ، كما نرغب إليه تبارك وتعالى في التجاوز عنه والرحمة له ، وأن يوفقك وإيانا من الصبر على رزيقته ما يؤثمتنا من حُبُوطِ الْأَجْرِ ، وَيُكْمِلَ لَنَا وَلَكَ جَزِيلَ الدُّخْرِ »^(٢) . (اختيار المنظوم والنثور : ١٣ : ٣١٧)

(١) دمل المرحح كعرج واندمل : برئ والتحم وتماثل ، ودمله الدواء كصره : أبرأه ، والكلم : المرحح .

(٢) في الأصل « الأجر » وأرى أنه سهو من الناسخ ، إذ تقدمت هذه الكلمة في الفقرة السابقة

٣٦ - كتاب تعزية له

وله تعزية أيضاً :

« قد نفذ كتابي إليك في التعزية عن السيد الذي لا تُفجع بعثله ،
ولا تؤمل عوضاً منه ، إلا باتصال أيامك ، وجميل حياطة الله إياك ، بما أرجو
أن يكون قد وصل والحمد لله ، وإليه أوجه الرغبة في إلهامك الصبر ، وحسن
المعاونة لك على قضاء الحق عليك ، وقضاء الحق لك ، وما أعتد به من
مودتك ، التي تقتصر على مادونها الثقة ، وتستحکم بأقل منها الأسباب والمقاة .
(اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣١٧)

٤٧ - كتاب له في الشكر

وكتب الحسن بن وهب في الشكر :

« من شكرك على درجة رفعتها إليها ، أو ثروة أفدرته عليها ، فإن
شكري لك على توجبة أحييتهم ، ونشاشة^(١) أبقيتها ، وورق أسكت به ،
وقت بين التلّف وبينه ، فكل نعمة من نعم الدنيا حدّ ينتهي إليه ، وقدس
يوقف عنده . وقال من الشكر بسمو إليها اطّرف . خلا هذه النعمة التي
قد فاقت الوصف ، وطالت الشكر ، وتجاوزت قدره . وأنت من وراء كل
فائة ، رددت عنا كيد العدو . وأرغمت أنف الحسود ، فنحن نلجأ إليك فيها
إلى ظن ظليل وكنف آريم . فكيف يسكر الشاكر ، وإنّ يبلغ جهده
المجتهد ؟ » . (مقدمات ٢ : ٩٥)

(١) الحناسة : بنية الروح في الاليس والحريج .

٣٨ - كتاب في الشكر

قال ابن طيفور :

ومن مختار ما كتب به من باب الشكر :

« أما بعد ، فما أعجزَ تعدادي عما أتعرفُ منك وأتعرفُك دانياً ونائياً ،
وما أدري ما ابتدأتني به من معروفك ، أرهنُ لشكري ؟ أم ما ثنيت به من
برِّك ، لبِدِّك بعنايتك على نائيك ؟ أم ما ألبستني جماله ، على لسانك ،
يا طرائك وثنائك ؟ أم ما عقدته لي عند غيرك بتلطفك وتأييدك^(١) ؟ غير أني
أعلم أنك لم تقصّر في استحقاق شكر عليّ ، وأرجو ألا أكون مقصراً في
معرفة ذلك منك ، ومن لم يقصّر علمه ولم يؤنَّ^(٢) في شكره إلا من عظم
المعروفِ عنده مع جهده ، فقد دخل بالعلم والجهد في الشاكرين ، غير أن الذي
آنستني به من رِفْدك^(٣) وتوطيدك ، قد زادني وحشةً إليك ، وإن حفظاً
من حفظني فيك - وإن لم يكن مقصراً - قد جدّد لي المعرفة بوثارة^(٤) مكاني
عندك ، ولقد بلغت أن أصلحت لي الأمورَ والرجال ، وأصلحتني إلى صلاحي
لنفسك ، فليس كتابي هذا باستبطاء لأحد حتى يستبطئه ، ولا شكري
حتى يكون البدء منك ، ولكن رَوَّحتُ عن نفسي بذكرك ، وزينتها
بشكرك ، وزكيتها بالإقرار بفضلك » . (اختيار المظوم والمتور ١٣ ، ٣٧٨)

(١) تأتي للأمر : ترفق وأناه من وجهه .

(٢) أبيت وأبيت وتأييت واستأيت : تأخرت وأبطأت ، وفي الأصل « ولم يؤن » والأول
عدي أولى .

(٣) الرُفْد : العطاء والصلة ، والتوطيد : التثبيت ، ووطد له منزلة : مهدها .

(٤) من وثر الشيء ، ككرم : إذا لال وسهل .

٣٩ - كتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس

وكتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس :
« وصل كتابك ، فما رأيت كتابا أسهل فتونا ، ولا أملس متونا ، ولا
أكثر عيوننا ، ولا أحسن مقاطع ومطالع منه ، أنجزت فيه عدة الرأي ،
وبُشِّرِي الفِرَاسَةَ ، وعاد الظنُّ يقينا ، والأمل مبلوغا ، والحمد لله الذي بنعمته
تم الصالحات » . (العقد المرمد ٤ : ١٩٦)

٤٠ - كتابه إلى أبي تمام الطائي

وكتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائي :
« أنت - حَفِظَكَ اللهُ - تحتذي من البيان في النظام ، مثل ما يقصد
بحر في لدر من الأفهام ، والفضل لك - أعزك الله - إذ كنت تأتي به في
غاية الاقتدار ، على غاية الاقتصار ، في منظوم الأشعار ، فتجلى متعقده ،
وتربط . تشرده ، وتنظم أسطاره ، وتجلو أنواره ، وتفصله في حدوده ،
وتخرجه في قيوده ، ثم لا تأتي به مهما اقتبسته مشتركا فلبس . ولا تمقدا
فيطول ، ولا متكافا فنحول ، فهو كالمعجزة ، تُضرب فيها الأمثال ، ويُشرح
فيها المقال ، فلا أعدمنا الله هداياك واردة ، وفرائدك وافدة »

٤١ - كتاب له

« لَا تَرْضَ لِي يَسِيرَ النَّظْرَ ، فَإِنِّي لَمْ أَرْضَ لَكَ يَسِيرَ الشُّكْرِ ، وَضَعْتُ
عَنِّي مُؤَنَّةَ التَّقَاضِي ، مَا وَضَعْتُ عَنْكَ مُؤَنَّةَ الْإِلْحَاحِ ، وَأَحْضِرْتُ قَلْبِي مِنْ
ذِكْرِكَ مَا هُوَ أَكْفَى مِنْ قَعُودِي بِصِدْدِ عَيْنِكَ ، فَإِنِّي أَحَقُّ مَنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ
بِهِ ، كَمَا أَنَّكَ أَحَقُّ مَنْ فَعَلَهُ بِي ، وَحَقُّ الظَّنِّ ، فَلَيْسَ وَرَاءَكَ مَذْهَبٌ ، وَلَا
عَنْكَ مُقَصِّرٌ » (اختيار المطوم والمنور ١٣ : ٢٨٢)

٤٢ - كتاب ميمون بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب

وكتب ميمون^(١) بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب يعزيه عن أمه :
« خُطُوبُ الْأَيَّامِ مَقْضِيَّةٌ عَلَى هَذَا الْخَلْقِ ، وَلَوْ كَانَتْ مَدْفُوعَةً عَنْ
أَحَدٍ ، لِكَثْرَةِ مَنْ يَقِيهِ مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَيَقْدِيهِ مِنْهُمْ الْأَخْصُ قَالَ الْأَخْصُ مِنْ
أَعِزَّائِهِ وَخُلَائِنِهِ ، سَلِمَتْ مِنْهَا وَعَرِيَتْ مِنْ مُلِمِّهَا ، وَكَانَ سَبْقِي إِلَى ذَلِكَ أَبْرَزَ
سَبْقِي ، وَحِظِّي فِي التَّقَدُّمِ فِيهِ أَوْفَرَ حِظِّي ، وَمَصِيبَتِكَ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ -
بِالْوَالِدَةِ لِي مَصِيبَةٌ ، وَمَا نَالَكَ مِنْ ذَلِكَ لِقَلْبِي مُوجِعٌ . وَلَوْ كَانَ فِي طَاقِي أَنْ
أَعْلَمَ كُنْهَ مَا خَافَ قَلْبِكَ مِنْ أَلَمِ ذَلِكَ ، لَحَمَلْتُ مِثْلَهُ عَلَى نَفْسِي ، وَإِنِّي أَحَبُّ
أَنْ أَكُونَ أُسْوَتَكَ فِي كُلِّ سَارٍّ وَغَامٍّ ، وَلَا أَتَمَتَّعَ بِأَيَّامِ غَمُّومِكَ ، وَلَا أَقْصُرَ
فِيهَا عَنْ مَقْدَارِ حَالِكَ ، فَعَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ ، وَجَبَّرَ مُصَابِكَ ، وَضَاعَفَ
ثَوَابَكَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحْمَدُ عَلَى الْمَكْرُوهِ

(١) كان إليه حاص المكاتبات في أيام المتوكل ، وكان بليغا فصيحاً مترسلاً . . . انظر الفهرست

غيره ثم الحمد لله الذي جعلك مكثفياً بنفسك في مواطن حقوق الله عليك،
والمرجع في اقتصاري على الكتاب - إذ كان دون الذي ينبغي فيما يلزم مني،
وإن كنت قد سلكت نفسي أول من لقيك مُعزياً ومواسبياً - إلى علمك
بالحال في ذلك، وإن كنت أتق بآني ممن لا يحتاج إلى اعتذار عندك، فإن
رأيت أن تُدخل إلى الروح^(١) بكتابك وخبرك في نفسك، ومارزقك الله
من حسن التعزّي عند مصيبتك، لِأحمد الله على النعمة عندي فيما ألهمك
من التوفيق والعصمة فعلت، والتعزية - جعلت فداءك - تجدد اللوعة
للمحزون، وقد توقيت ذلك في أبي أيوب^(٢) إشفاقاً عليه، فجعل الله لكل
عبرة أفضتها، وجرعة تجرعتها في هذه المصيبة، حجاباً لكما من كل
سوء، ووقاية لكما من كل محذور». (اخيار المطوم والمنثور ١٣ : ٣١٧)

٤٣ - كتاب الحسين بن الحسن بن سهل

إلى صديق له

وكتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له :
« نحن في مأدبة^(١) لنا، تُشرف على روضة^(٢)، تُضاحك الشمس حُسنًا،
قد باتت السماء تعلها^(٣)، فهي شرفة بجائها، حالية بنوارها، فرأيتك فينا،
لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض » .

(١) الروح : الراحة .

(٢) يمي سليمان بن وهب .

(٣) علا كصرت ونصر وأعلاه : سقاها مرة بعد مرة .

٤٤ - رد صديقه عليه

فكتب إليه :

« هذه صفة لو كانت في أقصى الأرض لوجب انتجاعها ، وحث المطي في ابتغائها ، فكيف في موضع أنت تسكنه ، ويجمع إلى أنيق منظره حسن وجهك ، وطيب شمائلك ! وأنا الجواب . »

(العقد العريد ٢ : ١٩٢)

٤٥ - كتاب عبد الرحمن بن أحمد الحراني

إلى محمد بن سهل

وكتب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل :

« أعزك الله ، إن كل مجازاة قاصرة عن حق السابق إلى افتتاح الود ، وقد علمت أني استقبلك من الإقبال عليك بما لم تستدعيه ، واعتمدتك من الرغبة فيك بما لم توله » (العقد العريد ٢ : ١٩٢)

٤٦ - كتاب ابن الزيات بأعهد للوائق على مكة

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات عهد اللوائق على مكة بحضرة المعتصم : « أما بعد : فإن أمير المؤمنين قللك مكة وزمزم ، ثرات أهلك الأقدم وجدك الأكرم ، ورأضة جبريل ، وسقيا إسماعيل ، وحفر عبد المطاب ،

وسقاية العباس^(١) ، فعليك بتقوى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيته .
(زهر الآداب ٣ : ٣٥٩)

٤٧ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى الواثق

ولما تُوفِّي المعتصم ، وولِّي الخلافة بعده ابنه الواثق ، كتب إليه إبراهيم^(٢) بن العباس الصولي يعزيه بأبيه ويهتته بالخلافة :
« إن أحقَّ الناس بالشكر من جاء به عن الله ، وأولاهم بالصبر من كان سلفه رسولُ الله ، وأميرُ المؤمنين - أعزه الله - وآبؤه - نصرهم الله - أولو الكتاب الناطق عن الله بالشكر ، وعترتهُ رسوله المخصوصون بالصبر ، وفي كتاب الله أعظمُ الشفاء ، وفي رسوله أحسنُ العزاء .
وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله ، ما عفا^(٣) على أوله آخره ، وتلافت بدأته عاقبته ،

(١) زمزم : بئر بكة ، ويعني بأبيه : إسماعيل ، وبجده : إبراهيم ، عليهما السلام ، وكانت هاجر أم إسماعيل أمة لسارة زوج إبراهيم ، فوهبها لإبراهيم فولدت منه إسماعيل وبارت منها سارة وانشدت لإبراهيم أن يخرجهما عنها ، فأخرجهما إلى أرض مكة ، وذلك حيث يقول تعالى حكاية عن إبراهيم :

« رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ » فأدع الله لهما

عين زمزم وذلك حيث يقول ابن الريات (وركضة حبريل) وأسقاها منها ، ثم ضمت تلك الثر ومارالت مطبومة إلى زمي عد المطلب بن هاشم ، فأماه آت وهو نائم بالحجر فأمره بتمرها ، فخرها وأقم سقاية رسم للحاج ، وكانت السقاية في الجاهلية بيد ابنه أبي طالب ثم سلمها إلى أخيه العباس بن عبد المطلب .

(٢) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول (ابن عم عمرو بن مسعدة) كان شاعرا محيدا ، وكتابا بارعا ، وهو وأخوه عبد الله من صائغ دي الرياستين الفضل بن سهل ، اتصل به مرع منها ، ونقل إبراهيم في الأعمال الجليله والدواوين ، فكان إليه ديوان الرسائل في مدة جماعة من الخلفاء العباسيين ، وكان واليا على الأهوار ، ومات في خلافة المتوكل بسر من رأى ، وهو تنقل ديوان الخياع والنقبات سنة ٢٤٣ - انظر برحمته في وفيات الأعيان ١ : ٩ والمهرست لابن الدم ص ١٧٦

ومروج الذهب ٢ : ٣٨٢ والأغانى ٩ : ٢٠ ومعجم الأدباء ١ : ١٦٤ .

(٣) عفا وعفى : عفا .

فَحَقَّ اللهُ فِي الْأُولَى الصَّبْرُ ، وَفَرَضَهُ فِي الْأُخْرَى الشُّكْرُ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسْتَنْجِزَ ثَوَابَ اللَّهِ بِصَبْرِهِ ، وَيَسْتَدْعِيَ زِيَادَتَهُ بِشُكْرِهِ ، فَعَلَّ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ . (معجم الأدياء ١ : ١٨٩)

٤٨ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات

وكان إبراهيم بن العباس الصُّولي صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ،
قَوَّيَ محمد الوزارة ، وإبراهيم والٍ على الأهواز ، فقَصَّده ووجه إليه بأبي الجهم
أحمد بن سيف ، وأمره بكشفه^(١) ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً ، فكتب
إبراهيم إلى ابن الزيات يشكو إليه أبا الجهم ويقول : هـ كافر لا يبالي ماعمل ،
وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

تركت عبيد بنى طاهرٍ وقد مائتوا الأرض عرَضاً وطولاً
وأقبلت تسعى إلى واحدِي ضاراً كأن قد قتلتُ الرسولاً
فسوف أدنُّ بترك الصلاةِ وأصطبِحَ الخمرَ صرفاً شمولاً^(٢)
فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي
الجهم ، وإنما إبراهيم قاله ونسبه إليه .

(الأغانى ٩ : ٢٤ ومعجم الأدياء ١ : ١٦٩)

(١) أى بكشف أمره ومحاسبته على ماله من الأموال .

(٢) اصطبِح : شرب الصبوح وهو الشرب بالغداة ، صرفاً : غير ممزوجة بالماء ، شمولاً : باردة

٤٩ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات

وعزل ابن الزيات إبراهيم بن العباس عن الأهواز واعتقله بها وآذاه - وكان
يومل منه أن يسامحه ويطلقه لقديم صحبتته له - فكتب إليه :

فلو إذنباً دهرٌ وأنكر صاحبٌ وسلط أعداءٌ وغاب نصيرٌ^(١)
تكون عن الأهواز داري بنجوة! ولكن مقاديرٌ جرت وأمورٌ^(٢)
وإني لأرجو بعد هذا محمداً لأفضل ما يرجى أخ وزير
(الأغانى ٩ : ٢٤ ومعجم الأدباء ١٦٩)

٥٠ - كتابه إلى عمر بن فرج

وكتب إبراهيم بن العباس إلى عمر بن فرج بعد أن عزل عن الأهواز،
وابن الزيات يمدّ به بالناحية

«ولست أعزك الله واحداً من عدي تحصلهم وتقدمهم ، فتوسّع على
نفسك في أمرى ، أنا والله واحدك ، بالأسباب التي تجتمع لى فيك وبك ،
ولا تجتمع فى غيرى ، من أخ ولا ولد ولا صاحب . وقد كنت تدخرنى
أعزك الله لطاعتك والوفاء لك ، فقد والله فعلت غير ممتنٍ بذلك ،
وقد كنت أرجو ألا أضام فى جيرتك ومعك ، فلا تخذلى . فإنى فى حالة
إن أخليتنى فيها من نصرتك . لم يرجع على من ذلك مقدارٌ فى نعمتى
ونفسى ، إلا رجّع عليك أكثر منه فى نعمتك وقدرك ، والسلام»

(احبار المطوم والمشور ١٣٠ - ٣٦٥)

(١) مائة الرماد : حواء .

(٢) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

٥١ - كتابه إلى ابن الزيات

وكتب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات يستعطفه :
« كتبتُ إليك وقد بلغتِ المُدَّةَ المَحَزَّ^(١) ، وعدتِ الأيامُ بك عليَّ ،
بعد عدوى بك عليها ، وكان أسوأ ظني ، وأكثرُ خوفي ، أن تسكنَ في وقت
حركتها ، وتكفَّ عند أذاها ، فصرتَ عليَّ أضرَّ منها ، وكفَّ الصديقُ عن
نصرتي خوفا منك ، وبادرَ إلى العدوِّ تقرباً إليك » .
وكتب تحت ذلك :

أخُ بيني وبين الدهرِ صاحبَ أينا غلبا
صديقي ما استقام ، فإن نبا دهرُ عليَّ نبا
وثبتتُ على الزمانِ به فماد به وقد وثبا
ولو عاد الزمانُ لنا لعاد به أخا حديبا^(٢)

(الأغانى ٩ : ٢٦ ومعجم الأدياء ١ : ١٧٠)

٥٢ - كتابه إلى ابن الزيات

قال ابن طيفور :
وكتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزيات وهو واقف
على بابه ، وقد حُجِبَ عنه بعد أن عزلَ من الأهوار :
« جُعِلتَ فداءك ، بالحينِ^(٣) وقعتُ ، وإلا فَنَ كانَ أعزَّ بحالة رَضِيهَا في

(١) ومن أمثالهم « بلغ السكين العظم » يصر بحد بلوع الشدة مسماها .

(٢) حديبا : أى عطوفا .

(٣) الحين : الهلاك والمحنة أى وقعت على الهلاك وصررت إليه .

نفسه وعند إخوانه مني؟ ومن كان واحدك إذا حصلتَ واحداً؟ وواحدى
 إذا خفتُ من زمانِ نبوةٍ؟ أمّا والله لو أميتك لقلتُ، ولكنى أخاف منك
 حالة لا تحتملها لى، وأتوقى منك عتبا لا تُصِفُنِي فيه، وما قُدِّرَ فقد كان
 ويكون، وعن كل حادثة أُحدِثُهُ، ولا أقولُ والله - أعزك الله - إني
 غلِطت على نفسي، فتبدلتُ بحالة كنت مَغْبُوطا فيها، حالة أنا في
 مكروهها، بل أقول: إني قَهَرْتُ، فلما فزِعتُ إلى ناصرِي الذي كنت
 أُعِدُّهُ^(١)، وجدتُ من قَهَرَنِي أقلَّ نيةً في ظلمي، ممن استنصرتُ في نُصْرَتِي،
 وتسببتُ للمقادير أسبابها، وتجلتُ عما تجلَّتُ عنه في أمري^(٢)، وأحمدُ الله
 وأشكرُهُ^(٣).

وكتب في آخره :

وكنْتَ أخى ياخاء الزمان فلما نبأ صرتَ حَرِّبا عَوَّانا^(٥)
 وكنْتُ أذمُّ إليك الزمان فأصبحتُ منك أذم الزمانا
 وكنْتُ أعِدُّك للنائبِ فهأنا أطلُّبُ منك الأمانا^(٦)

(اختيار المطوع والنور ١٣ : ٣٦٥ والأغانى ٩ : ٢٧ . ومعجم الأدباء ، ١ : ١٧١)
 (ووفيات الأعيان ١ : ١٠)

(١) أعد : أى أشده عدة .

(٢) فى الأصل « وتجلت عما تجلت عنه أمرى » .

(٣) وصوره هذا الكتاب فى الأغانى ومعجم الأدباء « أمّا والله لو أهت ودك بنت ، وانكى
 أخاف منك عتبا لا تصعبى فيه ، وأحسى من نفسى لأتته لاختصامها لى ، وما قد يدري بهر كائن ، وعن
 كل حادثة أُحدِثُهُ ، وما استبدت حالة كنت فيها منتظا ، حدة أنا فى مكروها وأنها أشد على من
 أتى فرعت إلى ناصرى عند صلح حقي ، فوجدت من يظلم أحف بية فى ظلمي منه ، وأحمد الله كثيرا
 ثم كتبت فى أسفلها : الأبيات . ولم يرد منه فى وفيات الأعيان إلا الأبيات خمس .

٥٣ - كتابه إلى ابن الزيات

ومما كتب إلى ابن الزيات :

« مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ مِثْلَ أَخِي لِي كَانَ عَوْنِي عَلَى الزَّمَانِ وَخِيٌّ لِي
رُفِعَتْ حَالُهُ فَحَاوَلَ حَطِّي وَأَبَى أَنْ يَعْزَّ إِلَّا بَدِّلِي »



وكتب إليه يستعطفه :

فَهَبْنِي مَسِيئًا مِثْلَ مَا قَلَّتْ ظَالِمًا فَعْفُوا جَمِيلًا كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ مِنْكَ - لِسُوِّمَا جَنَيْتُ بِهِ - أَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلُ
(معجم الأدباء ١ : ١٨٥)



وأقام ابن الزيات على الإساءة إليه ، حتى بلغ منه كل مكروه ، ثم وقف
الواثق على تحامله عليه ، فرفع يده عنه ، وأمر أن يقبل منه مارقته ، وورده إلى
الحضرة مصوناً ، فبسط لسانه في ابن الزيات وهجاه هجاء كثيراً .
(الأغانى ٩ : ٢٧)

٥٤ - كتاب ابن الزيات عن الخليفة إلى أحد عماله

وكتب عن الخليفة إلى أحد العمال :

« أَمَا بَعْدَ ، فَقَدْ انْتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (كَذَا) فَأَنْكَرَهُ ، وَلَا تَخْأ
مَنْ إِحْدَى مَنزَلَتَيْنِ ، لَيْسَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَذْرٌ يُوجِبُ حُجْبَةً ، وَلَا يُزِيلُ

لأئمة^(١) : إما تقصير^(٢) في عمالك للإخلال بالحزم ، والتفريط في الواجب ، وإما مظاهر^(٣) لأهل الفساد ، ومُداهنة لأهل الرِّيب ، وأية هاتين كانت منك ، حجة الشكر بك ، وموجبة العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة^(٣) ، والأخذ بالحجة ، والتقدم في الإعذار والإنذار ، وعلى حسب ما أُقِلت من عظيم العثرة ، يجب اجتهادك في تلافي التقصير والإضاعة ، والسلام . (العقد المراد ٢ : ١٩٨)

٥٥ فصول لابن الزيات

وكتب ابن الزيات :

« إن حق الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم ، وتقويم أودهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يعيّر بينهم : فيقدم محسنهم ، ويؤخر مُسيئهم ، ليزداد هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم . »
وفصل له

« إن من أعظم الحق حق الدين ، وأوجب الحرمة حرمة المسلمين ، فحقيق لمن راعى ذلك الحق . وحنظ تلك الحرمة ، أن يُراعى له ، حسب ما راعاه الله ويحفظ له ، حسب ما حفظ الله على يديه . »
وفصل له :

« إن الله أوجب خلقاته على عباده حق الطاعة والنصيحة وابعده

(١) الأئمة : اليوم .

(٢) ظاهره : طأوه .

(٣) الأناة : الحلم ، وانطراة : تحجير .

على خلفائه بسط العدل والرفقة، وإحياء السنن الصالحة، فإذا أدى كلٌّ إلى كلِّ حقّه، كان ذلك سبباً لتمام المعونة، واتصال الزيادة، واتساق الكلمة، ودوام الألفة». (العقد الفريد ٢ : ١٩٨)

٥٦ - كتاب لابن الزيات

وتوسّل رجل إلى رجل بمحمد بن عبد الملك الزيات وادّعى قرابته منه، وبلغ ذلك محمداً، فكتب إلى المتوسّل إليه :
« بلغني أن رجلاً ادّعى قرابتي، وأورد عليك كتاباً ذكر أنه مني، وما أنكر أن ينتفع بي من توسّل بنسبي، إلا أنه من ادّعى قرابةً ولا قرابةً له، كان استعمال الشفاعة في أمره أولى »

(اختيار المطوم والشور ١٢ : ٢٦٧)

٥٧ - كتاب رجل إلى ابن الزيات

وكتب رجل إلى ابن الزيات :

« إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عليك، ويزيدني بصيرةً في العلم بدوامها لديك، أنك أخذتها بحقّها، واستوجبتها بما فيك من أسبابها، ومن شأن الأجناس أن تتواصل، وشأن الأشكال أن تتقاوم^(١)، والشئ يتغلغل في معدنه، ويخنُّ إلى عُصْره، فاذا صادف منبته، ولزَّ^(٢) في مغرّسه، ضرب

(١) هو من تقاوموا في الحرب أي قام بعضهم لعص، والمعنى : تتحداد ويتصل بعضها ببعض .

(٢) لزه كرده : شدّه وألصقه .

بِعِرْقِهِ ، وَسَمَقٌ^(١) يَضْرَعُهُ ، وَتَمَكَّنَ تَمَكَّنَ الْإِقَامَةَ ، وَثَبَّتَ ثَبَاتَ الطَّبِيعَةِ .
(عيون الأخبار ١ : ٩٥)

٥٨ - كتاب الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك الزيات

قال الجاحظ^(٢) :

تشاغلت مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشرب التبيد
أياماً ، فطلبنى محمد بن عبد الملك لمؤانسته . فأخبر باتصال شغلى مع الحسن بن
وهب . فتكرلى ، وتلوون على ، فكتبت إليه رُقعةً نسختها :
أُحَاذِكُ اللَّهَ مِنْ سُوءِ الْغَضَبِ ، وَعَصَمَكَ مِنْ سَرَفِ الْهَوَى ، وَصَرَفَ
مَا أَعَارَكَ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى حُبِّ الْإِنصَافِ . وَرَجَّحَ فِي قَلْبِكَ إِثَارَ الْأَنَاءِ^(٣) ، فَقَدْ
خَفِئْتُ - أَيَّدَكَ اللَّهُ - أَنْ أَكُونَ عِنْدَكَ مِنَ الْمُنسَوِينَ إِلَى تَرْقِ السُّفَهَاءِ .
وَمُجَانِبَةِ سُبُلِ الْحِكْمَاءِ ، وَبَعْدُ ، فَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :
وَإِنْ امْرَأً أَمْشَى وَأَصْبَحَ سَائِلًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدٌ^(٤)

(١) سمق كعصر : ارتفع وعلا وحال .

(٢) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بشر ، صاحب الرسائل المدعى والعباسى . وهو أشهر
من أن يذكر ، شأ بالصره ، وكان يتجمع عداد أو آخر عصر المأمون ، وبنى عصر لعصر والوثق
وعصر المتوكل ، وكان مختصاً بالزيات ، وتوفى - ٢٥٥ - بطر رحمة فى وفات الأعيان
١ : ٣٨٨ ورهه الألبانى طبات الأديان ٢٥٤ وباربع عداد ١٢ : ١٢ وانمهرست من ١٦٩
ومعهم الأديان ٦ : ٥٦ (طبع مطبعة هندية) وأمالى المرتضى ١ : ١٣٨ وعروج الذهب ٢ : ٢٠٠
و ٢٣٩ وسرح العيون ١٢٠ واليه والأمل من ٣٩ ، و أحبار متدركة فى الأغانى ، والفرق بين
الفرق ، والاتصار ، واللل والحل ، وغيرها .

(٣) الأناة : الخلة ، والورق الطينى .

(٤) ويروى هذا البيت لحسان بن ثابت - بطر ديوان حسان من ١٤٢ - وفى ديوان الحماسة ٢ :

١٤ أنه لرحل من بنى قريظ .

وقال الآخر^(١) :

ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل
فإن كنتُ اجترأتُ عليك - أصلحك الله - فلم أجتري إلا لأن دوامَ
تغافلك عني شبيهٌ بالإهمال الذي يُورث الإغفال ، والعفو المتتابعُ يؤثمنُ
من المكافأة^(٢) ، ولذلك قال عيينة^(٣) بن حصن بن حذيفةَ لِعِثمانِ رحمه الله :
« عمراً كان خيراً لي منك : أرهبني فأتقاني ، وأعطاني فأغفاني »^(٤) .

فإن كنتَ لا تهبُّ عقابي - أيدك الله - لحُرمة^(٥) ، فهبَّ لأيديك
عندي ، فإن النعمة تشفعُ في النقمة ، وإلا تفعلُ ذلك لذلك ، فعُدْ إلى حسنِ
العادة ، وإلا فافعل ذلك لحُسْنِ الأُحدوثِ ، وإلا فأتِ مآنتَ أهله من
العفو ، دون مآنا أهله من استحقاق العقوبة ، فسُبْحانَ مَنْ جَمَعَكَ تعفو عن
المتعمد ، وتجنُّبُ عِـ عقابِ المُصرِّ ، حتى إذا صرَّتَ إلى من هفوتُهُ بِكْر^(٦) ،

(١) ذكر صاحب رهر الآداب أنه محمد بن حارم الناهلي ، وفي الأُطاس (ح ١٣ : ص ١٠) أنه
الغزالي أو الحكم بن قير ، وقله :

مقالة السوء إلى أهلها أسرع من محدر سائل

(٢) المكافأة : المحاراة

(٣) هو عيينة بن حصن بن حديفة بن بدر الفراري ، أحد المؤلِّفه قلوبهم ، أعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عناءه هو اربن مائة بعير - انظر سيرة ابن هشام ١ . ٣٢١ .

(٤) نسط الحاحط معاني هذه الرسالة بصورة أوسع ، في رسالته « التربع والتدوير » وأورد
فيها أكثر فقرها بألفاظها - انظر الفصول المختارة من كتب الحاحط على هامش الكامل للمرد
ص ٦٠ وما بعدها ، ومجموعة رسائل الحاحط ، طبع الساسي ص ١١٢ .

(٥) في الأصل « لخدمه » وهو تحريف وصوانه « لحرمة » والتصويب عن رسالة التربع والتدوير
وفيهما « لحرمتي » .

(٦) في الأصل « دكر » وهو تحريف ، والتصويب عن رسالة التربع والتدوير أيضا (من
الفصول المختارة) والسكر : أول كل شيء ، وكل فعاه لم يتقدمها منها .

وذنبه نسيانٌ ، ومن لا يعرف الشكرَ إلا لك ، ولا إلا نعماً إلا منك^(١) ،
هَجَمَتْ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ .

واعلم - أيدك الله - أن شَيْنَ غَضَبِكَ عَلَى كَرِيْنٍ صَفِيْحِكَ^(٢) عَنِي ،
وَأَنْ مَوْتَ ذِكْرِي مَعَ انْقِطَاعِ سَبَبِي مِنْكَ ، كَحَيَاةِ ذِكْرِي^(٣) مَعَ اتِّصَالِ سَبَبِي
بِكَ ، واعلم أَنَّ لَكَ فِطْنَةً عَلِيمًا . وَغَفْلَةً كَرِيمًا ، وَالسَّلَامَ
(زَهْرُ الْأَدَابِ ٢ : ١٠٨)

٥٩ - كِتَابُ الْجَاهِظِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ

وَكُتِبَ الْجَاهِظُ إِلَى أَحْمَدَ^(٤) بْنِ أَبِي دَوَادٍ يَسْتَعِظُفُهُ :

« لَيْسَ عِنْدِي - أَعَزُّكَ اللَّهُ - سَبَبٌ ، وَلَا قَدِيرٌ عَلَى شَفِيعٍ ، إِلَّا مَا طَبَعَكَ
اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكِرَامِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّامِيلِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ تَبَاجِ حُسْنِ
الظَّنِّ ، وَإِبَاتِ الْفَضْلِ بِحَالِ الْمَأْمُولِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعُقَّاءِ
الشَّاكِرِينَ ، فَتَكُونَ خَيْرَ مُعْتَبٍ^(٥) ، وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ

(١) ح. في رسالة الترمذ و تدوير حد ذلك « ولا العلم إلا من أيدك ، ولا الأحادي إلا من
تقومك ، ولا نصري في عمن طاعتك إلا من رأي من أحملك ، ولا ناسي عمن مديت لك إلا لما داخلنا
من مطيمك ، صرت - وعد - نصرم » .

(٢) أي في مقدار الأثر ، أي أن الأول شديد جدا كما أن الثاني عظيم جدا ، وفي رسالة ترمذ
والتدوير في ذلك : « وأن معك إذا منعت ، في ورن إعطائك إذا أعطيت ، وأن عفائك على حسب
ثوابك ، وأن حرمي من حرمانك ، في ورن سروري بهوائك » .

(٣) في الأصل « ذكرك » وهو حريف . وصوابها « ذكرى » كما يقصده السياق وكما وردت
في رسالة الترمذ والتدوير ، وقد كتبت صححتها في زهر الآداب قبل أن أراها في تلك الرسالة ،
وهذا التنبيه كالشبهه السابق أيضا .

(٤) من كبار أئمة المعتزلة ، وكان مفرقا من أتباعه ، ولما ولي العهد الخلافة حاد
قاضي القضاة ، وحسن به أحمد ، حتى كان لا يفعل عملا باطلا ولا ظاهرا إلا برأيه ، وحسن حله عند
الوفاة في خلافة ، ثم ملج في أول خلافة الموكل ، ووفى سنة ٢٤٠ هـ - انظر ترجمته في وفيات
الأعيان ١ : ٢٢

(٥) أعتبه : أرحاه .

يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الإِنعام ، وهذا الإِنعام سبباً للانقطاع إليكم ،
والكَوْنِ تحت أجنحتكم ، فيكون : لا أعظم بركةً ، ولا أنقى بقيةً ، من
ذنب أصبحت فيه ، ومثلك - جعلت فداك - عاد الذنب وسيلةً ، والسيئةُ
حسنةً ، ومثلك من اتقلب به الشرُّ خيراً ، والغرمُ غنماً .

من عاقب فقد أخذ حظّه ، وإنما الأجرُ في الآخرة ، وطيبُ الذِّكرِ في
الدنيا ، على قدر الاحتمال ، وتجرُّع المرارِ ، وأرجو ألا أضيع وأهلك فيما
بين كرمك وعقلك ، وما أكره من يعفو عن صغر ذنبه وعظم حقه ! وإنما
الفضل والثناء : العفو عن عظيم الجرم ، ضعيف الحرمة ، وإن كان العفو عظيماً
مُستطرفاً من غيركم ، فهو تِلَادٌ فيكم ، حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس إلى
مخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تنكّلون^(١) ، ولا على سالف إحسانكم تندمون ،
وما مثلكم إلا كتل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يرث بملأ من
بنى إسرائيل إلا أسمعوه شراً وأسمعهم خيراً ، فقال له شمعون الصفا : ما رأيتُ
كاليوم ! كلما أسمعوك شراً أسمعتمهم خيراً ! فقال « كل امرئ يُنطق بما
عنده » وليس عندكم إلا الخير ، ولا في أوعيتكم إلا الرحمة ، « وكل إناء بالذي
فيه ينضح » . (شرح العيون ص ١٧٥)

(١) سكله كصرب وصر وعلم : تكس .

٦٠ - كتاب له في الاستعطاف

« زَيْنَكَ اللهُ بِالتَّقْوَى ، وَكَفَاكَ مَا هَمَّكَ فِي الآخِرَةِ وَالْأُولَى ، مَنْ عَاقَبَ
- أَبْقَاكَ اللهُ تَعَالَى - عَلَى الصَّغِيرَةِ عُقُوبَةَ الْكَبِيرَةِ ، وَعَلَى الْهَفْوَةِ عُقُوبَةَ
الإِصْرَارِ ، فَقَدْ تَنَاهَى فِي الظُّلْمِ ، وَمَنْ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الْأَسْفَلِ وَالْأَعَالَى ،
وَالْأَدْنَى وَالْأَقْصَى ، فَقَدْ قَصَّرَ ، وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتَ أَكْرَهُ سَرْفِ الرِّضَا ، مَخَافَةَ
أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى سَرْفِ الْهَوَى ، فَمَا ظَنُّكَ بِسَرْفِ الْغَيْظِ وَغَايَةِ الْغَضَبِ ، مَنْ
طَيَّاشٍ ، عَجُولٍ فَخَّاشٍ ، وَمَعَهُ مِنَ الْخُرْقِ بِقَدْرِ قِسْمَتِهِ مِنَ التَّهَابِ الْمِرَّةَ (١)
الْحَمْرَاءِ ، وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جَسْمٌ ، وَكَكَذَلِكَ جَنْسُكَ وَنَوْعُكَ ، إِلَّا أَنْ
التَّأَثُّرَ فِي الرَّقَاقِ أَسْرَعُ ، وَضِدَّهُ فِي الْغِلَاطِ الْجَفَاةِ أَكْمَلُ ، وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ جَزْعِي

(١) المرة والحلط (بالكسر وجمعه أنلاط) والمزاج (بالكسر أيضا وجمعه أمزجة) : واحد ، وهو ماركب عليه البدن من الطبائع الأربع : الدم والمرتين الصفراء والسوداء والبلغم ، وجمعه في العقد الفريد ٣ : ٢٨٧ في باب طبائع الإنسان : « زعم علماء الطب أن في الجسد من الطبائع الأربع اثني عشر رطلا ، فللدم منها ستة أرطال ، وللمرة الصفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال ... » وفيه أيضا : « عن وهب بن منبه أنه قرأ في التوراة أن الله عز وجل حين خلق آدم ، ركب جسده من أربعة أشياء ثم جعلها وراثته في ولده ، سمو في أجسادهم ، وينمون عليها إلى يوم القيامة : رطب ويابس وسخن وبارد ، قال : وذلك أني خلقته من تراب وماء وحملت فيه بياضا ، فيؤسدة كل جسد من قبل التراب ، ورطوبته من قبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح ، ثم خفف للجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع أحر ، وهي ملاك الجسد وقوامه ، فإذا لا يقوم الجسد إلا بهن ، ولا تقوم واحدة إلا بالأخرى : المرة السوداء ، والمرة الصفراء ، والده الرطب الحار ، والبلغم البارد ، ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض ، فحلت مسكن اليوسة في المرة السوداء ، ومسكن الرطوبة في الدم ، ومسكن البرودة في البلغم ، ومسكن الحرارة في المرة الصفراء ، فأعيا جسدي اعتدلت به هذه الفطر الأربع ، وكانت كل واحدة فيه وفقا لا يزيد ولا تنقص ، كما كانت صحه ، واعتدلت بيته ، وإن زادت واحدة منهن غلبت وقهرهن ومات بهن ، ودخل على أخواتها المقدم من ناحيتها قدر ما رادت ، وإن كانت ناقصة عنهن ملن بها وعلونها ، ودخل عليها القم من نواحيهن ، فقلتها عنهن ، حتى تضعف عن طاقتهن ، وأعجز عن مقاومتهم » اهـ .

عليك من سلطان الغيظ وغلبته ، فإذا أردت أن تعرف مقدار الذنب إليك ،
من مقدار عقابك عليه ، فانظر في عِلته ، وفي سبب إخراجه إلى معدنه الذي
منه نَجَم ، وعُشّه الذي منه دَرَج ، وإلى جهة صاحبه في التسرع والثبات ،
وإلى حِلْمه عند التعريض ، وفطنته عند التوبة ، فكلُّ ذنب كان سببه ضيق
صدر من جهة القبض^(١) في المقادير ، أو من طريق الأتفة ، وغلبة طباع الجمية
من جهة الجفوة ، أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله أنه مقصّر به في
حقه ، مؤخر عن رتبته ، أو كان مبلغا عنه مكذوبا عليه ، أو كان ذلك جائزا فيه
غير ممتنع عنه ، فإذا كانت ذنوبه من هذا الشكل ، فليس يقف عليها كريم ،
ولا ينظر فيها حلیم ، ولست أسميه بكثرة معروفه كريما ، حتى يكون عقله
غامرا لعمه ، وعلمه غالبا على طباعه ، كما لا أسميه بكف العقاب حكيمًا ، حتى
يكون عارفا بمقدار ما أخذ وترك ، ومتى وجدت الذنب بعد ذلك لا سبب له
إلا البغض المحض ، والنفارُ الغالب ، فلولم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر
جهنم ، لعذرِكَ كثير من العقلاء ، وصوب رأيك عالم من الأشراف ،
والأناة أقرب من الحمد ، وأبعد من الذم ، وأنأى من خوف العجلة ، وقد قال
الأول : « عليك بالأناة ، فإنك على إيقاع ما تتوقعه أقدرُ منك على ردِّ ما قد
أوقعته » وليس يصارع الغضب أيام شبابه شيء إلا صرعه ، ولا ينازعه قبل
اتهامه إلا قهره ، وإنما يُحْتال له قبل هيئجه ، فتى تمكن واستفحل ،
وأذكى ناره وأشعل ، ثم لاقى من صاحبه قُدرة ، ومن أعوانه سمعا وطاعة ،

(١) في الأصل « الفيض » .

قلو استبطلتته بالتوراة ، وأوجرتته^(١) بالإنجيل ، ولدته^(٢) بالزبور ، وأفرغت
على رأسه القرآن إفرانغا ، وأتته بآدم شفيما ، لما قصر دون أقصى قوته ،
ولن يسكن غضب العبد إلا ذكره غضب الرب .

فلا تقف - حفظك الله - بعد مضيك في عتابي التماسا للعفو عني ، ولا
تقصر عن إقراطك من طريق الرحمة بي ، ولكن قف وقفة من يتهم
الغضب على عقله ، والشيطان على دينه ، ويعلم أن للكرم أعداء ، ويُنسب
إمساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ، ولا يبرئ الهوى من الخطأ ، ولا تُنكر
لنفسك أن تزل ، ولعقلك أن يهفو ، فقد زل آدم صلى الله عليه وسلم ، وقد
خلقه بيده ، ولست أسألك إلا ربنا تسكن نفسك ، ويرتد إليك ذهنك ،
وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الأحدث ، والله يعلم - وكفى به
علما - لقد أردت أن أفديك بنفسي في مكاتباتي ، وكنت عند نفسي في
عداد الموتى ، وفي حيز المهلكي ، فرأيت أن من الحيانة لك ، ومن اللوم
في معاملتك ، أن أفديك بنفس ميتين ، وأن أريك أني قد جعلت لك أنفاس
ذخر ، والذخر معدوم ، وأنا أقول كما قال أخو نقيف « مودة الأخ التالد
وإن أخلق ، خير من مودة الأخ الطارف وإن ظهرت مساعيه ، وراقت
جدته » سلمك الله . وسلم عليك ، وكان لك ومعك .

(شرح العيون ص ١٢٦)

(١) وحرته الدواء ، وأوجرتته إياه : حمله في فيه ، والوحوور كصور : الدواء بوحري
وسطا .
(٢) اللدود كصور ، وككريم : ما يصب بالمسط من الدواء في أحد سبي الفم ، ومدايته
إياه وألده .

٦١ - كتابه إلى بعض إخوانه في ذم الزمان

وكتب الجاحظ إلى بعض إخوانه في ذم الزمان :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : حَفِظَكَ اللَّهُ حِفْظًا مِنْ وَفَّقَهُ لِلْقِنَاعَةِ ، وَاسْتَعْمَلَهُ بِالطَّاعَةِ ، كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَحَالِي حَالٌ مَنْ كَشَفَتْ نُغْمُومُهُ ، وَأَشْكَلَتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ حَالُ دَهْرِهِ ، وَخَرَجَ أَمْرُهُ ، وَقَلَّ عِنْدَهُ مَنْ يَثِقُ بِوَفَائِهِ ، أَوْ يَحْمَدُ مَغَبَّةَ^(١) إِخَائِهِ ، لِاسْتِحَالَةِ زَمَانِنَا ، وَفَسَادِ أَيَامِنَا ، وَدَوَالَةِ أُنْدَالِنَا ، وَقَدِيمًا كَانَ مَنْ قَدَّمَ الْحَيَاءَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَحَكَّمَ الصِّدْقَ فِي قَوْلِهِ ، وَآثَرَ الْحَقَّ فِي أُمُورِهِ . وَنَبَذَ الْمَشْتَبِهَاتِ عَلَيْهِ مِنْ شَتُونِهِ ، تَمَّتْ لَهُ السَّلَامَةُ ، وَفَازَ بِوَفُورِ حَظِّ الْعَافِيَةِ ، وَحَمْدِ مَغَبَّةِ مَكْرُوهِ الْعَاقِبَةِ ، فَنَظَرْنَا إِذْ حَالَ عِنْدَنَا حُكْمُهُ ، وَتَحَوَّلَتْ دَوْلَتُهُ ، فَوَجَدْنَا الْحَيَاءَ مَتَّصِلًا بِالْحِرْمَانِ ، وَالصِّدْقَ آفَةً عَلَى الْمَالِ ، وَالْقَصْدَ فِي الطَّلِبِ - بِتَرْكِ اسْتِعْمَالِ الْقِحَّةِ^(٢) ، وَإِخْلَاقِ الْعِرْضِ مِنْ طَرِيقِ التَّوَكُّلِ - دَلِيلًا عَلَى سَخَافَةِ الرَّأْيِ ، إِذْ صَارَتْ الْحِطْوَةُ الْبَاسِقَةَ^(٣) ، وَالنِّعْمَةَ السَّابِقَةَ ، فِي لَوْمِ الْمَشِيئَةِ ، وَسَنَاءِ^(٤) الرِّزْقِ - مِنْ جِهَةِ مُحَاشَاةِ الرَّخَاءِ^(٥) ، وَمَلَابَسَةِ مَعْرَةِ الْعَارِ .

ثم نظرنا في تعقب المتعقب لقولنا ، والكاشير^(٦) حجتنا ، فأقننا له

(١) المغبة : العاقبة .

(٢) القحة والوقاحة : قلة الحياء .

(٣) الحطوة بالصم والكسر : الكفاة ، والحط من الرق ، والناسقة : العالمة ، ونعمة ساعة : أي تامة .

(٤) الساء : الرفعة .

(٥) أي من جهة التواعد عن أسباب الرخاء ، وذلك بالنعوذ عن العمل ، والإحلال إلى الراحة والكسل .

(٦) الكاشير : من كشر له إذا تمر له ، وأرى صوابه « والكاسر » بالسين

عَلَمًا وَاضِحًا ، وشَاهِدًا قَائِمًا ، وَمَنَارًا يَدِينَا ، إِذْ وَجَدْنَا مَنْ فِيهِ السُّمُولِيَّةُ
الوَاضِحَةُ ، وَالمَثَالِبُ^(١) الْفَاضِحَةُ ، وَالكَذِبُ المَبْرَحُ ، وَالمُخْلَفُ المَصْرَحُ ،
وَالجَهَالَةُ المَفْرِطَةُ ، وَالرَّكَاكَةُ المَسْتَخْفَةُ ، وَضعْفُ اليَقِينِ وَالاستِثْبَاتِ ،
وَسُرْعَةُ الغَضَبِ وَالجِرَاءَةُ ، قَدْ اسْتَكْمَلَ سُرُورُهُ وَاعْتَدَلَتْ أُمُورُهُ وَفَازَ بِالسَّهْمِ
الأَغْلَبِ^(٢) وَالحِظُّ الأَوْفَرُ ، وَالقَدْرُ الرَفِيعُ ، وَالجَوَازُ الطَّائِعُ ، وَالأَمْرُ النَّافِذُ ،
إِنْ زَلَّ قِيلَ حَكْمٌ ، وَإِنْ أَخْطَأَ قِيلَ أَصَابَ ، وَإِنْ هَدَى فِي كَلَامِهِ وَهُوَ
يَقْظَانُ قِيلَ زَوْيَا صَادِقَةٌ ، مِنْ نَسَمَةٍ^(٣) مَبَارَكَةٍ .

فَهَذِهِ حِجَّتُنَا وَاللهِ عَلَيَّ مِنْ زَعَمِ أَنْ الجَهْلَ يَمُخِّضُ . وَأَنْ التُّوكَّ^(٤) يُرْدِي ،
وَأَنْ الكَذِبَ يَضُرُّ ، وَأَنْ المُخْلَفَ يُزْرِي .

ثُمَّ نَظَرْنَا فِي الوَفَاءِ وَالأَمَانَةِ وَالنُّبْلِ وَالبَلَاغَةِ وَحُسْنِ المَذْهَبِ وَكَمَالِ المَرْوَةِ
وَسَعَةِ الصُّدْرِ ، وَقِلَّةِ الغَضَبِ ، وَكِرَمِ الطَّبِيعَةِ ، وَالفَائِقِ فِي سَعَةِ عِلْمِهِ ، وَالحَاكِمِ
عَلَى نَفْسِهِ ، وَالعَالِمِ لِهَوَاهِ ، فَوَجَدْنَا فُلَانًا بِنِ فُلَانٍ ، ثُمَّ وَجَدْنَا الزَّمَانَ لَمْ
يُنْصِفْهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَلا قَامَ لَهُ بِوِظَائِفِ فَرَضِهِ . وَوَجَدْنَا فِضَائِلَهُ القَائِمَةَ لَهُ
قَاعِدَةً بِهِ ، فَهَذَا دَلِيلُ أَنْ الطَّلَاحَ^(٥) ، أَجْدَى مِنَ الصَّلَاحِ ، وَأَنْ الفُضْلَ قَدْ
مَضَى زَمَانُهُ ، وَعَفَّتْ آثَارُهُ ، وَصَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِ ، كَمَا كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيَّ
ضِدِّهِ ، وَوَجَدْنَا العَقْلَ يَشْتَقِي بِهِ قَرِينَهُ ، كَمَا أَنَّ الجَهْلَ وَالحُتْقَ يَحْتَضِي بِهِ

(١) المَثَالِبُ : المَعَابِيبُ ، جَمْعُ مَثَلِبَةٍ بَعْتَجُ المِيمَ مَعَ فَتْحِ اللَّامِ وَضَمِّهَا ، وَالمَبْرَحُ : الشَّدِيدُ ، وَالمَصْرَحُ :

المَجْلِيُّ الحَالِصُ ، مِنْ صَرَاحَتِ الحُرِّ تَصْرِيحًا : أَيِ انْحَلَّتْ رِبْدُهَا تَخَلَّصَتْ .

(٢) يُقَالُ : هَضِبَ غَلْبَاءً : أَيِ عَطِبَ مَشْرُوفًا ، وَعَزَزَ غَلْبَاءً كَذَلِكَ عَلَى الكَلِّ .

(٣) النَسَمَةُ : النَفْسُ .

(٤) التُّوكُّ بِالمُضَمِّ وَالفَتْحِ : الحَقُّ .

(٥) الطَّلَاحُ : ضِدُّ الصَّلَاحِ .

خَدِينُهُ^(١)، ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان، ومُعْرِبًا عن الأيام حيث يقول:

تَحَامَقَ مَعَ الْحَقِّ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ وَلَا قِيَمٌ بِالْجَهْلِ، فَعَلَّ أَخِي الْجَهْلُ

وخلطُ إذا لاقيت يوما مخلطًا يخلطُ في قولٍ صحيح وفي هزلٍ

فإني رأيت المرء يشقى بعقله كما كان قبلَ اليوم يسعد بالعقلِ

فبقيتُ - أبقاك الله - مثل من أصبح على أوفاز^(٢)، ومن النقلة على جهاز

لا يسوغ له نعمة، ولا تطعم عينه تممضة، في أهاويل يباكره مكر وهما،

ويُراوِجُه عقائبها . فلو أن الدعاء أجيب، والتضرع سُمع، لكانت العدة

العظمى^(٣)، والرَّجْفَةُ الكُبرى، فليت - أي أخى - ما أسستبطئه من

النَّفْخَةِ، ومن فجأة الصيحة، قُضِيَ فحان، وأذن به فكان، فوالله ما عذبت

أمة برجفة ولا ريج ولا سَخْطَةَ، عذاب عيني برؤية المغايظة المذمنة،

والأخبار المهلكة، كأن الزمان يوكل بمذابي، أو يُنصَبُ بأيامى، فما عيش

من لا يسرُّ بأخ شقيق، ولا يصطبِحُ في أول نهاره إلا برؤية من يكرهه،

وبغمة من يغمه طلعه، فقد طالت الغمة، وواظبت الكربة، وادلهمت^(٤)

الظلمة، وتخذ السراج، وتباطأ الاقتراج « (العقد الفريد ١ : ١٩٥)

(١) الحدين والحدن بالكسر: الصاحب .

(٢) يقال: لقيه على أوفاز: أى على عجلة، أو على سفر قد أشخص، وأحدها وفر بالتحريك

والسكون: وهو العجلة .

(٣) يعنى الموت وموافاة الأجل المحتوم .

(٤) ادلهم الظلام: كشف واسود .

٦٢ - كتاب الجاحظ في استنجاز وعد

وكتب الجاحظ إلى رجل وعده:

« أما بعدُ، فإن شجرة وَعْدِكَ قد أُورقتُ، فليكن ثمرُها سالماً من

جَوَائِحِ المَطْلِ، والسلام. » (العقد العريد ١ : ٧٥ : ٢ : ١٩٩)

٦٣ - كتاب آخر

وكتب أيضاً:

« أما بعدُ، فإن صحائب وعدك قد برقتُ، فليكن وبلها سالماً من

صواعق المَطْلِ والاعتلال. » (العقد العريد ٢ : ١٩٩)

٦٤ - كتاب آخر

وكتب أيضاً:

« أما بعدُ، فقد رَسَقْنَا^(١) في قيود مواعيدك، وطال مُقامنا في سُجُونِ

مَظَلِّكَ، فأطَلِقْنَا - أبقاك الله - من ضيقها وشديد نغمها بِنَعَمٍ، منك، مُشْمِرَةً،

أولاً، مُرِيحَةً. » (العقد العريد ٢ : ١٩٩)

(١) رَسَقَ كَصَرَ وَصَرَبَ : مَشَى مَشْيَ القَيْدِ .

٦٥ - كتاب له في الاستمناح

وكتب :

« أما بعدُ ، فما أقبِحَ الأُخْدُوثةَ من مُسْتَمْنِحِ حَرَمَتِهِ ، وطالبِ حاجَةٍ رَدَدْتَهُ ، ومثابِرِ حَجَبَتِهِ ، ومنبَسِطِ إِلَيْكَ قَبْضَتِهِ ، ومُقْبِلِ إِلَيْكَ بِعِنَايَتِهِ لَوَيْتِ عَنْهُ ، فَتَثَبَّتْ فِي ذَلِكَ « وَلَا تُطْعِمُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ »
(العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

٦٦ - كتابه إلى أبي حاتم السجستاني

وكتب إلى أبي حاتم السَّجِسْتَانِي^(١) - وبلغه عنه أنه نال منه - :
« أما بعدُ فلو كَفَفْتَ عَنَّا مِنْ غَرَبِكَ^(٢) ، لَكُنَّا أَهْلًا لَدُنْكَ مِنْكَ ،
والسلام . »

فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقييح . (العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

٦٧ - كتابه إلى قلب المغربي

وكتب إلى قَلْبِ الْمَغْرِبِي .
« وَاللَّهِ يَا قُلَيْبُ لَوْلَا أَنْ كَبِدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ ، وَرُوحِي بِكَ
مَجْرُوحَةٌ ، لَسَاجَلْتُكَ^(٣) هَذِهِ الْقَطِيعَةَ . وَمَا دَدْتُكَ حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ ، وَأَرْجُو

(١) من شيوخ أبي العباس المرزوق .

(٢) العرب : الحدة .

(٣) ساجله : ناره .

أن الله تعالى يُدِيلُ^(١) صَبْرِي من جَفَائِكَ ، فيردُّكَ إلى مودَّتِي ، وَأَنْفُ الْقَلْبِ^(٢) رَاغِمٌ ، فقد طال العهدُ بالاجتماع ، حتى كِدْنَا نَتَنَاكِرُ عندَ الالتقاء .

(شرح العيون ص ١٧٥)

٦٨ - فصول للجاحظ

« أما بعد ، فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفْتَهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَأَجَبْتَهُ إِلَى طَلْبَتِهِ ، مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ ، وَتَزَعَّ نَحْوَكِ بِالرَّجَاءِ »



« أما بعد ، فَإِنْ فَلَّانَا أَسْبَابَهُ مَتَّصِلَةً بِنَا ، يَلْزَمُنَا ذِمَامُهُ^(٣) ، وَبُلُوغُ موافقته من أياديك عندنا ، وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مَكَافَاتِهِ ، فَأَوْلُنَا فِيهِ مَا يَعْرِفُ بِهِ مَوْقِفُنَا مِنْ حَسَنِ رَأْيِكَ ، وَيَكُونُ مَكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا . »



« أما بعد ، فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ ، وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ فَيْكَ ، وَإِنَّمَا يُؤَوِّفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .



« أما بعد ، فَإِنَّ فِي اللَّهِ الْعِزَّاءَ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَالْخَلْفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعِزِّ اللَّهِ تَنْقَطِعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً » .

(١) أداله الله من عدوه : نصره عليه .

(٢) الثقل : العس والكراهية . وراغم : دليل .

(٣) الدمام : الحق والحرمة .



« أما بعد ، فإن الصبر يَعْقِبُهُ الأجر ، والأجرع يَعْقِبُهُ الهلع ، فتمسك بحظك من الصبر ، تنل به الذي تطلب ، وتُدرك به الذي تأمل . »



« أما بعد ، فكفى بكتاب الله واعظا ، ولدوى الأبواب زاجرا ، فعليك بالتلاوة ، تنج مما أوعده الله أهل المعصية . » (العقد الفريد ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٠)



وله فصول في الاعتذار :

« أما بعد ، فتعّم البديل من الزلة الاعتذار ، وبئس العوض من التوبة الإصرار . »



أما بعد ، فإن أحق من عطفته عليه بحلمك ، من لم يتشفع إليك بغيرك .



أما بعد ، فإنه لا عوض من إخطائك ، ولا خلف من حسن رأيك ، وقد انتقمت مني في زلتي بحفائك ، فأطلق أسير تشوقي إلى لقائك .



أما بعد ، فإنني بمعرفتي ببلوغ حلمك ، وغاية عفوك ، ضمنت لنفسي العفو عن زلتها عندك .



أما بعد ، فإن من جحد إحسانك بسوء مقاله فيك ، مكذب نفسه بما يبدو للناس منه .



أما بعد ، فقد مسني من الألم ما لم يشفه غير مواصليتك ، مع حبسك

الاعتذار عن هفوتك ، ولكن ذنبك تغتفره مودتك ، فامتن علينا بصلتك ،
تكن بدلًا من مساءتك ، وعوضًا من هفوتك .



أما بعد ، فلا خيرَ فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ، ولم يتسع
لهنات الإخوان .



أما بعد ، فإن أولى الناس عندي بالصفح ، من أسلمه إلى ملكك التماس
رضاك ، من غير مقدره منك عليه .



أما بعد ، فإن كنت ذممتني على الإساءة فلم رضيت لنفسك المكافأة .
(القند العريد ٢ : ١٩٩)

٦٦ - رسالة الجاحظ في بني أمية

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أطال الله بقاءك ، وأتم نعمته عليك ،
وكرامته لك ، اعلم - أرشد الله أمرك - أن هذه الأمة قد صارت بعد
إسلامها ، والخروج من جاهليتها ، إلى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة :
فالطبقة الأولى : عصرُ النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر رضى الله
عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه ، كانوا على التوحيد
الصحيح ، والإخلاص المحض ، مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب
والسنة ، وليس هناك عملٌ قبيح ، ولا بدعةٌ فاحشة ، ولا نزاعٌ يد من طاعة ،
ولا حسد ولا غلٌ ولا تأولٌ ، حتى كان الذي كان : من قتل عثمان رضى الله

عنه ، وما أنتهك منه ، ومن خبطهم إياه بالسلاح ، وببج (١) بطنه بالحرا ب ،
 وفرى أوداجه بالمشاقص (٢) ، وشدخ هامته (٣) بالعمد ، مع كفه عن البسط ،
 ونهيه عن الامتناع ، مع تعريفه لهم قبل ذلك ، من كم وجه يجوز قتل من (٤)
 شهيد الشهادة !؟ وصلى القبلة ، وأكل الذبحة ، ومع ضرب نساءه بحضرتة ،
 وإتحام الرجال على حرمة ، مع اتقاء نائلة بنت الفرافصة عنه بيدها ، حتى
 أطنوا (٥) إصبعين من أصابعها ، وقد كشفت عن قناعها ، ورفعت عن ذيلها ،
 ليكون ذلك رادعاً لهم ، وكاسراً من غريهم (٦) ، مع وطئهم في أضلاعه بعد
 موته ، وإلقائهم على المزبلة جسده مجرّداً بعد سجنه !؟ وهى الخرزة (٧) التى
 جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفتاً لبناته (٨) وأياماه وعقائله ، بعد
 السب والتعطيش والحصر الشديد ، والمنع من القوت ، مع احتجاجه عليهم
 وإتحامهم لهم ، ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام كدم المؤمن ، إلا من

(١) بعجه كنعه : شفه .

(٢) فراه كرماء : شفه أيضا ، والأوداج جمع وديج بالتحريك : وهو عرق فى العنق ، والمشاقص جمع مشقص كبير : وهو النصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

(٣) الهامة : الرأس ، وشدخه كنعه : كسره .

(٤) أى المسلم ، أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم فى كتابه إلى المنذر بن ساوى : « فإن من صلى صلاتنا ، واستقبل قياتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذاك المسلم » - انظر الجزء الأول ص ٤١ وكان فيما قاله عثمان فى أثناء حصاره : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم » . يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا فى إحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجل زنى بعد إحصائه فيرجم ، أو رجل قتل نفساً غير نفس » فمى أقتل ؟ - انظر تاريخ الطبرى ٥ : ١٢٢ .

(٥) أطنوا أى قطعوا .

(٦) من غريهم أى حديثهم .

(٧) الخرزة : الجوهرة ، وفى الأصل « الخزرة » وهو تحريف .

(٨) نزوج عثمان رقية وأم كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأيامى جمع أيم ، وامرأة أيم : لازوج لها بكر كانت أو تبا ، والعقائل جمع عقيلة ، وعقيلة كل شىء أكرمه .

ارتدَّ بعد إسلام ، أوزني بعد إحصان^(١) أو قتل مؤمنا على عمْد ، أو رجلٍ
عدا على الناس بسيفه ، فكان في امتناعهم منه عطْبُهُ^(٢) ، ومع اجتماعهم
على ألا يُقتل من هذه الأمة مؤلٍّ ، ولا يُجهز منها على جريح ، ثم مع ذلك
كله ذمروا^(٣) عليه وعلى أزواجه وحرَمه ، وهو جالس في محرابه ، ومُصحِّفه
يلوح في حجره ، لن يُرى أن موحدًا يُقدم على قتل من كان في مثل
صفته وحاله .

لا جرَم^(٤) لقد احتلبوا به دَمًا لا تطير رغوته ، ولا تسكن فورته ،
ولا يموت تأثره ، ولا يكلُّ طابئه ، وكيف يضيق الله دمَ وائيه ، والمنتقم له !
وما سمعنا بدمٍ بعد دم يحيي^(٥) بن زكريا عليهما السلام غلا غليانه ، وقُتل
سافحه^(٦) وأدرك بطائِلته ، وبلغ كل محبته ، كدمه ، رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم في أخذه وفي إقامته للناس ، والاقتصاص منه ، وفي بيع
ما ظهر من رِباعه^(٧) وُحدائقه وسائر أمواله ، وفي حبسه بما بقي عليه ، وفي
طمره^(٨) حتى لا يُحسَّ بذكره ، ما يُفنيهم عن قتله إن كان قد ركب كلَّ
ما قدَّفه به ، وأدَّعوه عليه ، وهذا كله بحضرة جِلَّة^(٩) المهاجرين والسلف
المقدمين ، والأنصار والتابعين .

(١) أحسن الرجل : تروج . (٢) أي هلاكه .

(٣) الذم : الحس والتهدد ، وفعله كنصر .

(٤) لاجرم : كلمة كانت في الأصل بمنزلة لاند ولا محالة ، خرجت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى

معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقا ، فلذلك يحاب عنها باللام كما يحاب بها عن القسم .

(٥) مات يحيى مقتولا - انظر تفصيل الخبر في ذلك في تاريخ الطبري ٢ : ١٦ .

(٦) سفع دمه كقطعه : سفكه ، والطائلة : النار .

(٧) الرباع جمع ربع : وهو المنزل . (٨) الطمر : الحباء .

(٩) أي من عظمائهم وساداتهم وذوى الأخطار فيهم .

ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة ، ومراتب متباينة ، من قاتلٍ ،
ومن شادٍ على عَضُدِهِ ، ومن خاذلٍ عن نُصْرَتِهِ ، والعاجزُ ناصِرٌ بإرادته ، ومُطِيعٌ
بِحُسن نيّته ، وإنما الشكُّ منّا فيه وفي خاذلِهِ ، ومن أراد عَزْلَهُ والاستبدالَ به ،
فأما قاتلُهُ والمُعِينُ على دَمِهِ والمُرِيدُ لذلك منه ، فضلالٌ ، لاشكَّ فيهم ، ومُرّاقٌ ،
لا امتراءً^(١) في حكمهم ، على أن هذا لم يعد منهم الفجورَ : إما على سوء تأويل ،
وإما على تعمد للشقاء . ثم مازالت الفتن متصلةً ، والحروب مترادفةً ، كحرب
الجل ، وكوقائع صيفين ، وكيوم النهروان ، وقبل ذلك يوم الزابوقة^(٢) ، وفيه
اسير ابن حنيف^(٣) ، وقُتِلَ حَكِيمُ بن جَبَلَةَ ، إلى أن قَتَلَ أشقاها^(٤) على بن أبي
طالب ، رضوان الله عليه ، فأُسْعِدَهُ اللهُ بالشهادة ، وأوجب لقاتله النارَ واللّعةَ ،
إلى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروبَ ، وتخلّيته الأمورَ ، عند
انتثار أصحابه ، ومارأى من الخلل في عسكره ، وما عرّف من اختلافهم على
أبيه ، وكثرة تلوتهم عليه ، فعندها استوى معاوية على الملك ، واستبد على بقية
الشورى ، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين ، في العام الذي سمّوه
عام^(٥) الجماعة ، وما كان عام جماعة ، بل كان عام مُرقة وقهر وجبريّة وغلبة ،
والعام الذي تحولت فيه الإمامةُ ملكاً كسروياً ، والخلافةُ غصباً قيصرياً ،
ولم يعد ذلك أجمع الضلال والنسق ، ثم مازالت معاصيه من جنس ما حكينا

(١) أى لاشك .

(٢) الزابوقة : موضع قريب من البصرة ، كانت فيه وقعة الجمل أول النهار .

(٣) أى عثمان بن حنيف ، وقد تقدم خبر ذلك في الجزء الأول ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٤) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله .

(٥) هو عام ٤١ هـ إذ اجتمع الناس على معاوية وبايعه أهل الأمصار كلها .

وعلى منازل مارتبنا ، حتى رد قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوفاً ، وجحد حكمه جحدا ظاهرا ، في ولد الفراش وما يجب للعاهر^(١) ، مع اجتماع الأمة أن سميّة لم تكن لأبي سفيان فراشا ، وأنه إنما كان بها عاهرا ، فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار ، أوليس قتل حنجر^(٢) ابن عدي ، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر ، وبيعة يزيد الخليع ، والاستئثار بالقيء ، واختيار الولاية على الهوى ، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة ، من جنس جحد الأحكام المنصوصة ، والشرائع المشهورة ، والسنن المنصوية ! وسواء في باب ما يستحق من الكفار ، جحد الكتاب ، ورد السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ، إلا أن أحدهما أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد ، فهذه أول كفره كانت من الأمة ، ثم لم تكن إلا فيمن يدعى إمامتها والخلافة عليها ! على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره ، وقد أُرِبت^(٣) عليهم نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، فقالت : « لا تسبوه فإن له صجة ! وسب معاوية بدعة ، ومن يبغضه فقد خالف السنة » فرعمت أن من السنة ترك البراءة ممن جحد السنة ! ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن عماله وأهل نصرته ، ثم غزو مكة ، ورعى الكعبة^(٤) ،

(١) يعنى اسلحافه وريادا وقد تقدم حر ذلك في الجزء الثانى ص ٣٢ .

(٢) انظر الجزء الثانى ص ٤٦ .

(٣) أُرِبت : رادت . والناشئة .

(٤) يعنى عرومكة فى عهد يزيد . سار إليها حصين بن عمير السكونى فى حيش من أهل الشام بعد فراعهم من وقعة الحرة بالمدينة لعمال عدالله بن الربير سنة ٦٤ هـ ، وقد قدموا البيت الحرام بالمخابيق وحرقوه بالنار ، وأحدوا يرمحرون ويقولون .

حطارة مثل الصيق المرند رعى بها أعواد هذا المسجد

واستباحة المدينة^(١) ، وقتل الحسين^(٢) عليه السلام في أكثر أهل بيته ،
مصايح الظلام ، وأوتاد الإسلام ، بعد الذي أعطى من نفسه ، من تفريق
أتباعه ، والرجوع إلى داره وحرمة ، أو الذهاب في الأرض حتى لا يُحسَّ به ،
أو المقام حيث أمر به ، فأبوا إلا قتله ، والنزول على حكمهم ، وسواهم قتل
نفسه بيده ، أو أسلمها إلى عدوه ، وخير فيها من لا يبرُد غليله إلا بشرب
دمه ، فأحسبوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة وهتك الحرمة ليس بحجة ،
كيف تقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام ، وقبلة المسلمين ؟ فإن
قلتم ليس ذلك أرادوا ، بل إنما أرادوا المتحرز به^(٣) ، والمتحصن بحيطانه ، أفما
كان في حق البيت وحرمة أن يحصروه فيه ، إلى أن يُعطى بيده ؟ وأي
شيء بقي من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه ؟ واحسبوا
ما رَووا عليه من الأشعار ، التي قولها تبرك ، والتمثل بها كفر . شيئاً
مصنوعاً ، كيف تصبئه بنقر القضيب بين تنيبي الحسين^(٤) عليه السلام ، وحمل
بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسر على أكتاف العارية^(٥) ، والإبل

(والميق : العجل المسكوم لابودي ولا برك ، لكرامته على أهله) - انظر تاريخ الطبري

٧ : ١٤ - .

(١) يتبر إلى وقعة الخرم . انظر الجزء الثاني ص ٩١ .

(٢) انظر الجزء الثاني ص ٩٢ .

(٣) هو عند الله من الربير .

(٤) وذلك أنه لما وجه عميد الله من ريادة آل الحسين عليه السلام إلى يريد دمشق ، وملوا بين

يديه ، أمر رأس الحسين فأرر في طست ، فحمل يكت ثيابه نقصب في يده ، ويقول :

* ليت أشياخي سدر شهدوا .. * الأبيات .

(٥) حواسر : جمع حاسر ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين حاسر . الأقسام : جمع قتب بالتحريك ،

وهو الإكاف الصغير على قدر سنام العير .

الصعاب. والكشف عن عورة علي بن الحسين عند الشك في بلوغه : علي أنهم إن وجدوه وقد أُنبِت^(١) قتلوه ، وإن لم يكن أُنبِتَ حملوه ، كما يصنع أمير جيش المسلمين بذراريّ المشركين ، وكيف تقول في قول عبّيد الله بن زياد لإخوته وخاصّته : دَعُونِي أَقْتُلْهُ ، فَإِنَّهُ بَقِيَّةُ هَذَا النَّسْلِ ، فَأَحْسِمَ بِهِ هَذَا الْقَرْنَ ، وَأُمِيتَ بِهِ هَذَا الدَّاءَ ، وأقطع به هذه المادة .

خبرونا ! علام تدلّ هذه القسوة ، وهذه الغلظة ، بعد أن شفّوا أنفسهم بقتلهم ، ونالوا ما أحبّوا فيهم ؟ أتدلّ علي نصب^(٢) وسوء رأيٍ وحقدٍ وبغضاءٍ ونفاقٍ ، وعلي يقين مدخولٍ ، وإيمان مخروج ، أم تدلّ علي الإخلاص ، وعلي حبّ النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفِظِ له ، وعلي براءة السّاحة وصحّة السريرة ؟ فإن كان ما وصفنا لا يعدّو الفسق والضلال - وذلك أدنى منازل - فالفاسق ملعون ، ومن نهى عن [سَبِّ^(٣)] الملعون فملعون .

(١) أُنبِتَ الغلام : بنت عاتق ، جاء في تاريخ الطبري ٦ : ٢٦٣ .
« أنه لما عرض علي بن الحسين على عبد الله بن زياد ، قال له : ما اسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين قال : أولم يقتل الله علي بن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زياد : مالك لا تتكلم ؟ قال : قد كان لي أخ يقال له أيضا علي فقتله الناس ، قال : إن الله قد قتله ، فسكت علي ؛ فقال له : مالك لا تتكلم ؟ قال : « اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا » « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » قال : أنت والله منهم ومحك ! انظروا هل أدرك ؟ والله إني لأحسبه رجلا ، فكشف عنه مرتي بن معاذ الأحمري ، فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اتلّه ، فقال علي بن الحسين : من توكل بهؤلاء النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته ، فقالت : يا ابن زياد . حسبك إنا ، أما رويت من دماننا ؟ وهل أبقيت منا أحدا ؟ فاعتنقته فقالت : أسألك بالله إن كنت لمؤمننا إن قتله لما قتلتني معه ، وناداه علي فقال : يا ابن زياد ، إن كانت بينك وبينهم قرابة فابست معهن رجلا تقيا يصحبهن بصحبة الإسلام ، فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى القوم ، فقال : عجبا للرحم ! والله إني لأظنها وددت لو أتي قتلتها أي قتلتها معه ، دعوا الغلام ، انطلق مع نائك » .

(٢) نصب له : عاداه ، وأهل النصب : المتدينون بغيضة علي رضي الله عنه ، لأنهم نصّوا له .

(٣) في الأصل « نهى » محل هذه الكلمة ، والسياق يقتضي ما ذكرته .

وزعمت نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا : أن سب ولاة الشوء فتنه ،
ولعن الجورة بدعة ، وإن كانوا يأخذون السمي بالسمي ، والولي بالولي^(١) ،
والقريب بالقریب ، وأخافوا الأولياء ، وأمنوا الأعداء ، وحكموا بالشفاعة
والهوى ، وإظهار الغدرة والتهاون بالأمة ، والقمع للرعية ، وأنهم في غير
مداراة ولا تقية . وإن عدا ذلك إلى الكفر ، وجاوز الضلال إلى الجحد ، فذاك
أضل ممن كف عن شتمهم والبراءة منهم ، على أنه ليس من استحق اسم
الكفر بالقتل ، كمن استحقه برد السنة وهدم الكعبة ، وليس من استحق اسم
الكفر بذلك ، كمن شبه الله بخلقه ، وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن
استحقه بالتجوير^(٢) ، والنابتة في هذا الوجه أکفر من يزيد وأبيه ، وابن

(١) يعرض بزید ابن أبيه إذ يقول في خطبته البتراء : « وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالولي ... »
انظر جمهرة خطب العرب ٢ : ٢٥٨ وبالجباج إذ يقول في كتابه إلى المهلب : « فإني أرى أن آخذ
الولي بالولي ، والسمي بالسمي » انظر الجزء الثاني ص ١٦٤ من جمهرة رسائل العرب .
(٢) جوره : نسبة إلى التجوير ، وفيه تعريض بغير المعتزلة ، وكان المعتزلة يسمون أنفسهم أهل
العدل لقولهم يعدل الله وحكمته ، قال الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ : ص ٥٢ : « واتفق
المعتزلة على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرا وشرها ، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة ،
والرب تعالى منزّه أن يضاف إليه شر أو ظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظلما ،
كما لو خلق العدل كان عادلا ، واتفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصالح والخير ، ويجب من حيث
الحسنة رعاية مصالح العباد ، وسموا هذا النمط عدلا » اهـ . وجاء أيضا في مروج الذهب ج ٢ :
ص ١٩٠ في تفسير الأصول الخمسة التي يذهب إليها المعتزلة : « وأما القول بالعدل - وهو الأصل
الثاني - فهو أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه ،
بالقدرة التي جعلها الله لهم ، وركبها فيهم ... الخ » ومن ذلك ترى أنهم ينزهون الله تعالى عن أن
يقدر على العبد المعصية ثم يعذبه عليها ، بل العبد هو الذي يفعل أفعاله جميعا بإرادته وقدرته ، ويستحق
عليها الثواب أو العقاب ، وهذا عدل منه تعالى .

ولا يضيف عنك أن الجاحظ كان من شيوخ المعتزلة وكبرائهم ، وهو تلميذ أبي إسحق إبراهيم
ابن سيار النظام ، المعتزلي المشهور ، وقد نصر الجاحظ مذهب المعتزلة بفصاحته وكتبه البليغة حتى صار
لسان المعتزلة في زمانه ، وكان رئيس فرقة منهم نسبت إليه ، فسميت « الجاحظية » - انظر الملل
والنحل ١ : ٨٠ وشرح العيون ص ١٧٠ ووفيات الأعيان .

زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضاً على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبيرى^(١) :

ليت أشياخي يبدرو شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل^(٢)
 لا ستطاروا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل^(٣)
 قد قتلنا الغر من ساداتهم وعدلناه يبدرو فاعتدل^(٤)
 كان تجوير النابتى لربه ، وتشبيهه بخلقه ، أعظم من ذلك وأفظع ، على
 أنهم مجمعون على أنه : ملعون من قتل مؤمناً ، متممداً أو متأولاً ، فإذا كان
 القاتل سلطاناً جأراً ، أو أميراً عاصياً ، لم يستحلوا سبّه ولا خلعه ولا نقيه ولا
 عيبه ، وإن أخاف الصلحاء ، وقتل الفقهاء ، وأجاع الفقير ، وظلم الضعيف ،
 وعطل الحدود والثغور ، وشرب الخمر ، وأظهر الفجور ! ثم ما زال الناس
 يتسكعون مرة ، ويداهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة ، ويشاركونهم مرة ،

(١) هو عبد الله بن الزبيرى . أحد شعراء قريش المعدودين ، وكان يهجو المسلمين ، ويحرض
 عليهم كفار قريش في شعره ، ثم أسلم فقبل النبي لإسلامه وأمنه يوم الفتح - انظر ترجمته في الأغانى
 ١٤ : ١٠ - وفي رواية أن يزيد تمثل بقول ابن الزبيرى حينما جرى إليه برأس الحسين وآله كما قدمنا -
 انظر بلاغات النساء ص ٢٥ - وفي رواية أخرى أنه حين بعث إليه مسلم بن عقبة المري برؤوس أهل
 المدينة (بعد انتصاره عليهم في وقعة الحرة سنة ٦٣) وألقيت بين يديه ، جعل يتمثل بقول ابن الزبيرى
 المذكور ، فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارتددت عن الإسلام بأمر
 المؤمنين . قال : بلى نستعصر الله ، قال : والله لاسا كنتك أرضاً أبداً وخرج عنه - انظر العقد المرید
 ٢ : ٢٥٧ - .

(٢) هذا البيت من قصيدة قالها ابن الزبيرى يوم أحد (وهو حينئذ مشرك) انظرها في سيرة
 ابن هشام ٢ : ١١٢ ، ونسرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣٨٢ - وكانت الغلبة يوم بدر للمسلمين .
 ويوم أحد للمشركين ، والأسل : الرماح والصل ، والخزرج : قبيلة من الأصار .
 (٣) كل من رنع صوته فقد أهل إهلالاً ، واسهل اسهلالاً ، وشلت يده تشل : كتعب يتعب
 وأشلت وشلت مبنيين للمجهول : يست ، وهي جملة دعائية ، وفي الأصل « لا سل » وهو تصحيف
 - وهذا البيت من قول يزيد - .

(٤) في سيرة ابن هشام :

فقتلنا الضعف من أشراعهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

وفي ابن أبي الحديد : « قتلنا الضعف ... » وفي بلاغات النساء : « جزيناهم يبدرو مثلها » .

إِلَّا بَقِيَّةً مِّمَّنْ عَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ، حَتَّى قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَابْنَهُ الْوَلِيدَ، وَعَامِلُهُمَا الْحِجَابُ بْنُ يَوْسُفَ، وَمَوْلَاهُ يُزَيْدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ، فَأَعَادُوا عَلَى الْبَيْتِ بِالْهَدْمِ^(١)، وَعَلَى حَرَمِ الْمَدِينَةِ بِالْغَزْوِ^(٢)، فَهَدَمُوا الْكَعْبَةَ، وَاسْتَبَاحُوا الْحُرْمَةَ، وَحَوَّلُوا قِبْلَةَ وَاسِطِ^(٣)، وَأَخْرَجُوا صَلَاةَ الْجُمُعَةِ إِلَى مُعْتَرِبَانَ^(٤) الشَّمْسِ، فَإِنْ قَالَ رَجُلٌ لِأَحَدِهِمْ اتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ أَخْرَجْتَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، قَتَلَهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ جِهَارًا غَيْرَ خَتَلٍ^(٥)، وَعَلَانِيَةً غَيْرَ سِرٍّ، وَلَا يُعْلَمُ الْقَتْلُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَقْبَحَ مِنْ إنْكَارِهِ، فَكَيْفَ يَكْفُرُ الْعَبْدُ بِشَيْءٍ وَلَا يَكْفُرُ بِأَعْظَمِ مِنْهُ؟

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ رَجْمًا وَعَظَّ الْجَبَابِرَةَ، وَخَوَّفَهُمُ الْعَوَاقِبَ، وَأَرَاهُمْ أَنْ فِي النَّاسِ بَقِيَّةٌ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ

(١) يعنى ما كان من مقاتلة الحجاج عند الله بن الربير بمكة وحصره إياه ورميه الكعبة بالمنجنيق في عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ - انظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٢ (والمنجنيق بفتح الميم وتكسر: آلة ترمى بها الحجارة) .

(٢) بعث عبد الملك بن مروان سنة ٦٥ جيش بن دلجة القيسى في سبعة آلاف إلى المدينة فدخلها ثم خرج إلى الرينة (قرب المدينة) وقدم عليه مدد من الشام ، وكتب عبد الله بن الزبير إلى عياش ابن سهل الساعدي بالمدينة أن يسير إلى جيش قسار إليه ، وقد وافاه مدد من البصرة ، ونشب القتال بين الفريقين ، فقتل جيش ومن معه - انظر العقد المرید ٢ : ٢٦٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٨٤ .

(٣) انظر ص ١ من الجزء الثالث .

(٤) أى إلى غروبها ، نقل ابن أبي الحديد في شرحه م ٣ : ص ٤٧٠ : « كان بنو أمية يؤخرون صلاة الجمعة تشاغلا عنها بالخطبة ، وبطيلون فيها إلى أن تتجاوز وقت العصر ، وتكاد الشمس تصفر ، فعل ذلك الوليد بن عبد الملك ، ويزيد أخوه ، والحجاج عاملهم ، ووكل بهم الحجاج المسالخ معه (والمسالخ جمع مسلحة بالفتح : وهى القوم ذوو سلاح) والسيوف على رؤوسهم ، فلا يستطيعون أن يصلوا الجمعة في وقتها ، وقال الحسن البصرى : وانجبا من أخيفش أعيمش ، جاءنا فقتلنا عن ديننا ، وصعد على منبرنا ، فيخطب والناس يلتفتون إلى الشمس ، ويقول : ما بالكُم تلتفتون إلى الشمس ! إنما والله ما نصلى للشمس ، إنما نصلى لرب الشمس ، أفلا تقولون : يا عدو الله ، ان لله حقا بالليل لا يقبله بالنهار ، وحقا بالنهار لا يقبله بالليل ؟ ثم يقول الحسن : وكيف يقولون ذلك ، وعلى رأس كل واحد منهم علج قائم بالسيف » اقرأ هناك فصلا طويلا في مناقب بنى أمية .

(٥) الختل : الخداع .

ابن مروان ، والحجاج بن يوسف ، فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه ، وقتل فيه ،
فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، فاحسب تحويل القبلة كان غلطاً ،
وهدم البيت كان تأويلاً ، واحسب ما رَوَوْا من كل وجه أنهم كانوا يزعمون
أن خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله إليهم^(١) ، باطلاً ومسموعاً مؤلداً ،
واحسب وسم أيدي المسلمين^(٢) ، ونقش أيدي المسلمات ، وردهم بعد الهجرة
إلى قراهم ، وقتل الفقهاء ، وسب أئمة الهدى . والنصب لعتره رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، لا يكون كفراً ، كيف تقول في جمع ثلاث صلوات فيهن
الجمعة ، ولا يصلون أولاهن حتى تصير الشمس على أعلى الجدران كالملاء
المعصفر^(٣) ، فإن نطق مسلم خبط بالسيف ، وأخذته العمدة ، وشك بالرمح ،
وإن قال قائل : اتق الله ، أخذته العزة بالإثم ، ثم لم يرض إلا بنثر دماغه
على صدره ، وبصلبه حيث تراه عياله .

ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرّد على الله عز وجل ،

(١) عقد صاحب العقد الفريد ١٩ في أخبار الحجاج فصلاً فيمن زعم أنه كان كافراً (ج ٣ :
ص ١٩) جاء فيه أنه قال في كلام له : « وبحكم ! أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه ، أم رسوله
إليهم ؟ » وجاء في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤٧٠ « وخطب الحجاج بالكوفة فذكر
الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بالمدينة فقال : تبا لهم ، إنما يطوفون بأعواد
ورمة بالية ، هلاطافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله ! »
(٢) وجاء في شرح ابن أبي الحديد أيضاً : « وكانت بنو أمية تختم في أعناق المسلمين كما توسم الخيل
علامة لاستعبادهم ، ونقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم ، كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة »
وجاء في تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٦ « وفي سنة ٧٤ استعمل عبد الملك الحجاج على المدينة ، فكان
يتعبث بأهلها ويتعنتهم ، واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تختم في أعناقهم ، وعن
إسحق بن يزيد أنه رأى أس بن مالك مختوماً في عنقه ، يريد أن يذله بذلك ، ودعا الحجاج سهل بن
سعد ، فقال : ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال : قد فعلت ، قال : كذبت ، ثم
أمر به تختم في عنقه برصاص . »

(٣) أي المصبوغ بالعصفر كبرقع وهو صبغ أصفر .

والاستخفاف بالدين ، والتهاون بالمسلمين ، والابتدال لأهل الحق ، أكل
 أمرائهم الطعام ، وشربهم الشراب ، على منابرهم أيام جمعهم^(١) وجموعهم ،
 فعل ذلك حَيْشُ بن دُجَّة^(٢) ، وطارق^(٣) مولى عثمان ، والحجاج بن يوسف
 وغيرهم ، وذلك إن كان كفرا كله فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا ، وروافض
 دهرنا ، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك . كان اختلاف الناس في
 القدر على أن طائفة تقول : كل شيء بقضاء وقدر ، وتقول طائفة أخرى :
 كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي ، ولم يكن أحد يقول : إن الله يعذب
 الأبناء ليغيظ الآباء ، وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان مثل العمى
 والبصر ، وكانت طائفة منهم تقول : إن الله يرى ، لا تزيد على ذلك ، فإن
 خافت أن يُظنَّ بها التشبيه ، قالت : يرى بلا كُفٍ ، تقززا من التجسيم
 والتصوير ، حتى نبتت هذه النابتة ، وتكلمت هذه الرافضة . فقالت
 جسيا ، وجعلت له صورةً وحداً ، وأكفرت من قال بالرؤية على غير
 التجسيم والتصوير .

ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسنٌ وبيِّنٌ وحجة وبرهان ، وأن التوراة
 غير الزبور ، والزبور غير الإنجيل ، والإنجيل غير القرآن ، والبقرة غير

(١) وجاء في شرح ابن أبي الحديد أيضاً : « وكانت خطباء بني أمية تأكل وتشرب على المنبر يوم
 الجمعة ، لإطالتهم في الخطبة ، وكان المسلمون تحت منبر الخطبة يأكلون ويشربون » .
 (٢) في الأصل « حسن » وهو تحريف ، وقد قدمنا لك أن عبد الملك بعثه في جيش إلى المدينة ،
 فلما دخلها جلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بجوز ولحم فأكل ، ثم دعا بماء
 فتوضأ على المنبر - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٦٣ .

(٣) هو طارق بن عمرو ، مولى عثمان ، وولاه عبد الملك المدينة سنة ٧٣ هـ ، فوليها خمسة أشهر ،
 ثم عزله عنها واستعمل عليها الحجاج سنة ٧٤ هـ - انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

آل عمران ، وأن الله تولى تأليفه ، وجعله بُرْهَانَهُ على صدق رسوله ، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد ، ولو شاء أن ينقص منه نقص ، ولو شاء أن يبدله بدله ، ولو شاء أن ينسخه كله بغيره نسخته . وأنه نزله تنزيلا . وأنه فصله تفصيلا ، وأنه بالله كان دون غيره ، ولا يقدر عليه إلا هو ، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلقه ، فأعطوا جميع صفات الخلق ، ومنعوا اسم الخلق .

والعجب أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه ، فلذا قالوا : خلق كذا وكذا ، ولذلك قال : « أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » وقال : « وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً » وقال : « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ » فقالوا : صنعه وجعله وقدره ، وأنزله وفصله وأحدثه ، ومنعوا « خلقه » وليس تأويل « خلقه » أكثر من « قدره » ولو قالوا بدل قولهم « قدره ولم يخلقه » : « خلقه ولم يقدره » ما كانت المسألة عليهم إلا من وجه واحد . والعجب أن الذي منعه بزعمه أن يزعم أنه مخلوق ، أنه لم يسمع ذلك من سلفه ، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضا من سلفه أنه ليس بمخلوق ، وليس ذلك بهم ، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفتين ، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة ، وكنا لكلامنا غير خالقين ، وجب أن الله عز وجل لكلامه غير خالق ، إذ كنا لكلامنا غير خالقين ، فإنما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وإن لم يُقَرُّوا بذلك بالسنتهم ، فذلك معنهم وقصدهم .

وقد كانت هذه الأمة لا تُجاوز معاصيها الإثم والضلال ، إلا ما حكيتُ لك عن بني أمية وبني مروان وعمّالهم ، ومن لم يدنْ بِإِ كْفَارِهِمْ ، حتى نَجَمَتِ النوابتُ ، وتابعتها هذه العوامُ ، فصار الغالبُ على هذا القرن الكفر ، وهو التشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من مَضَى في الأعمال التي هي الفِسْق ، وصاروا شركاء^(١) مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بتولّيتهم وترك إِ كْفَارِهِمْ ، قال الله عز وجل من قائل « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ » .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المُحِقِّين ، وَرَجَمَهُمْ ، وَقَوَّى ضَعْفَهُمْ ، وكثُر قَلَّتْهُمْ ، حتى صار وُلاة أمرنا في هذا الدهر الصعب ، والزمن الفاسد ، أشدَّ استبصارا في التشبيه من عَلَيْنَا ، وَأَعْلَمَ بما يلزم فيه منا ، وأكشَفَ للِقِنَاعِ من رؤسائنا ، وصادَفُوا^(٢) الناس وقد انتظموا معان^(٣) الفساد أجمع ، وبلغوا فَايَاتِ البِدْعِ ، ثم قرنوا بذلك العصبية التي هلك بها عالمٌ بعد عالم ، والحَمِيَّة التي لا تُبقي دينا إلا أفسدته ، ولا دُنيا إلا أهلكتها ، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشُعُوبِيَّةِ^(٤) ، وما قد صار إليه الموالي من الفخر على العجم والعرب ، وقد نَجَمَت من الموالي نَاجِمَةٌ ، وَبَدَّتْ مِنْهُمْ نَابِتَةٌ ، تزعم أن المَوْلى بولائه قد صار عريبا ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مَوْلى القومِ مِنْهُمْ » ولقوله : « الوِلاءُ لِحِمَّةٍ^(٥) كَلْحِمَةِ النَّسَبِ ، لا يباع ولا يوهب » قال : فقد علمنا

(١) في الأصل « وشركاء » .

(٢) في الأصل : « وصادفوا » وهو تحريف .

(٣) المعان : المباءة والمنزل .

(٤) هم محضرو أمر العرب .

(٥) اللحمة : القرابة .

أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ، ولما حوّل ذلك إلى العرب صارت العرب أشرف منهم ، قالوا : فنحن معاشر الموالى - بقدينا في العجم - أشرف من العرب ، - وبالحدِيث الذي صار لنا في العرب - أشرف من العجم ، وللعرب القديم دون الحديث ، ولنا خصلتان جميعا وافرتان فينا ، وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى - بعد أن كان عجميا - عربيا بولائه ، كما جعل حليف قريش من العرب قُرَشِيًّا بحلفه ، وجعل إسماعيل - بعد أن كان أعجميا - عربيا ، ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن إسماعيل كان عربيا » ما كان عندنا إلا أعجميا ، لأن الأعجمي لا يصير عربيا ، كما أن العربي لا يصير أعجميا ، فإنما علمنا أن إسماعيل صيره الله عربيا بعد أن كان أعجميا ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، فكذلك حُكْمُ قوله « مولى القوم منهم » وقوله « الولاء لحمة » قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أبًا لمن لم يلد ، كما جعله أبًا لمن ولد ، وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين^(١) - ولم يلدن منهم أحدا - وجعل الجار والد من لم يلد في قول ، وغير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس أدعى إلى الفساد ، ولا أجلب للشر من المفاخرة ، وليس على ظهرها إلا نخور - إلا قليل - وأي شيء أغيظ من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك - وهو مُقِرٌّ أنه صار شريفا بعثتك إياه - ؟ .

وقد كتبت - مد الله في عمرك - كتابا في مفاخرة قحطان ، وفي

(١) قال تعالى : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم » .

تفضيل عَدْنَان ، وفي رَدِّ الموالى إلى مكانهم من الفضل والنقص ، وإلى قَدْرِ ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عدلاً بينهم ، وداعيةً إلى صلاحهم ، ومَنْبَهَةً عليهم ولهم ، وقد أردتُ أن أُرسل بالجزء الأول إليك ، ثم رأيتُ ألا يكون إلا بعد استئذانك واستئثارك^(١) ، والانتهاء في ذلك إلى رغبتك ، فرأيتُ فيه مُوَفَّقاً إن شاء الله عز وجل وبه الثقة^٢ : « رسالة للجاحظ في بني أمية (٢) » .

٧٠ - رسالة أبي العاص^(٣) بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فإن جلوسك إلى الأصمعي^(٤) ، ومُحِبِّكَ بسَهْلِ بن هرون ، واسترجاحك إسماعيل بن غزوان ، وطعنك على مؤيس بن عمران ، وخالطتك^(٥) بـابن مُشَارِك ، واختلافك إلى ابن التَّوَّهم ، وإكثارك من ذِكْرِ المال وإصلاحه ، والقيام عليه واصطناعه ، وإطنابك في وصف الترويح والتشمير^(٦) ، وحسن التعهد والتوفير ، دليلٌ على خبيءٍ سوءٍ ، وشاهدٌ على عيبٍ وإدبارٍ ، بعد أن كنت تستثقلُ ذكركم ، وتستشنعُ

(١) الاستئثار : المشاورة .

(٢) رسالة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٨٥٥ أدب .

(٣) ذكره صاحب الأغاني في خلال ترجمة محمد بن منذر - إذ كان أخوه عبد المجيد بن عبد الوهاب

صديقاً جميلاً لابن منذر - انظر ج ١٧ : ص ١٢ .

(٤) هو الراوية المشهور ، وكان بخيلاً ، توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٥) الخلطة بالكسر : العشرة (وبالضم : الشركة) .

(٦) ثمر ماله : نعامه وكثره .

فِعْلَهُمْ ، وَتَعْجَبَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ ، وَتُسْرِفَ فِي ذَمِّهِمْ ، وَلَيْسَ يَلْهَجُ بِذِكْرِ الْجَمْعِ^(١) إِلَّا مَنْ قَدْ عَزَمَ عَلَى الْجَمْعِ ، وَلَا يَأْتِسُ بِالْبِخْلَاءِ إِلَّا الْمُسْتَوْحِشُ مِنَ الْأَسْخِيَاءِ ، وَفِي تَحْفِظِكَ قَوْلَ سَهْلِ بْنِ هُرُونَ : فِي الْإِسْتِعْدَادِ فِي حَالِ الْمُهْلَةِ ، وَفِي الْأَخْذِ بِالثِقَةِ^(٢) ، وَأَنْ أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ مَا جَاءَ مَعَ طَوْلِ الْمُدَّةِ ، وَأَنْ الْحَزْمَ كُلَّ الْحَزْمِ ، وَالصَّوَابَ كُلَّ الصَّوَابِ ، أَنْ تَسْتَظْهَرَ عَلَى الْحَدَثَانِ^(٣) ، وَأَنْ تَجْعَلَ مَا فَضَّلَ عَنْ قِوَامِ الْأَبْدَانِ ، رِدْءًا^(٤) دُونَ صُرُوفِ الزَّمَانِ ، وَأَنْ لَا تُنْسَبَ إِلَى الْحِكْمَةِ ، حَتَّى نَحْوُطَ أَصْلَ النِّعْمَةِ ، بَأَنْ نَجْعَلَ دُونَ فَضُولِهَا جَنَّةً^(٥) ، شَاهِدٌ^(٦) عَلَى عَجْبِكَ بِمَذْهَبِهِ ، وَبِرَهَانٍ عَلَى مِيلِكَ إِلَى سَبِيلِهِ ، وَفِي اسْتِحْسَانِكَ رَوَايَةَ الْأَسْمَعِيِّ فِي : « أَنْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ النَّسَاءُ وَالْفُقَرَاءُ ، وَأَنْ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلَّةُ وَالْأَغْنِيَاءُ ، وَأَنْ أَرْبَابَ الدُّثُورِ هُمُ الَّذِينَ ذَهَبُوا بِالْأَجُورِ^(٧) » بِرَهَانٍ^(٨) عَلَى صِحَّةِ حُكْمِنَا عَلَيْكَ ، وَدَلِيلٌ عَلَى صَوَابِ رَأْيِنَا فِيكَ ، وَفِي تَفْضِيلِكَ^(٩) كَلَامَ ابْنِ غَزْوَانَ حِينَ قَالَ : تَنْعَمْتَ بِالطَّعَامِ الطَّيِّبِ ، وَبِالْثِيَابِ الْفَاخِرَةِ ، وَبِالشَّرَابِ الرَّقِيقِ ، وَبِالْغِنَاءِ الْمُطْرَبِ ، وَتَنْعَمْنَا

(١) أَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ .

(٢) أَى بَادِخَارِ مَا يُمْكِنُ ادِّخَارُهُ حَتَّى يَتَّقَ الْمَرْءُ بِقُدْرَتِهِ عَلَى مَكَاثِفَةِ الْخَطُوبِ إِنْ بَرَلَتْ بِهِ .

(٣) تَسْتَظْهَرُ : تَسْتَعِينُ . وَالْحَدَثَانِ : حَوَادِثُ الْاَلْهَرِ وَنَوْبِهِ .

(٤) الرِّدْءُ : الْعَوْنُ وَالْمَادَّةُ .

(٥) الْحِجَةُ : الْوَقَايَةُ .

(٦) مَبْتَدَأُ خَبْرِهِ « فِي تَحْفِظِكَ » .

(٧) جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : « وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ

بِالْأَحُورِ ، قَالَ أَبُو عَيْدٍ : وَاحِدُ الدُّثُورِ دَثْرٌ بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الْمَالُ الْكَثِيرُ ، يُقَالُ : هُمْ أَهْلُ دَثْرٍ وَدَثُورٍ ، وَمَالٌ دَثْرٌ » .

(٨) مَبْتَدَأُ خَبْرِهِ : « فِي اسْتِحْسَانِكَ » .

(٩) مَعْطُوفٌ عَلَى الْخَبْرِ السَّاقِ .

بعز الثروة ، وبصواب النظر في العاقبة ، وبكثرة المال ، والأمن من سوء الحال ، ومن ذل الرغبة إلى الرجال ، والعجز عن مصلحة العيال ، فتلك لذتكم ، وهذه لذتنا ، وهذا رأينا في التسلم من الذم ، وذاك رأيكم في التعرض للحمد ، وإنما ينتفع بالحمد السليم الفارغ البال ، ويُسرّ باللذات الصحيح الصادق الحس ، فأما الفقير فما أغناه عن الحمد ، وأفقره إلى ما به يجد طعام الحمد ، والطامم الذي آثرتموه يعود رَجيعاً^(١) ، والشراب يصير بولا ، والبناء يعود نقضاً^(٢) ، والغناء^(٣) ريح هابة ، ومُسقط للمروءة ، وسخافة تُفسد ، ورنّة تُسير^(٤) ، فلذتكم فيما حوى لكم الفقر ونقض المروءة ، ولذتنا فيما حوى لنا الغنى وبنى المروءة ، فنحن في بناء ، وأنتم في هدم ونحن في إبرام ، وأنتم في نقض ، ونحن في التماس العز الدائم مع فوّت بعض اللذة ، وأنتم في التعرض للذل الدائم مع فوّت كل مروءة ، وقد فهمنا معنى حكايتك ، وما هجّت به من روايتك ، والدليل على انتقاض طباعتك ، وإدبار أمرك ، استحسانك ضد ما كنت تستحسن ، وعشقتك لما لم تزل تحقت ، فبعداً ومُحقّقاً . ولا يُبعد الله إلا من ظلم ، والشاعرُ أبصرُ بكم حيث يقول :

فإن سمعتَ بهلكَ للبحيلِ فقل بُمدًا أو سُحقًا له من هالكِ مُودى^(٥)
 تُرأتهُ جنةٌ للوارثين إذا أودى وجمانه التُّربِ والدُّودِ

(١) الرجيع : الروث .

(٢) النقض : المقوص ، وهو البناء المهدوم .

(٣) هي بعض السج « والشاء » .

(٤) أي تذهب في الهواء وترول .

(٥) أودى : هلك .

وقال آخر:

تَبَلَىٰ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ فِي قَبْرِهِ وَالْمَالُ بَيْنَ عَدُوِّهِ مَقْسُومٌ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُعْتِنِ حَتَّىٰ أُرَانِيكَ وَكَيْلًا فِي مَالِكَ^(١) ، وَأَجِيرَا
لِوَارِثِكَ ، وَأَمَّا أَنْتَ فَقَدْ تَعَجَّلْتَ الْفَقْرَ قَبْلَ أَوَانِهِ ، وَصَرْتَ كَالْمَجْلُودِ فِي
غَيْرِ لَذَّةٍ ، وَهَلْ تَرِيدُ حَالًا مَنْ أَنْفَقَ جَمِيعَ مَالِهِ ، وَرَأَى الْمَكْرُوهَ فِي
عِيَالِهِ ، وَظَهَرَ فَقْرُهُ ، وَشَمِتَ بِهِ عَدُوُّهُ ، عَلَى أَكْثَرِ مَنْ أَنْصَرَفَ الْمُؤْنِسِينَ
عَنْهُ ، وَعَلَى بُغْضِ عِيَالِهِ ، وَعَلَى خُشُونَةِ الْمَلْبَسِ وَخُشُونَةِ الْمَأْكَلِ ،
وَهَذَا كُلُّهُ مَجْتَمِعٌ فِي مَسْكَ^(٢) الْبَخِيلِ ، وَمَصْبُوبٌ عَلَى هَامَةٍ^(٣)
الشَّحِيحِ ، وَمَعْجَلٌ لِلثِّيمِ ، وَمُلَازِمٌ لِلْمَنْوَعِ ، أَلَا إِنَّ الْمَنْفِقَ قَدْ رَجَحَ الْمَحْمَدَةَ ،
وَتَمَتَّعَ بِالنِّعْمَةِ ، وَلَمْ يَعْطِلْ الْمَقْدِرَةَ^(٤) ، وَوَفَّى كُلَّ خَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ حَقَّهَا ، وَوَفَّى
عَلَيْهَا نَصِيبَهَا ، وَالْمَسْكَ مَعْدَبٌ بِحَضْرٍ نَفْسِهِ ، وَبِالْكَدِّ لغيرِهِ ، مَعَ لُزُومِ
الْحُجَّةِ ، وَسَقُوطِ الْهَمَةِ ، وَالتَّعَرُّضِ لِلذَّمِّ وَالْإِهَانَةِ ، وَمَعَ تَحْكِيمِ الْمِرَّةِ^(٥)
السُّودَاءِ فِي نَفْسِهِ ، وَتَسْلِيْطِهَا عَلَى عَرِضَتِهِ ، وَتَمَكِّيْنِهَا مِنْ عَيْشِهِ وَسُرُورِ قَلْبِهِ ،
وَلَقَدْ سَرَى إِلَيْكَ عَرِيقٌ^(٦) ، وَلَقَدْ دَخَلَ أَعْرَاقُكَ جَوْرٌ^(٧) ، وَلَقَدْ عَمِلَ فِيهَا قَادِحٌ^(٨) ،

(١) أى وكيلاً فى مالك لورثتك ، لا تنتفع به انتفاع المالك .

(٢) المسك : الحلد ، والمراد النفس .

(٣) الهامة : الرأس ، والجمع هام .

(٤) أى لم يعطل القدرة على فعل الخير وكسب الثناء .

(٥) المرة : المزاج ، والمزاج الأسود : هو المزاج المضطرب الكثير المخاوف والوساوس .

(٦) أى اندس فى أعراق نفسك عرق خسيس ليس منها .

(٧) المراد بالجوور هنا الابتعاد عن الطرق القويم .

(٨) القادح : أكل يقع فى الشجر والأسنان ، والقادح : العص ، يقول : أصيب هذه الأعراق

والصفات بعلة قضت عليها .

وَلَقَدْ غَالَمَهَا غُولٌ، وما هذا المذهبُ من أخلاقِ صَمِيمٍ ثَقِيفٍ، ولا من شِيمٍ
 أَعْرَقَتْ^(١) فيها قريشٌ، ولقد عَرَضَ لك إقْرَافٌ^(٢)، ولقد أفسدتك
 هُجْنَةٌ^(٣)، ولقد قال معاوية: «من لم يكن من بني عبد المطلب جواداً فهو
 دَخِيلٌ^(٤)، ومن لم يكن من آل الزبير شجاعاً فهو لَزِيقٌ^(٥)، ومن لم يكن
 من بني المغيرة تَيَّاهاً فهو سَنِيدٌ^(٦)». وقال سلم بن قتيبة: «إذا رأيت الثقيفَ
 يَعِزُّ من غيرِ إطعام^(٧)، ويكسِبُ لغيرِ إنفاق، فبهْرِجْهُ^(٨) ثم بهْرِجْهُ ثم بهْرِجْهُ»
 وقال ابن أبي بريدة: «لولا شبابٌ ثَقِيفٌ وسفهاؤهم، ما كان لأهل البصرة
 مالٌ^(٩)» إن الله جواد لا يَبْتَخَلُ، وصدوقٌ لا يَكْذِبُ. وَوَفِي لا يَغْدِرُ، وحليم
 لا يَعْجَلُ، وعدلٌ لا يَظْلِمُ، وقد أمرنا بالجود، ونهانا عن البخل، وأمرنا بالصدق
 ونهانا عن الكذب، وأمرنا بالحلم، ونهانا عن العجلة؛ وأمرنا بالعدل، ونهانا عن
 الظلم، وأمرنا بالوفاء، ونهانا عن الغدر، فلم يأمرنا إلا بما اختاره لنفسه، ولم
 يَنْجُرنا إلا عما لم يَرْضَهُ لنفسه، وقد قالوا بأجمعهم: إن الله أجودُ الأَجْوَدِينَ،
 وأمجَدُ الأَمْجَدِينَ، كما قالوا: أرحم الراحمين، وأحسن الخالقين، وقالوا
 في التأييب لسائلهم، والتعليم لأجوادهم: لا تَجَاوِدُوا^(١٠) الله فإن الله جل

-
- (١) صارت عريقة في الكرم .
 (٢) المقرف : من كانت أمه عربية وأبوه أعجمي ، والمراد بالإقْرَافِ ها ما شبه الإقْرَافِ : أي
 كأمك لم تكن عربياً صمياً .
 (٣) الهجنة : أن تكون الأم غير عربية والأب عربياً .
 (٤) الدخيل : من يعيش بين القوم وليس منهم .
 (٥) من لزيق ينسب قوم وليس منهم .
 (٦) السنيذ : الدعي ، وهو من ينتمى إلى غير أهله .
 (٧) المعى دون أن يعنى بإطعام الفقراء ومساعدة المحتاجين . وفي الأصل « طعام » .
 (٨) بهريج : أهمله .
 (٩) أي لكثرة ما ينفقون في البصرة ويبدلون .
 (١٠) أي لا تحاولوا أن تصلوا في الجود إلى مثل حود الله .

ذكره أجودُ وأمجِدُ ، وذكر نفسه جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه ، فقال :
« ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ^(١) » وقال « ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » وقال : « ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ » وذكروا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : لم يضع درهما على درهم ،
ولا لبنة على لبنة ، ومَلَكَ جزيرة العرب فقَبَضَ الصدقاتِ ، وجُيِّتَ له
الأموال ما بين عُذْرَانَ العراقِ إلى شِجْرِ عُمَانَ ^(٢) ، إلى أَقْصَى مَخَالِفِ ^(٣) الْيَمَنِ ،
ثم نُؤْفِيَ وعليه دينٌ ، ودرعه مرهونةٌ ، ولم يُسأل حاجةً قطُّ فقال : لا ، وكان
إِذَا سُئِلَ أُعْطِيَ ، وَإِذَا وَعِدَ أَوْ أُطْمَعُ كَانَ وَعْدُهُ كَالْعِيَانِ ^(٤) ، وإطماعه كالإنجاز ،
وَمَدَحَتُهُ الشعراءُ بالجود ، وذكرته الخطباءُ بالسَّمَّاحِ ، ولقد كان يهب للرجل
الواحدِ الضَّاحِجَةَ ^(٥) من الشاء ، والعَرَجَ ^(٦) من الإبل - وكان أكثر ما يهبُ
الملكُ من العرب مائةَ بعيرٍ فيقال : وَهَبَ هُنَيْدَةً ^(٧) ، وإنما يقال ذلك إذا
أريدَ بالقول غايةُ المدح - ولقد وهب ^(٨) لرجل ألفَ بئرٍ فلما رآها تردحم في
الهُوَادِي ^(٩) ، قال : أَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ، وما هذا مما تجود به الأنفسُ ، وفخرتُ
هاشمَ على سائر قريش فقالوا : نَحْنُ أَطْعَمُ لِلطَّعَامِ ، وَأَضْرَبُ لِلهَامِ ، وذكرها

(١) الإفضال والإيعام .

(٢) ساحل البحرين بين عمان وعدن .

(٣) المخلاف : الكورة ، بلغة أهل اليمن .

(٤) مصدر عاب السوء : أبصره . والمعنى : أن وعده في الوثوق بتحقيقه كالشيء المشاهد .

(٥) الضاحجة : الغنم السكيرة .

(٦) العرج بالفتح والكسر من الإبل : ما بين التسعين إلى الثمانين . وقيل : هو ما بين الثمانين

إلى التسعين ، وقيل مائة وخمسون وفوق ذلك ، وقيل من خمسين إلى ألف .

(٧) هند وهنيدة : اسم للمائة من الإبل خاصة .

(٨) أي النبي صلى الله عليه وسلم .

(٩) الهادية والهادى : العنق ، والهادية من كل شيء : أوله وما تقدم منه ، وفي النسخ

« القوادى » ولا معنى لها .

بعض العلماء فقالوا : أجوادُ أمجادُ ، ذَوُ ألسنةٍ حِدادِ ، وأجمعتِ الأُمُّ كلُّها :
بِخِيلِهَا وَسَخِيئِهَا وَمَمَزُوجِهَا^(١) ، على ذم البُخلِ وحمد الجودِ ، كما أجمعوا على ذمَّ
الكذبِ وحمدِ الصدقِ ، وقالوا : أفضلُ الجودِ الجودُ بالمجهودِ^(٢) ، وحتى قالوا
في جُهدِ المُقلِّ^(٣) ، وفيمن أخرج الجهدَ وأعطى الكلَّ^(٤) ، وحتى جعلوا لمن
جاد بنفسه فضيلةً على من جاد بماله ، فقال الفرزدق :

على ساعةٍ لو كان في القومِ حاتمٌ على جوده ، ضنَّتَ به نفسُ حاتمٍ^(٥)
ولم يكن الفرزدق ليضربَ المثلَ في هذا الموضعِ بكعبِ بنِ مامةٍ ، وقد
جاد بحوِّبائه عند المصافنةِ^(٦) ، فأرأينا عريًّا سفَّهَ حلِمَ حاتمِ لجوده بجميعِ ماله ،

- (١) أى من امتزج فيه السخاء بالبخل ، فكان وسطا بين الكريم والبخل .
(٢) المجهود هنا : الجهد ، أى الجود بقدر الجهد والطاقة ولو كان المعطى مقلا .
(٣) أى قالوا فى الثناء على الفقير الذى يجود بما يستطيع ، فى الأثر : « أفضل العطية جهد المقلِّ » . وقالوا : « جهد المقلِّ أفضل من غنى المكترِّ » .
(٤) أى وقالوا فىمن بذل جهده على إقتلله ، وفيمن خرج عن كل ماله فى بذل المعروف .
(٥) كان الفرزدق قد صافن رجلا من بنى العنبر بن عمرو بن عيم . فطلب منه العنبرى أن يؤثره على نفسه ففعل (والمصافنة فى السفر : أن يقاسم الرفيق رفيقه الماء حتى لا يغبن أحدهما الآخر) ويروى البيت :

على ساعة لو أن فى القومِ حاتمًا على جوده ماجاد بالماء حاتم

يكسر ميم حاتم على أنه بدل من الضمير فى جوده .

(٦) الجواب : النفس . وكان كعب بن مامة الإيادى أحد أجواد العرب الذين ضرب بهم المثل فى الجود ، فقيل : « أجود من كعب بن مامة » . ومن حديثه أنه خرج فى ركب فىهم رجل من النمر ابن قاسط فضلوا فتصافنوا ماءً ، فقدموا للشرب ، فلما دار الثوب فاتهمى إلى كعب أبصر النمرى يحدد النظر إليه فآثره بمائه وثال للساقى : اسق أخاك النمرى ، فمرب النمرى تصيب كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر فتصافنوا بقية مائهم ، فنظر إليه النمرى كنظره أمسه ، فقال كعب كقوليه أمس ، وارتحل القوم ، وقالوا : يا كعب ارتحل فلم يكن به قوة للنهوض ، وكانوا قد تمربوا من الماء ، فقيل له : رد - كعب - إنك رواد ، فجزعن الجواب ومات عطشا ، فقال أبوه مامة يرثيه : أو فى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب إنك وارد فما وردا

« مجمع الأمثال ١ : ١٢٣ » وقوله « ولم يكن الفرزدق ليضرب المثل » أى ليشبه بكعب بن مامة - لأنه آثر هو أيضا العنبرى على نفسه - وفى الكلام حذف ، والقدير : لم يكن ليفعل ذلك إلا لبوغه الغاية فى كرم النفوس .

ولا رأينا أحدا منهم سَفَهَ حِلْمَ كَعْبٍ على جوده بنفسه ، بل جعلوا ذلك من كعبٍ لإيادٍ مَفْتَخَرًا ، وجعلوا ذلك من حاتمٍ طَيِّبٍ مَأْتِرَةً لَعَدْنَانَ على قَحْطَانَ ، ثم للعرب على العجم ، ثم لسُكَّانِ جزيرة العرب ولأهل تلك البرِّيَّةِ على سائر الجزائر والترَبِ ، فمن أراد أن يخالف ما وصف الله جلَّ ذِكْرُهُ به نفسه ، وما مَنَحَ من ذلك نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وما فَطَرَ على تفضيله العرب قاطبةً والأُمَّمَ كافَّةً ، لم يكن عندنا فيه إلا إكْفَارُهُ واستسقاطُهُ ، ولم نَرَ الأُمَّةَ أَبْغَضَتْ جَوَادًا قَطُّ ولا حَقَرَتْهُ ، بل أَحَبَّتْهُ وأَعْظَمَتْهُ ، بل أَحَبَّتْ عَقِبَهُ وأَعْظَمَتْ من أَجْلِ رَهْطِهِ ، ولا وجدناهم أَبْغَضُوا جَوَادًا لِمَجَاوَزَتِهِ حَدَّ الْجُودِ إِلَى السَّرْفِ ولا حَقَرَتْهُ ، بل وجدناهم يتعلمون مناقِبَهُ ، ويتدارسون محاسنَهُ ، وحتى أضافوا إليه من نوادر الجميل (١) ما لم يفعلهُ ، ونَحَلُّوه (٢) من غرائب الكرم ما لم يكن يَبْلُغُهُ ، ولذلك زعموا أن الثناء في الدنيا يُضَاعَفُ كما تُضَاعَفُ الحَسَنَاتُ في الآخرة ، نعم وحتى أضافوا إليه كلَّ مديحٍ شارِدٍ ، وكلَّ معروفٍ مجهولٍ الصاحب . ثم وجدنا هؤلاء بأعيانهم (٣) للبخيل على ضِدِّ هذه الصِّفَةِ ، وعلى خلافِ هذا المذهب ، وجدناهم يُبْغِضُونَهُ مَرَّةً ، ويحْقِرُونَهُ مَرَّةً ، وَيُبْغِضُونَ بفضله بِنِصْبِهِ وَلَدَهُ ، ويحتقرون بفضله احتقارهم له رَهْطَهُ ، وَيُضِيفُونَ إليه من نوادر اللُّؤْمِ ما لم يَبْلُغُهُ ، ومن غرائب البخل ما لم يفعلهُ ، وحتى ضاعفوا عليه من سوء الثناء بقدر ما ضاعفوا

(١) أى الفعل الجميل .

(٢) نحلوه : سبوا إليه .

(٣) فى السخ « بأنماهم » .

للجواد من حُسن الثناء ، وعلى أننا لا نجد الجوائح^(١) إلى أموال الأسخياء
 أسرعَ منها إلى أموال البخلاء ، ولا رأينا عددَ من افتقر من البخلاء أقلَّ ،
 والبخيلُ عند الناس ليس هو الذي يخل على نفسه فقط ، فقد يستحقُّ
 عندهم اسمَ البخيل ، ويستوجب الذمَّ ، من لا يدع^(٢) لنفسه هوى إلا
 ركبَه ، ولا حاجةً إلا قضاها ، ولا شهوةً إلا ركبها ، وبلغ فيها فائتَه ،
 وإنما يقع عليه اسمُ البخيل إذا كان زاهداً في كل ما أوجبَ الشكرَ ، ونوّه
 بالذكر ، وادّخر الأجر ، وقد يعلّق البخيلُ على نفسه من الموءن ، ويُلزمها
 من الكُلف ، ويتخذ من الجوارى والخدم ، ومن الدوابِّ والحشم^(٣) ،
 ومن الآنية العجيبة ، ومن البزّة^(٤) الفاخرة ، والشارّة^(٥) الحسنة ، ما يُرَبِّي^(٦)
 على نفقة السخّي المثرى ، ويضعف^(٧) على جود الجواد الكريم ، فيذهبُ
 ماله وهو مذموم ، ويتغيّر حاله وهو مأوم ، وربما غلبَ عليه حُبُّ
 ائقيان^(٨) ، واشتهر^(٩) بالخصيان ، وربما أفرط في حُبِّ الصيد ، واستولى
 عليه حُبُّ المراكب^(١٠) ، وربما كان إتلافه في العرس والخرس^(١١) والوليمة ،

-
- (١) جمع جائحة : وهي الآفة .
 (٢) في بعض النسخ « ولا يدع » .
 (٣) الحشم : الخدم .
 (٤) الهبّة ، يقال : هو حسن البزّة .
 (٥) الشارة هنا : الزينة واللباس .
 (٦) يقال : أربى الشيء على كذا أي زاد عليه .
 (٧) ضعف يضعف من باب كرم : زاد ، وفي الحديث « تضعف صلاة الجماعة على صلاة الفرد
 خمسا وعشرين درجة » أي تزيد عليها .
 (٨) جمع قينة : وهي الأمة البيضاء ، مفضية أو غير مفضية .
 (٩) أي اشتهر بمجازة الخصيان ، وذلك ضرب من البذخ .
 (١٠) جمع مركب : وهو ما يركب من الخيل ونحوها .
 (١١) الخرس بالضم والخراس بالكسر : طعام يصنع ابتهاجا بالولادة .

وإسرافه في الإعذار^(١) وفي العقيقة^(٢) والوكيرة^(٣) ، وربما ذهبت أمواله في الوضائع^(٤) والودائع ، وربما كان شديد البخل شديد الحب للذكر ، ويكون بخله أو شج ، ولوئمه أقبح ، فينفق أمواله ، ويتلف خزائنه ، ولم يخرج كفافاً^(٥) ولم ينبج سليماً ، كأنك لم تر بخیلاً مخدوعاً^(٦) ، وبخیلاً مضعوفاً^(٧) ، وبخیلاً مضياً ، وبخیلاً نقاجاً^(٨) ، وبخیلاً ذهب ماله في البناء ، وبخیلاً ذهب ماله في الكيمياء^(٩) ، وبخیلاً أنفق ماله في طمع كاذب ، وعلى أمل خائب ، وفي طلب الولايات ، والدخول في القبالات^(١٠) ، وكانت فتنته بما يؤمل من الإمرة ، فوق فتنته بما قد حواه من الذهب والفضة ، قد رأيناها يتفق على مائتته وفاكته ألف درهم في كل يوم ، وعنده في كل يوم عرس^(١١) ، ولأن يطعن طاعن في الإسلام أهون عليه من أن يطعن طاعن في الرغيف الثاني ، وأشق عصا الدين أهون عليه من شق رغيف ، لا يعدُّ

- (١) الإعذار والعذار (بالكسر) والعذر والعذيرة : وليلة الحتان ، وطعام البناء .
 (٢) الشاة تدبج في اليوم السابع من ولادة المولود ابتهاجاً به . وأصل العقيقة : الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد ، وإنما سميت تلك الشاة التي تدبج في تلك الحال عقيقة ، لأنه يخلق عنه ذلك الشعر عند الدبج .
 (٣) الطعام يتخذه الرجل ويدعو إليه عند انتهاء ما كان يبنيه .
 (٤) جمع وضيفة : وهي ما يرصه الدائن عن المدين من الدين .
 (٥) الأصل في معنى الكفاف ما يكف عن سؤال الناس ويصبر ، ومعنى لم يخرج كفافاً هنا : لم يخرج خالياً من الدم .
 (٦) يتخيل الكاتب أن المخاطب مكر دعواه لما فيها من القرابة فهو يتجه إليه قائلاً : كأنك لم تر بخیلاً مخدوعاً الخ .
 (٧) المضعوف : ضعيف الرأي .
 (٨) النجاج : المدعى التباهي بما ليس فيه .
 (٩) الكيمياء ، في زعمهم تحويل المعادن الحسيسة بالصناعة إلى معادن نفيسة .
 (١٠) القبالة : اسم لما يلتمزه الإنسان من عمل ودين ونحوهما ، والقبيل : الكفيل والضامن ، وقد قيل به كنصر وسمع وصرب .
 (١١) العرس : من معانيه الوليمة .

الثَّلمة^(١) في عِرْضه ثلمة ، ويمُدُّها في ثريدته من أعظم الثَّلم ، وإنما صارت الآفات إلى أموال البخلاء أسرع ، والجوائحُ عليهم أَكْلب^(٢) ، لأنهم أقلُّ توَكُّلا ، وأسوأ بالله ظنا ، والجوادُ إما أن يكون متوكِّلا ، وإما أن يكون أحسن بالله ظنا ، وهو على كل حال بالمتوكِّل أشبه ، وإلى ما أشبهه انزع^(٣) ، وكيفما دار أمرُه ، ورجعت الحال^(٤) به ، فليس ممن يتكِّل على حزمه ، ويلجأ إلى كَيْسه ، ويرجع إلى جوده احتياطه ، وشدة احتراسه ، واعتلال البخيل بالحدَثان^(٥) ، وسوء الظن بتقلب الزمان ، إنما هو كناية عن سوء الظن بخالق الحدَثان ، وبالذي يُحدِّث الأزمان وأهل الزمان ، وهل تجرى الأحداث إلا على تقدير المُحدِّث لها ؟ وهل تختلف الأزمنة إلا على تصريف من دبرها ؟ أولسنا وإن جهلنا أسبابها فقد^(٦) أيقنا بأنها تجري إلى غاياتها ؟ والدليل على أنه ليس بهم خوف الفقر ، وأنَّ الجمع والمنع إما أن يكون عادةً منهم ، أو طبيعةً فيهم ، أنك قد تجد الملك بخيلا ، ومملكته أوسع ، وخرجه أدر ، وعدوه أسكن ، وتجد آخرًا أكثر منه جودا^(٧) ، وإن كانت مملكته أضيق ، وخرجه أقل ، وعدوه أشدَّ حركةً ، وقد علمنا أن الزَّنج أقصرُ الناس مِرَّة^(٨) ورويةً ، وأذهلهم عن معرفة العاقبة^(٩) ، فلو كان سخاؤهم إنما

(١) الثلمة : الشق .

(٢) أشد . (٣) أميل .

(٤) تشابهت الحوادث عليه .

(٥) أي بالخوف من حوادث الدهر .

(٦) الفاء زائدة .

(٧) في بعض النسخ « وتجد أحزم منه جوادا » .

(٨) المرة : العقل والأصالة والإحكام ، وفي الأصل « مدة » وهو تحريف .

(٩) أي وهم مع ذلك أسخياء .

هو لِكَلالِ حَدَمٍ^(١) ، ونقصِ عقولهم ، وقلةِ معرفتهم ، لكان ينبغي لفارصَ أن تكون أبخلَ من الرُّومِ ، وتكون الرومُ أبخلَ من الصَّقالية^(٢) ، وكان ينبغي في الرجال - في الجملة - أن يكونوا أبخلَ من النساء - في الجملة - وكان ينبغي للصِّبيان أن يكونوا أسخى من النساء ، وكان ينبغي أن يكون أقلُّ البخلاء عقلاً أعقلَ من أشد الأجواد عقلاً ، وكان ينبغي للكلب - وهو المضروب به المثلُ في اللؤم - أن يكون أعرفَ بالأُمور من الديك المضروب به المثلُ في الجُود^(٣) ، وقالوا هو أسخى من لافِظَةٍ^(٤) ، وأُمٍّ من كلبٍ على جيفة^(٥) ، وأُمٍّ من كلبٍ على عَرَقٍ^(٦) ، وقالوا : أجمعِ كلبك يتبعك^(٧) ،

(١) كلال الحد : أصله في السيف والسكين ونحوهما ، والمراد هنا قلة الذكاء .

(٢) الصقالبة : جيل تناخم بلادهم بلاد الخزر (في روسيا الآن) - وبحر الخزر بالتحريك هو بحر قزوين - .

(٣) وصف الديك بالجود لأن من عاداته أن يدعو الدجاج ويشير لها الحب .

(٤) من أمثال العرب « أسمح من لافظة » قال الميداني : « قد اختلفوا فيها فقال بعضهم : هي الديك لأنه يأخذ الحبة بمنقاره فلا يأكلها ولكن يلقيها إلى الدجاجة - والهاء فيها للبالغه هاهنا - وقال بعضهم : هي العنز التي تشلى للحلب فتجىء لافظة بجرتها فرحا بالحلب . وقال بعضهم : هي الحمامة ، لأنها تخرج ماني بطنها لفرخها ، وقال بعضهم . هي الرحي ، لأنها تلفظ ما تطحنه أي تقذف به ، وقال بعضهم هي البحر ، لأنه يلفظ بالذرة التي لافية لها (أي لنفسها) قال الشاعر :

تجود فتجزل قبل السؤال وكفك أسمح من لافظة

- انظر مجمع الأمثال ١ : ٢٣٨ - .

(٥) أورده للميداني في مجمع الأمثال ١ : ١٥٤ « أحرص » .

(٦) ورد في مجمع الأمثال ٢ : ١٣٨ والعرق العظم أكل لحمه أولم يؤكل .

(٧) ويروي « جوع » مثل يضرب في معاصرة اللئام وما ينبغي أن يعاملوا به ، وأول من قال ذلك ملك من ملوك حمير . كان عنيفا على أهل مملكته يغصبهم أموالهم ويسلبهم ماني أيديهم وكانت الكهنة تحببه أنهم سيقتلونهم فلا يحفل بذلك . وصعد امرأته أصوات السؤال فقالت : إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ، ونحن في العيش الرغد ، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سباعا ، وقد كانوا لنا أتباعا ، فرد عليها : جوع كلبك يتبعك ، وأرسلها مثلا ، فلبت بذلك زماتا ، ثم أغزاهم فقتلوا ولم يقسم فيهم شيئا ، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه وهو أميرهم : قد ترى مانحن فيه من

وَنَعِمَ كَلْبٌ فِي بُؤْسِ أَهْلِهِ^(١) ، وَسَمَّنَ كَلْبَكَ يَا كَلْبُكَ^(٢) وَأَحْرَصُ مِنْ كَلْبٍ
عَلَى عَقِي صَبِي^(٣) ، وَأَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ^(٤) ، وَهَوَّ أَبْدَأُ مِنْ كَلْبٍ^(٥) ،
وَحَشَّ فُلَانٌ مِنْ خُرِّ الكَلْبِ^(٦) ، وَاحْشَأُ ، كَمَا يُقَالُ لِلْكَلبِ^(٧) ، وَكَالْكَلبِ
فِي الْآرِي^(٨) ، لَا هُوَ يَعْتَلِفُ ، وَلَا هُوَ يَتْرِكُ الدَّابَّةَ تَعْتَلِفُ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :
سَرَّتْ مَا سَرَّتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ^(٩)

الجهد ، ونجى نكره خروج الملك منكم أهل البيت إلى غيركم ، فساعدنا على قتل أخيك واجلس مكانه ،
وكان قد عرف بغيه واعتداءه عليهم فأجابهم إلى ذلك ، فوثبوا عليه فقتلوه ، فرباه عامر بن جذيمة
وهو مقتول وقد سمع بقوله « جوع كلبك يتبعك » فقال : ربما أكل الكلب مؤديه ، إذا لم ينل
شبعه ، فأرسلها مثلاً - مجمع الأمثال ١ : ١١١ .

(١) ويروى « نعيم الكلب في بؤس أهله » و « في بؤس أهله » وذلك أن الجذب والبؤس يكثر
الموتى والجيف ، وذلك نعيم الكلب . قيل أصله أن بعض الأعراب كان له بغير يكرهه فينتفع بما يعود
منه ، وله كلب يقصر في إطعامه فهو يتلف جوعاً ، فبات البعير ، فرجع الرجل إلى سوء حال ،
والكلب إلى خصب ، يضرب مثلاً للرجل ينتفع بضرر غيره ، مجمع الأمثال ٢ : ١٩٥ وجمهرة الأمثال
٢ : ٢٣٤ .

(٢) ويروى « أسمن » قالوا : أول من قال ذلك حازم بن المنذر الحناني . وذلك أنه مر بحملة همدان
فاذا هو بغلام ملفوف في ثوب خلق مبتذل ، فرجحه وحمله على مقدم سرجه حتى أتى به منزله ، وأمر
أمة له أن ترضعه فأرضعته حتى فطم ، وأدرك وراهق الحلم فجعله راعياً لئنه ، وكان لحازم ابنة ،
فهويت الغلام وهويها ، وكان ذا منظر وجمال ، فكانت تتبعه إلى موضع الكلاب فيتغازلان ، ولما على
ذلك أياماً ، ثم إن أباهما افتقدهما يوماً وفتن لها فرصدها حتى إذا خرجت نعهما ، فأتتهن إليهما وهما
على سوءة ، فلما رآهما قال : سمى كلبك يا كلبك ، فأرسلها مثلاً ، وأفلت الغلام ولحق بقومه همدان
واختفت الفتاة فماتت . وقيل : إن رجلاً من طسم ارتبط كلباً ، فكان يسمه ويطعمه رجاء أن
يصيد به ، فاحتبس عليه يطعمه يوماً فدخل عليه صاحبه فوثب عليه فافتقرسه - مجمع الأمثال ١ : ٢٢٦ .

(٣) مجمع الأمثال ١ : ١٥٤ والعقبي : أول حدث الصبي ، وفي النسخ « عقبي ظبي » وهو تحريف .
(٤) حومل : امرأة من العرب كانت تبيع كلبه لها ، فكانت تربطها بالليل للحراسة ، وتطرد لها
بالنهار ، وتقول : التمس لنفسك لاملتمس لك ، فلما طال ذلك عليها أكلت ذنبها من الجوع ، قال
الكميت يذكر بنى أمية ويذكر أن رعايتهم للأمة كراية حومل لكلبها :

كَمَا رَضِيَتْ جَوْعًا وَسُوءَ رِعَايَةٍ لِكَلْبَتِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ حَوْمَلٍ

(٥) أي أخش ، وبذاءة الكلب هنا : كثرة هريره لسبب وانحسار سبب .

(٦) حش المال : كثره ، أي كثر فلان ماله من أدنى الوجوه التي تشبه خرق الكلب .

(٧) أي وقالوا لمن يطرد أخساً كما يقال للكلب .

(٨) الآري : محبس الدابة . وحبل تشد به الدابة في محبسها .

(٩) الضمير يعود إلى الناقة ، والتعريس : نزول المسافر في آخر الليل للاستراحة ، والعرج : بلدة

وقال الله جل ذكره : « فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ،
أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ » وكان ينبغي في هذا القياس أن يكون المرأوزة^(١) أعتل
البرية ، وأهل خراسان أدري البرية^(٢) ، ونحن لا نجد الجواد يفر من اسم
السرف إلى الجود ، كما نجد البخيل يفر من اسم البخل إلى الاقتصاد ، ونجد
الشجاع يفر من اسم المنهزم ، والمستحي يفر من اسم الخجل ولو قيل
لخطيب ثابت الجنان « وَقَاحٌ^(٣) » لجزع ، فلولم يكن من فضيلة الجود
إلا أن جميع المتجاوزين لحدود أصناف الخير يكرهون اسم تلك الفضلة^(٤)
إلا الجواد ، لقد كان في ذلك ما يبين قدره ، ويظهر فضله ، المال قاتن ، والنفس

بالمن ، وواد بالحجاز ذو نخيل ، وموضع ببلاد هذيل ، ومثزل بطريق مكة .
(١) المرأوزة : أهل مرو والشارهجان : أشهر مدن خراسان وقصبتها ، جمع مروزي ، نسبة
إلى مرو على غير قياس ، كأشاعرة جمع أشعري - انظر معجم البلدان ٨ : ٣٣ .
(٢) أي لأنهم أشد الناس بخلا ، وقد عقد الجاحظ في كتاب البخلاء (ص ١٤) فصلا طويلا في
وصف بخلمهم قال فيه : « تبدأ بأهل خراسان ، لإكثار الناس في أهل خراسان ، ونخص بذلك
أهل مرو بقدر ما خصوا به . قال أصحابنا : يقول المروزي للزائر إذا أتاه ، وللجليس إذا طال جلوسه ،
تغديت اليوم ؟ فإن قال نعم ، قال : لولا أنك تغديت لغديتك بقاء طيب ، وإن قال لا ، قال :
لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح ، فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير ، وكنت في منزل
ابن أبي كريمة - وأصله من مرو - فرآني أتوضأ من كوز خزف ، فقال : سبحان الله ، تتوضأ
بالعذب ، والبئر لك معرضة ! قلت : ليس بعذب ، إنما هو من ماء البئر ، قال : فتفسد علينا كوزنا
بالملوحة ! فلم أدر كيف أتخلص منه .

وقال ثمامة : لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لا قط ، يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدام
الدجاجة إلا ديكه مرو ، فأني رأيت ديكه مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب ، قال : فعلت أن
بخلمهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء ، فمن ثم عم جميع حيواتهم ، فحدثت بهذا الحديث أحمد
ابن رشيد فقال : كنت عند شيخ من أهل مرو وصي له صغير يلعب بين يديه ، فقلت له - إما عابثا
وإما ممتحنا - : أطمعني من خبزكم ، قال : لا تريد ، هو مر ، فقلت : فاستقي من مائكم ، قال :
لا تريد ، هو ملح ، قلت : هات من كذا وكذا ، قال : لا تريد هو كذا وكذا ، إلى أن عددت
أصنافا كثيرة ، كل ذلك بمنعنيه وببغضه إلي ، فضحك أبوه ، وقال : ما ذنبا ، هذا من علمه ماتسمع ؟
يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطبعتهم ... » .

(٣) الرجل الصلب الذي قل حياؤه .

(٤) أي الزيادة في الفضيلة وتجاوز الحد فيها .

راغبة ، والأموال ممنوعة ، وهي ^(١) على ما مُنعت حريصة ، وللنفوس
في المكاثرة علةٌ معروفة ، لأن من لافكرة له ولا روية ، مُوكل ^(٢)
بتعظيم ذي الثروة ، وإن لم تكن منه منالة ^(٣) ، وقد قال الأول :

وزادها كلفاً بالحب أن مُنعت وحب شيء إلى الإنسان ما مُنعا

وفي بعض كتب الفرس : كلُّ عزيز تحت القدرة فهو ذليل .

وقالت مُعادةُ العدوية : كل مقدورٍ عليه فقيل ^(٤) أو محقور ، ولو كانوا
لأولادهم يجمعون ، ولهم يكذون ، ومن أجلهم يحرصون ، لجمعوا
لهم كثيراً مما يطلبون ، ولتركوا محاسبتهم في كثير مما يشتهون ، وهذا
بعض ما بغض بعض المورثين إلى الوارثين ، وزهد الأخلاف ^(٥) في طول عمر
الأسلاف ، ولو كانوا لأولادهم يمهّدون ، ولهم يجمعون ، لما جمع الخُصيانُ
الأموال ، ولما كنز الرهبان الكنوز ، ولا استراح العاقر من ذل الرغبة ،
ولسليم العقيم من كد الحرص ، وكيف ونحن نجده بعد أن يموت ابنه
الذي كان يعتل به ، والذي من أجله كان يجمع ، على حاله ^(٦) في الطلب والحرص ،
وعلى مثل ما كان عليه من الجمع والمنع ، والعامّة لم تقصّر في الطلب والحكّة ^(٧) ،

(١) أي النفس .

(٢) أي جاعل تعظيم ذي الثروة من سقوله كأنه مولع به مقتون .

(٣) النال والمنالة والنال مصدر نلت أنال ، ويقال : نلت له بشيء أي جدت .

(٤) قلاه يقلبه قلى وقلاء ، وقلاه لغة طيء : أبفضه غاية البغض ، قال ابن السكيت ولا يكون في

البغض إلا قليت ، وفي النسخ « فقلو » .

(٥) أخلاف جمع خلف بالتحريك : وهم أبناء الإنسان الذين يخلفونه بعد موته .

(٦) متعلق الجار والمجرور مفعول ثانٍ لتجد .

(٧) اسم من الاحتكار .

والبخلاء لم يحدوا شيئاً من جهدهم^(١)، ولا عفاوا بعد قدرتهم^(٢)، ولا أقصروا في شيء من الحرص والحصر^(٣)، لأنهم في دار قلعة^(٤)، وتعرض ثقله^(٥)، حتى لو كانوا بالخلود موقنين لأغفلوا تلك الفضول، فالبخيل مجتهد، والعامي غير مقصر، فمن لم يستعن على ما وصفنا^(٦) بطبيعة قوية، وبشهوة شديدة، وبنظر شاف، كان إما عامياً، وإما بخيلاً شقيماً، فقيم اعتلالهم بأولادهم، واحتجاجهم بخوف التلوث من أزمتهم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أفيد كذب عنده كذبة - وكان جواداً - : «لولا خصلة^(٧) ومقتك الله عليها، لشردت بك من وافد قوم» وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: هل لك في بيض النساء وأدم الإبل^(٨)؟ قال: ومن هم؟ قال: بنو مدلج، قال: «يعنى من ذلك قراهم الضيف، وصلتهم الرحم» وقال لهم أيضاً: «إذا تحروا تجوا^(٩)، وإذا لبوا تجوا^(١٠)» وقال للأنصار: من سيدكم؟ قالوا: الحر^(١١) بن قيس، على أنه يزن^(١٢) فينا يبخل، فقال: «وأى داء أدوا من

- (١) في السح «لم يحدوا» والصواب «لم يحدوا» أي لم يحسوا جهودهم في جمع الأموال .
 (٢) في السح «ولاعفوا» بالنصب، والصواب «ولاعفوا» أي عن الكد والكدح بعد قدرتهم على العيش عما تجمع لديهم من مال .
 (٣) الحصر: البخل .
 (٤) يقال: الدنيا دار قلعة، أي اعلاص وارجحال .
 (٥) أي إن الدنيا دار يتعرض فيها المرء للانتقال .
 (٦) وهو عكس التحل والحشم في العوس . (٧) ومقه: أحبه .
 (٨) الأدم جمع آدم وأدماء، والأدمة في الإبل بالصم: لون مشرب سواداً أو باصاً أو هوالبياض الواضح والتقدير: هل لك في قوم بيض النساء ..
 (٩) تحوا: أسالوا دماء الدائح في الحج .
 (١٠) التلية في الحج: قول ليك اللهم ليك، ومع يعج بالكسر والفتح: صاح ورفع صوته .
 (١١) هكدا في العقد المرید، وفي السح «حد بن قيس» .
 (١٢) يرن: يطن وتهم .

البخل؟» ثم جعله من أدوية الداء، وقال للأنصار: «أما والله ما علمتكم إلا لتكثرُونَ عند الفزع، وتقلُونَ عند الطمع» وقال: «كفى بالمرء حرصاً ركوبه البحر» وقال: «لو أن لابن آدم واديين من مالٍ لا يتغى ثالثاً، ولا يُشبعُ ابن آدم إلا التراب، ويتوبُ الله على من تاب» وقال: «السخاء من الحياء، والحياء من الإيمان» وقال: «إن الله جوادٌ يُحبُّ الجوادَ» وقال: «أنفق يا بلالٌ ولا تحش من ذي العرش إقلالا^(١)» وقال: «لا تُوكِ فيوكي عليك^(٢)» وقال: «لا تُخصِ فيُخصِ عليك» وقالوا: لا ينفعك من زادٍ ما تبقى^(٣)، ولم يُسمِّ الذهبَ والفضةَ بالحَجْرينِ إلا وهو يريد أن يضع من أقدارهما، ومن فتنة الناس بهما، وقال لقيس بن عاصم: «إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيته، وما لبستَ فأبليتَ، أو أعطيتَ فأمضيتَ، وما سوى ذلك فلوارث» وقال النمر بن تولب:

وَحَشَّتْ عَلَى جَمِيعِ وَمَنِعٍ ، وَنَفْسُهَا لَهَا فِي صُرُوفِ الدَّهْرِ حَقٌّ كَذُوبٍ^(٤)
وَكَأَنَّ رَأْيَنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرْزَأٍ أَخِي ثِقَةً طَلَّقَ الْيَدَيْنِ وَهُوبٍ^(٥)
شَهِدْتَ وَفَاتُونِي ، وَكُنْتُ حَسْبِي فَقِيرًا إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا وَتَغْيِي^(٦)

(١) في العدد: «أنفق ملالا، ولا تحش من ذي العرش إقلالا».

(٢) أوكي السقاء: شدفه محل. والمعنى: لا تحس الخير عن الناس فيحس عليك.

(٣) أي ما زاد على حاجتك.

(٤) الضمير في حشيت يعود على روحته، يقول حتى على جمع الأموال ومع السائلين وقد كدتها نفسها
حقاً عند ما صورت لها الحوف من صروف الدهر وأحداه.

(٥) المرأ: الكرم يصاب من ماله كبراً.

(٦) يقول: قد شهدني وعاب عي هؤلاء الكرماء، وكنت أظن في حاجة إلى أن يحصروني
لأنهم على شاكلي في الكرم والحرد وتعي عي لأملك بأمريني بما لا يلائم شيعتي من الجمع والمع.

أَعَاذِلُ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ بَعِيدًا نَأَى صَاحِبِي وَقَرِيبِي ^(١)
 تَرَى أَنْ مَا أَبْقَيْتُ لَمْ أَكُ رَبَّهُ وَأَنْ الَّذِي أَمْضَيْتُ كَانَ نَصِيبِي ^(٢)
 وَذِي إِبْلِ يَسْعَى وَيَحْسِبُهَا لَهُ أَخِي نَصَبٍ فِي رَعِيهَا وَدُؤُوبِ ^(٣)
 غَدَتُ وَغَدَا رَبُّ سِوَاهُ يَسُوقُهَا وَبُدِّلَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَلْبِي ^(٤)
 وَقَالَ أَيْضًا .

قَامَتْ تَبَاكِي أَنْ سَبَأْتُ لَفْتِيَةَ زِقًا وَخَايِيَةَ بِعَوْدٍ مُقَطَّعٍ ^(٥)
 وَقَرَيْتُ فِي مَقَرِّي قَلَائِصَ أَرْبَعًا وَقَرَيْتُ بَعْدَ قَرِي قَلَائِصَ أَرْبَعٍ ^(٦)

(١) جاء في لسان العرب : « قال أبو العباس المبرد : الصدى على ستة أوجه أحدها : ما يبقى من الميت في قبره ، وهو جثته . قال النمر بن تولب :

أَعَاذِلُ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ بَعِيدًا نَأَى صَاحِبِي وَقَرِيبِي

فصداه : بدنه وجثته ، وقوله : نَأَى : أى نأى عني « (ثم قال : والصدى : الذكر من اليوم . وكانت العرب تقول : إذا قتل قتل فلم يدرك به الثأر خرج من رأسه طائر كالبومة ، وهى الهامة والذكر الصدى ، فيصبح على قبره أسفوني أسفوني ، فان قتل قاتله كف عن صياحه) - وقد أورد المبرد معانى الصدى مفصلة في شرحه لهذا البيت في كتابه الكامل ج ١ : ص ١٧٨ - وقال صاحب اللسان أيضاً في مادة نَأَى : « قال المبرد : نَأَى فِيهِ وَجْهَانُ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ بِمَعْنَى أْبَعْدَنِي كَقَوْلِكَ زِدْتَهُ فَزَادَ وَنَقَصْتَهُ فَتَقَصَّ . وَالْوَجْهَ الْآخَرَ فِي نَأَى أَنَّهُ بِمَعْنَى نَأَى عَنِّي ، قَالَ أَبُو مَنْصُورَ : وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْعُرُوفُ الصَّحِيحُ » وجاء في الكامل : « تَأْوِيلُ قَوْلِهِ نَأَى نَكُونُ عَلَى ضَرْبَيْنِ : يَكُونُ أْبَعْدَنِي ، وَأَحْسَنُ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ أَنَا نَأَى ، وَقَدْ رُوِيَ هَذِهِ اللَّغَةُ الْآخَرَى وَليست بالحننة ، وإنما جاءت في حروف ، يقال : عَاضَ الْمَاءُ وَغَضَّتْهُ ، وَنَزَحَتِ الْبِثْرُ وَنَزَحَتْهَا ، وَهَبَطَ الشَّيْءُ وَهَبَطْتَهُ - وَبَنُو تَيْمٍ يَقُولُونَ أَهْطَطْتَهُ - وَأَحْرَفَ سِوَى هَذِهِ يَسِيرَةٌ ، وَالْوَجْهَ فِي فِعْلِ أَفْعَلْتَهُ نَحْوُ دَخَلَ وَأَدْخَلْتَهُ ، وَمَنْ وَأَمَاتَهُ اللَّهُ ، فَهَذَا الْبَابُ الْمَطْرُودُ ، وَيَكُونُ نَأَى فِي مَوْضِعِ نَأَى عَنِّي ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » أى كَالُوا لَهُمْ وَوَزَنُوا لَهُمْ .

(٢) لم أك ربه : أى لم أك صاحبه ، وإنما هو مال الوارث .

(٣) « في رعيها » رواية المبرد ، وفي الأصل « في شفاها » .

(٤) أحجارا : أى أحجار القبر ، والجبال : ناحية القبر وجانبه ، والقلب : البئر ، والمراد هنا القبر

(٥) تباكي : أى أسفا لكثرة ما أبدل للضيوف ، وسبأ الحجر كحبل : شراها . والزق والحماية :

وعاءان ، والعود : المسن من الإبل ، والمقطع : البعير قام من الهزال .

(٦) قرى الضيف كرمى قرى بالكسر : أضافه وأحسن إليه (وهو هنا على معنى أطعمت) ،

والمقرى بفتح الميم : مكان القرى (وبالكسر : الجفنة) والفلائص جمع قلوص كصبور وهى الناقة

الشابة القوية ، والمعنى : أطعمت أضيائي فلائص أربعا ثم قرئتهم بعد ذلك .

أَبَيْكِيًّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هَيِّنٍ ؟ سَفَهُهُ بَكَاءَ الْعَيْنِ مَا لَمْ تَدْمَعِ (١)
 فَإِذَا أَتَانِي إِخْسُوتِي فَدَعِيهِمْ يَتَعَلَّلُوا فِي الْعَيْشِ أَوْ يَتَلَهَّوْا مَعِيَ (٢)
 لَا تُطْرِدِيهِمْ عَنْ فِرَاشِي ، إِنَّهُ لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ سِيخَلُو مَضْجَعِي (٣)
 هَلَّا سَأَلْتِ بَعَادِيَاءَ وَبَيْتِهِ وَالْحَيْلِ وَالْحَمْرِ الَّتِي لَمْ تُنْمَعِ (٤)
 وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِزَّازَةَ :

بَيْنَا الْفَتَى يَسْعَى وَيُسْعَى لَهُ تَأَخَّحَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِجٌ (٥)
 يَتْرِكُ مَارْقَحَ مِنْ عَيْشِهِ يَعْثُ فِيهِ هَمِجٌ هَامِجٌ (٦)
 لَا تَكْسَعُ الشُّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنْ النَّاتِجُ (٧)
 وَقَالَ الْهَذَلِيُّ :

- (١) قصد بالتيكي هنا التباكي وهو تكلف البكاء .
 (٢) يتعللوا بالعيش : يتشاغلوا ويتلهوا به ، وفي الأصل « في العيش » .
 (٣) أي سأمت .
 (٤) عادياء : أبو السموءل ، ورواية صاحب اللسان « والحل » بدل « والحيل » .
 (٥) تأخ له الشيء يتوخ ويتيح : تهبأ ، خالج : قالع منتزع .
 (٦) الترفيح والترقح : إصلاح العيسة . والهمج : الرعاع من الناس والهمل الذين لا نظام لهم ، وهامج توكيد له كفولهم يوم أيوم وليل أليل وليل لا ئل وليلة ليلاء ووتدواتد .
 (٧) الشائبة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر جف لبنها ، جمعها شول على غير قياس ، وأغبار جمع غير بالضم : وهو بقية اللبن في الضرع ، وكسح الناقه بغيرها كتم : نرك في خافها بقية من اللبن يريد بذلك تفزيرها ، وهو استدله ، وإذا ولي الإنسان ناقة أو شاة ماخضا حتى تضع قبل تنجها تنجا من باب صرب ، فالإنسان كالتقابلة لأنه يتاقى الولد ويصلح من شأنه ، فهو ناتج والبهيمة منتوجة والولد نتيجة . وأورد صاحب اللسان بعد هذا البيت بيتا آخر وهو :

واحلب لأضيافك ألبانها فإن شر اللبن الواج

قال « الواج » : أي الذي ياج في ظهورها من اللبن المكسوع ، يقول : لا تفزر إبلتك تطلب بذلك قوة نسلها ، واحلبها لأضيافك تلعل عدوا يهبر عابها فيكون نتاجها له دوماك . وقال الأبرد في الكامل - ج ١ : ص ١٨٠ - « قوله * لا تكسع السول بأغبارها * فإن العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لأولادها إلى في بطونها ، والبر بقية اللبن في الضرع ، فيقول : لاسق ذلك اللبن لسمن الأولاد فإنك لا تدري من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يغار عابها »

إِنَّ الْكِرَامَ مُنَاهِبُونَ كَ الْمَجْدِ كُلَّهُمْ فَنَاهِبٌ^(١)
 أَخْلِفَ وَأَتْلَفَ ، كُلُّ شَيْءٍ ذَرَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ^(٢)
 وقالت امرأة :

أَنْتِ وَهَبْتَ الْفِتْيَةَ السَّلَاحِبُ وَإِبْلًا يَحَارُ فِيهَا الْحَالِبُ^(٣)
 وَغَنَمًا مِثْلَ الْجَرَادِ الْهَارِبِ مَتَاعُ أَيَّامٍ ، وَكُلُّ ذَاهِبٍ^(٤)
 وقال تميم بن مقبل :

فَأَخْلِفَ ، وَأَتْلَفَ ، إِنَّمَا الْمَالُ عَارَةٌ^(٥) وَكُلُّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ^(٥)
 وقال أبو ذرٍّ : لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَانُ : الْوَارِثُ وَالْحَدَثَانُ « وقال الحطيئة :
 مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ : « إِنْ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ »
 وفي المثل : « اصْنَعِ الْخَيْرَ وَلَوْ إِلَى كَلْبٍ » وفي الحث^(٦) عَلَى الْقَلِيلِ - فَضْلًا عَنِ
 الْكَثِيرِ - قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ
 يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » وقالت عائشة في حَبَّةِ عَنَبٍ : « إِنْ فِيهَا لِمِثْقَالِ
 ذَرٍّ » وَلِذَلِكَ قَالُوا فِي الْمِثْلِ « مَنْ حَقَرَ حَرَمًا^(٨) » وَقَالَ سَلْمٌ بْنُ قَتَيْبَةَ : « يَسْتَحْيِ

(١) ناهبه : باراه في العدو ، مناهوك المجد : أي مسابفوك في إحرازه .
 (٢) ذرّعته : حركته ، وفي البيان والتبيين : زعرعته الريح ، ونسب الشعر إلى المسعودي .
 (٣) السلاحب مفعول ثان لو هبت جمع سلهب كجعفر ، وهو من الخيل ماعظم وطال عظامه ، وحيرة
 الحالب في الإبل : كناية عن كثرتها أو غزارة لبها .
 (٤) أي وهذه متاع أيام قليلة .
 (٥) العارة : العارية ، وهي الشيء يستعار ثم يرد إلى صاحبه .
 (٦) في النسخ « وقال في الحث » وفيها « فضلا على الكثير » .
 (٧) الميثقال هما : القدار والزرّة .
 (٨) أي من حفر القليل الذي لديه فلم يتدله حرم كثيراً من ذوى الحاجة ، وقال الميداني في تفسيره
 « أي من حفر يسيراً ما يقدر عليه ولم يقدر على الكثير . ضاعت لديه الحقوق » .

أحدهم من تقريب القليل من الطعام ، ويأبى أعظم منه » وقال : « جُهد المرء أكثر من عَفْوهِ ^(١) » وقَدَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جُهدَ المِقْلِ على عَفْوِ المَكْتَرِ ، وإن كان مَبْلَغُ جهده قليلا ، ومبْلَغُ عَفْوِ المَكْتَرِ كثيرا ، وقالوا : « لا يَمْنَعُكَ من معروف صِغَرُهُ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بِشِقِّ ^(٢) تمرٍ » وقال : « لا تَرُدُّوا السائل ولو بِظِلْفِ مُحْرَقٍ ^(٣) » وقال : لا تَرُدُّوه ولو بِفَرَسَنٍ ^(٤) شاةٍ » وقال : « لا تحقروا اللقمة فإنها تعود كالجبل العظيم ^(٥) » ، لقول الله جل ذكره : « يَحَقِّقُ اللهُ الرَّبَّاءَ وَيُرِيهِ الصَّدَقَاتِ » وقال : « لا تَرُدُّوه ولو بصلة جَبَلٍ ^(٦) » وقالت العرب : « أتاكم أخوكم يستئتمكم ^(٧) فأتئموا له » وقالوا : « مانع الإيتام ألوْمٌ » وقالوا : « البخيل إن سأل أَلْفَ ^(٨) وَإِنْ سَأَلَ سَوِّفٌ » ، وقالوا : « إن سئل جَحَدًا ، وإن أُعْطِيَ حَقْدٌ » وقالوا : « يَرُدُّ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ ، وَيَنْغَضِبُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ » وقالوا : « البخيل إذا سئل ارتز ^(٩) ، وإذا سئل الجواد اهتز » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يُنَادِي كُلُّ يَوْمٍ مُنَادِيَانِ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمَنْفِقٍ خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ :

(١) أى ما يذله المرء عن جهد وقلة أكثر ثوانا مما يذله عن زيادة وسعة .

(٢) الشق : النصف .

(٣) الظلف : ظفر كل ما اجتر ، وهو للبقر والشاة والظباء وشبهها بمنزلة القدم للانسان .

(٤) الفرسن : طرف خف البعير ، وقد يستعار للشاة .

(٥) أى يعود ثوابها يوم القيامة في عظمه كالجبل العظيم .

(٦) أى ولو بصلة من جبل .

(٧) يستتم : يطلب تمام ما يحتاج إليه .

(٨) ألف : الحف .

(٩) ارتز : أمسك ومخل .

« اللهم عَجِّلْ لِمُسِيكِ تَلْفَا » وقالوا : « شَرُّ الثَّلَاثَةِ الْمَلِيمِ ^(١) ، يَمْنَعُ دَرَّهُ ^(٢) وَدَرَّهُ غَيْرُهُ » وقال الله جل ذكره : « الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ » وقالوا في المثل : « إِذَا أَلْجَأَكَ الدَّهْرُ إِلَى بَخِيلٍ ، شَرُّ مَا أَلْجَأَكَ إِلَى مَخِيَّةٍ عُرْقُوبٍ ^(٣) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قَلَّ الْعَدْلُ ، وَأَعْطِيَ الْفَضْلَ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنَهَا كَمَ عَنِ عَقُوقِ الْأَمْهَاتِ ، وَوَادِ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعِ وَهَاتِ » وقال الله عز وجل : « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » وقال « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » وقال : « وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » وقالوا في الصبر على النائبة وفي عاقبة الصبر : « عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشَّرِيَّ ^(٤) » وقالوا « الْعَمْرَاتُ تُنَجِّلِينَ ^(٥) » وقال الخزيمي :

(١) الثلاثة : هم الآخذ والمعطى ومن يلوم المعطى ، وألام : أي ما يلام عليه .

(٢) الدر : الابن ، والمراد هنا الخير عامة .

(٣) أَلْجَأَكَ : اضطررك ، ويروى في القاموس « شَرُّ مَا أَلْجَأَكَ إِلَى مَخِيَّةِ عُرْقُوبٍ » وفي مجمع الأمثال « شَرُّ مَا يَجِيئُكَ .. » - مضارع أَلْجَأَ - قال الميداني : ويروى « مَا يَشِيئُكَ » واليمين بدل من الجيم وهذه لئلا تم ، يقال : أَلْجَأْتُهُ إِلَى كَذَا : أي أَلْجَأْتُهُ ، والمعنى : مَا أَلْجَأَكَ إِلَى مَخِيَّةِ عُرْقُوبٍ إِلَّا سَرَّ أَيْ فَقَرَّ وَفَاقَهُ ! وذلك أن العرقوب لا يحل له وإلما يحوج إليه من لا يقدر على شيء ، يضرب المضطر جدا يطلب من اليتيم .

(٤) أوله من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما وهو باليمامة : أن سر إلى العراق ، فأراد سلوك المعازة ، فقال له رافع الطائي : قد ساكنها في الجاهلية ، هي خمس للإبل الواردة (والخمس بالكسر من أطماء الإبل ، وهي أن ترمى ثلاثة أيام وبرد الرابع) ولا أطك قدر عليها إلا أن تحمل من الماء ، فأشربى مائه شارف (والشارف : المنس المهرم من الإبل) فطعمها ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم كتفها (أي ختم حياها) واعم أرواهها (أي شدتها) ثم سلك المعازة ، حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والحيل ، وخشى أن ينهب ماني بطون الإبل ، محر الإبل واستخرج ماني بطونها من الماء فسي الناس والحيل ومضى ، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع : انظروا ، هل ترون سدرًا عظاما (والسدر بالكسر : شجر النبق) فإنه رأيتموها وإلا فهو الملاك ، فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد من آيات :

عند الصباح يحمد القوم السرى وينبلى عنهم غيابات الكرى

يضرب للرجل يحمّل المشقة رحاء الراحة .

(٥) يروى « العمرات » وكأنه قال : هي العمرات ، أو القصبة العمرات تطلم تم تنجلي . وروى

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ^(١) لَهَا مَصْعَدٌ حَزْنٌ وَمُنْحَدٌ سَهْلٌ^(٢)

وَوَدَّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ (إِذَا مَا انْقَضَى) لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ^(٣)

وَقَالُوا: «خَيْرُ النَّاسِ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ، وَشَرُّ النَّاسِ شَرُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ» وَقَالُوا:

«خَيْرُ مَا لَكَ مَا تَفْعَلُ» وَقَالُوا: «عَجَبًا لِفَرْطِ الْكِبَرَةِ مَعَ شَبَابِ الرَّغْبَةِ^(٤)»

وَقَالَ الرَّاجِزُ:

كَلْنَا يَا مُلُّ مَدًّا فِي الْأَجَلِ وَالْمَنَايَا هِيَ آفَاتُ الْأَمَلِ^(٥)

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِكْرَاشٍ: «زَمِنٌ خَثُونٌ، وَوَارِثٌ شَفُونٌ^(٦)، وَكَاسِبٌ

حَزُونٌ^(٧)، فَلَا تَأْمَنِ الْخَثُونَ، وَكُنْ وَارِثَ الشَّفُونِ^(٨)» وَقَالَ:

يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشِيبُ مَعَهُ خَصْلَتَانِ: الْحَرِصُ وَالْأَمَلُ» وَكَانُوا يَعْيَبُونَ مَنْ

يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَقَالُوا: «مَا أَكَلَ ابْنُ عَمْرٍ وَحْدَهُ قَطُّ»، وَقَالُوا: «مَا أَكَلَ

الْحَسَنُ^(٩) وَحْدَهُ قَطُّ» وَصَمِعَ مُجَاشِعُ الرَّبِيعِيِّ قَوْلَهُمْ: «الشَّحِيحُ أَعْدَرُ مِنَ

الظَّالِمِ» فَقَالَ: «أَخْزَى اللَّهُ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الشَّحُّ» وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

«غمرات»: أي هذه غمرات وهي الشدائد جمع غمرة لأنها تغمر الواقع فيها بشدتها: أي تفهره،
والمثل للأغلب العجلى، يضرب في احتمال الأمور العظام والصبر عليها.

(١) الثنية: المكان المرتفع الصعب المطعم، أي إن الكرم شاق على النفس - لأن الفضيلة شاقة
ولولا مشقتها لساد الناس جميعاً.

(٢) الجزل: العظيم.

(٣) أي عجباً لا يرى هرم فإن ورغبته في الجمع والكسح فتية.

(٤) هكذا في نسخة الشنيطي، وفي غيرها آفات الأجل.

(٥) الشفون في الأصل: الناظر بمؤخر عينه كراهة أو عجباً. والمعنى هاتين الكراهة المترفة وقلة مورثه

(٦) أي شديد الحزن.

(٧) أي أنفق بحيث لا تترك شيئاً لو ارتك: فإذا مات استغدت من إرثه ولم يستغد من إرثك.

(٨) يعنى الحسن البصرى.

الزنى : « لو كان هذا المسجد مُفْعَمًا بالرجال ثم قيل لى : من خيرهم ؟ لقلت :
خيرهم لهم^(١) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بشراركم ؟ » قالوا :
بلى يا رسول الله ، قال : « من نزل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده » وقالت
امرأة عند جـنازة رجل : « أما والله ما كان مالك لبطنك ، ولا أمرك
لعريك^(٢) » .

٧١ - رسالة ابن التوعم إلى الثقفى

فلما بلغت الرسالة ابن التوعم ، كره أن يجيب أبا العاص ، لما فى ذلك
من المناقشة والمباينة^(٣) ، وخاف أن يترقى الأمر إلى أكثر من ذلك ، فكتب
هذه وبعث بها إلى الثقفى :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فقد بلغنى ما كان من ذكر أبى
العاص لنا ، وتنويهه^(٤) بأسمائنا ، وتشنيعه علينا ، وليس يمنعنا من جوابه إلا
أنه إن أجابنا لم يكن جوابنا إياه على قوله الثانى أحق بالترك من جوابنا له
على قوله الأول ، فإن نحن جعلنا لابتدائه جوابا ، وجعلنا لجوابه الثانى جوابا ،
خرجنا إلى التهاثر^(٥) ، وصرنا إلى التخابر^(٦) ، ومن خرج إلى ذلك فقد

(١) أى خيرهم أكرم إسماء خير لهم .

(٢) العرس : الروجة ، أى كنت كريمة مستقلا بتصرف أمورك .

(٣) أى الابتعاد والتهاجر .

(٤) التنويه ها : الذكر ، أى وذكر أسمائنا ، فقد تقدم قول أبى العاص فى أول رسالته إلى
الثقفى « واختلافك إلى ابن التوعم » .

(٥) تهاجرا : ادعى كل على صاحبه باطلا .

(٦) تجابر الرجال : تعالوا فى العلم والعرفة ، يقال : خاطره فى العلم تخبره : أى طالبه فطبه ، وفى
النسخ « التجابر » ولم نجد لها معنى .

رَضِيَ بِاللَّجَاجِ^(١) حَطًّا ، وبالسُّخْفِ^(٢) نصيباً ، وليس يحترس من أسباب
اللجاج إلا من عرف أسباب البلوى^(٣) ، ومن وقاه الله سوء التكفي^(٤)
وسُخْفَه ، وعَصَمَه من سوء التصميم^(٥) ونَكَدِه ، فقد اعتدلت طبائعُه ،
وتساوت خواطرُه . ومن قامت أخلاطُه^(٦) على الاعتدال وتكافأت خواطره
في الوزن ، لم يعرف من الأعمال إلا الاقتصاد ، ولم يجد أفعاله أبداً إلا بين
التقصير والإفراط ، لأن الموزون لا يولد إلا موزوناً ، كما أن المختلف لا يولد
إلا مختلفاً^(٧) ، فالمتابع^(٨) لا يثنيه زجرٌ ، وليست له غايةٌ دون التلّف ،
والتكفي ليس له ما أتى ولا جهةٌ ، ولا له رُقِيَةٌ^(٩) ولا فيه حيلةٌ ، وكلُّ متلونٍ^(١٠)
في الأرض فُنْحَلُ العَقْدِ ، مُبَسَّرٌ لكل رِيحٍ ، فدع عنك خِلْطَةَ الإِمْعَةِ^(١١)
فإنه حارِصٌ^(١٢) لا خيرَ فيه ، واجتنب ركوب الجموح ذي النزوات ؛ فإن

(١) التمدى في الحصومة . (٢) السخف : ضعف العقل .

(٣) أى لأن اللجاج يؤدي حتماً إلى شر ومصيبة ، فمن تجنب أسبابه تجنب أسباب المصائب .

(٤) الذى فى لسان العرب : التكفو : التمايل إلى قدام ، يهمز ولا يهمز ، والأصل الهمز ، تكفاً

تكفواً كتقدم تقدماً ، فإذا خفت الهزة التحق بالمعتل وصار تكفى تكفياً كتسمى تسيماً ، ولكن

المراد بالتكى ها : اكتفاء المرء برأى نفسه وتشبهه به واستبداده ، يؤيد ذلك الفقرة التالية .

(٥) التصم : المضى فى الأمر من غير إصغاء إلى نصيح .

(٦) انظر هامش ص ٥٠ .

(٧) أى لأن الأفعال آثار الأمزجة ، فإذا كانت الأمزجة معتدلة متزنة أنتجت أفعالاً متزنة ،

وإذا كانت مضطربة أنتجت أفعالاً كذلك .

(٨) المتتابع : المتهاوت على الشر التمدى فيه المسرع إليه من غير تثبيت أو نظر فى الأمور .

(٩) أى لا تجد مفذاً لهدايته وإرشاده ، ولا تنفع فيه الوسائل ، وهو أشبه بمن مسته الجن ،

لا تنفذ فيه رقية . والرقية : ما يقرأ للمحموم والصروع ليشفى .

(١٠) المتلون المتقلب فى الرأى ، له فى كل ساعة رأى .

(١١) الإمع والإمعة : الرجل يتابع كل إنسان على رأيه لا يثبت على شىء .

(١٢) الحارص : الملتهم لا يكاد يترك شيئاً .

فايته القتلُ الرُّؤْفُ (١)، ولا (٢) في الحُرُونِ ذى التصميمِ ، والمتلونُ شر من المصممِ ، إذ كنت لا تعرف له حالا يقصد إليها ، ولا جهةً يعمل عليها ، ولذلك صار العاقلُ يخدعُ العاقلَ ولا يخدعُ الأحمقَ ؛ لأن أبواب تدير العاقلَ وحيلةً معروفةً ، وطُرُقَ خواطره مسلوكةً ، ومذاهبهُ محصورةٌ «مدودة» ، وليس لتدير الأحمقِ وحيلةً جهةً واحدةً من أخطأها كذب (٣) ، والخبرُ الصادقُ عن الشيء الواحد واحدٌ ، والخبر الكاذبُ عن الشيء الواحد لا يحصى له عددٌ ، ولا يوقف منه على حدٍّ ، والمصممُ قتلهُ بالإِجهاز (٤) ، والمتلونُ قتلهُ بالتعذيب (٥) ، فإن قلنا فليس إليه (٦) تقصيدٌ ، وإن احتججنا فلسنا عليه نردُّ ، ولكننا إليك تقصيدُ بالقول ، وإليك نُريدُ بالمشورة ، وقد قالوا : « احفظ سِرَّكَ فإن سِرَّكَ من دمك » وسواءُ ذهابُ نفسك وذهابُ ما به يكون قوامُ نفسك (٧) ، قال المنجيبُ العنبريُّ : « ليس بكبيرٍ ما أصلحه المالُ (٨) » وفقدُ الشيء الذى به تصلحُ الأمور ، أعظمُ من الأمور (٩) ، ولهذا قالوا فى الإبل : « لو لم يكن فيها إلا أنها رِقْوَةٌ (١٠) الدم » فالشيء الذى هو بمنزلة الإبلِ وغيرِ الإبلِ أحقُّ بالصونِ ،

(١) عبارة النسخ « واجتنب ركوب الجوح فإن عايته قبل اللواق ذى البدوات » وهى غير مفهومة . والقتل الرُّؤْفُ : السريع .

(٢) عطف على المجرور فى لاجز فيه ، أى ولاخير فى الحرون ، والحرون : الدابة تعصى صاحبها فتقف ولا تعدى .

(٣) أى ليس للأحمق اتجاه واحد فى تديره ، حتى إذا لم يهتد إليه إنسان قيل إنه أخطأ .

(٤) المراد أن الضرر الذى يصل من المصمم يصل دفعة واحدة ، فهو كالقتل بالإِجهاز .

(٥) أى أن المتلون يأتىك منه الضرر فى نوبات متقطعة ، فكأنه يقتل بالتعذيب .

(٦) الضمير فى إليه يعود إلى المتلون .

(٧) أى مادام السر جزءا من الدم وهو قوام النفس ، فقده يساوى فقد النفس .

(٨) أى كل ضرر يستطيع المال أن يصلحه ليس بكبير .

(٩) أى فقد المال الذى يصلح اخلال الأمور أعظم من فقد أى أمر .

(١٠) رقاً الدم : جف وسكن ، والرقوة كصبور : ما يوضع على الدم ليرقته : أى أنها تحقن الدماء

وقد قَضُوا بأن حفظ المال أشدُّ من جمعه ، ولذلك قال الشاعر :

وَحِفْظُكَ مَالًا قَدْ عُنَيْتَ بِجَمْعِهِ أَشَدُّ مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

ولذلك قال مشترى الأرض لبائعها حين قال له البائع : دفعْتُها إليك بطيئَةً

الإجابة ، عظيمة المَثْوَنَةُ^(١) ، قال^(٢) : دفعْتُها^(٣) إليك بطيئَةً الاجتماع ، سريعة

التفرق ، والدرهم هو القُطْبُ الذي تدور عليه رَحَى الدنيا . واعلم أن التلخص

من نزوات الدرهم وتقلُّبه من سُكْرِ الغنى وتقلُّبه شديد^(٤) ، فلو كان إذا تملَّتْ

كان حارسُه صحيحَ العقل سليم الجوارح كَرَدَّه في عقاله ، ولشَدَّه بوثاقه ،

ولكننا وجدنا ضعفه عن ضبطه بقدر قلَّقه في يده^(٥) ، ولا تغترَّ بقولهم :

« مال صامِتٌ^(٦) » فإنه أنطقُ من كل خطيب ، وأنمُّ من كل نمام . فلا

تكثرِثُ بقولهم : « هذين الحجرين^(٧) » فتوهَّم جمودَهما وسكونَهما وقلةَ

ظعنَهما وطولَ إقامتهما ، فإنَّ عملَهما وهما ساكنان . ونقضَهما للطبائع وهما

ثابتان ، أكثرُ من صنيع السَّمِّ الناقع ، والسَّبْعِ العادي ، فإن كنت لا تكتفي

لأنها تدفع في الديات فيكف صاحب الثأر عن طلبه فيحقن دم الفانل ، وحواب لو محذوف : أي لكفاها
فضلا وهر من قول أكرم بن صفي - انظر جمهرة خطب العرب ١ : ٣٠٠ .

(١) الضمير في دفعها يعود للأرض أي أنها لا تسر إلا بعد مدة وهي تحتاج إلى هفوات كثيرة حتى

تسر . (٢) الضمير في قال يعود للمشتري .

(٣) الضمير في دفعها يعود للدرهم وهي تمس الأرض .

(٤) قلب الدرهم : انتقاله من يد إلى يد ، ويكون أكر قلب الدرهم بسبب الاعتزاز بالعمى : أي إن

رياضة الدرهم ومنعه من القلب والفرار عند ما ندرك صاحبه نشوة العمى والاستهانة بالمال ليست
بالأمر الهين .

(٥) أي أما شاهدنا ضعف مالك الدرهم عن حبسه ماويا لثلق الدرهم ورعبته في الفرار .

(٦) المال الصامت : الذهب والفضة ونحوهما ، والمال الناطق : الحيوان .

(٧) نصبه على تقدير : اجمع هذين الحجرين مثلا ، وهما الذهب والفضة .

بصنيعه^(١) حتى تُمدّه ، ولا تحتالُ فيه حتى يُحتالَ له ، فالقبرُ خيرُ لك من الفقر ، والسجنُ خيرُ لك من الدُّلِّ .

وقولى هذا مرُّهُ يُعقِبُ حلاوةَ الأبد ، نخذ لنفسك بالثقة^(٢) ، فقوئك الماضى حلو يُعقِبُ مرارةَ الأبد ، نخذ لنفسك بالثقة ، ولا ترضَ أن يكون الحِرْبَاءُ الرَّاكِبُ العُودِ أَحزَمَ منك ، فإن الشاعر يقول :

أنى أتبيح لها حِرْبَاءَ تَنْضِيبةٍ لا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكاً سَاقاً^(٣)
واحذر أن تُخْرَجَ من مالكِ درهماً حتى ترى مكانه خيراً منه ، ولا تنظرُ إلى كثيرته ، فإن رملَ عالج^(٤) لو أخذ منه ولم يُردَّ عليه لذهبَ عن آخره ، إن القومَ قد أكثرُوا في ذكر الجودِ وتفضيله ، وفي ذكر الكرمِ وتشريفه ، وسَمَّوا الشَّرْفَ جوداً وجعلوه كرمًا ، وكيف يكون كذلك وهو نتاجُ ما بين الضعف والتفجج^(٥) ، وكيف والعطاء لا يكون سرفاً إلا بعد مجاوزة الحق ، وليس وراء الحق إلى الباطلِ كرمٌ ، وإذا كان الباطلُ كرمًا كان الحقُّ لؤماً ، والسرفُ - حفظك الله - معصيةٌ ، وإذا كانت معصيةُ الله كرمًا ، كانت

(١) الضمير في صنيعه يعود إلى درهم ، وحتى تمده : أى تساعده على التفتت .

(٢) أى حصن نفسك بالثقة بهذا القول .

(٣) الحِرْبَاءُ مذكر والتنضبة : شجرة حجازية شائككة ، والحرباء يشتد عليه حر الشمس ويلجأ إلى ساق شجرة يستظل بظلها ، فإذا أدركته الشمس تحوّل إلى ساق أخرى ، وهو مثل يضرب لمن لا يدع له حاجة إلا سأل أخرى - انظر جمع الأمثال ٢ : ١١١ ، وجاء في لسان العرب مادة حرب « قال أبو داود الأيادى : أنى أتبيح له ... قال ابن برى : هكذا أشده الجوهري وصواب إنشاده « أنى أتبيح لها » لأنه وصف ظعنا ساقها وأزجها سائق مجد ، تنعجب كيف أتبيح لها هذا السائق المجد الحازم ، وهذا مثل يضرب للرجل الحازم ، لأن الحرباء لا يعارق العصفير الأول حتى يثبت على العصفير الآخر » .

(٤) عالج : رمال معروفة بالبادية .

(٥) التفجج : التفاخر الكاذب بالمال .

طاعته لئوما ، ولئن جمعهما^(١) اسم واحد ، وشملهما حكم واحد (ومضادة^(٢))
الحق للباطل كمضادة الصدق للكذب ، والوفاء للعدو ، والجور للعدل ،
والعلم للجهل) لِيَجْمَعَنَّ هذه الخصال اسم واحد ، وَلِيَشْمَلَنَّهَا حكم واحد ،
وقد وجدنا الله عاب السرف ، وعاب الحمية^(٣) ، وعاب المعصية ، ووجدناه
قد خص السرف بما لم يخص به الحمية^(٤) ، لأنه ليس حب المرء لرهطه من
المعصية ، ولا أنفته من الضيم من حمية الجاهلية ، وإنما المعصية ما جاوز الحق ،
والحمية المعيبة ما تعدى القصد ، فوجدنا اسم الأتفة قد يقع محموداً ومذموماً ،
وما وجدنا اسم المعصية ولا اسم السرف يقع أبداً إلا مذموماً ، وإنما يسرُّ
باسم السرف جاهل لا علم له . أو رجل إنما يسرُّ به لأن أحداً لا يسميه
مُسْرِفاً حتى يكون عنده قد جاوز حد الجود . وحكم له بالحق ثم أردفه
بالباطل^(٥) ، فإن سر من غير هذا الوجه^(٦) ، فقد شارك المادح في الخطأ ،
وشاكلة في وضع الشيء في غير موضعه .

وقد أكثروا في ذكر الكرم ، وما الكرم إلا كِبَيْض الخصال
المحمودة التي لم يعدمها بعض النعم^(٧) ، وليس شيء يخلو من بعض النقص

(١) أي جمع السرف والكرم .

(٢) هذه الجملة حالية معترضة بين القسم (لئن جمعهما) وحوابه (ليجمعن) .

(٣) الحمية : سدة الأتفة ، وهي الغضب والإيذاء للحماية ، قال تعالى : « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ » .

(٤) أي مع أن الله عاب الحمية فإن هناك ضرباً من الحمية محموداً ، أما السرف والمعصية فمذموماً على الإطلاق ، وليس في أحدهما نوع محمود .

(٥) أي أنه يسر بوصفه بالسرف ، لأن هذا الوصف يتضمن معنى الجود ، ثم مجاوزة الحد فيه ، فواصفه في هذه الحال حكم له بالجود ضمناً ، وهذا حق ، ثم أردفه بالباطل وهو مدح السرف .

(٦) أي وظن أن مادحه يصفه بالجود المحمود الذي لم يخرج إلى السرف .

(٧) أي لم يفقد منها بعض النعم بتجاوزها القصد أو بالمغالاة فيها .

والوهن ، وقد زعم الأولون أن الكرم يسبب الغبا^(١) ، وأن الغبا يسبب
البله^(٢) ، وأنه ليس وراء البله إلا العته^(٣) ، وقد حكوا عن كسرى أنه قال :
« احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللثيم إذا شبع » وسواء جاع فظلم ،
وأحفظ وعسف ، أم جاع وكذب ، وضرع وأسف^(٤) ، وسواء جاع فظلم
غيره ، أم جاع فظلم نفسه ، والظلم لؤم ، وإن كان الظلم ليس بلؤم ،
فالإنصاف ليس بكرم ، وإن كان الجود على من لا يستحق الجود كرما ،
فالجود لمن وجب له ذلك ليس بكرم ، فالجود إذا كان لله كان شكرا له ،
والشكر كرم ، ولن يكون الجود إذا كان معصية كرما ، وكيف يتكرم
من يتوصل بأياديك إلى معصيتك ، وبنعمك إلى سُخْطك ، فليس الكرم
إلا الطاعة ، وليس اللؤم إلا المعصية ، وليس مجود ما جاوز الحق ، وليس
بكرم ما خالف الشكر ، ولئن كان مجاوز الحق كريما ليكون المقصر دونه
كريما^(٥) ، فإن قضيتم بقول العامة^(٦) فالعامة ليست بقدوة . وكيف يكون
قدوة من لا ينظر ولا يُحصّل ، ولا يفكر ولا يمتل^(٧) ، وإن قضيتم بأقاويل
الشعراء وما كان عليه أهل الجاهلية الجهلاء ، فما قبّحوه مما لا يُسك في
حُسنه أكثر من أن تقف عليه أو تتشاغل بأسنقصائه .

(١) الغبا : عدم القطعة ، عني الشيء وعنه كفرح عا وعماوه ، وعارة السح « أن الكرم
يسبب العبي وأن العبي ... » .
(٢) الله : ضعف العقل وماه فرح .
(٣) في السح « المعتوه » والعته : نفس العفل أو فسه ، والمراد بها الثاني .
(٤) أسف : انحط إلى دينيات الأمور .
(٥) أي إذا عد مجاور الكرم إلى السرف كريما ، حار أن يعد المقصر دون حد الكرم كريما
مادام معي الكرم لا يدرك إدرا كما هججا .
(٦) وهو عدم كل سرف كرما .
(٧) لا يمتل : أي لا يصور الحقائق تصويرا صادقا .

على أنه ليس بجودٍ إلا ما أوجب الشكرَ ، كما أنه ليس يُنخلُ إلا ما أوجب اللؤمَ ، ولن تكون العطيةُ نعمةً على المعطى حتى تُراوَدَ بها^(١) نفسُ ذلك المعطى ، ولن يجب عليه الشكرُ إلا مع تسيطة القصد ، وكلُّ من كان جوده يرجع إليه - ولولا رجوعه إليه لما جادَ عليك ، ولو تهباً له ذلك المعنى في سواك ، لما قصَدَ إليك - فإنما^(٢) جعلك معبراً لدرك حاجته ، ومَرَّ كبا لبلوغ محبته ، ولولا بعضُ القول^(٣) لوجبَ لك عليه حق يجب به الشكر ، فليس يجب لمن كان كذلك شكرٌ ، وإن انتفعتَ بذلك منه ، إذ كانَ لنفسه عملٌ ، لأنه لو تهباً له ذلك النفعُ في غيرك لما تخطأَ إليك .

وإنما يوصف بالجود في الحقيقة ، ويُشكر على النفع في حجة العقل ، الذي إن جاد عليك فلاك جاد ، ونفعك أراد ، من غير أن يرجع إليه جوده بشيء من المنافع على جهةٍ من الجهات . وهو الله وحده لا شريك له ، فإن شكرنا للناس على بعض ما قد جرى لنا على أيديهم ، فإنما هو لأمرين : أحدهما التعبُّد ، وقد عبَدَ الله بتعظيم الوالدين وإن كانا شيطانين ، وتعظيم من هو أسنُّ^(٤) منا ، وإن كنا أفضلَ منه ، والآخِرُ لأن النفس مالم تحصلِ الأمورَ وتميزَ المعاني ، فالسابقُ إليها حُبٌّ من جرى لها على يده خيرٌ ، وإن كان لم يُردّها ولم يقصدِ إليها .

ووجدنا عطية الرجل لصاحبه لا تخلو أن تكون لله ، أو لغير الله ، فإن

(١) تراود : أي قصد ونعى ، أي إذا أريد بها نفس الآخذ لا ما يسيطر منه من فائده .
(٢) حمله فإنما حذر للمستدل « وكل من كان حوده » وقرن الحذر بالغاء للدلالة المتدا على العموم .
(٣) أي ولولا الخوف من بعض القول وهو أن تنهم بالمعاليه لعلنا بوجوب شكر الخواد للمحود عليه
(٤) كذا في عيون الأحرار ، وفي اللسخ « من هو شرما وإن كما أفضل منهم » .

كانت لله فتوابعه على الله ، وكيف يجب على في حُجَّة العقل شكره ، وهو لو صادف ابن سبيلٍ غيري لما حملني^(١) ولا أعطاني ، وإما أن يكون إعطاؤه إياي للذكر ، فإذا كان الأمر كذلك فإنما جعلني سلما إلى تجارته ، وسببا إلى بُنيته ، أو يكون إعطاؤه إياي من طريق الرحمة والرفقة ، ولما يجد في فواده من العُصَّة والألم ، فإن كان لذلك أعطى فإنما دأوى نفسه من دائه ، وكان كالذي رَفَّه من خنائه ، وإن كان إنما أعطاني على طلب المجازاة وحبُّ المكافأة ، فأمرُ هذا معروف ، وإن كان إنما أعطاني من خوف يدي أو لساني ، أو اجترار معونتي ونصرتي^(٢) ، فسبيله سبيلُ جميع ما وصفنا وفضَّنا .

فلا سَمَّ الجود موضعان : أحدهما حقيقةً ، والآخر مجاز ، فالحقيقة : ما كان من الله ، والمجاز : المشتقُّ من هذا الاسم^(٣) ، وما كان لله كان ممدوحا ، وكان لله طاعةً ، فإذا لم تكن العطية من الله ، ولا لله ، فليس يجوز هذا فيما سَمَّوه جودا ، فما ظنك بما سَمَّوه سرقا ؟

افهم ما أنا مُوردُه عليك ، وواصفُه لك ، إن التربُّح والتكسب والاستئكال^(٤) بالخدعة والطعم الخبيثة فاشيةٌ غالبيةٌ ، ومستفيضةٌ ظاهرةٌ ، على أن كثيرا ممن يضافُ اليوم إلى النزاهة والتكريم ، وإلى الصيانة والتوقُّف ،

(١) حمله : أعطاه طهرا ركبته .

(٢) كذا في عيود الأخبار ، وفي السج « أو صرف معونتي ومصرتي » .

(٣) قسم الجود قسمين : حقيقي وهو ما كان من الله مباشرةً ، ومحاري وهو ما كان مشتقا ومفرعا من جود الله وآتيا على يد مخلوق .

(٤) استأكل : أخذ أموال الضعفاء كالنساء واليتامى ونحوهم وعاش عليها .

لِيَأْخُذُ مِنْ ذَلِكَ بِنَصِيبٍ وَافِرٍ ، وَبِعُدَّةٍ وَافٍ ^(١) ، فَمَا ظَنُّكَ بِدَهْمَاءِ النَّاسِ
وَجُمْهُورِهِمْ ؟ بَلْ مَا ظَنُّكَ بِالشُّعْرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ الَّذِينَ إِنَّمَا تَعَلَّمُوا الْمُنْطِقَ لِمَنْعَةِ
التَّكْسِبِ ؟ وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ بُوِّدَتْ أَنْ أَرْبَابَ الْأَمْوَالِ قَدْ جَاوَزُوا حَدَّ السَّلَامَةِ إِلَى
الغَفْلَةِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لِلْأَمْوَالِ حَارِسٌ ، وَلَا دُونَهَا مَانِعٌ ، فَاحْذَرِهِمْ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى
بِرَّةٍ ^(٢) أَحَدِهِمْ ؛ فَإِنَّ الْمَسْكِينَ أَقْنَعُ مِنْهُ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَوَكِبِهِ ، فَإِنَّ السَّائِلَ أَعْفَى
عِنْدَهُ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ فِي مَسْكَئِ ^(٣) مَسْكِينٍ ، وَإِنْ كَانَ فِي ثِيَابِ جَوَادٍ ^(٤) ، وَرُوحِهِ رُوحِ
نَذْلٍ ، وَإِنْ كَانَ فِي جِرْمِ مَلِكٍ ، وَكَلِمَتِهِمْ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ وَجْرُهُ مُسْأَلَتِهِمْ ، وَاخْتَلَفَتْ
أَقْدَارُ مَطَالِبِهِمْ ، فَهُوَ مَسْكِينٌ إِلَّا أَنْ وَاحِدًا يَطْلُبُ الْعَلِقَ ^(٥) ، وَآخِرُ يَطْلُبُ
الْحَرِيقَ ، وَآخِرُ يَطْلُبُ الدُّوَانِيقَ ^(٦) ، وَآخِرُ يَطْلُبُ الْأَوْفَ ، فَجَهَةٌ هَذِهِ هِيَ
جَهَةٌ هَذَا ، وَطُعْمَةٌ ^(٧) هَذِهِ طُعْمَةٌ هَذَا ، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَقْدَارِ مَا يَطْلُبُونَ
عَلَى قَدْرِ الْحِذْقِ وَالسَّبَبِ ^(٨) ، فَاحْذَرُوا قَامَ ^(٩) وَمَا نَصَّ وَأَلَكَ مِنَ الشَّرِّكَ ،
وَاحْرُسْ نِعْمَتَكَ وَمَا دَسَّوْا لَهَا مِنَ الدَّوَاهِي ، وَاعْمَلْ عَلَى أَنْ مَسْحَرَهُمْ يَسْتَرِقُ
الذَّهْنَ ، وَيَخْتَطِفُ الْبَصَرَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ الْبَيَانِ
لِسِحْرًا » وَسَمِعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فِي حَاجَةٍ فَقَالَ : « هَذَا وَاتَّهِ
السُّحْرُ الْحَلَالُ » وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا خِلَابَةَ ^(١٠) »

(١) المد : مكيال مقداره رطل وثلاث عند أهل الحجاز ، والمراد « هـا مطلق مقدار .

(٢) البرة : حس الهيئة . (٣) المسك : الخلد .

(٤) في نص السح « حداد » .

(٥) العاق : كسر ويفتح : العيس من كل شيء .

(٦) الداني بكسر الهمزة وفتح والداق : سدس الدرهم .

(٧) الطعنة : وحة المكسب . (٨) السب الوسيلة .

(٩) الرقي جمع رقية وهي كلمات تقرأ للمحوم والمصروع ليشفي . والمعنى أن لهم كلاما كالسحر .

(١٠) الخلابة : الخداع ، وفي الحديث « إذا بايعت فقل : لا خلابة » .

واحذر احتمال مديحهم ، فإن محتمل المديح في وجهه كما دح نفسه .
 إن مالك لا يسع مريديه ، ولا يبلغ رضا طالبيه ، ولو أرضيتهم بإسقاط
 مثلهم لكان ذلك خسرانا مينا ، فكيف ومن يسخط أضعاف من يرضى ؟
 وهجاء الساخط أضر من فقد مديح الراضى ، وعلى أنهم إذا اعتوروك
 بمشاقصهم^(١) ، وتداولوك بسهامهم ، لم تر من أرضيته بإسقاطهم أحداً
 يناضل عنك . ولا يهاجى شاعرا دونك ، بل يُخلِّيك غرضا لسهامهم ،
 ودرية^(٢) لنبالهم ، ثم يقول : وما كان عليه لو أرضاهم ! فكيف يرضيهم ،
 ورضا الجميع شىء لا يُنال ؟ وقد قال الأول : وكيف يتفق لك رضا المختلفين ؟
 وقالوا : منع الجميع أرضى للجميع ، إني أحذرك مصارع المخدوعين ،
 وأرفعك عن مضاجع المغبونين ، ولست^(٣) كمن لم ينزل يقامى تعذر
 الأمور ، ويتجرع مرارة العيش ، ويحمل ثقل الكد ، ويشرب بكأس
 الذل ، حتى كاد يمرن على ذلك جلده ، ويسكن عليه قلبه ، وفقر مثلك
 مضاعف الألم ، وجزع من لم يعرف الألم أشد ، ومن لم ينزل فقيرا فهو
 لا يعرف الشامتين ، ولا يدخله المكروه من سرور الحاسدين ، ولا يلام
 على فقره ، ولا يصير سوعظة لغيره ، وحديثا يبقى ذكره ، ويلعبه بعد
 المات ولده .

ودعنى من حكايات^(٤) المستأكلين ، ورقي الخادعين . فما زال الناس

(١) المشاقص : جمع مشقص كسر ، وهو المصل العريس .

(٢) ما يشتر به .

(٣) في السح إلك كمن الخ وهو غير مناسب لسباق المعنى ، لأنه يريد أن يقول : إلك لم تعد
 الفقر حتى يكون ألمه خفيفا ، وفقر مثلك بعد المعنى يكون مضاعف الآلام شديد الوقع .

(٤) أى ما اخترعونه من حكايات مكذوبة في الكرم الذى تجاوز الحد لداع ضعفاء العقول .

يحفظون أموالهم من مواقع السرف ، ويحنبونها وجوه التبذير ، ودعنى
مما لا نراه إلا فى الأشعار المتكلمة ، والأخبار المولدة ، والكتب الموضوعة ،
فقد قال بعض أهل زماننا : ذهبت المكارم إلا من الكتب .

نخذ فيما تعلم ، ودع نفسك مما لا تعلم ، هل رأيت أحدا قط أنفق
ماله على قوم كان غنهم سبب فقره أنه سلم^(١) عليهم حين افتقر فردوا عليه ،
فضلا على غير ذلك^(٢) ؟ أو لست قد رأيتهم بين محقق ومحتجب عنه ، وبين من
يقول : فهلا أنزل حاجته بفلان الذى كان يفضله ويقدمه ويؤثره ويخصه ؟
ثم لعل بعضهم أن يتجنى عليه ذنوبا ليجمعها عذرا فى منعه ، وسببا إلى حرمانه ،
قال الله جل ذكره « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ . خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ
وَهُمْ سَآمُونَ^(٣) » فأنا القائم عليك بالوعظة والزجر والأمر والنهى ، وأنت
صالح العقل والعرض ، وافر المال ، حسن الحال ، فاتق أن أقوم غدا على
رأسك بالتقريع والتعير ، وبالتوبيخ والتأنيب ، وأنت عليل القلب ، مختل
العرض ، عديم من المال ، سيئ الحال ، ليس جهد البلاء^(٤) مد الأعناق ،
وانتظار وقع السيوف ، لأن الوقت قصير ، والحس مغمور ، ولكن جهد
البلاء أن تظهر الخلة^(٥) ، وتطول المدة ، وتمجز الحيلة ، ثم لا تعدم صديقا

(١) المصدر المؤول بدل من أحدا .

(٢) أى فضلا على الإيداء والتشنيع وعدم الوفاء له .

(٣) سياق الآية الكريمة أن من استطاع أن يعمل شيئا ولم يعمله ، أسف عند فوات الفرصة على

عجزه عن عمله .

(٤) جهد البلاء : عاية ماتصل إليه المصيبة .

(٥) الخلة : العاقبة والحاجة .

مؤنبا ، وابن عمّ شامتا ، وجارا حاسرا^(١) ، ووليا قد تحوّل عدوا ، وزوجة
مختلعة^(٢) ، وجارية مستبيعة^(٣) . وعبدا يحقرك ، وولدا ينتهرك ، فانظر أين موقع
فوت الثناء من موقع ما عددنا عليك من هذا البلاء ؟ على أن الثناء طعم^(٤) ،
ولعلك ألا تطعمه^(٥) ، والحمد أرزاق^(٦) ولعلك ألا تحرمه ، وما يضيع من إحسان
الناس أكثر^(٧) .

وعلى أن الحفظ^(٧) فد ذهب بموت أهله ، ألا ترى أن الشعر لما كسد
أغيم أهله ، ولما دخل النقص على كل شيء أخذ الشعر منه بنصيبه ؟ ولما تحولت
الدولة في العجم - والعجم لا تحوط الأنساب ، ولا تحفظ المقامات ، لأن من
كان في الريف^(٨) والكفاية ، وكان معمورا بسكر الغنى ، كثر نسيانه ،
وقلت خواطره ، ومن احتاج تحركت همته ، وكثر تنقيره^(٩) . وعيب الغنى
أنه يورث البلادة ، وفضيلة الفقر أنه يبعث الفكر ، وإن أنت صبحت الغنى
بإهمال النفس أسكرك الغنى ، وسكر الغنى سبة المستأكلين ، ونهزة
الخدّين ، وإن كنت لا ترصى بحظّ النائم ، ويعيش البهائم ، وأحييت أن

(١) الحاسر : المذهب الحربي

(٢) المختلعة : من دعت إلى روحها مالا فطقتها .

٣١١ اسماعه الشيء : سأله أن يبيعه إياه . والحارة المسعة : هي التي سألت سيدها أن يبيعه ،
والسبها فقره وصق الحياة عنده .

(٤) جمع طعمة : وهي الأكلة .

(٥) أي إن حذب وأسرمت ، وقوله « ألا تحرمه » أي إن عجلت وأمسكت ، ورعا كان الأصل
« أن تطعمه » على تقدير « إن عجلت » كما هو التقدير في الثاني .

(٦) أي أن الصائغ من أبحار الإحسان أكبر مما يبي منها ، فلا تغتر بأن الإحسان يفتي لك حسن
الذكر فإنه عرصة للإنسان .

(٧) أي حفظ الحمل والمعروف أو حفظ أبحار الكرماء .

(٨) الريف : الأرض فيها ررع وحصب .

(٩) أي عنه عن الأسباب وممارل الرجال وأبحار الناس وأيامهم ليتحد من ذلك تصبغة للمدح .

تجمع مع تمامِ نفسِ المُثْرَى ، ومع عز الغنى وسرور القدرة ، فِطْنَةَ الْمُخِفِّ ،
وخواطرَ المُقِلِّ ، ومعرفةَ المَهارِبِ ، واستدلالَ الطالبِ ، اقتصدتَ في
الإِنْفَاقِ ، وكنتَ مُعِدًّا لِلْحَدَثَانِ ، ومُحْتَرِسًا من كلِّ خَدَاعٍ .

لست تبلغ حَيْلَ لصوصِ النهارِ ، وحَيْلَ سُراقِ الليلِ ، وحيلَ طُرَاقِ
الْبُلْدَانِ ، وحيلَ أَصحابِ الكِيميَاءِ ، وحيلَ التَّجَارِ في الأسواقِ ، والصَّنَاعِ في
جميعِ الصناعاتِ ، وحيلَ أَصحابِ الحروبِ ، وحيلَ المُستأَكِلِينَ والمُتَكَسِّبِينَ ،
ولو جمعتَ الخُبْرَ^(١) والسَّحْرَ وَالتَّمائمَ^(٢) والسِّمَّ ، لكانت حيلهم في الناسِ أَشدَّ
تغلُّلاً ، وأعرضَ وأَسْرَى في عُمُقِ البدنِ ، وأدخَلَ إلى سُويداءِ القلبِ وإلى
أُمَّ الدِّماغِ ، وإلى صميمِ الكبدِ ، ولَهِيَ أدقُّ مُسَلِّكًا ، وأبعَدُ غايةٍ من
العِرْقِ^(٣) السَّارِي ، والشَّبهِ النازعِ^(٤) . ولو اتَّخَذتَ الحِيطَانَ الرَفيعةَ الثَّخينةَ ،
والأقفالَ المُحكَّمةَ الوثيقةَ ، ولو اتَّخَذتَ المَمارِقَ^(٥) والجواسِقَ^(٦) والأبوابَ
الشُّدادَ ، والحَرَاسَ المتناوِِبِينَ بأغْلاظِ المِوَأَنِ ، وأشدَّ الكُلْفِ ، وتركتَ التَّقدمَ
فيما هو أَحْضَرُ ضَرراً^(٧) ، وأدومُ شِراً ، ولا غُرْمَ عَلَيْكَ في الحِرَاسَةِ فيه ، ولا
مَشَقَّةَ عَلَيْكَ في التَّحْفِظِ منه^(٨) ، إِيَّاكَ إِنْ فَتَحْتَ لَهُمْ عَلَى نَفْسِكَ ، مِثْلَ سَمِّ

(١) الحِر: تمام المعرفة .

(٢) التَّمائم: جمع تَمِيمَة ، وهي حررة أو وَها يعاقبها الأعراب على أولادهم لدفع الشر .

(٣) العِرْق: حدر السات .

(٤) أي شه الأسماء بأناهم وأحداهم ، فإن الشبه قد يسرى إلى غاية بعيدة في النسب .

(٥) المَمارِق: جمع مَمْرَقٍ بالفتح ، وهو لها المكان الخفي للفرار .

(٦) جمع حوسق بالفتح : وهو الفصر .

(٧) هو حيل المُستأَكِلِينَ وتعلق المُحتَدِينَ .

(٨) جواب لو احدث المارق محذوف بدل عليه ماقله : أي لكات حيلهم أَشدَّ .

الْخِيَاطِ جَعَلُوا فِيهِ طَرِيقًا نَهْجًا ، وَلَقِيَ^(١) رَحْبًا ، فَأَحْكِمِ بَابَكَ ، ثُمَّ أَدِمِ^(٢) إِصْفَاقَهُ ، بَلْ أَدِمِ إِغْلَاقَهُ ، فَهُوَ أَوْلَى بِكَ ، وَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى مُصَمَّتٍ^(٣) لَاحِيَلَةَ فِيهِ فَذَلِكَ أَشْبَهُ بِحَزْمِكَ ، وَلَوْ جَعَلْتَ الْبَابَ مُبْهَمًا ، وَالْقُلَّ مُصَمَّتًا ، لَتَسَوَّرُوا عَلَيْكَ مِنْ فَوْقِكَ ، وَلَوْ رَفَعْتَ سَمَكَةَ إِلَى الْعَيْوُقِ^(٤) لَنَقَبُوا عَلَيْكَ مِنْ تَحْتِكَ : قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : « نِعِمَّ صَوْمَعَةُ الْمُؤْمِنِ بَيْتُهُ » وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ : « الْعَزَلَةُ عِبَادَةٌ » .

وَحَلَاوَةٌ حَدِيثُهُمْ^(٥) تَدْعُو إِلَى الْاِسْتِكْثَارِ مِنْهُمْ ، وَتَدْعُو إِلَى إِحْضَارِ^(٦) غَرَائِبِ شَهْوَاتِهِمْ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : « كُلُّ رِخْلَةٍ^(٧) وَاشْرَبَ مِشْعَلًا^(٨) ، ثُمَّ تَجَشَّأَ وَاحِدَةً لَوْ أَنَّ عَلَيْهَا رَحَى لَطَحَنْتَ » وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ حِينَ دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ يَشْرَبُونَ ، وَعِنْدَهُمْ قِيَانٌ ، فَقَالُوا : أَقْتَرِحْ أَيُّ صَوْتٍ شَدَّتْ ، قَالَ : « أَقْتَرِحْ نَشِيشَ^(٩) مِقْلَى » وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْمَدِينِيِّ^(١٠) : « مَنْ تَصْبِغُ بِسَبْعِ مَوْزَاتٍ ، وَبِقَدَحٍ مِنْ لَبَنِ^(١١) الْأَوَارِكِ ، تَجَشَّأَ بِمَجُورٍ^(١٢) الْكَعْبَةِ » .

(١) اللقي في الأصل : اللقاء ، والمراد به هنا مكان اللقاء .

(٢) إصفاق الباب : رده بعد أن كان مفتوحا .

(٣) المصمت والمبهم : الباب أو القفل لا يهتدى إلى طريقة فتحه إلا صاحبه .

(٤) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف الحجر الأيمن يتلو الثريا .

(٥) أي حديث المتأكلين والتكسين .

(٦) أحضر الفرس : عدا ، وإحضار غرائب الشهوات : تسابقها في الظهور .

(٧) الرخلة : الأثني من أولاد الضأن .

(٨) المشعل : شيء يتخذه أهل البادية من جلود يخرز بعضها إلى بعض ، ثم يشد إلى أربع قوائم من خشب فيصير كالحوض ينبذ فيه ، يقول : اشرب قدر مائي مشعل من نبيذ .

(٩) النشيش : صوت غليان القدر والمقلي ونحوهما .

(١٠) قال في القاموس : « والنسبة إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم مدني ، وإلى مدينة النصور وأصفهان وغيرها مديني » .

(١١) الإبل الأوارك : التي اعتادت أكل الأراك ، وفي النسخ « من لبن الأوداك » .

(١٢) في النسخ « مجوز » وهي غير مفهومة .

ومن ذلك قولهم لبعض هؤلاء - وقد أمهم خبيص^(١) - : « أئما
أطيب : أهذا أم الفالودج^(٢) ، أم اللوزينج^(٣) ؟ » قال : « لا أقضي على
غائب » ومن ذلك كلام الجارود بن أبي سبرة لبلال بن أبي بريدة حين قال
له : صف لي عبد الأعلى^(٤) وطعامه ، قال : « يأتيه الخباز فيمثل بين يديه ،
فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندي جدى كذا ، وعناق^(٥) كذا ، وبطة
كذا ، حتى يأتي على جميع ما عنده » قال : وما يدعو إلى هذا ؟ قال :
« ليقتصد^(٦) كل أمرئ في الأكل ، حتى إذا أتى بالذى يشتهى بلغ منه
حاجته » قال : ثم ماذا ؟ قال : « ثم يؤتى بالمائدة فيتضايقون^(٧) حتى يخوى
تحوية الظليم^(٨) ، فيجدون ويهزل ، حتى إذا قتروا أكل أكل الجائع
المقروور^(٩) » وقال آخر : « أشتهي ثريدة دكنا^(١٠) من الفلفل ،

(١) الخبيص : نوع من الحلواء ، قال صاحب الفاموس : يعمل من التمر والسمن .

(٢) الفالوذ والفالودج والفالودق : حلواء ، قال صاحب اللسان : تسوى من لب الخنطة ، فارسي
مغرب ، وسمع الحسن رجلا يعيب الفالودج فقال : لئب البر بلعاب النحل بحالص السمن ، ما عاب هذا
مسلم (العقد الفريد ٣ : ٣١٢ وعيون الأخبار ٩ : ٢٠٣) وقال الجاحظ في البخلاء ص ١٩٣ :
ومدحه أمية بن أبي الصلت فقال :

الى رده من الشيزى عليها لباب البر يلبك بالشهاد

(٣) اللوزينج : حلواء شبه القطائف تؤدم بدهن اللوز ، فارسي مغرب .

(٤) يعنى عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر .

(٥) العناق : الأئى من ولد المعز .

(٦) فى الأصل « ليقتصر » وهو تحريف .

(٧) أى أخذ كل واحد يضيق مكانه حول المائدة حتى تتسع لهم جميعا .

(٨) الضمير فى يخوى يعود إلى عبد الأعلى ، وخوى : فرج ما بين عضديه وجنبه ، والظلم :
ذكر النعام .

(٩) المقروور : الذى أصابه الفر وهو البرد - اقرأ خبر هذا الحديث أيضا فى العقد الفريد ٣ : ٣١٢
ويعيون الأخبار ٩ : ٢١٥ .

(١٠) دكنا : يضرب لونها إلى السواد .

ورقطاء^(١) من الحمص ، ذات حِفَافَيْنِ^(٢) من اللحم ، لها جناحان من العراق^(٣) ، أُضْرِبُ فيها ضربَ اليتيم عند وصيِّ الشَّوْءِ^(٤) .

وسئل بعضهم عن حظوظ البلدان في الطعام ، وما قُسم لكل قوم منه ؟ فقال : « ذهب الروم بالجشم^(٥) والحشو ، وذهبت فارس بالبارد والحلوى » وقال عمر : « لفارس الشفارج^(٦) والحموض^(٧) ، فقال دوسر المديني : « لنا الهرائس^(٨) والقلايا ، ولأهل البندو اللبأ^(٩) والسلا^(١٠) والجراد والكماة^(١١) والخبزة في الرائب والتمر بالزبد ، وقد قال الشاعر :

ألا ليت خبزاً قد تسربلَ رائباً وخيلاً من البرنيِّ فُرسانها الزُّبْدُ^(١٢)

(١) رقطاء . أي سوداء يشوبها نقط بيضاء ، أو بيضاء يشوبها نقط سوداء .

(٢) الحفاف : الجانب .

(٣) قال في اللسان « العرق بالفتح : العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة فتكسر وتطبخ وتؤخذ إهالتها من طفاحتها ويؤكل ما على العظام من لحم دقيق وتمشش العظام ، ولحمها من أطيب اللحمان عندهم ، وجمعه عراق بالضم ، قال ابن الأثير : وهو جمع نادر » .

(٤) انظر هذا الحديث أيضاً في العقد الفريد ٣ : ٣١٣ - ٣١٤ ، وعيون الأخبار ٩ : ١٩٨ ، وفيهما « كما يضرب ولي السوء في مال اليتيم » وهو أولى .

(٥) الجشم : الجوف أو الصدر بضموعه ، وفي عيون الأخبار ٩ : ٢٠٤ « أما الرومي فذهب بالحشو والأحشاء » وأما الفارسي فذهب بالبارد والحلواء .

(٦) في النسخ « الشفارج » وقال صاحب القاموس واللسان . « الشفارج : الطبق فيه الفيخات والسكرجات فارسي . عرب » - والبيخة : (بالفتح) السكرجة ، (بضمتين وتشديد الراء) فهو عطف مرادف - قال صاحب اللسان : « السكرجة : إناء صدير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية ، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها » - وقال صاحب التاج في السكرجة : « إن العرب كانت تستعملها في الكوامخ وأشباهاها من الجوارش على الموائد حول الأطلعة للتشهي والمضم » .

(٧) الحموض : جمع حمض بالفتح ، وهو كل نبت في طعمه حموضة - والملوحة تسمى الحموضة .

(٨) الهرائس : جمع هريسة ، وهي طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم ، وقلايا : جمع قلية كرزية وهي مرققة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها .

(٩) اللبأ : أول الاب في التاج .

(١٠) سلا السمن كنع : طبخه وعالجه ، والاسم السلاء : ككتاب .

(١١) نبات بالبادية يقال له سحم الأرض .

(١٢) البرني : نوع من التمر ، عرب .

ولهم البرومة^(١) والخلاصة^(٢) والحيس^(٣) والوطيئة^(٤) .
وقال أعرابي : « أتينا بئر كأفواه البعران^(٥) فخبزنا منه خبزة
زيت^(٦) في النار ، فجعل الجمر يتحدر عنها تحدر الحشو عن البطان^(٧) ، ثم
تردناها فجعل الثريد يجول في الإهالة^(٨) جولان الضبعان في الضفيرة^(٩) ، ثم
أتينا بتمر كأعيان الورلان^(١٠) يوحل فيه الضرس^(١١) .
ونعت السويق^(١٢) بأنه من عدد المسافر ، وطعام العجلان ، وغذاء
المبكر^(١٣) ، وبلغة المريض ، يشد فؤاد الحزين ، ويرد من نفس المحدود^(١٤) ،
وحيد في السمين^(١٥) ، ومنعوت في الطيب ، ققاره يجلو البلغم ، ومسمونه^(١٥)
يصفي الدم ، إن شئت كان شريدا ، وإن شئت كان خبيصا ، وإن شئت كان
طعاما . وإن شئت كان شرابا .

-
- (١) قدر من حجارة ، ولعلها تطلق على اسم طعام يطبخ فيها .
(٢) خلاصة السمن : ماخلص منه .
(٣) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط [والأقط مثلثة ويحرك وككتف ورجل وإبل : شئ يتخذ
من الخيض الغضى] فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .
(٤) الوطيئة : تمر يخرج نواه ويعجن بلبن ، والأقط بالسكر .
(٥) يشبه البر في بياضه بأفواه البعران (جمع بعير) لما يعلوها من الرغوة والزبد .
(٦) أى خبزة عجنت بزيت .
(٧) البطان : حزام قنب البعير . (٨) الإهالة : الشحم المذاب .
(٩) الضبع يضم الباء وسكونها مؤنثة ، والذكر ضبعان بالسكر والأنثى ضبعانة أيضا . والضمفرة
من الرمل : ماءظم وتجمع .
(١٠) الورلان جمع ورنل كسبب : وهو زاحف كالضب .
(١١) السويق : مايعمل من الخنطة والشعير .
(١٢) من يقوم في بكرة النهار ، وفي النسخ « التكره » .
(١٣) المحدود : المحروم .
(١٤) أى خير أنواع الطعام السمين ، وفي عيون الأخبار « وهو جيد في السمين » اقرأ هذا
الوصف فيه ج ٩ : ص ٢٠٦ .
(١٥) سمن الطعام : لثته بالسمن فهو مسمون .

وقيل لبعض هؤلاء اللعامة^(١) والمستأكلين والسفافين^(٢) المققمين -
ورئي سمينا - ما أسمنك؟ قال: «أكل الحار، وشربي القار، والاتكاء على
شمالي، وأكلى من غير مالي^(٣)» وقد قال الشاعر:

وإن امتلاء البطن في حسب الفتى قليل الغناء وهو في الجسم صالح^(٤)

وقيل لآخر: ما أسمنك؟ قال: «قلة الفكرة، وطول الدعة، والنوم على
الكظة^(٥)» وقال الحجاج للفضبان^(٦) بن القبعثري: ما أسمنك؟ قال: القيْدُ
والرنة^(٧)، ومن كان في ضيافة الأمير سميناً «وقيل لآخر: إنك لحسن
السحنة^(٨)»، قال: «أكل لباب البر، وصغار المعز، وأدهن بمخام^(٩)
البنفسج، وأبس الكتان» والله لو كان من يسأل يعطى لما قام كرم
العطية بلووم المسألة.

(١) اللعامة: جمع لعظ كجعفر، وهو الحريص الشهوان النهم كالسموظ (كعصفور).

(٢) في النسخ «السفاف» والمفجع: المنكس الرأس أدا.

(٣) اقرأ في عيون الأخبار ٩: ٢٠٤.

(٤) أي أن كثرة الأكل لا تفيد في إعلاء شرف الفتى، ولكنها تفيد الجسم، وفي النسخ
«الغنى» بدل «الفتى».

(٥) وهذا أيضاً في عيون الأخبار، والكظة: شيء يعتري الاسان عند الامتلاء من الطعام.

(٦) من خبره أنه لما هلك بشر بن مروان وولى الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الفضبان
خطيباً بالكوفة يؤلبهم على الحجاج، فكان فيما قال لهم «فاعترضوا هذا الحيت في الطريق فاقتلوه»
«فأطيعوني وتغدوا به قبل أن يتعشى بكم» فلما قدم الحجاج الكوفة بلغه مقالته، فأمر به فأقام
في حبسه ثلاث سنين - اقرأ خطبته في جبهة خطب العرب ٢: ٣٢٠.

(٧) الرنة: الانساع في الحصب، وهو مثل. وأول من قاله عمرو بن الصعق بن خويلد بن تقي
ابن عمرو بن كلاب، وكانت شاكر من همدان أسروه فأحسنوا إليه وروحو عنه، وقد كان يوم
فارق قومه نجفاً، فهرب من شاكر فلما وصل إلى قومه قالوا: أي عمرو، خرجت من عندنا نجفاً
وأنت اليوم بادن، فقال: القيْد والرنة، فأرسلها مثلاً، وهذا كقولهم: العز والمنعة، والنجاة
والأمنة، وفي عيون الأخبار (٩: ٢٢٥) القيْد والدعة.

(٨) السحنة بالفتح وتحرك: الهيئة واللون ولين البشرة، وفي عيون الأخبار «الشحنة».

(٩) الحام: الريح الطيبة تعبق بالثوب.

ومدار الصواب على طيب المكسبة والاقتصاد في النفقة ، وقد قال
بعض العرب « اللهم إني أعوذ بك من بعض الرزق » حين رأى نافية^(١)
من ماله من صدق أمه .

وأى سائل كان ألحف مسألة من الحطيئة والأُم ؟ ومن الأُم من جرير
ابن الخطفي وأبخل ؟ ومن أمتع من كثير ، وأشح من ابن هرمة^(٢) ؟ ومن
كان يشق غبار ابن أبي حفصة^(٣) ؟ ومن كان يصطلي بنار أبي العتاهية ؟ ومن
كأبي نواس في بخله ؟ أو كأبي يعقوب الخزيمي في دقة نظره وكثرة
كسبه ؟ ومن كان أكثر نحرًا لجزرة^(٤) لم تُخلق من ابن هرمة ؟ وأطعن
برُمح لم ينبت ، وأطمع إطعام لم يُزرع ، من الخزيمي^(٥) ؟ فأين أنت عن
ابن يسير ؟ وأين تذهب عن ابن أبي كريمة ؟ ولم تقصر في ذكر الرقاشي ،
ولم تذكر شره ؟

إن الأعرابي شرٌّ من الحاضر^(٦) ، سائل جبار ، وثابة ملاق ، إن مدح
كذب ، وإن هجًا كذب ، وإن أيس كذب ، وإن طمع كذب ، لا يعرفه

(١) يقال : للابل التي يرثها الرجل فكلها إليه « نافية » .

(٢) هو إبراهيم بن هرمة شاعر عباسي ، وكان مولعا بالشراب ، ولما ولي المنصور شخص إليه
قامتدحه فاستحسن شعره ووصله ، وسأله ابن هرمة أن يبيح له الشراب لأنه مغرم به فقال : ويحك
هذا حد من حدود الله وما كنت لأعطله ، قال : فاحتل لي فيه بأمر المؤمنين ، فكتب إلى عامله
بالمدينة : من أنك بائن هرمة سكران فالجده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين . فجعل الجواز إذا مر
بائن هرمة سكران قال : من يشتري ثمانين بمائة ؟ - انظر ترجمته في الأغانى ٤ : ١٠١ ، والشعر
والشعر ص ٢٨٩ .

(٣) يعنى مروان بن أبي حفصة ، وهو شاعر عباسي مشهور .

(٤) الجررة . الناة السينة وجمعها جزر .

(٥) يقول : إن الشعراء يتخلون وينسبون إلى أنفسهم كثيرا من أعمال الكرم والشجاعة .

(٦) الحاضر : ساكن الحضر .

إِلَّا نَطِفٌ^(١) أَوْ أَحَقُّ ، وَلَا يُعْطِيهِ إِلَّا مَنْ يَجِبُهُ ، وَلَا يَجِبُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ
فِي طِبَاعِهِ .

مَا أَبْطَأَكُمْ عَنِ الْبَدَلِ فِي الْحَقِّ ، وَأَسْرَعَكُمْ إِلَى الْبَدَلِ فِي الْبَاطِلِ إِنْ
كُنْتُمْ الشُّعْرَاءَ تَفَضُّونَ ، وَإِلَى قَوْلِهِمْ تَرْجِعُونَ ، فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ فَيْبَتِي وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْفَسَادِ
وَقَدْ قَالَ الشَّمَاخُ بْنُ ضِرَّارٍ :

لَمَّا الْمَرْءُ يُصْلِحُهُ فَيُعْنِي مَفَاقِرَهُ ، أَعْفُ مِنْ الْقُنُوعِ^(٢)
وَقَالَ أَحْيَحَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ :

اسْتَغْنَى أَوْمَتْ وَلَا يَغْرُرُكَ ذَوْنَشَبِّ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالٍ
إِنِّي أَكْبُثُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمَرُهَا إِنْ الْكَرِيمِ عَلَى الْأَقْوَامِ ذُو الْمَالِ^(٣)
وَقَالَ أَيْضًا :

اسْتَغْنَى عَنِ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنْ الْغَنَى مَنَّ اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ
وَالْبَسَ عِدْوَكَ فِي رِفْقٍ وَفِي دَعَا لِبَاسَ ذِي إِرْبَةِ ، لِلدَّهْرِ أَبَّاسِ^(٤)
وَلَا يَغْرُنْكَ أَضْغَانٌ مَزْمَلَةٌ قَدْ يَضْرِبُ الدَّبْرُ الدَّامِيَّ بِأَخْلَاسِ^(٥)
وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هُرُونَ :

(١) النطف : المتهم بريية .
(٢) المفاقر : قيل جمع فقر على غير قياس ، وقيل جمع لا واحد له ، والقوع : السؤال والتذلل .
(٣) الزوراء : أرض كانت لأحيحة بن الجلاح ، سميت بئر كانت فيها (والروراء : البئر البعيدة
الصحرا) - انظر معجم البلدان ٤ : ٤١٢ - والبيت فيه :
إِنِّي أَقِيمُ عَلَى الرُّورَاءِ أَعْمَرُهَا إِنْ الْحَيِّبَ إِلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ
(٤) الإربة : الدهاء .
(٥) مزملة : دوية خفية ، من التزميل وهو الإخفاء واللف في الثوب ، والدر : البعير أصيب
بقرحة من الرجل ، والأحلاس : جمع جلس كفرده ، وهو ما يوضع على ظهر البعير تحت الرجل .

إذا مروا ضاقَ عني لم يضيقْ خلقي
من أن يراني غنياً عنه باليأسِ
فلا يراني إذا لم يرعَ آصرتي
مُسْتَمِرّاً دَرَرًا منه بإِسْئاسِ^(١)
لا أطلبُ المالَ كي أغنى بفضلته
ما كان مطلبه فقراً إلى الناسِ^(٢)
وقال أبو العتاهية :

أنت ما استغنيتَ عن صا
حِبِّكَ الدهرَ أخوهُ
فإذا احتجتَ إليه
ساعةً تجَّك فوهُ
وقال أحيحة بن الجلاح :

فلو أني أشاء نَعِمْتُ بالآ
وباكرني صبوحٌ أو نشيل^(٣)
ولا عيني على الأنماط لعس^(٤)
على أنيابهن الزنجبيل^(٤)
ولكني خلقتُ إزاء مالٍ
فأبخلُ بعد ذلك أو أنيلُ
وقال آخر :

أيا مُصْلِحَ أَصْلِحْ وَلَا تَكْ مُفْسِدا
فإن صلاح المال خير من الفقر
ألم ترَ أن المرءَ يزدادُ عِزَّةً
على قومه أن يعلموا أنه مُتْرَى؟
وقال عروة بن الورد :

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِي
رَأَيْتِ النَّاسَ شَرَّهْمُ الْفَقِيرُ

(١) الأصرة : صلة المودة أو القرابة ، والمستمرى : الحالب ، والدرر : اللبن ، والإِسْئاس : التلطف بالاقة عند الحلب بأن يقال لها سس بس تسكينا لها .

(٢) مافي « ما كان » مصدرية ظرفية أي مدة كون طلبه بعد فقرا إلى الناس .

(٣) باكرني : جاءني في بكرة النهار ، والصبوح : ما حلب من اللبن بالغداة ، والنشيل : اللحم المطبوخ غير تابل ، أو اللبن ساعة يجلب .

(٤) الأنماط : جمع نط كسبب ، وهو ثوب صوف ذو لون يفرش ، لعس : أي نساء لعس جمع نساء . وصف من العس بالتحريك ، وهو سواد مستحسن في الشفة .

وأبعدهم وأهـونهم عليهم وإن أمسى له نسبٌ وخيرٌ^(١)
ويُقضى في الندى وتزدرية حليته وينهره الصغيرُ
وتلقى ذا الغنى وله جلالٌ يكاد فسوَادُ صاحبه يطيرُ
قليلٌ ذنبه ، والذنبُ جَمٌّ ولكن الغنى ربُّ غفورٌ

وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

تلك عرساي تنطقان على عمدي لي اليوم قول زورٍ وهترٍ^(٢)
سالتني الطلاق أن رأتا ما لي قليلا ، قد جثماني بنكرٍ^(٣) !
فلعل أن يكثر المالُ عندي ويعرّي من المغارم ظهري
ويرى أعبدُ لنا وأواقٍ^(٤) ومناصيفُ من خوادِمَ عَشْرِ^(٥)
وتجرُّ الأذيالُ في نعمة زو ل ، تقولان ضَعُ عصاك لِدهرٍ^(٥)
وي كأن من يكن له نسبٌ يُحسبُ ، ومن يفتقر يعيش عيشَ ضرٍ^(٦)
ويجنبُ سرَّ النجى ولكن أذا المالُ مُحضَرٌ كلُّ سرٍ^(٧)
وقال الآخر :

(١) الخير : الكرم والعرف ،

(٢) العرس : الزوجة ، والهتر : تمزيق العرض ، هتره كضرب وهتره : مزقه .

(٣) سال من باب خاف لغة في سأل المهموز .

(٤) الأواق : جمع واقية ، وهي الحافظة الصائنة ، ويريد بها الخادمة . ومناصيف : جمع منصف

كخبز ومقعد ، وهي الخادم ، وجمعها مناصف ومناصيف .

(٥) الزول : الحسنة العجيبة ، ومعنى الشطر الثاني ، تقولان : ألقى عصاك لدهرك فلا تكدح فيه ،

ولا تنتقل في طلب الرزق فقد تمت عليك النعمة .

(٦) وي بمعنى أتوجب ، وكأن مخففة من الثقيلة ، وهي هنا بمعنى حقا ، والنسب المال الأصيل .

(٧) في النسخ « شر النجى » و « محضر كل شر » وفيها أيضا « أذا الفقر » والنجى :

من تاراه .

وللمال مني جانبٌ لا أُضِيعه وللهو مني والبَطَالَةُ جانبٌ^(١)
وقال الأَخْنَسُ بنُ شِهَابٍ :

وقد عشتُ دهرًا والفُؤَادُ صَحَابَتِي أولئك إخواني الذين أصاحِبُ
فأدَّيتُ عني، ما استعرتُ من الصِّبَا وللمال مني اليومَ راجعٌ وكاسِبُ
وقال ابنُ أذينةَ الثَّمَنِي :

أطعتُ النفسَ في الشَّهَوَاتِ حَتَّى أعادتني عسيفًا عبدَ عبدٍ^(٢)
إذا ما جئتُها قد بعْتُ عِتْقًا تعانقُ أو تُقبِلُ أو تُفدِّي^(٣)
فمن وجَدَ الغِنَى فليصطِنِعْهُ ذخيرته ويجهد كلَّ جهْدِ
وقال :

مَنْ يَجْمَعُ المَالَ وَلَا يَتَّبِعُهُ^(٤) ويترك العامَ لعامٍ جَدْبِهِ^(٥)

* يَهْنُ عَلَى النَّاسِ هَوَانٌ كَلْبِهِ *
وقد قيل في المثل : « الكدُّ قبل المدِّ^(٦) » وقال لقيط : « ألقم وأذر

لللقاح ، وأحد السلاح^(٧) » وقال أبو المعافى .

إن التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوجه مهرًا^(٨)

(١) الرواية المشهورة « ولله مني » .

(٢) العسيف : الأجير ، والعبد المستهان به .

(٣) العتق : الشرف والحرية ، أي إذا ما جئت النفس وقد بعته شرفي وحريتي تسريني .

(٤) نبي المال : جمعه وكثره .

(٥) أي أنه إذا كان في عام خصب ترك الادخار حتى يحل به عام قد يكون جدبا .

(٦) الكد : التعب ، والمد : البسط والسعة .

(٧) أي ألقم إبلك بيدك إذا أبت أن تأكل بنفسها ، وأذر : أي ألق الغذاء - من ذرت الريح

الشيء تدوره وأذرته وذرته إذا أطارته - للقاح : وهي النوق التي لفتحت أي حملت ، وأحد السلاح :

أي سنه ، والغرض من ذلك : العناية بالمال وأخذ العدة لحوادث الدهر .

(٨) أي أن التواني زوج ابنته للعجز ولم يكلفه مهرا ، بل بعث إليه بابنته وساق معها مهرها .

فِرَاشًا وَطِيئًا ثُمَّ قَالَ لَهَا اتَّكِي فَقَصَّرُ كَمَا لَا بُدَّ أَنْ تَلِدَا الْفَقْرَا^(١)

وقال عثمان بن أبي العاص : « ساعةٌ لدنياك وساعةٌ لآخرتك » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . « أنها كم عن قيلٍ وقال ، وكثرةِ

السؤال ، وإضاعةِ المال » وقال . « خيرُ الصَّدقةِ ما أبقى غنيٌّ ، واليدُ العليا خيرٌ

من اليدِ السفلى^(٢) ، وأبدأُ بمن تعول » وقال النبي صلى الله عليه وسلم . « الثالثُ ،

والثالثُ كثير ، إنك أن تدعَ ولدك أغنياءَ خيرٌ من أن يتكففوا الناسَ »

وقال ابن عباس ، « وَدِدْتُ أَنْ النَّاسَ غَضُّوا مِنْ الثَّلَاثِ شَيْئًا ، لقول النبي صلى

الله عليه وسلم . « الثالثُ ، والثالثُ كثير » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَفَى

بالمراءِ إثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتَ » .

وأنتم ترون أن المجد والكرم أن أفقرَ نفسى بإغناء غيرى ، وأن أحوط

عيالَ غيرى بإضاعة عيالى ، وقال فى ذلك ابن هرمة :

كثَارَكِهِ يَبْضُهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلبِسةٍ يَبْضُ أُخْرَى جَنَاحًا^(٣)

وقال آخر :

كُفْسِدِ أَدْنَاهُ وَمُصْلِحِ غَيْرِهِ وَلَمْ يَأْتِمِرْ فِي ذَاكَ أَمْرَ صَلاَحِ

(١) فراشا بدل من مهرا : أى ثم قال لها اتكى على هذا الفراش الوثير واستريحى ولا تعلى شيئا ، وتصرك أن تفعل كذا ، وقصارك بالفتح ويضم وقصيرك وقصارك بضمهما : أى جهدك وعانيتك ، أى عاية أمر كما التى لامناص منها أن تلدا مولودا اسمه الفقر .

(٢) اليد العليا : المعطية ، والسفلى : المعطاة .

(٣) يعنى العامة ، وقد ضربوا بها المثل فى الحق فقالوا « أحق من نعمة » قال الميدانى فى شرحه « وذلك أنها تنتشر للطعم فربما رأت يمس نعمة أخرى قد انشرت لمثل ما انشرت هى له فتحضن بيضا وتنسى يمس نفسها ، ثم تهبى الأخرى فتربى غيرها على يمس نفسها ، فتمر لطيمتها (أى لوجهها) وإياها عى ابن هرمة بقوله : كثاركة يرضاها ... » ثم قال « وزعم أبو عبيدة أن ابن هرمة عى بقوله كثاركة يرضاها الجمامة التى تحضن يمس غيرها وتضيع يمس نفسها » .

وقال آخر :

كُرْضِعَةٌ أَوْلَادًا أُخْرَى وَضِيَعَتْ بَيْنَهَا وَلَمْ تَرْقَعْ بِذَلِكَ مَرَّةً
وقال الله تبارك وتعالى : « وَلَا تُبْذِرْ تَبْدِيرًا . إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
الشَّيَاطِينِ » وقال : « وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ (١) » فَأُذِنَ فِي الْعَفْوِ
وَلَمْ يَأْذَنَ فِي الْجَهْدِ ، وَأُذِنَ فِي الْفُضُولِ وَلَمْ يَأْذَنَ فِي الْأَصُولِ (٢) ، وَأَرَادَ كَعْبُ
ابْنِ مَالِكٍ أَنْ يَتَّصِدَّقَ بِمَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ
مَالِكَ » فَالْتَمَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْنَعُهُ مِنْ إِخْرَاجِ مَالِهِ فِي الصَّدَقَةِ ، وَأَنْتُمْ
تَأْمُرُونَهُ بِإِخْرَاجِهِ فِي السَّرْفِ وَالتَّبْذِيرِ ! . وَخَرَجَ غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ مِنْ جَمِيعِ
مَالِهِ ، فَأَكْرَهَهُ عُمَرُ عَلَى الرَّجُوعِ فِيهِ ، وَقَالَ : « لَوْ مِتَّ لَرَجِمْتُ قَبْرَكَ كَمَا
يُرْجَمُ قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ (٣) » وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ . « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ
وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ » وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) العفو : ما يفضل عن الحاجة .

(٢) الفضول جمع فضل : وهو الزيادة ، والمراد بالأصول : المال المحتاج إليه في حياة الرجل ، أو صناعته أو تجارته .

(٣) قال صاحب القاموس : « وأبو رغال ككتاب ، في سنن أبي داود ودلائل النبوة وغيرها عن ابن عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه إلى الطائف فررنا بقبر فقال : هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو تقيف وكان من ثمود . وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النعمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه » وقال صاحب اللسان : « أبو رغال : اسمه زيد بن مخلف ، عبد كان لصالح النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه الصلاة والسلام ، عنه مصدقا ، وأنه آتى قوما ليس لهم لبن إلا شاة واحدة ولهم صبي قد ماتت أمه فهم يعاجونه بلبن تلك الشاة - يعنى يعذونه ، والعجى كفى : الذى يغذى بغير لبن أمه - فأبى أن يأخذ غيرها ، فقالوا : دعها نحايي بها هذا الصبي ، فأبى فيقال : إنه نزلت به قارعة من السماء ، ويقال : بل قتله رب الشاة ، لما فقدته صالح قام في الموسم ينشد الناس فأخبر بصنيعه فلعنه ، فقبره بين مكة والطائف يرجمه الناس » - وقد قدمنا عنه كلمة في نسب تقيف في الجزء الثانى ص ١٦٦ .

يكفيك ما بلغك المحل^(١)» وقال . « ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى » وقال
الله تبارك وتعالى « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ
قَوَامًا » وقال النبي صلى الله عليه وسلم . « إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً
أبقى^(٢) » وقال الله جل ذكره . « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا
تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » ولذلك قالوا . « خير مالك
مانعك ، وخير الأمور أوساطها ، وشرّ السير الحفحة^(٣) ، والحسنة بين
السيئتين » وقالوا : « دين الله بين المقصر والغالي^(٤) » وقالوا في المثل . « بينهما
يرى الراعى^(٥) » وقالوا . « عليك بالسداد والاقتصاد ، لا وكس ولا شطط^(٦) »
وقالوا : « بين الممخّة والمجفأ^(٧) » وقالوا . « لا تكن حلوا فبتلع ، ولا مراً

(١) يروى في خطبة أكرم بن صيفي أمام كسرى « يكفيك من الزاد ما بلغك المحل » — انظر
جمهرة خطب العرب ١ : ٢٢ .

(٢) المنبت : المنقطع عن أصحابه في السفر ، والظهر الدابة ، قاله صلى الله عليه وسلم لرجل اجتهد
في العبادة حتى هجمت عيناه : أي غارتا ، فلما رآه قال له : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن
المنبت : أي الذي يجد في سيره حتى ينبت أخيراً — صباه بما تشول إليه عاقبه كقولته تعالى
« إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » مثل يضرب لمن يبالغ في طلب الشيء ، ويهرط حتى ربما يفوته
على نفسه .

(٣) الحفحة : أشد السير وأتعبه للظهر ، أو أن يلج في السير حتى تعطب راحلته أو تنقطع ، قال
صاحب اللسان : « وتبّد عبد الله بن مطرف بن الشخير قلم يقتصد ، فقال له أبوه : « يا عبد الله العلم
أفضل من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، وخير الأمور أو ساطها ، وشر السير الحفحة » هو إشارة
إلى الرفق في العبادة ، يعني : عليك بالقتصد في العبادة ، ولا تحمل على نفسك فتسأم ، وخير العمل
مادام وإن قل ، وإذا حملت على نفسك من العبادة ما لا تطيقه انقطع به عن الدوام على العبادة وبقيت
حسيرا ، فتكلف من العبادة ما تطيقه ولا يحسرك » .

(٤) أي أن الدين هو الطريقة المثلى بين التقصير والمبالاة .

(٥) أي بين التقصير والمبالاة الاعتدال الذي يجب أن يقصد إليه الفاضل .

(٦) الوكس : التقص ، والشطط : الجور .

(٧) أمخت الشاة : سمحت ، والمجفأ : الهزيلة ، وهو مثل يضرب في التوسط

فَتَلَفَظَ « وَقَالُوا فِي الْمَثَلِ . « لَيْسَ الرَّيُّ عَنِ النَّشَافِ »^(١) وَقَالُوا : « يَا عَاقِدُ
 إِذْ كَرَّ حَلًا »^(٢) وَقَالُوا . « الرَّشْفُ »^(٣) أَنْفَعُ لِلظَّمَانِ « وَقَالُوا . « الْقَلِيلُ الدَّائِمُ
 أَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ » وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ « إِنِّي لَأَسْتَجِمُّ نَفْسِي بِبَعْضِ
 الْبَاطِلِ ، كِرَاهَةً أَنْ أَحْمِلَ عَلَيْهَا مِنَ الْحَقِّ مَا يَمْلِكُهَا » وَقَالَ الشَّاعِرُ :
 وَإِنِّي لَحَلَوٌ تَعْتَرِينِي مَرَارَةٌ وَإِنِّي لَصَعْبُ الرَّأْسِ غَيْرُ جَمُوحٍ^(٤)
 وَقَالُوا فِي عَذْلِ الْمُصْلِحِ وَلَائِمَةِ الْمُقْتَصِدِ : « الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ الظَّالِمِ »^(٥)
 وَقَالُوا : « لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ سُرْعَةُ الْعَدْلِ » وَقَالُوا : « لَعَلَّ لَهُ عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ »^(٦)
 وَقَالُوا : « رَبِّ لَأَمُّ مُلِيمٍ »^(٧) وَقَالَ الْأَخْنَفُ : « رَبِّ مَلُومٌ لَأَذْنِبَ لَهُ »^(٨)
 وَقَالَ : « إِعْطَاءُ السَّائِلِ تَضْرِيَةٌ »^(٩) ، وَإِعْطَاءُ الْمُلْحِفِ مَشَارِكَةٌ »^(١٠) وَقَالَ

(١) الاشتفاف والنشاف : أن تشرب جميع ما في الإناء ، مأخوذ من الشفاقة بالضم ، وهي بقية الماء في الإناء ، يقول : ليس من لا يشتف لا يروى ، فقد يكون الري دون ذلك . وهو مثل يضرب في قناعة الرجل ببعض ما ينال من حاجته : أي ليس قضاؤك الحاجة أن لاتدع قليلا ولا كثيرا إلا لكته ، فإذا نلت معظمها فاتنع به .

(٢) ويروى « يا حامل » فإذا قلت يا عاقد فقولك حلا يكون تقيض العقد ، وإذا رويت يا حامل فالحل بمعنى الحلول ، يقال حل بالمسكان يحل حلا وحلولا ومحلا . وأصل المثل في الرجل يشد حملة فيسرف في الاستيناق حتى يضرب ذلك به وبراحته عند الحلول ، يضرب مثلا للنظر في العواقب .

(٣) الرشف : التأني في الصرب ، أفع : أذهب وأقطع للعطش ، مثل يضرب في ترك العجلة .

(٤) ويروى لسان بن ثابت :

وَإِنِّي لَحَلَوٌ تَعْتَرِينِي مَرَارَةٌ وَإِنِّي لَتَرَاكُ لِمَا لَمْ أَعُودُ

(٥) يقول : إنهم حين تجنبوا على المقتصد ولأموه ووصفوه بالشح كذبا ، جعلوا له في شحه عذرا أقوى من عذر الظالم .

(٦) مثل يضرب لمن يلوم من له عذر لا يعلمه اللائم ، وهو يعجز بيت ، وصدرة :

« تَأْنٍ وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبًا » .

(٧) ألام : أي بما يلام عليه ، والمثل لأكم بن صيفي .

(٨) قال الميداني « هذا من قول أكم بن صيفي ، يقول : قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه

وهم لا يعرفون حجته وعذره فهو يلام عليه . وذكروا أن رجلا في مجلس الأخنف بن قيس قال :

لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنَ التَّمْرِ وَالزَّبْدِ فَقَالَ الْأَخْنَفُ : « رَبِّ مَلُومٌ لَأَذْنِبَ لَهُ » .

(٩) التضرية : التعويد والإغراء . وأصله من ضرى الكلب بالصيد كفرح : تعود ، وأضراره

صاحبه به وضراءه : عوده وأغراه .

(١٠) أي مشاركة له في الإلحاف لأنك باعطائه عاوته وجراته .

النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تصلح المسألة إلا في ثلاث : فقير مُدَقِّع^(١) ،
وغُرْمٌ مُنْفِطِع ، ودمٍ مُوجِع^(٢) » . وقال الشاعر :

الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وليس للمُلْحِفِ غَيْرُ الرَّدِّ^(٣)

وقالوا : « إذا جَدَّ السُّؤَالُ جَدَّةً^(٤) الْمَنْعُ » وقالوا : « احذر إعطاء
المخدوعين^(٥) ، وبذل المغبونين ، فإن المغبون لا محمود ولا مأجور » ولذلك
قالوا : « لا تكن أدنى العيرين^(٦) إلى السهم » يقول : إذا أعطيت السائلين
مالك صارت مقاتلك أظهر لأعدائك من مقاتلهم ، وقالوا : « الفرار بقراب
أكيس^(٧) » وقال أبو الأسود : « ليس من العز أن تتعرض للذل ، ولا من
الكرم أن تستدعى اللؤم » ومن أخرج ماله من يده افتقر ، ومن افتقر
فلا بد له من أن يضرع^(٨) ، والضرع لؤم . وإن كان الجود شقيق الكرم ،
فالأنفة أولى بالكرم^(٩) ، وقد قال الأول : « اللهم لا تُنزلني^(١٠) ماءً سوءاً ،
فأكون أحراً سوءاً » وقد قال الشاعر :

(١) أى شديد ملصق بالبقاء ، وهى الأرض .

(٢) أى فى حال جمع المال لذة القتل .

(٣) يلحى : يلام ، لحاه يلحاه : لامة . (٤) أى قوى واشتد .

(٥) المصدر مضاف لفاعله : أى احذر أن تعطى وأنت مخدوع .

(٦) العير : الحمار ، والعيران هنا السائل والمسئول ، فإذا أعطى المسئول كل ماله للسائل تعرض
لسهام أعدائه ولم يقو على نزالهم .

(٧) القراب : الغمد ، والمثل لحابر بن عمرو المازنى . وذلك أنه كان يسير يوماً فى طريق إذ رأى
أثر رجلين ، وكان عائفاً قائفاً (والعائف : المتكهن بالطير أو غيرها ، والقائف : من يعرف الآثار)
فقال : أرى أثر رجلين متديداً كليهما عززاً ساهبهما والفرار بقراب أكيس . أراد ذو الفرار أى
الذى يهر ومعه قراب سيفه إذا فانه السيف أكيس ممن يفيت القراب أيضاً .

(٨) أى يذل .

(٩) يقول : إذا كان الجود شقيق كرم النفس ، وجب على الجواد ألا يسى فى إذلال نفسه ، وأن
يحافظ على أنفسها وإيائها ، وإنما يكون ذلك بالمحافظة على ماله .

(١٠) هكذا فى الحيوان للجاحظ ، وفى النسخ « لا تنزلى » .

واخْطُ مع الدهر إذا ما خَطَاً واجرِ مع الدهر كما يجرى
وقد قال الآخر :

يأليت لي نعلين من جِلْد الضَّبْعِ وشُرُكا من ثَغْرِها^(١) لا تَنْقَطِعُ
كلَّ الحِذاءِ يَحْتَدِي الحَافِي الوَقْعِ^(٢)

وقد صدق قول القائل : « من احتاج اغتفر ، ومن اقتضى^(٣) تجاوز » وقيل
لِدَيْسِيمُوسِ^(٤) : تأكل في السوق ! قال : « إن جاع [دَيْسِيمُوسُ^(٥)] في
السوق ، أكل في السوق » وقال^(٦) : « من أجذب انتجع ، ومن جاع
جشع » وقال : « احذروا تفار النعمة فانها نوار^(٧) ، وليس كل شاردي بمردود ،
ولا كل ناد^(٨) بمصروف » وقال علي بن أبي طالب : « قلما أدبر شيء
فأقبل » وقالوا : « رَبُّ أكلة تمنع أكالات^(٩) ، وَرَبُّ عَجلة تهب ريثا^(١٠) »

(١) هكذا في جمع الأمثال ، وفي النسخ « من استها » والشرك جمع : شرك ككتاب ، وهو سير النعل .

(٢) وقع الرجل كمرح : إذا حنى من مره على الحجارة ، وهو مثل يضرب عند الحاجة تحمل على التعلق بما يقدر عليه .

(٣) اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى .

(٤) جاء في كتاب الحيوان للجاحظ : « حدثني العتي قال : كان في اليونانيين ممرور (وهو الذي غلبت عليه المرة بالكسر : أى معتوه) له نوادر عجيبة وكان يسمى ديسيموس ، قال : والحكماء يروون له أكثر من ثمانين نادرة » .

(٥) الريادة بين الفوسين من الحيوان للجاحظ .

(٦) القائل صعصعة بن صوحان ، تغدى عند معاوية فتناول من بين يديه شيئا ، فقال معاوية : يا بن صوحان انتجعت من بعد ، فقال : من أجذب انتجع .

(٧) النوار كسحاب : المرأة العور من الرينة .

(٨) ند البعير كصرب : نفر وذهب على وجهه شاردا .

(٩) أول من قاله عاصم بن الطرب العدواني ، وهو مل يضرب في ذم الحرص على الطعام .

(١٠) أول من قاله مالك بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم الشيباني ، وكان سنان بن مالك ابن أبي عمرو بن عوف بن محلم بن غيا فأراد أن يرحل بامرأته - وهي أخت مالك بن عوف - فقال له مالك : أين نطعن يا أحمى ؟ قال : أطلب موقع هذه السحابة ، قال : لا تفعل فإنه ربما خيات وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك بعض مقاب العرب (جمع مقب كبير : وهو جماعة الخيل والفرسان)

وعابوا من قال : « أَكَلَةٌ وَمَوْتَةٌ ^(١) » وقالوا : « لَا تَطْلُبْ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ ^(٢) »
وقالوا : « لَا تَكُنْ كَمَنْ تَعْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ ، وَلَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ »
فانظر كيف تُخْرِجُ الدَّرْهَمَ ؟ وَلِمَ تُخْرِجُهُ ؟ وقالوا : « شَرٌّ مِنْ الْمَرْزُوتَةِ سُوءُ
الْخَلْفِ ^(٣) » وقال الشاعر :

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أُصِيبَتْ جَلِيلًا فَذَهَابُ الْعِزَاءِ فِيهِ أَجْلٌ

وَلَا أَنْ تَفْتَقِرَ بِجَائِحَةٍ نَازِلَةٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَفْتَقِرَ بِجُنَايَةٍ مَكْتَسَبَةٍ ، وَمَنْ
كَانَ سَبِيحًا لِدَهَابِ وَفَرِهِ ، لَمْ تَعْدَمْهُ الْحَسْرَةُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاللَّائِمَةُ مِنْ غَيْرِهِ ،
وَقَلَّةُ الرَّحْمَةِ ، وَكَثْرَةُ الشَّمَاتَةِ ، مَعَ الْإِثْمِ الْمُوَبِّقِ وَالْهَوَانِ عَلَى الصَّاحِبِ ،
وَذَكَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَتَيَانَ فَرِيشَ وَسَرَفَهُمْ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَمَسَابِقَتَهُمْ

قال : لكنني لست أخاف ذلك فمضى ، وعرض له مروان الفرظ بن زباج العبسي ، فأعجبه عنها وانطلق
بها وجعلها بين بناته وأخواته ولم يكشف لها سترها ، فقال مالك بن عوف لسان . ما فعلت أختي ؟
قال : فتني عنها الرماح ، فقال مالك : رب عجلة تهب ريثا ، ورب فروقة يدعى لنا (والفروقة بالفتح :
الجبان الشديد الفزع) ورب غيث لم يكن غيثا ، فأرسلها مثلا . يضرب للرجل يشدد حرصه على حاجة
ويحرق فيها حتى تذهب كلها .

(١) أى آكل وأملا بطنى ولو كان فى ذلك الموت .

(٢) من أمثالهم « تطلب أثرا بعد عين » و « لا أطلب أثرا بعد عين » يضرب لمن ترك شيئا يراه
ثم تبع أثره بعد فوت عينه ، وأول من قاله مالك بن عمرو العاملى ، وذلك أن بعض ملوك غسان كان
يطلب فى عاملة ذحلا (أى ثأرا) فأخذ منهم رجلين يقال لهما مالك وسماك ابنا عمرو ، فاحتبسهما عنده
زمانا ثم دعاهما فقال لهما : لى قاتل أحدهما فأيكما أقتل ؟ فجعل كل واحد منهما يقول : اقتلى مكان
أخى ، فلما رأى ذلك قتل سماكا وخلقى سبيل مالك ، فقال سماك حين ظن أنه مقتول ألياتا منها :
وأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصده

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زمانا ، ثم إن ركبا مروا وأحدهم يتغنى بهذا البيت فسمعت
بذلك أم سماك ، فقالت : يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك ، أخرج فى الطلب بأخيك ، نخرج فى الطلب
قلقى قاتل أخيه يسير فى ناس من قومه ، فقال : من أحس لى الجمل الأحمر ؟ فقالوا له - وعرفوه - :
يا مالك له مائة من الإبل وكف ، فقال لا أطلب أثرا بعد عين ، فذهبت مثلا ، ثم حمل على قاتل
أخيه . فقتله ، والمعنى : لا آخذ الدية وهى أثر الدم وتبعته ، وأترك العين يسمى القاتل .

(٣) المرزوة : المصيبة ، وسوء الخلف ما تخلفه من الجزع ، أى إذا فقدت مالك كان جزعك على

ضياعه أصد من ضياعه .

في التبذير ، فقال : « نَحْرَقَةُ^(١) أَحَدُهُمْ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ عَيْلَتِهِ » يقول : إن إغناء
الفقير أهون عليّ من إصلاح الفاسد :

ولا تكن علي نفسك أشأم من خَوْتَعَةٍ^(٢) ، وعلى أهلك أشأم من
لبَسُوسٍ^(٣) ، وعلى قومك أشأم من عِطْرِ مَنْشَمٍ^(٤) ، ومن سلط الشهوات
علي نفسه ، وحكم الهوى في ذات يده ، فبقي حسيرا ، فلا يلومن إلا نفسه ،
وطوبى لك يوم تقدر علي قديم^(٥) تنتفع به ، وقال بعض الشعراء :

أرى كل قوم يمنعون حرّيمهم وليس لأصحاب النيذ حريم

- (١) الحرقه : الحق ، وسوء التصرف في الأمور . والعيلة : الفقر .
(٢) هو رجل من بني غفيلة بكهينة دل كثيف (كزير) بن عمرو التغلبي وأصحابه علي بي الزبان
(بافتح) الذهلي ، لثرة كانت له عند عمرو بن الزبان ، فأتوهم وهم قد جلسوا علي العداء ، فقال عمرو
لا تشب الحرب بيننا وبينك ، قال : كلا ، بل أقتلك وأقتل إخوانك ، قال : فإن كنت فاعلا فأطلق
هؤلاء الفتية الذين لم يتلبسوا بالحروب ، فإن وراءهم طالبا أطلب مي ، يعي أبائهم ، فقتلهم وجعل
رءوسهم في مخللة ، وعلقها في عنق ناقة لهم يقال لها الدهيم (كزير) جاءت الناقة والزبان جالس
أمام بيته ، فبركت ، فقال : يا جارية هذه ناقة عمرو وقد أبطأ هو وإخوته ، فقامت الجارية فحست
المخللة فقالت : قد أصاب بنوك بيض نعام ، وأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو أول ما أخرجت ،
ثم رءوس إخوته ، ففسلها الزبان ووضعها علي ترس وقال : آخر البز علي القلوص ، فأرسلها مثلا
- والبزة القلوص - أي هذا آخر عهدي بهم لا أراهم بعده . وخبر أن خوتعة هو الذي دل علي ولده ،
فأخن في بي غفيلة حتى أبادهم - اقرأ النمل مطولا في مجمع الأمثال ١ : ٢٥٥ .
(٣) هي البسوس بنت متفذ التيمية خالة جساس بن مرة قاتل كليب ، والتي من أجلها نشبت حرب
البسوس المشهورة بين بكر وتغلب - اقرأ المثل مفصلا في مجمع الأمثال ١ : ٢٥٤ .
(٤) ويقال : « أشأم من منشم » وكانت منشم امرأة عطارة تبيع الطيب ، فسكاتوا إذا قصدوا
الحرب غمسوا أيديهم في طيبها وتحالفوا عليه أن يستميتوا في تلك الحرب ولا يولوا أو يفتلوا ، فسكاتوا
إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول الناس : قد دقوا بينهم عطر منشم ، فلما كثر منهم هذا
القول سار مثلا ، فمن مثل به زهير بن أبي سلمى حيث يقول :
- تداركتما عبسا وذيان بعدما تقانوا ودقوا بينهم عطر منشم
- وقيل إن منشم كانت امرأة تبيع الخنوط ، وإنما سموا خنوطها عطارا في قولهم : قد دقوا بينهم عطر
منشم ، لأنهم أرادوا طيب الموتى .
- (٥) يراد بالقديم : المال المدخر ، وفي النسخ « علي قدم » .

أخوهم إذا مادارت الكأس بينهم وكلهم رث الوصال سؤوم
فهذا بياني لم أقل بجهالة ولكني بالفاسقين عليم
وقد كان هذا المعنى في أصحاب النبيذ أوجد^(١) ، فأما اليوم فقد استوى
الناس ، قال الأصبط بن قريع لما انتقل في القبائل فأساءوا جواره بعد أن
تأذى بني سعد : « بكل واد بنو سعد » .

خذ بقولي ودع قول أبي العاص ، وخذ بقول من قال : « عش ولا
تغتر^(٢) » وبقول من قال : « لا تطلب أثرا بعد عين » وبقول من قال :
« املا حُبَّك^(٣) من أول مطرة ، ودع ما يري بك إلى ما لا يري بك ، أخوك من
صدقك ، ومن أتاك من جهة عقلك ، ولم يأتك من جهة شهوتك ، وأخوك
من احتمل ثقل نصيحتك في حظك^(٤) ، ولم تأمن لائمه إياك في غدك »
وقال الآخر :

إن أخاك الصدق من لم يخذعك^(٥) ومن يضير نفسه لينفعك^(٥)

-
- (١) أي أكثر وجودا فيهم .
(٢) مثل يضرب في الحث على الحيلة . وأصله أن رجلا أراد أن يفوز بابل ليلة وانكل على عشب
يجده في الطريق ، فقيل له : عش ولا تغتر « وفوز بابل : ركب بها المغازة » .
(٣) الحب : وعاء كبير للماء .
(٤) أي في سبيل سعادتك .
(٥) يقال : هذا الرجل الصدق بالفتح ، فإذا أضفت إليه كسرت الصاد ، وقوله لم يخذعك بنصب
الفعل بعد لم ، قال صاحب المعنى : « وزعم اللحياني أن بعض العرب ينصب بها كقراءة بعضهم
« ألم نشرح » وقوله :

في أي يوم من الموت أفرأ أيوم لم يقدر أم يوم قدر
وخرجا على أن الأصل نشرحن ويقدرن ثم حذف نون التوكيد الحقيفة وبقيت الفضة دليلا عليها ،
وق هذا شدوذان : توكيد النون لم ، وحذف النون لغير وقف ولا ساكنين ، اه . وربما كان
الأصل « من لن يخذعك » ويضير نفسه : يضرها ، والمثل في جمع الأمثال « إن أخا الهيجاء من يسرى
معك ، ومن يضر نفسه لينفعك » يضرب في المساعدة .

وقد قال عبيد بن الأبرص :

واعلمن علماً يقيناً أنه ليس يُرجى لك من ليس معك
ولا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وعين من عقلك على
طباعك ، أو ما كان لك أخ نصيح ، ووزير شفيق ، والزوجة الصالحة عون
صدق ، والسعيد من وعظ بغيره ، فإن أنت لم تُرزق من هذه الخصال^(١)
خصلة واحدة ، فلا بد لك من نكبة موجعة ، يَبْقَى أثرها ، ويُلوح لك
ذكرها ؛ ولذلك قالوا : « خير مالك ما نفعك » ولذلك قالوا : « لم يذهب^(٢)
من مالك ما وعظك » .

إن المال محروصٌ عليه ، ومطلوب في قعر البحار ، وفي رعوس الجبال ،
وفي دغل الغياض^(٣) ، ومطلوب في الوعورة كما يُطلب في الشهولة ، وسواء
فيها^(٤) بطون الأودية ، وظهور الطرق ، ومشارك الأرض ومغارها ،
فُطِبت بالعز ، وطلبت بالنذل ، وطلبت بالوفاء ، وطلبت بالقدر ، وطلبت
بالنسك كما طلبت بالفتك ، وطلبت بالصدق كما طلبت بالكذب ، وطلبت
بالبذاء ، وطلبت بالملق ، فلم تُترك فيها حيلة ولا رقية حتى طلبت بالكفر
بالله ، كما طلبت بالإيمان ، وطلبت بالسخف كما طلبت بالنبل ، فقد نصبوا
الفخاخ بكل موضع ، ونصبوا الشرك^(٥) بكل ربيع ، وقد طلبك من لا يقصر
دون الظفر ، وحسدك من لا ينام دون الشفاء .

(١) أي الخصال التي ذكرت آنفاً ، وهي أن يكون له واعظ من نفسه الخ .
(٢) ويروى « لم يضع » وهو مثل لأكرم بن صفي قال البرد : أي إذا ذهب من مالك شيء
فذكر أن يحل بك مثله ، فتأديبه إياك عوض من ذهابه .
(٣) الدغل : الشجر الكثير اللثف . والغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهي الأجمة ومجتمع الشجر .
(٤) فيها أي في الأموال ، والمراد في طلبها ، فهي مطلوبة في بطون الأودية الخ .
(٥) الشرك : حبال الصائد ، واحده شركة كقصبة ، ويجمع على شرك كفتق نادرا .

وقد يهدأ الطالب الطوائل^(١) والمطلوب بذات نفسه، ولا يهدأ الحريص،
يقال : إنه ليس في الأرض بلدة واسطة^(٢)، ولا بادية شاسعة، ولا طرف
من الأطراف، إلا وأنت واجد بها المدينى والبصرى والحيرى، وقد ترى
شئف^(٣) الفقراء للأغنياء، وتسرع الرغبة إلى الملوك، وبغض الماشى
للراكب، وعموم الحسد في المتفاوتين، وإن لم تستعمل الحذر، وتأخذ
بنصيبك من المداراة، وتعلم الحزم، وتجالس أصحاب الاقتصاد، وتعرف
الدهور ودهرك خاصة، وتمثل لنفسك الغير^(٤) حتى تتوهم نفسك فقيرا
ضائعا، وحتى تتهم شمالك على يمينك، وسمعك على بصرك، ولا يكون أحد
أتهم^(٥) عند نفسك من نفسك، ولا أولى بأخذ الحذر منه من أمينك،
أخططفت اختطافا^(٦)، واستلبت استلابا، وذوبوا مالك وتحيفوه^(٧)،
والزموه السئل ولم يداووه، وقد قالوا : « يلى المال ربه وإن كان أحمق » فلا
تكونن دون ذلك الأحمق، وقالوا : « لا تعدم صناع ثلثة^(٨) » فلا تكونن
دون تلك الصناعات، وقد قال الأول في المال المضيع المسلط عليه شهوات
العيال : « ليس لها رابع، ولكن حلبة^(٩) » .

(١) الطوائل : جمع طائلة ، وهي النار .

(٢) أى متوسطة .

(٣) شئف له شفا كفرح : أبغضه وتكره .

(٤) حوادث الدهر المغيرة .

(٥) أى أكثر إتهاما ، من أنهم كأكرمه إذا اتهمه .

(٦) فى بعض النسخ « واحتفظت احتفاظا » .

(٧) أى تنقصوه ، من حيفه . والحيف كسب جمع حيفة بالكسر : وهي الناحية .

(٨) امرأة صناعات الدين : حاذقة ماهرة بعمل الدين . والثلثة : الصوف تغزله المرأة ، مثل يضرب

لمن إذا عدم عملا أخذ فى آخر لحذقه وبصيرته .

(٩) الحلبة : جمع حالب ، مثل يضرب للرجل يؤكل وليس له من يبقى عليه ، وفى النسخ « خلية » .

وليس مالك المال المعنى من الأضرار فيقال فيه : مرعى ولا أكلة^(١) ،
وعشب ولا بعير ، فقصاراك مع الإصلاح أن يقوم ببطنك ويحوثجك
وبما ينوبك ، ولا بقاء للمال على قلة الرعى وكثرة الحلب ، فكس^(٢) في
أمرك ، وتقدم في حفظ مالك ، فإن من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين ،
والأكرمان : الدين ، والعرض ، وقد قيل : « للرمي يرأش السهم^(٣) » و « عند
النطاح تغلب القرناه^(٤) » .

وإذا رأت العرب مستأكلا وافق^(٥) عمرأ^(٥) قالت : « ليس عليك نسجه
فاسحب وخرق^(٦) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس كلهم
سواي كأسنان المشط » والمرء كثير بأخيه ، ولا خير لك في صحبة من لا يرى
لك مثل ما يرى لنفسه ، فتعرف شأن أصحابك ومعنى^(٧) جلسائك ، فإن
كانوا في هذه الصفة فاستعمل الحزم ، وإن كانوا في خلاف ذلك عملت
على حسب ذلك .

إني لست أمرك إلا بما أمرك به القرآن ، ولست أوصيك إلا بما
أوصاك به الرسول ، ولا أعظك إلا بما وعظ به الصالحون بعضهم بعضا ،

(١) الأكلة : الشاة التي تنزل للأكل وتسن ، مثل يضرب للمتمول لا آكل لماله .

(٢) أمر من الكيس بالفتح ، وهو العقل والفتنة .

(٣) رأش السهم يرش : ألزق عليه الريش ، ورواه الميداني في جمع الأمثال « قبل الرمي يرأش

السهم » مثل يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها ، وهو مثل قولهم « قبل الرماء تملأ الكنائن »
أي تؤخذ الأهبة للأمر قبل وقوعه .

(٤) أي ذات القرن ، ومن أمثالهم « عند النطاح يغلب الكيش الأجم » ويغلب بالبناء للمجهول ،
والنيس الأجم : الذي لا قرن له ، يضرب لمن عليه صاحبه بما أعده له .

(٥) العمر بالفتح والضم وكسب وكتف : من لم يجرب الأمور .

(٦) رواه الميداني « ليس عليك نسجه فاسحب وجر » أي أنك لم تنصب فيه فلذلك تفسده .

(٧) معنى : مقصد .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعقلها وتوكل » وقال مطرف بن
 الشخير : « من نام تحت صدف^(١) مائل وهو ينوي التوكل ، فليترم بنفسه
 من طمار^(٢) وهو ينوي التوكل » فأين التوقى الذى أمر الله به ، وأين التفرير
 الذى نهى عنه ؟ ومن طمع فى السلامة من غير تسلم^(٣) ، فقد وضع الطمع فى
 موضع الأمانى ، وإنما ينجز الله الطمع إذا كان فيما أمر به ، وإنما يحقق
 من الأبل ما كان هو المسبب له ، وفر عمر من الطاعون فقال له أبو عبيدة :
 « أتفر من قدر الله؟ » قال : « نعم الى قدر الله » وقيل له : « هل ينفع الحذر من القدر؟ »
 فقال « لو كان الحذر لا ينفع لكان الأمر به لغوا » فأبلاء العذر^(٤) هو التوكل ،
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال فى خُصومة : حسبي الله : « أبل
 الله عذرا ، فإذا أعجزك أمره فقل : حسبي الله » وقال الشاعر :

ومن يك مثلى ذا عيالٍ ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
 ليبل عذرا أربيلغ حاجة ومبلغ نفس عذرها مثل منجج
 وقال الآخر :

فإن يكن القاضى قصى غير عادل فبعد أمور لا ألوم لها نفسى
 وقال زهير الباني^(٥) : « إن كان التوكل أن أكون متى أخرجتُ مالى

(١) الصدف : كل شىء مرتفع من حائط ونحوه .

(٢) طمار : اسم للمكان العالى ، قال الشاعر :

« وآخر يهوى من طمار قتيل »

ينسد من طمار فتتح الرء ومن طمار بكسرهما منزونا وغير موزن ، وقيل هو اسم حمل .

(٣) المراد بالتسليم هنا : الأخذ بأسباب السلامة والعمل لها .

(٤) إبلاء العذر : تقديمه ، وكل من لم يقصر فى عمل شىء ولم ينجح فيه فقد أبل عذرا .

(٥) قال ياقوت فى معجم البلدان ٢ : ١٣ وينسب إلى باب الأبواب جماعة منهم زهير بن عيم الباني

روى بعض النسخ « الثانى » وهو تصحيف .

أيقنتُ بالخلف ، وجعلتُ الخلفَ مالا يرجع في كَيْسِي ، ومتى ما لم أحفظه
أيقنتُ بأنه محفوظ ، فإني أشهدكم أنني لم أتوكل قط ، إنما التوكل أن تعلم
أنك متى أخذت بأدب الله تتقلب في الخير فتُجزى بذلك إما عاجلا وإما
آجلا » ثم قال : فلم تجر أبو بكر ؟ ولم تجر عمر ؟ ولم تجر عثمان ؟ ولم تجر
الزبير ؟ ولم تجر عبد الرحمن^(١) ؟ ولم علم عمرُ الناسَ يتجرون ، وكيف
يشترون ويبيعون ؟ ، ولم قال عمر : « إذا اشتريت جملا فاجعله صنخا ، فإن
لم يبعه الخبز^(٢) باعه المنظر^(٣) » ؟ ، ولم قال عمر : « فرّقوا بين المنايا ، واجعلوا
الرأس رأسين^(٤) » ؟ ولم قال عثمان حين سئل عن كثرة أرباحه : « لم أرو من
ربح قط » ؟ ، ولم قيل : « لاتشترعيا ولاشيبا^(٥) » ؟ ، وهل حَجَرُ علي بن
أبي طالب على ابن أخيه عبد الله بن جعفر إلا في إخراج المال في غير حقه ،
وإعطائه في هواه ؟ ، وهل كان ذلك إلا في طلب الذكر ، والتماس الشكر ؟
وهل قال أحد : إن إنفاقه^(٥) كان في الخمر والقمار ، وفي الفسولة^(٦) والفسجور ؟
وهل كان إلا فيما تسمونه جودا . وتعدونه كرما ؟ ومن رأى أن يحجر على
الكرام لكرمهم رأى أن يحجر على العلماء لحلمهم^(٧) ! وأى إمام بعد
أبي بكر تريدون ؟ وبأى سلف بعد علي تقتدون ؟ .

(١) أي عبد الرحمن بن عوف .

(٢) الخبز : العلم والمعرفة .

(٣) انظر ص ٤٦٨ من الجزء الثالث .

(٤) الشيب معروف ، والمراد هنا لازمه . وهو الضعف ، وكبر السن ، أي لا تشتري داء عيب
ولا داء ضعف .

(٥) الضمير فيه يعود إلى عبد الله بن جعفر .

(٦) الفسولة : الدناءة .

(٧) أي لو كان حجر علي رضي الله عنه على عبد الله بن جعفر لكرمه لساغ الحجر على الحليم ،
وساغ الحجر على كل ذي فضيلة ، يريد أن يقول : إن إفاق ابن جعفر لم يكن كرما .

وكيف نرجو الوفاء والقيام بالحق والصبر على النائبة من عند لِعْمُوظٍ^(١)
مستأكلٍ، ومَلَأَقٍ مُخَادِعٍ، ومنهوم بالطعام شره لا يبالي بأى شيء أخذ
الدرهم، ومن أى وجه أصاب الدينار؟ ولا يكثر للمنة، ولا يبالي أن
يكون أبداً منهوماً منعوماً عليه، وليس يبالي إذا أكل كيف كان ذلك
الطعام؟ وكيف كان سببه؟ وما حكمه؟

فإن كان مالك قليلاً فانما هو قوام عيالك، وإن كان كثيراً فاجعل
الفاضل لعدة نوائبك، ولا يأمن الأيام إلا المضلل، ولا يفتقر بالسلامة إلا
المغفل، فاحذر طوارق البلاء، وخدع رجال الدهاء، سمنك في أديمك^(٢)،
وغثك خير من سمين غيرك^(٣) لو وجدته، فكيف ودونه أسل^(٤) حداد،
وأبواب شداد؟، قالت امرأة لبعض العرب: «إن تزوجتني كفتيك»
فأنشأ يقول:

(١) الحريس الشهوان .

(٢) من أمثالهم «سمنك هريق في أديمك» وكثيراً ما يقولون «سمنهم في أديمهم» يضرب للذي
لا يتجاوز خيره، قال أبو عبيدة: الأديم: المأدوم من الطعام، أى جعلوا سمنهم فيه ولم يفضلوا به .
وقال الأصمعي: أصله في قوم سافروا معهم نحي سمن، فانصب على أديم لهم، فكرهوا ذلك، فقيل
لهم: ماقص من سمنك زاد في أديمك .

(٣) أول من قال هذا المثل معن بن عطية المنجعي . وذلك أنه كانت بينهم وبين حى من أحياء
العرب حرب شديدة، فرمى معن في حملة حملها برجل من حربه صريعاً فاستغاثه وقال: امن على كفت
البلاء، فأرسلها مثلاً، فأقامه معن وسار به حتى بلغه مأمه، ثم عطف أولئك القوم على مذبح فهزموم
وأسروا معاً، وأخاله يقال له روق - وكان يضعف ويحمق - فلما اصرفوا إذا صاحب معن الذى
نجاه أخو رئيس القوم فاداه معن، وقال: يا خير جازيد أو ليتها نج منجيك

فعرفه صاحبه فقال لأخيه: هذا المان على ومنقذى بعد ما أشرمت على الموت . فبه لى، فوهبه له
نغلى سبيله، وقال: إني أحب أن أضعف لك الجزاء، فاختر أسيراً آخر، فاختر معن أخاه روقاً،
ولم يلتفت إلى سيد مذبح وهو فى الأسارى، ثم انطلق معن وأخوه راجعين، فر بأسارى قومهما،
فسألوا عن حاله فأخبرهم الخبر، فقالوا لمن: تبحك الله! تدع سيد قومك وشاعرهم لانفكك وتفكك
أخاك هذا الأنوك الغسل الرذل، فوالله ما نكأ جرحاً، ولا أعمل رجماً، ولا ذعر سرحاً، وإنه لفيح المنظر،
سبي الخبير، أئيم، فقال معن: «عثك خير من سمين غيرك» فأرسلها مثلاً .

(٤) الأسل: الرماح، واحدته أسلة .

إذا لم يكن لي غير مالك مسنى
وما خير مال ليس نافع أهله
وقال المعلوط القريني :

أبا هاني لا تسأل الناس والتمس
فلو تسأل الناس التراب لأوشكوا
بكفئك ستر الله فالله واسع
إذا قيل هاتوا أن يملوا فيمنعوا^(١)
(كتاب البخل ص ١٢٩)

٧٢ - كتاب عمرو بن عثمان القيني

إلى محمد بن عبيد الله العتي

وكان محمد^(٢) بن عبيد الله العتي صديقا لعمرو بن عثمان القيني ،
فكتب إليه العتي كتابا فزاده في الدعاء ، فكتب إليه عمرو :

يا بن الذوائب من قريش والنرى
حاشا لملك أن يراني قائلا
لم تررض إذ كنتي وبدأت بي
وسليل سادة ما كني البطحاء^(٤)
بكرامة تزري لديه براني
حتى دعوت الله لي يبقائي

(١) الحصص : الفقر كالحصاصة .

(٢) اطلعت في خلال اشتغالي بهذا المؤلف على تحقيق وشرح لكتاب البخل لأستاذي الجليلين ،
على بك الجارم ، وأحمد بك العوامري ، وقد استعت بمجهودهما المودق في هذه الرسالة فليهما من
قراء العربية جزيل الشكر .

(٣) هو محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ،
وكان أدبيا فاضلا وشاعرا مجيدا ، والعتي : نسبة إلى جده عتبه بن أبي سفيان . قال ابن خلكان :
ومحوز أن تكون نسبه إلى عتبة التي كان يقول الشعر فيها ، وتوفي سنة ٢٢٨ - انظر ترجمته في
وفيات الأعيان ١ : ٥٢٢ .

(٤) الذوائب : جمع ذؤابة بالضم ، وذؤابة كل شيء : أعلاه . والبطحاء : بطحاء مكة ، أي مسيل
وادئها .

ولو اقتصرت على التي هي قيمتي فيما تبتت قضية الحكاء
لكتبت لى: «عمر بن عثمان» ولم تتبعه في العنوان حرف دعاء
فاترك - جعلت فداك - إكرامى بما أخشى به عند الورى استغبائى (١)
فالعين تصغر أن تقدمها على أولاد «حرب» السادة الكرماء
حلوا من العز المنيع نيافه يحمون غيرهم ذرى العلياء (٢)
(أدب الكتاب ص ١٥٩)

٧٣ - كتاب المتوكل في الاعلان بلقبه

ولما مات هرون الواثق بن المعتصم سنة ٢٣٢ هـ ببيع بالخلافة أخوه
جعفر، ولقب المتوكل على الله، فأحضر محمد بن عبد الملك الزيات وأمر بالكتاب
بذلك إلى الناس، فنذت إليهم الكتب، نسخة ذلك:
«بسم الله الرحمن الرحيم: أمر - أبقاك الله - أمير المؤمنين - أطال
الله بقاءه - أن يكون الرسم الذى يجرى به ذكره على أعواد منابره، وفي
كتبه إلى قضاته وكتابه وعماله وأصحاب دواوينه وغيرهم من سائر من
تجرى المكاتبه بينه وبينه: «من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير
المؤمنين» فرأيتك في العمل بذلك وإعلامى بوصول كتابى إليك موقفا
إن شاء الله». تاريخ الطرى ١١: ٢٦

(١) أى عدى من الأعياء .
(٢) البياض: الحبل العالى الطويل، والمراد هنا: الفحة والدروه، ويقال أيضا حبل بياض: أى
طويل فى ارتفاع، وتصغر بياض: أى مرتفع، قال فى اللسان: «وقد محور أن يكون بياض مصدرا
ووصف به كما يوصف بالمصادر» .

٧٤٠ - كتاب المتوكل إلى عماله في النصارى وأهل الذمة

وفي سنة ٢٣٥ هـ كتب المتوكل إلى عماله في الآفاق ، بشأن النصارى
وأهل الذمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فإن الله تبارك وتعالى بعزته التي
لا تحاؤل ، وقدرته على ما يريد ، اصطفى الإسلام فرضيه لنفسه ، وأكرم به
ملائكته وبعث به رسوله ، وأيد به أوليائه ، وكنفه بالبر ، وحاطه بالنصر ،
وحرسه من العاهة ، وأظهره على الأديان ، مبراً من الشبهات ، معصوماً من
الآفات . محبباً بناقب الخير ، مخصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها ، ومن
الفرائض بأزكاها وأشرفها ، ومن الأحكام بأعدلها وأقنعها ، ومن الأعمال
بأحسنها وأقصدتها ، وأكرم أهله بما أحل لهم من حلاله ، وحرّم عليهم من
حرامه ، وبين لهم من شرائعه وأحكامه ، وحدّ لهم من حدوده ومناهجه ،
وأعدّ لهم من سعة جزائه وثوابه ، فقال في كتابه فيما أمر به ونهى عنه ، وفيما
حصّ عليه فيه ووعظ : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى
وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » وقال
فيما حرّم على أهله مما عمط^(١) فيه من ردىء المَطْعَمِ والمَشْرَبِ والمُنْكَحِ ،
لينزّههم عنه ، وليطهرّ به دينهم ليفضلهم عليهم تفضيلاً : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَحَلْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ^(٢) وَالْمُنْحَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ

(١) أى عاه وتله .

(٢) أى مارع الصوت لغير الله به فدمج على اسم غيره ، كقولهم : باسم اللات والعري عند دمه .
والمحنقة : التى مات بالحق . والموقوذة : المقتولة صرماً محسنة أو حجر . والمنردية : التى تردت

وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيجَةُ ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ
وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ » ثم ختم ما حرم عليهم من ذلك
في هذه الآية بحراسة دينه ممن عند^(١) عنه ، وبإتمام نعمته على أهله الذين
اصطفاهم ، فقال عز وجل : « الْيَوْمَ يَتَسَاءَلُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْنَهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ، الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » وقال عز وجل « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ
وَبنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ
وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي
دَخَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ
أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، إِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا » وقال « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ
رِجْسٌ^(٢) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ

وسقطت من علوف فسات . والنطيحة : التي نطحتها أخرى فسات . وما أكل السبع : أي وما أكل
منه السبع فسات ، إلا ما ذكركم : التذكية : الذبح ، أي إلا ما أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء
فدبحتموه ، وما ذبح على النصب : وهي أحجار كانت منصوبة حول الكعبة يذبحون عليها ويعبدون
ذلك قربة ، وقيل هي الأصنام ، أي وما ذبح على اسم النصب ، وأن تستقسموا : أي تطلبوا معرفة
ما قسم لكم ، والأزلام : جمع زلم بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام ، وهو قدح (كقرود) صغير لا ريش
له ولا نصل ، وكانوا إذا قصدوا فعلا ، أجالوا ثلاثة قداح ، مكتوب على أحدها أمرني ربي ، وعلى
الآخر نهاني ربي ، والثالث غفل . فإن خرج الأول مضوا في الأمر ، وإن خرج الثاني تحنبوه ، وإن
خرج الثالث أجالوها ثانية .

(١) أي مال عنه .

(٢) الرجس : القدر .

الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّبِعُونَ .

فخرَّم على المسلمين من ما كِلِ اهل الأديان أرْجَسَهَا وَأَنْجَسَهَا ، ومن
شرايهم أَدْعَاهُ إِلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، وَأَصَدَّهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ،
ومن مَنَاجِحِهِمْ أَعْظَمَهَا عِنْدَهُ وَزُرَا ، وَأَوْلَاهَا عِنْدَ ذَوِي الْحِجَابِ وَالْأَبَابِ
تَحْرِيمًا ، ثُمَّ حَبَّأَهُمْ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ ، وَفَضَائِلَ الْكِرَامَاتِ ، فَجَعَلَهُمْ أَهْلَ
الْإِيمَانِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْفَضْلِ وَالتَّرَاحُمِ ، وَالْيَقِينِ وَالصَّدْقِ ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِي دِينِهِمُ
التَّقَاطُعَ وَالتَّدَابُرَ ، وَلَا الْحَمِيَّةَ وَلَا التَّكْبُرَ ، وَلَا الْخِيَانَةَ وَلَا الْغَدْرَ ،
وَلَا التَّبَاغِيَّ وَلَا التَّظَالُمَ ، بَلْ أَمَرَ بِالْأَوْلَى ، وَنَهَى عَنِ الْآخِرَى ، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ
عَلَيْهَا جَنَّتَهُ وَنَارَهُ ، وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ ، فَالْمَسْمُونُ بِمَا اخْتَصَّهُمُ اللَّهُ مِنْ كِرَامَتِهِ ،
وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْفَضِيلَةِ بِدِينِهِمُ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُمْ ، بِأَنْوَانٍ عَلَى الْأَدْيَانِ
بِشَرَائِعِهِمُ الزَّكَاةِ ، وَأَحْكَامِهِمُ الرِّضْيَةِ الطَّاهِرَةِ ، وَبِرَاهِينِهِمُ الْمُنِيرَةِ ،
وَبِتَطْهِيرِ اللَّهِ دِينَهُمْ بِمَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ فِيهِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، قَضَاءً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
فِي إِعْزَازِ دِينِهِ حَتْمًا ، وَمَشِيدَةً مِنْهُ فِي إِظْهَارِ حَقِّهِ مَاضِيَةً ، وَإِرَادَةً مِنْهُ فِي إِتْمَامِ
نِعْمَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ نَافِذَةً « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَدِنَا وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ
يَدِنَا » وَلِيَجْعَلَ اللَّهُ الْفُوزَ وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ، وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
عَلَى الْكَافِرِينَ .

وقد رأى أمير المؤمنين - وبالله توفيقه وإرشاده - أن يحمل أهل الذمة

جميعاً بحضرة وفي نواحي أعماله أقربها وأبعدها ، وأخصهم وأخسهم ، على

تصير طيالبستهم^(١) التي يلبسونها ، من لبسها من تجارهم وكتائبهم وكبيرهم
وصغيرهم ، على ألوان الثياب العسليّة ، لا يتجاوز ذلك منهم متجاوز إلى غيره ،
ومن قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم وأرذالهم ومن يقعد به حاله عن
لبس الطيالبسة منهم ، أخذ بتركيب خرقتين ، صبغهما ذلك الصبغ ، يكون
استدارة كل واحدة منهما شبرا تاما في مثله ، على موضع أمام ثوبه الذي
يلبسه تلقاء صدره ومن وراء ظهره ، وأن يؤخذ الجميع منهم في قلانسهم^(٢)
بتركيب أزرة عليها ، يخالف ألوانها ألوان القلانس ، ترتفع في أماكنها
التي تقع بها ، لئلا تلتصق قنستر ، ولا ما يركب منها على حبال^(٣) فيخفي ،
وكذلك في سروجهم باتخاذ ركب^(٤) خشب لها ، ونصب أكر على
قرايسها^(٥) تكون ناتئة عنها وموفية عليها ، لا يرخص لهم في إزالتها عن
قرايسهم وتأخيرها إلى جوانبها ، بل تتفقد ذلك منهم ليقع ما وقع من الذي
أمر أمير المؤمنين بحملهم عليه ظاهرا يتبينه الناظر من غير تأمل ، وتأخذه
الأعين من غير طلب ، وأن تؤخذ عبيدهم وإماؤهم ومن يلبس المناطق من
تلك الطبقة بشد الزنانير والكساتيج^(٦) مكان المناطق التي كانت في

(١) الطيالبسة جمع طيلسان بفتح الطاء وتثنية اللام : صرب من الأكية أسود ، فارسي معرب .

(٢) القلانس : جمع قلنسة بفتحين فسكون فضم ففتح ، وهي لباس الرأس .

(٣) الحالك : حبل يشد به على الوسط .

(٤) الرك ، جمع ركاب بالكسر ، والركاب للسرج كالغرز للرحل .

(٥) القرايس : جمع قريوس بفتح أوله وثانيه ، وهو حنو السرج (بكسر الحاء) ، وله قريوسان
والكرة : معروفة ، وأصلها كرة حذفت الواو ، وتجمع على كرات وكرين ، وتجمع أيضا
على أكر وأصله وكر مقلوب اللام إلى موضع الفاء ، ثم أبدلت الواو همزة لانضمامها ، وناتئة :
مرتفعة .

(٦) المناطق : جمع منطقة كككنسة ، وهي ما يشد على الوسط ، والزنانير : جمع زنار كفتاح ، وهو
ما يشد على وسط الصاري والمجوس ، والكساتيج جمع كستيج بالصم : وهو خيط عريض يشده الذي
فوق ثيابه دون الزنار .

أوساطهم ، وأن تُوعزَ إلى عمالك فيما أمر به أمير المؤمنين في ذلك إيعازاً
تُحذوهم^(١) به إلى استقصاء ما تقدم إليهم فيه ، وتُحذّرهم إدهاناً^(٢) وميلاً ،
وتتقدّم إليهم في إنزال العقوبة بمن خالف ذلك من جميع أهل الذمة عن
سبيل عنادٍ وتهوينٍ إلى غيره ، ليقتصرَ الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم ،
على السبيل التي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها ، وأخذهم بها إن شاء الله .
فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وأثقت إلى عمالك في نواحي
عملك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله ، وأمير
المؤمنين يسأل الله ربّه ووليّه أن يصليّ على محمد عبده ورسوله ، صلى الله
عليه وملائكته ، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ، ويتولّى
ماولاه مما لا يبلغ حقه فيه إلا بعونه ، حفظاً يحمل به ما حمّله . وولايةً
يقضى بها حقه منه ، ويوجب بها له أكمل ثوابه ، وأفضل مزيده ، إنه
كريم رحيم .

وكتب إبراهيم بن العباس في شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين .

(تاريخ الطبري ١١ : ٢٦)

٧٥ - كتاب المتوكل بولاية العهد لبنيه

وفي سنة ٢٣٥ هـ أيضاً عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة - المنتصر والمعتز

والمؤيد - بولاية العهد ، وضم إلى المنتصر إفريقية والمغرب وما يضاف

(١) أي تسوتهم .

(٢) الإدهان : الغش .

إليها ، وإلى المعتز كورخراسان وما يضاف إليها ، وإلى المؤيد الشام ، وكتب
بينهم كتابا نسخته :

« هذا كتاب كتبته عبد الله جعفر بن الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ،
وأشهد أنه على نفسه بجميع ما فيه ، ومن حضر من أهل بيته وشيعته وقواده
وقضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين ، لمحمد المنتصر بالله
ولأبي عبد الله المعتز بالله ، وإبراهيم المؤيد بالله بنى أمير المؤمنين ، في أصالة
من رأيه ، وعموم من عافية بدنه ، واجتماع من فهمه ، مختاراً لما شهد به ،
متوخياً بذلك طاعة ربه ، وسلامة رعيته واستقامتها ، وانقياد طاعتها ،
واتساع كلمتها ، وصلاح ذات بينها ، وذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين
ومائتين ، إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين
ولاية عهد المسلمين في حياته ، والخلافة عليهم من بعده ، وأمره بتقوى الله
التي هي عصمة من اعتم بها ، ونجاة من لجأ إليها ، وعز من اقتصر عليها ،
فإن بطاعة الله تم النعمة ، وتجب من الله الرحمة ، والله غفور رحيم ، وجعل
عبد الله جعفر بن الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين الخلافة من بعد محمد
المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، إلى أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ،
ثم من بعد أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين الخلافة إلى إبراهيم
المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

وجعل عبد الله جعفر بن الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد
المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، على أبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله

أَبْنَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالنَّصِيحَةَ وَالْمُشَايَعَةَ وَالْمُوَالَاةَ لِأَوْلِيَائِهِ ،
وَالْمَعَادَاةَ لِأَعْدَائِهِ ، فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ ، وَالغَضَبَ وَالرِّضَا ، وَالْمَنْعَ وَالْإِعْطَاءَ ،
وَالْتِمَسْكَ بِبَيْعَتِهِ ، وَالْوَفَاءَ بِعَهْدِهِ ، لَا يَبْغِيَانِهِ فَائِلَةً^(١) ، وَلَا يَحَاوِلَانِهِ مُخَافَةً^(٢) ،
وَلَا يُحَالِئَانِ^(٣) عَلَيْهِ عَدُوًّا ، وَلَا يَسْتَبِدَّانِ دُونَهُ بِأَمْرٍ يَكُونُ فِيهِ تَقْصُّرٌ لِمَا
جَعَلَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ فِي حَيَاتِهِ وَالْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ ،

وَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ جَعْفَرَ الْإِمَامَ الْمُتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مُحَمَّدِ
الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ
أَبْنَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : الْوَفَاءَ بِمَا عَقَدَهُ لهُمَا ، وَعَهْدَ بِهِ إِلَيْهِمَا ، مِنْ الْخِلَافَةِ
بَعْدَ مُحَمَّدِ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ
ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزِ بَأَنَّهُ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -
وَالِإِتِمَامَ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا يَخْلَعُهُمَا ، وَلَا وَاحِدًا مِنْهُمَا ، وَلَا يَعْقِدُ دُونَهُمَا وَلَا
دُونَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَيْعَةً لَوْلَدٍ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَلَا يُؤَخَّرُ مِنْهُمَا
مَقْدَمًا ، وَلَا يَقْدَمُ مِنْهُمَا مُؤَخَّرًا ، وَلَا يَنْقُصُهُمَا ، وَلَا وَاحِدًا مِنْهُمَا شَيْئًا مِنْ
أَعْمَالِهِمَا الَّتِي وَلَاهُمَا عَبْدُ اللَّهِ جَعْفَرُ الْإِمَامِ الْمُتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، مِنْ الصَّلَاةِ وَالْمَعَاوِنِ وَالْقَضَاءِ وَالْمَظَالِمِ وَالْخَرَاجِ وَالضِّيَاعِ
وَالْغَنِيمَةِ وَالصَّدَقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حَقُوقِ أَعْمَالِهِمَا ، وَمَا فِي عَمَلٍ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا مِنَ الْبَرِيدِ وَالطَّرَازِ^(٣) وَخَزْنِ بَيْوتِ الْأَمْوَالِ وَالْمَعَاوِنِ وَدُورِ الضَّرْبِ ،

(١) العائلة : الداهية . والمخالفة : المخادعة .

(٢) ماله على الأمر : ساعده وشايعه .

(٣) الطراز ٢٢٥ من الجزء الثالث .

وجميع الأعمال التي جعلها أمير المؤمنين ويجعلها إلى كل واحد منهما ، ولا ينقل عن واحد منهما أحدا من ناحيته من القواد والجند والشاكرية^(١) والموالي والعلمان وغيرهم ، ولا يعترض عليه في شيء من ضياعه وإقطاعاته وسائر أمواله وذخائره وجميع ما في يده وما حواه وملكت يده ، من تالد وطارف ، وقديم ومستأنف ، وجميع ما يستفيدة ويستفاد له ، بنقص ، ولا بخريم ، ولا بجنف^(٢) ، ولا يعرض لأحد من عماله وكتابه وقضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه وجميع أسبابه ، بمناظرة ولا محاسبة ، ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها ، ولا يفسخ فيها وكده أمير المؤمنين لهما في هذا العقد والعهد بما ينزل ذلك عن جهته ، أو يؤخره عن وقته ، أو يكون ناقضا لشيء منه .

وجعل عبد الله جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، إن أفضت إليه الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين ، ومثل الشروط التي اشترطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، بجميع ما سمي فيه ووصف في هذا الكتاب ، وعلى ما بين وفسر ، مع الوفاء من أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، بما جعله أمير المؤمنين لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك رضىا مضميا له مقدما ما فيه حق الله عليه وما أمره به أمير المؤمنين ، غير ناكث ولا ناكب^(٣) بذلك ولا مبدل ، فان الله تعالى

(١) الشاكرية : الأخير والمستخدم .

(٢) أصل الحرم : صم الحررة . ومعناه ها : القص . والحف : الميل والجور ، وفي الأصل

« ولا يحرم ولا يحف » وأراه مصححا . (٣) نك عنه كصر وترح : عدل .

جَدُّهُ ، وَعَزَّ ذِكْرُهُ ، يَتَّوَعَدُ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ ، وَعِنْدَ (١) عَنْ سَبِيلِهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : « فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

على أن لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين ، على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين [إذا أفضت الخلافة إليه (٢)] وهما مقيمان بحضرتة ، أو أحدهما ، أو كانا فائبين عنه ، مجتمعين كانا أو متفرقين ، وليس أبو عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، وليس إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بالشام وأجنادها ، فعلى محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين أن يمضي أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إلى خراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، وأن يسلم له ولايتها وأعمالها كلها وأجنادها ، والكور الداخلة فيما ولى جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، فلا يعوقه عنها ، ولا يجبسه قبله ، ولا في شيء من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة إليها ، وأن يعجل إشخاصه إليها ، وإلياً عليها وعلى جميع أعمالها ، مفرداً بها ، مفوضاً إليه أعمالها كلها ، لينزل حيث أحب من كور عمله ، ولا ينقله عنها ، وأن يشخص معه جميع من ضم إليه أمير المؤمنين ، ويضم من مواليه وقواده وشاكريته وأصحابه وكتابه وعماله وخدمه ، ومن اتبعه من صنوف الناس

(١) عد عن الطريق كنصر وسمع وكرم : مال .

(٢) ما بين القوسين ساقط من الأصل ، والسياق يقتضيه ، وسيرد نظيره في الرسالة نفسها بعد .

بأهاليهم وأولادهم وعيالهم وأموالهم ، ولا يجبسُ عنه أحدا ، ولا يُشرك في شيء من أعماله أحدا ، ولا يوجه عليه أمينا ولا كاتبا ولا بريدا ، ولا يضرب (١) على يده في قليل ولا كثير ، وأن يُطلق محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخروجَ إلى الشام وأجنادها ، فيمن ضمَّ أمير المؤمنين ويضمُّه إليه ، من مواليه وقواده وخدمته وجنوده وشاكريته وصحابته وعماله وخدامه ، ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وأموالهم ولا يجبسُ منهم أحدا ، ويسلمُ إليه ولايتها وأعمالها وجنودها كلها ، لا يعوقُ عنها ولا يجبسه قبلة ، ولا في شيء من البلدان دونها ، وأن يعجل إخصاصه إلى الشام وأجنادها ، والياً عليها ، ولا ينقله عنها ، وأن عليه له فيمن ضمَّ إليه من القواد والموالي والغلمان والجنود والشاكريّة وأصناف الناس ، وفي جميع الأسباب والوجوه مثل الذي اشترط على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في خراسان وأعمالها ، على ما رسم من ذلك وبيّن وتخصّص وشرح في هذا الكتاب .

ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين إذا أفضت الخلافةُ إليه وإبراهيمُ المؤيد بالله مقيم بالشام أن يُقرَّه بها ، أو كان بحضرته ، أو كان غائبا عنه ، أن يُمضيه إلى عمله من الشام ، ويسلمُ إليه أجنادها وولايتها وأعمالها كلها ، ولا يعوقه عنها ، ولا يجبسه قبلة ولا في شيء من البلدان دونها ، وأن يعجل إخصاصه إليها ، والياً عليها

(١) صرب على يده : معه من أمر أخذ فيه ، كجبر عليه .

وعلى جميع أعمالها ، على مثل الشرط الذي أخذ لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، في خراسان وأعمالها ، على ما رسم ووصف وشرط في هذا الكتاب لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه وله هذه الشروط ، من محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بن أمير المؤمنين ، أن يُرَبَّلَ شيئاً مما اشترطنا في هذا الكتاب ووَكَّدْنَا ، وعليهم جميعاً الوفاء به ، لا يقبلُ الله منهم إلا ذلك ولا التمسك إلا بعهد الله فيه ، وكان عهدُ الله مسئولاً .

أشهد الله رب العالمين جعفر بن الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ومن حضر من المسلمين بجميع ما في هذا الكتاب ، على إيمضائه إياه ، على محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله بن أمير المؤمنين . بجميع ما سُمِّيَ ووصف فيه ، وكفى بالله شهيداً ومُعِيناً لمن أطاعه راجياً ، ووفى بعهده خائفاً ، وحسيباً ومُعاقباً من خالفه مُعَانِداً ، أو صدَفَ (١) عن أمره مجاهداً .

وقد كُتِبَ هذا الكتاب أربع نسخ ، وُقِّعت شهادةُ الشهود بحضرة أمير المؤمنين في كل نسخة منها ، في خزانة أمير المؤمنين نسخة ، وعند محمد المنتصر ابن أمير المؤمنين نسخة ، وعند أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين نسخة ، ونسخة عند إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

وقد ولى جعفر بن الإمام المتوكل على الله أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين أعمال فارس وأرمينية وأذربيجان إلى ما بلى أعمال خراسان

وكُورِها والأعمال المتصلة بها والمضمومة إليها ، على أن يجعل له على محمد
المتصر بالله ابن أمير المؤمنين في ذلك ، الذي جعل له في الحياطة في نفسه ،
والوثاق في أعماله والمضمومين إليه وسائر من يستعين به من الناس جميعا ،
في خراسان والكُور المضمومة إليها والمتصلة بها ، على ما سمى ووصف في
هذا الكتاب . (تاريخ الطبري ١١ : ٣٩)

٧٦ - كتاب عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الحسن بن عثمان

وفي سنة ٢٤١ هـ ضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم ، صاحب خان
عاصم ببغداد ألف سوط فيما قيل .
وكان السبب في ذلك أنه شهد عليه عند أبي حسان الزياتي قاضي
الشرقية ، أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة^(١) ، سبعة عشر رجلا ،
شهاداتهم فيما ذكر مختلفة من هذا النحو ، فكتب بذلك صاحب برید
بغداد إلى عبيد الله^(٢) بن يحيى بن خاقان ، فأنهى عبيد الله ذلك إلى المتوكل^(٣) ،

(١) هي حفصة بنت عمر بن الخطاب .

(٢) وزير المتوكل - انظر الفخرى ص ٢١٦ ، وذكر الطبري أنه استكتبه سنة ٢٣٦ هـ - تاريخ
الطبري ١١ : ٤٤ .

(٣) وكان مقر الخلافة يومئذ مدينة سر من رأى (سامرا) بفتح الميم ، وهي مدينة بين بغداد
وتكريت على شرف دجلة ، وذلك أن جيوش المعتصم كانوا قد كثروا حتى بلغ عدد ممالئكة من
الأتراك سبعين ألفا ، فدوا أيديهم إلى حرم الناس ، وسعوا فيها بالفساد ، وضائق عنهم بغداد ،
وكان إذا ركب مات جماعة من الصبيان والعميان والضعفاء لازدحام الخيل وضغطهم ، فاجتمع أهل
الخبر على باب المعتصم وقالوا له : إما أن تخرج من بغداد فإن الناس قد تأدوا بفسادك ، وإما أن
تخارجك ، فقال : كيف تخارجوني ؟ قالوا : تخارجك بسهام السحر ، قال : وما سهام السحر ؟ قالوا :
ندعو عليك ، فقال : لا طاعة لي بذلك ، وخرج من بغداد وبني سر من رأى سنة ٢٢١ هـ ونزل بها ،
وأقام بها ابنه الواثق ثم المتوكل ، وبني بها قصورا كثيرة - ولم يبق بها أحد من الخلفاء من الأبنية
الجليلة مثل ما بناه المتوكل ، ولم تزل في صلاح وزيادة وعمارة إلى آخر أيام المتصر بن المتوكل ، ثم

فأمر المتوكل أن يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر^(١) يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط ، فإذا مات رُمى به في دجلة ، ولم تدفع جيفته إلى أهله ، فكتب عبيد الله إلى الحسن بن عثمان^(٢) جواب كتابه إليه في عيسى :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أبقاك الله وحفظك ، وأتم نعمته عليك ، وصل كتابك في الرجل المسمى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات ، وما شهده به الشهود عليه من شتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم وإكفارهم ورؤيتهم بالكبائر ، ونسبتهم إلى النفاق ، وغير ذلك مما خرج به إلى المعاندة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتبئيتك في أمر أولئك الشهود وما شهدوا به ، وما صحَّ عندك من عدالة من عدل منهم ، ووضَّح لك من الأمر فيما شهدوا به ، وشرَّحك ذلك في رُقعةٍ درج^(٣) كتابك ، فعرضتُ على أمير المؤمنين - أعزه الله - ذلك ، فأمر بالكتاب إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر مولى أمير المؤمنين - أبقاه الله - بما قد نفذ إليه مما يُشبهه ما عنده - أبقاه الله - من نُصرة دين الله وإحياء سنته ، والانتقام ممن ألدَّ فيه ، وأن يُضرب الرجل حدًّا في بجمع الناس حدَّ الشتم ، وخمسمائة سوط بعد الحدِّ للأموار العظام التي اجترأ عليها ، فان مات أُلقي في الماء من غير صلاة ، ليكون ذلك ناهياً لكل مُلحد في الدين ، خارج من جماعة

أخذت في التناقص إلى أن كان آخر من انتقل إلى بغداد من الخلفاء وأقام بها وترك سر من رأى المعتضد بالله المتوفى سنة ٢٨٩ هـ - انظر معجم ياقوت ٥ : ١٢ والنخري ص ٢١١ .

(١) قال الطبري (١١ : ٤٥) « وفي سنة ٢٣٧ قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان ، فولى الشرطة والجرية وأعمال السواد وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام ، ثم صار إلى بغداد » .

(٢) صاحب بريد بغداد .

(٣) الدرج : الذي يكتب فيه .

المسلمين ، وأعلمتُك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة
الله وبركاته .

وذكر أن عيسى هذا لما ضرب ترك في الشمس حتى مات ، ثم رمى
به في دجلة . (تاريخ الطبري ١١ : ٥١)

٧٧ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وحمل محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبا العيناء^(١) على دابة زعم
أنه غير فار^(٢) ، فكتب إلى أبيه عبيد الله :
« أَعْلِمُ الْوَزِيرَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - أَنْ أَبَا عَلِيٍّ مُحَمَّدًا أَرَادَ أَنْ يَبْرَأَنِي فَعَقَّنِي ، وَأَنْ
يُرَكِبَنِي فَأَرْجَلَنِي ، أَمَرَ لِي بِدَابَّةٍ تَقِفُ لِلنَّبْرَةِ^(٣) ، وَتَعْتُرُ بِالْبَعْرَةِ ، كَالْقَضِيبِ
الْيَابِسِ عَجْفًا^(٤) ، وَكَالْعَاشِقِ الْمَهْجُورِ دَنَفًا^(٥) ، قَدْ أَذْكَرَتِ الرَّوَاةَ عُرْوَةَ^(٦) »

(١) هو محمد بن القاسم بن خلاد ، وكان فصيحاً بليغاً شاعراً ، وكان من ظرفاء العالم ، وفيه من
اللسن وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله مع المتوكل مجالس ، ولد سنة ١٩١ هـ
وعمره أربعون سنة وتوفي سنة ٢٨٢ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٥٠٤ ، وزهر
الآداب ١ : ٢٨٩ - ٢٩٦ ، والفهرست لابن النديم ص ١٨١ .

(٢) الدابة : مادبة من الحيوان ، وغلب على ما ركب ، ويقع على المذكر ، والفاره من الدواب :
الجيد السير ، قالوا : ويقال للبغل والحمار والبرذون : فاره ، ولا يقال للفرس فاره ، ولكن
رائع وجواد .

(٣) يقال : نبر الرجل نبرة : إذا تكلم بكلمة فيها علو ، والنبرة : صيحة الفزع ، ونبرة المغني :
رفع صوته عن خفض .

(٤) العجف : الهزال .

(٥) الدنف : المرض الملازم .

(٦) في الأصل « عذرة » وهو تحريف وصوابه « عروة » وهو عروة بن حزام بن مهاصر
العذري صاحب عفرات بنت عقاب بن مهاصر - بنت عمه - وهو شاعر إسلامي ، وأحد المتيسين الذين
قتلهم الهوى ، مات من حب ابنة عمه عفرات - انظر ترجمته في الأغاني ٢٠ : ١٥٢ ، والشعر والشعراء
ص ٢٣٧ ، وقرأ قصيدته النونية في الأغاني ، وفي كتاب النوادر لأبي علي القالي عقب ذيل الأمالي ، =

العُدْرِيّ ، والمجنونَ العامريّ^(١) ، مساعدُ أعلاه لأسفله ، حُباقُه^(٢) مقرون
بسُعاله ، فلو أمسكَ لترجيتُ ، ولو أفردَ لتمزيتُ ، ولكنه يجمعهما في
الطريق المعمور . والمجلس المشهور ، كأنه خطيبُ مُرشد ، أو شاعرُ مُنشد ،
تضحك من فعله الذُّسوانُ ، وتتناغى^(٣) من أجله الصُّبيانُ ، فمن صائحٍ يصبح
دأوه بالطباشير^(٤) ، ومن قائلٍ يقول : نوَّله^(٥) الشعيرَ ، قد حفظ الأشعارَ ،
وروى الأخبارَ ، ولحقَ العلماءَ في الأمصارَ ، فلو أُدينَ بنطق ، لروى بحقٍ
وصدق ، عن جابر الجعفيّ ، وعامر الشعبيّ^(٦) .

وإنما أُتيتُ من كاتبه الأعور ، الذي إذا اختار لنفسه أطابَ وأكثرَ ،
وإن اختار لغيره أخبثَ وأتزرَّ^(٧) ، فإن رأى الوزير أن يُبدلني به ، ويُرِيحني
منه بمركوبٍ يُضحكني كما أضحكَ مني ، ويمحو بحُسْنه وفراسته ، ماسطره

— والعُدري نسبة إلى عذرة: قبيلة من اليمن ، وهم مشهورون بالعشق والشفقة ، ومنهم جميل بن عبد الله
ابن معمر العُدري صاحب بئنة ، وخبره مشهور — انظر ترجمته في الأغانى ٧: ٧٢ ، ووفيات الأعيان
١ : ١١٥ .

(١) هو قيس بن الملوح مجنون بن عامر ، صاحب ليلي ، وخبره مشهور أيضا — انظر خبره في
الأغانى ١ : ١٦١ ، ٢ : ٢ .

(٢) الحباق : الضراط .

(٣) ناغت المرأة الصبي : كلته عما يحبه ويسره .

(٤) الطباشير : دواء يكون في جوف القنا الهندي .

(٥) نوَّله : أعطاه .

(٦) الجعفي : نسبة إلى جعفي بن سعد العشيرة بن مدحج ، أبو حنيفة باليمن ، وأعقب جعفي من ولديه
مران (كرمان) وصرم (كزبير) ومن ولد مران جابر بن يزيد العقيه — انظر شرح القاموس
٦ : ٥٧ ، وعامر الشعبي : هو عامر بن سراحيل (بفتح التين) كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم ،
قال الزهري : « العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري
بالبصرة ، ومكحول بالشام » والشعبي نسبة إلى شعب ، وهو بطن من همدان ، وكات أمه من سبي
جلولاء ، ووفى سنة ١٠٥ هـ — انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٢٤٤ .

(٧) أتزره : قلله .

الْمَلْعِيبُ بِقَبْحِهِ وَدَمَامَتِهِ^(١) ، ولست أذكر أمر سرجه وجامه ، فإن الوزير
أكرم من أن يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يمضيه .

فوجه عيد الله إليه برذونا^(٢) من برأذينه بسرجه وجامه ، ثم اجتمع
مع محمد بن عبيد الله عند أبيه ، فقال عيد الله : شكوت دابة محمد ، وقد
أخبرني الآن أنه يشتريه منك بمائة دينار ، وما^(٣) هذا ثمنه لا يشتكي !
فقال : أعز الله الوزير ، لو لم أكذب مستزيدا^(٤) ، لم أنصرف مستفيدا ،
وإني وإياه لكما « قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ : الْآنَ حَصْحَصَ^(٥) الْحَقُّ ، أَنَارَاوُدْتُهُ
عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لِمِنَ الصَّادِقِينَ » فضحك عيد الله وقال : حُجَّتْكَ
الْمَدَاحِضَةُ^(٦) ، بملاحتك وظرفك ، أبلغ من حجة غيرك البالغة .

(رهر الآداب ٢ : ١٦٥)

٧٨ - كتاب عبد الله بن خاقان إلى أبي الجهم

ولعبد الله^(٧) بن خاقان إلى أبي الجهم .

« أما بعدُ فإني إن بدأتُ بصفة فضلك ، وما خصك الله به ، فأنت أفضلُ
مما أصفك ، وإن قدّمتُ الصفة لنفسى في الإخبار عنها بما هي عليه في المودة

(١) الدمامة : الفصح .

(٢) البرادين من الخيل : ما كان من غير تاح العرب .

(٣) ماها موصولة .

(٤) استراد فلان فلانا : إذا عتب عليه في أمر لم يرصه .

(٥) حصحص : تين وطهر .

(٦) حجة داخضة : باطلة .

(٧) ربما كان « عيد الله » .

والهوى ، رأيتك قد ابتدأت متفضلاً متطوِّلاً بما لا يؤمِّلُ أكثرُ منه ،
ولا يُلتَمَسُ على الاستحقاق في حدِّ الجزاء .

(اختيار المظوم والمشور ١٣: ٣٩٤)

٧٩ - كتاب أنى العيناء إلى أبى نوح

وكتب أبو العيناء إلى أبى نوح يهنئه بإسلامه :

« لقد عظمتُ نعمةُ الله عليك ، في منابذة^(١) أهل الذلَّة والصِّغار ، والكفر
والإصرار ، الذين أحلُّوا قومهم دار البوار ، جهنمَ يصلونَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ ،
والذين جعلوا لله أنداداً ، ودَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ
يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ،
وَأَيُّنِكَ نعمةُ الله عليك ، في أخوة المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ،
فقد أصبحت لهم أخاً ، وأصبح الدعاء لهم عليك من الله فرضاً ، قال الله عز
وجل : « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

ولله أبوك ! لقد قدحت فأوريت ، واستنضات فاهتديت ، ومخضت
الأمر تم اقتنيت ، لا كمن فكر وقدَّرَ نَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، فالحمد لله الذى
أفاز^(٢) قِدْحَكَ ، وأعلى كعبك ، وأنقذه من النار شلوك^(٣) ، وخاصك من لبس

(١) أى محالفة .

(٢) أى جعل العور من بصيبه ، يقال : أفاره الله تكدا : أى أطهره .

(٣) الشلو : الحسد .

الحَيْرَة ، وَجَمْرَة الشُّرْكَ ، إِنْ الشُّرْكَ لَظْمٌ عَظِيمٌ . وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا
خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ^(١) ،
فَأَصْبَحَتْ - أَكْرَمَكَ اللَّهُ - وَقَدْ اسْتَبَدَلَتْ بِالْبَيْعِ الْمَسَاجِدَ ، وَبِالْأَحَادِ
الْجُمُعَ ، وَيَقْبَلَةُ الشَّامَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ . وَتَحْرِيفَ الْإِنْجِيلِ صَحَّةَ التَّنْزِيلِ ،
وَبَارْتِيَابِ الْمُشْرِكِينَ يَقِينَ الْمُوَحِّدِينَ ، وَبِحُكْمِ الْأَسْقُفِ رَأْسِ الْمُلْحَدِينَ ، حُكْمُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، فَهَنَّاكَ اللَّهُ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ
إِلَيْكَ ، وَأَوْزَعَكَ ^(٢) شُكْرَهُ ، وَزَادَكَ بِشُكْرِهِ مِنْ فَضْلِهِ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٥)

٨٠ - كتاب أبي علي البصير إلى عبید الله بن يحيى بن خاقان

وَكُتِبَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ ^(٣) إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ :
« وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا اسْتَخْلَصَكَ لِنَفْسِهِ ، وَأَتَمَّنَكَ عَلَى رِعِيَّتِهِ ،
فَنَطَقَ بِلِسَانِكَ ، وَأَخَذَ وَأَعْطَى بِيَدِكَ ، وَأُورِدَ وَأُصْدِرَ عَنْ رَأْيِكَ ، وَكَانَ
تَقْوِيضُهُ إِلَيْكَ بَعْدَ امْتِحَانِهِ إِيَّاكَ ، وَتَسْلِيطِهِ الْحَقَّ عَلَى الْهَوَى فَيْكَ ، وَبَعْدَ أَنْ
مَيَّلَ ^(٤) بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ سَمَوْا لِمَرْتَبَتِكَ ، وَجَرَّوْا إِلَى غَايَتِكَ ، فَأَسْقَطَهُمْ
مِضْمَارُكَ ^(٥) ، وَخَفُّوْا فِي مِيزَانِكَ ، وَلَمْ يَزِدْكَ - أَكْرَمَكَ إِنْ - رَفْعَةً

(١) أي عبید .

(٢) أي ألهمك .

(٣) هو أبو علي الصرير الفضل بن جعفر ، شاعر بليغ مترسل . وهو أحد من جمع له حظ
البلاغة في الموزون والمنثور ، وكان بينه وبين أبي العيناء مهاجاة ومكاتبات طيبة - انظر فهرست
لابن الديم ص ١٧٨ ، ووفيات الأعيان ١ : ٥٠٤ ، وزهر الآداب ١ : ٣٤٠ .

(٤) التميل بين الشئين كالترجيح بينهما ، وفي الأصل « مثل » .

(٥) المضار : عاية الفرس في السباق

وتشريفًا ، إلا ازددت له هيبةً وتعظيمًا ، ولا تسليطًا وتمكينًا ، إلا زدت
 نفسك عن الدنيا عزوفًا^(١) وتنزيهاً ، ولا تقربًا واختصاصًا ، إلا ازددت
 بالعامّة رافةً ، وعليها حدبًا^(٢) ، لا يُخْرِجُكَ فَرَطُ النُّصْحِ له عن النظر لرعيته ،
 ولا إشارُ حَقِّه ، عن الأخذ بحَقِّها عنده ، ولا القيامُ بما هو له عن تضمّن
 ما هو عليه ، ولا يَشْتَغَلُ مُعَانَاةُ كِبَارِ الْأُمُورِ عن تَفْقُدِ صِغَارِهَا ، ولا الجِدُّ
 في إِصْلَاحِ مَا يُصْلَحُ مِنْهَا عن النظر في عَوَاقِبِهَا ، تُنْضِي مَا كَانَ الرِّشْدُ في
 إِمْضَائِهِ ، وَتُرْجِي^(٣) مَا كَانَ الْحَزْمُ في إِرْجَائِهِ ، وَتَبْدُلُ مَا كَانَ الْفَضْلُ في بَدَلِهِ ،
 وَتَمْنَعُ مَا كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ في مَنَعِهِ ، وَتَلِينُ في غَيْرِ تَكْبُرٍ ، وَتُخْصُّ في غَيْرِ مِيلٍ ،
 وَتَعْمُ في غَيْرِ تَصْنَعٍ ، لَا يَشْقَى بِكَ الْمُحِقُّ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا ، وَلَا يَسْعَدُ بِكَ
 الْمُبْطِلُ وَإِنْ كَانَ وَلِيًّا ، فَالسلطان يعتدُّ لك من العناء^(٤) والكفاية ، والنَّيْبُ
 والحِياطة ، والنصح والأمانة ، والعِفَّةُ والنزاهة ، والنَّصَبُ فيما أدَّى إلى الراحة ،
 بما يراك معه ، حيث انتهى إحسانه إليك ، مستوجبًا للزيادة ، وكافة الرعية
 - إِلَّا من غَمَطَ^(٥) منهم النعمة - مُشْتُونَ عَلَيْكَ بِحَسَنِ السَّيْرِ ، وَيَمْنُ
 النَّقِيَّةِ^(٦) ، وَيَعْدُونَ من مَآثِرِكَ أَنْكَ لَمْ تُدْحِضْ^(٧) لَأُدْحِجَةً ، وَلَمْ تَدْفَعْ
 حَقًّا لَشُبْهَةٍ ، وَهَذَا يَسِيرٌ من كثير ، لو قَصَدْنَا لتفصيله ، لَأُنْقَدْنَا الزَّمانَ قَبْلَ
 تَحْصِيلِهِ ، ثُمَّ كَانَ قَصْدُنَا الْوَقُوفَ دُونَ الْغَايَةِ مِنْهُ . (زهر الآداب ١ : ٤١)

(١) عزفت نفسه عنه كضرب عزوفًا : زهدت فيه وانصرفت عنه .

(٢) حدب عليه كفرح : عطف .

(٣) أرجأه : أخره . (٤) العناء : الكفاية .

(٥) غمط النعمة كضرب وسم : بطرها .

(٦) النقية : النفس والطبيعة .

(٧) أدحض الحجة . أبطها .

٨١ - كتابه إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وكتب إليه أيضاً :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أوجبُ المعروفِ شكراً ، وأحسنُهُ عند
الأحرارِ مَوْقِعاً ، معروفُكَ عندي ، وذلك أنك تطوَّعتَ به مُبتدئاً ،
وشَفَعْتَ ما تقدَّم منه متفضلاً ، عن غيرِ كدِّ لي أَلزَمَكَ دِيناً . أو أوجبَ عليك
حقاً ، ثم يَقْطَعُنِي عن الأخذِ بِحِظِّي من لقائك ، وتعريفِكَ ما أُناعاياه من شكر
إنعامِكَ ، والانتسابِ إلى نعمتك ، وإفرادي إياك بالتأميلِ دونِ غيرِكَ ،
تخلِّفني عن منزلةِ الخاصَّةِ ، ورغبتني عن مشاركةِ العامَّةِ ^(١) ، وأني لست ممتاداً
للخدمةِ ، ولا الملازمةِ ، ولا قوياً على المُغَاداةِ والمُراوِحةِ ، فلا يَمْنَعُكَ ارتفاعُ
قدرِكَ ، وعلوُّ منزلتِكَ ، وما تُعاني من جلائلِ الأمورِ التي تَشْغَلُ عَمَّنْ
قَدَمْتَ حُرْمَتَهُ ، ووجبَ حقُّهُ ، ونَسِيَ أن يذكُرَ بنفسه ، من أن تطوَّلَ ^(٢)
بتجديدِ ذكري وخبري ، والإصغاءِ إلى مَنْ يَحْكُوكَ عَلَيَّ وَصَلِّي وَبِرِّي ، ويرغِبُكَ
في الصنيعةِ عندي ، وأنا أسألُ الذي وهبَ ذلكَ منك بغيرِ سَعْيٍ مِنِّي له ، ولا
نَصَبٍ كابدتهُ فيه ، أن يَنْسِيَ ^(٣) لك وإكفافةِ الأحرارِ في أجلك ، وأن يَمُنَّ
عليك بِحِيَاظَةِ نعمتك ، وكَأَنَّ ^(٤) عدوك ، والزيادةُ في القدرةِ لك ، ولا يُخْلِي

(١) وفي زهر الآداب : « ورغبتني عن الحلول محل العامة » .

(٢) أي تمنى وتفضل .

(٣) أي بطل وبعث .

(٤) كبت العدو كضرب : أخزاه وأذله وردّه بغيظه .

مكانك منك ، والله يعلم أنى لا أحبُّ أن أتحمّل مِنَّةً إلا لك ، ولا أعتدَّ عارفةً مذكورةً إلا منك .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٨٤ ، وزهر الآداب ١ : ٣٤١)



وله إليه آخر فصل من كتاب :

« وأنا أسأل الذى رَحِمَ العبادَ بك ، على حين افتقارٍ منهم إليك ، أن يُعيدهم من فقْدِكَ ، ولا يُعيدهم إلى المكارِه التى استنقذهم منها بيدك »

(زهر الآداب ١ : ٣٤١)

٨٢ - كتاب أبى على البصير إلى أبى العيناء

وكتب أبو على البصير إلى أبى العيناء :

« من أبى على البصير ، ذى البرهان المنير ، المبلغ فى التحذير ، المُعذِر فى التَّكبير ، إلى أبى العيناء الضَّير ، ذى الرأى القصير ، والخطَل الكثير ، والإقدام بالتعير . »

سلامٌ على المخصوصين بالسلام ، من أجلِ حقيقة الإسلام ، المؤمنين بالحلل والحرام ، والفرائض والأحكام ، فإنى أحمدُ الله إلى نفسه وأوليائه من خلقه ، على ما هدانى له من دينه ، وعرفنى من حقّه ، وامنَّ علىَّ به من تصديق رُسله ، والأخذ بسُننه واتِّباع سُبيله . وصلى الله على محمد نبي الرحمة ، الداعى إلى ربّه بالحكمة .

أما بعدُ ، فإنك الرجل الدقيق^(١) حَسْبُهُ ، الرديءُ مذهبُهُ ، الدنيءُ
مكسبُهُ ، الخسيسُ مطلبُهُ ، البديءُ لسانُهُ ، المقلبيُّ^(٢) مكانُهُ ، المبلوئُ به إخوانُهُ ،
أخصَّهم بذلك مَنْ عَظُمَتْ [عِنْدَهُ] نِعْمُهُ وتَظَاهَرَ إِحْسَانُهُ ، قد صيرتَ
القِحَّةَ^(٣) جُنَّةً ، وشتمَ الأعراسَ سُنَّةً ، والاقتصادَ في ذلك مِثَّةً ، عدوكَ بَعَزَلِ
عَنكَ ، وصديقكَ على وَجَلٍ مَنكَ ، إن شاهدته عافَكَ ، وإن غبتَ عنه خافَكَ ،
تسأله فوقَ الطاقَةِ ، وتُرهِقُه عندَ الفاقَةِ ، فإن اعتذرَ إليك لم تُعذِرْهُ ، وإن
استنظرَكَ لم تُنظِرْهُ^(٤) ، وإن أنعمَ عليك لم تشكرْهُ ، لا تزيدك السنَّ إلا نقصاً ،
ولا يُفيدك الغنى إلا حِرْصاً ، تسمو إلى الكبيرِ ، بقدرِ صغيرِ ، وتُسِفُ إلى
الطَئِيفِ ، لا للتخفيفِ ، وتعرضُ للناسِ بالسؤالِ ، غيرَ محتشمٍ من الإملالِ ،
ولا كارِهٍ أَنْ يُنظَرَ إِلَيْكَ بالاستقلالِ ، حتى لقد أخرجتَ الأضغانَ ، وقبَّحتَ
الإحسانَ ، وزهدتَ في اصطناعِ المعروفِ ، وإغاثةِ الملهوفِ ، وعذرتَ الناسَ
في خُلفِ العِدَاتِ ، ودفعَ مُمكنِ الحاجاتِ ، وأغرقتهم بِنُغْصِ العُمَيَّانِ دونَ
أهلِ العاهاتِ ، مَنْ أطاعَكَ في ماله حربتهُ^(٥) ، وَمَنْ مَنَعَكَ بعذرِ واضحِ
سببتهُ ، إذا عَنَّ لَكَ طمعَ كنتَ عبدهُ ، بِتَذَالٍ وتُخْشَعِ لمن هو عندهُ ، وتَنوِي
قبلَ إحرازه جَحْدَهُ ، مَنْ أكرمَكَ أهنتَهُ وتطاولتَ عليه ، ومن أهانَكَ
استكنتَ^(٦) له ولِنتَ في يديه ، وَمَنْ سألَكَ لم تسأله ، وَمَنْ ناجَزَكَ

(١) وربما كان « الرقيق » .

(٢) قلاه كرماء ورضيه قلى : أبيضه وكرمه غاية الكراهة .

(٣) القحفة : الوقاحة . والجنة : الوقاية .

(٤) أنظره : أخره .

(٥) حربته حرباً كطلبه طلباً : سلب ماله .

(٦) في الأصل « استكنت » .

لم تقاومته ، الناسُ منك بين أسرار تُفشي ، وبواطنٍ ^(١) تُخشي ، وشناعاتٍ
واردة ، ونواديرَ باردة ، تُدرِّج ^(٢) كلامك خوفَ التحصيل ، وتورّي عن
عيبك بالقال والقال ، معاشرتك متجنّبة ، وأحاديثك متكذّبة ، لا يُستجنى بها
فهمٌ ، ولا يستفاد منها علم ، تُهَامَس بسقوطها فلا يحشمك ، وتُتَلَقَّى بالردِّ
لها فلا يؤثّمك ، تسمع كلام خيار السلف فتدّعيه ، إفساداً وإلحاداً فيه ،
والتماساً لإبطال حجج الدين ، وتشكيكاً لأهل البصيرة واليقين ، فإن امتحنتَ
بدون ما ادّعت ، أحجمتَ وتعاديت ^(٣) ، وإن كُلفتَ مضاهاته هذيتَ
وعويتَ ، ظاهرُ إسلامك تقيّة ، وسريرته مدخولةٌ رديّة ، تَضَفّت ^(٤) في الخبر
عن الرسول ، وتدفع المعروف منه بالمجهول ، وُدُّك تخلُّق ، وشكرك تملُّق ،
ولطفك متعسّف ، وظرفك متكلف . أعظمُ المصائب عندك نيلُ حرّمته ،
لا تحفلُ مع إدراكه بشيءٍ عدِمته ، إرثُك عن أيبك السّعاية ، ونقلُ
الأخبار والوشاية ، لا يُعرَف له غيرها طُعْمَة ^(٥) ، ولم يكن له إلاّ بها نعمة ،
مشهورٌ بذلك في مصره ، غير مرتاب من أمره ، ثم أنت تبسط لسانك في
الأحرار ، وتتطاول على ذوى المروءات والأفئدة ، فلا أصلٌ راسخ ، ولا
فرعٌ شامخ ، ولا نسبٌ معروف ، ولا أدبٌ موصوف ، أغراك حِلْمنا

(١) جمع نائفة : وهي الداهية .

(٢) أي تطوى .

(٣) تعادى : تباعد .

(٤) ضعت الحديث كعب : خلطه ، وفي الأصل « آصعت » وهو تصحيف .

(٥) الطعمة : وجه المكسب .

[عليك بالتطاؤل]^(١) علينا ، وإبطاؤنا عنك بالتسرُّع إلينا ، فتأنيذناك^(٢) وراقبتناك ، واحتجبنا عليك ، فلم تُنكرِ معتذرا ، ولم تُقصرِ مزدجرا ، بل^(٣) لم تُجِبني عن واحد منها ، تعاييا^(٤) بها وعجزا عنها ، ثم أوهمت أخلاطا من الناس ، أهل جهلٍ بالتمييز والقياس - لا ينظرون بفهم - ولا يحكمون بعلم ، ولا يُنزلون الأمورَ منازلها ، ولا يعرفون حقها وباطلها ، يظنون البلاغة في الهذر^(٥) ، ويكتفون بالمنظر من الخبر - أنك مترفع^(٦) عن جوابي - وغير محتفلٍ بعتابي ، ومنتك نفسك - وقد بما أغرتك ، فجنت عليك وضررتك - أني أعذرك فيما تركت ، وأمسكُ عنك ما أمسكت ، وأقف عند أول هذا الأمر دون آخره ، وأكتفي بباطنه من ظاهره ، وهيهات لظنك الكاذب ، وتبأ لرأيك العازب^(٧) ، كلاً والله دون أن أغصك بالريق ، وأضطررك إلى المضيق ، وأهديم ما أسست ، وأكشيف ما لبست^(٨) ، وأظهر ما ججمت ، وأبطل ما أوهمت ، وأبين^(٩) الشريف منك ،

- (١) ما بين التوسين يابض بالأصل ، وقد أعمت الجملة بما يناسب المقام .
 (٢) تأنيته : انتظرته وتأخرت في أمره ولم أعمل ، وفي الأصل هكنا « واسداك » .
 (٣) في الأصل : « ولم تقصر مزدجرا بتالم تجبي عن واحد منها ... » ويظهر أنه قد سقط من السامع هنا كلام ، بدليل أن الضمير في « منها » لم يتقدم له مرجع ، وأن كلمة « بتا » إن صحت فليس لها موقع في معنى العبارة .
 (٤) عى بالأمر وعي كرضى وتعايا واستعيا ونعيا : لم يهتد لوجه مراده ، أو عجز عنه ولم يطق لإحكامه .
 (٥) الهذر : سقط الكلام .
 (٦) في الأصل « متوقع » وهو تحريف .
 (٧) تباله : أي ألرمه الله هلاكا وخسرانا ، العازب : أي الغائب البعيد عن الصواب .
 (٨) التليس : التحليط والتدليس ، وفي الأصل « مالبت » وهو تحريف . والجمجمة : إخفاء الشيء في الصدر .
 (٩) أي أقطعه عنك ، وفي الأصل « وأبين للشرف منك » وهو « بي صحيح أيضا : أي أظهر له مساوتك ويتجنب محالطتك .

وأخذل^(١) اللقيف عنك ، حتى تعود إلى وتزرع عن غيبك ، وتقيم جوررك ،
ولا تعدو طوررك ، وحتى تستعطف الناس في حوائجك إليهم ، وتدع
العنف بهم والتسحب^(٢) عليهم .

وسيقراً كتابي هذا الكاتب الأديب ، والفقير اللبيب ، والشاعر
الأريب ، والمصقع^(٣) الخطيب ، والظريف الممتع ، والحصيف المقنع ، وكل
هؤلاء وكيلي عليك في طلب الجواب ، من طريق التطوع والاحتساب ،
محمودين ماجورين ، مسئولين غير مأمورين .

وقد نفذت لي إليك رسالة العتاب ، على مخرج أفاض الكتاب ،
ظلمت في المطالبة بالإجابة عنها ، وبهظت^(٤) بما حملت منها ، وتناولت
بالشعر وأنت مفتح^(٥) ، وأنا لك في ذلك أظلم ، وقد ملت إلى السجع على
علمي بخساسة حظه ، وركاكة معانيه ولفظه ، إذ كنت تلوي به لسانك ،
وتثني إليه عنانك ، قطعاً لحجتك ، وإزاحة لعلتك ، فإن أجبت فقد كشفت
لنا مالدك ، وإن اعترفت بالعجز عطفنا ذلك عليك ، والسلام .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٤١٧)

(١) في الأصل « واحدل » وهو تصحيف .

(٢) تسحب عليه : تدلل .

(٣) المصقع : البليغ ، أو العالي الصوت ، أو من لا يرتج عليه في كلامه ولا يتنعم ، وحصيف
ككرم : استحكم عقله ، فهو حصيف .

(٤) بهظه الأمر : كنع : غلبه وتقل عليه وبلغ به مشقة .

(٥) المفتح : المي ، ومن لا يقدر أن يقول شعراً .

٨٣ - كتاب لا أبي على البصير في الاعتذار

وكتب أبو على البصير يعتذر عن هفوة :

«ذكرت - أعزك الله - في كتابك ما يعلم الله اغتمامى به ، واستكانتى له ،
وقلتى عند ماورد على منه ، وإكبارى قدر البلية به والمصيبة فيه ، والعالم
بالسرائر ، المطلع على الضمائر ، يشهد - وكفى به شهيداً - أنى ما أقف على
ما ذكرت ولا أتوهمه ، ولا يؤمى لى ظن إليه ، وإنى لأفكر منذ ورد كتابك
بما ورد به ، فما أجد ذكرى^(١) يُحيط بشيء منه ، وإن أقصى حفظى
مما كان فى ذلك المجلس لعلبة السكر على ، ثم خانتى فهمى ، فما كان بعد
ذلك فيغير علمى ، ولا قصد منى .

ومما زاد فى غمى ، وضاعف المكروه على ، تحقُّقك للأمر وهو خبر
معرض الشك فيه ، والبطلان أولى به ، حتى ألزمتنى إياه ، وقرعتنى^(٢) به
كأنه قرع سمعك ، فإن ذلك أرانى صورة المقت منك لى ، والغلظة على ،
والإسراع إلى قبول القبيح المضاف إلى ، ووالله لو واجهتاك على تلك الحال
بما أنهى إليك - وبالله أعوذ من ذلك فيما بينى وبين من هو دونك
عندى من إخوانى - لكان فيما أطلعتك عليه العشرة الطويلة ، والخبرة
القديمة ، من إجلالى إياك ، وخالص محبتى لك ، مع ما يضطر لى إليه متقدِّم

(١) الذكر بالصم ويكسر : التذكر .

(٢) قرعته : لأمه وعفه .

برُّك وإحسانك ، ومَرْضِيَّاتُ أخلاقك ، من البُعدِ بقلبي ولساني من كل ما ساءك ، ما يدُّك على أن ما كان من ذلك كان آفةً نالتني في عقلي ، ومزاجًا فاسدًا رديئًا استولى عليَّ . ووالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، ما كتبتُ إلا بالحقيقة عندي ، ولا تحرييتُ زيادة ولا نقصا ، فإن تقبلتُ تتخذُ بذلك عندي يدًا ، وتوجبُ عليَّ شكرًا مُجددًا ، وإن تُقيمُ عليَّ موجدتك (١) أقيمُ عليَّ تنصيفك واستعطافك والتذللُ لك ، والتضرُّعُ إليك ، والتحملُ عليك ، حتى يعدلَ حُكْمُك ، ويفيَ به كرمُك .

(اختيار المطوم والشور ١٣ : ٣٨٧)

١٤ - كتاب آخر

وكتب أيضًا :

« قد كنتُ أرجو أن أكون قد أبرأتُ صدرك ، وأن ما كتبتُ به قد أتى من وراء ما في نفسك ، فامتحننتُ ذلك بلزوم منزلي ، وحبسني كتي ورسلي ، لأفريق بين رغبتك في قربي وبين زُهدك ، ولأرسي صورةَ حالي عندك ، فإذا تنصلي واعتذاري لم يبلغنا بي استيجابَ رضاك - أطال الله بقاءك - وإذا أيماني غيرُ البرية (٢) المصدقة في حديثي إليك ، على طول مدة صُحبتني لك ، دون ما أتمررى الصدق فيه ، وأجتهد حليفًا عليه ، إلا أن يكون عن علة عرّضت لك منعتك مما كنت تطوّل به من الأمر بتعرّف خبري عند انقطاعي عنك ، فقدم الإشفاقَ على مكاني منك سوء الظن بصحة عذرِكَ ،

(١) الموحدة : الغضب . ونصحه : سأله أن يصحه .

(٢) مسهل عن البرية .

وعلامته صدرك ، وبالله العظيم فسمنا ناكثا ، لا كاذبا ولا حائثا ، إني للخالص
لك كله ، سرّه وبهره ، وغيبه وشهده ، البعيد بقلبه ولسانه مما تُثبت في
سمك ، ووقر في قلبك ، وعلمك بحاجتي إلى حسن رأيك ، ودوام الحال
عندك . شاهد عدل على صدقي إياك ، إن استخبرته شفاك ، وإن اقتصرت عليه
كفاك . هذا إذا كنت لنفسى دون صديقي ، ولم أكن أعمل إلا على سوق
يومي ، ولا أصلح إلا لمن صلح به معاشي ، وكيف وقد علمت مجانبتى لهذه
الصفة^(١) ، ودوام عهدي للصديق على الحرمان والجفوة . وأنت لا تعلم من
جهل بك . ولا تُنبه من غفلة فيك . وليس مثلك من جرح يقينه الظن ،
ولا أفسد الحرّ عنده العبد ، ولو صح مني الذنب إليك لكان الصفح عني
أولى بك ، فإن رأيت أن تعود كعهدي كان بك ، قبل التكذب عليّ عندك ،
وأن تمنّ بذلك علي من يُقدّم إخاءك في مودتك ، وعندك^(٢) في إجلالك
وتعظيمك والمسارة إليك والطاعة لك ، فعلت ، ذائنة عظيمة إلى من
لك قديمة إن شاء الله ، ووهب الله لي عطفك ورضاك .

(أسرار المظوم والسور ١٣ - ٢٨٦)

٨٥ - كتاب آخر

وله أيضا جواب اعتذار إليه :

« بلغني اعتذارك ، ووافي مني تطلعا شديدا إليه ، ومكانا قد قدمتُ

(١) في الأصل « الطعة » وأراه محرّفا .

(٢) العمد مثلة : الماحية ، والحرك . الجاب .

المواطنة^(١) له عندي . فسكن النفرة ، وأذهب الوحشة ، وجدد عهد المودة ، وأوجبت لك به التطوُّل ، والمِنَّة واليد المشكورة ، ولم أكن كالمتمنِّت^(٢) المتسحب^(٣) الذي يطلب العلة ، ويفتم الزَّلة ، ويصدف^(٤) عن الحجة ، وتضيِّقُ عنه المَعذِرَةَ ، وما نظرتُ لك إلا على نفسي ، ولا بدأتُ إلا بحظي فيما استثبتتُ من رأيك ، وحاميتُ عليه من إخوانك ، والله أسألُ حسنَ المدافعة عنك ، وامتناعي بما وهبَ لي منك ، والسلام .

(اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣٨٨)

١٦ - كتابه إلى علي بن يحيى

وكتب إلى علي^(٥) بن يحيى يشكر ويعتذر :

« النعمة شفيعٌ صدقٍ عند وليِّها ، تقتضيه ربَّابَتُها^(٦) ، والزيادة فيها ، والمحافظة عليها ، وإرغامُ أعدائها وحُسَّادها الملتَمِسِينَ لإفْسَادِهَا وإزالتها ، والإغضاء على ما يُغضِي الحُرُّ على مثله في استتمامها ، سِيَّما إذا كانت عند أهلها ، وفي موضعها ومحلِّها ، وكان المقلِّد لها من يقوم بشكرها ونشرها ، ويُشيد بذكرها ، ويستفرغُ المجهودَ من نفسه في شكرها ، ويُعطيها ما يجب لها من الاعتراف بها ، والانتساب إليها ، والمحاماة عليها ، وأنا أخذُ من أسكنته

(١) واطه على الأمر : وافقه .

(٢) تسحب عليه : تدلُّل .

(٣) أي يعرض .

(٤) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المحم ، وكان من خاصة ندماء التوكل ، وحصن به وعن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتد ، وكان مقدما عنهم ، يفضون إليه بأسرارهم ، ويأمنونه على أحرارهم ، وكان راوية للأشعار والأخبار شاعرا محسا ، وتوفي سنة ٢٧٥ - انظر الفهرست ص ٢٠٥

(٥) ربَّ النعمة كصر ربنا بالفتح وربانا وربابة بكسر الراء فيها وربتها : عماها ورادها وأتمها وأصاحها وحفظها وراعاها .

ظِلِّكَ ، وَأَعْلَقْتَهُ^(١) حَبَائِلِكَ ، وَحَبَوْتَهُ بِلطيفِ بَرِّكَ وَخاصِّ عُنَايَتِكَ ، فَانْتَصَفْتُ
بِكَ مِنَ الزَّمَانِ ، وَاسْتَغْنَيْتُ بِكَ عَنِ الْإِخْوَانِ ، فَأَنَا لَا أَرْغَبُ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا
أَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا أَسْتَنْجِحُ^(٢) طَلِبًا إِلَّا بِكَ ، وَاللَّهِ أَسْأَلُ الْبَقَاءَ لَكَ ،
وَدَوَامَ عَزِّكَ وَعِزَّتَنَا بِكَ ، وَحِرَاسَةَ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَعِنْدَنَا فِيكَ .

وَكَانَ فَرَطٌ مَنِي قَوْلَ إِنْ تَأَوَّلْتَهُ^(٣) لِي أَرَاكَ وَجْهَ عَذْرَى ، وَقَامَ عِنْدَكَ
بِحُجَّتِي ، وَأَغْنَانِي عَنِ تَوْكِيدِ الْأَيْمَانِ عَلَى حَسَنِ نِيَّتِي ، وَإِنْ تَأَوَّلْتَهُ عَلَى - وَبِاللَّهِ
أَعُوذُ مِنْ ذَلِكَ - أَلْحَقَ بِي لِأَعْتَمِكَ^(٤) ، وَجَنَى عَلَى حَالِي وَمَنْزِلَتِي عِنْدَكَ ، وَقَدْ
أَتَيْتُكَ مَعْتَرِفًا بِالزَّلَّةِ ، مُسْتَكِينًا لِلْمَوْجِدَةِ^(٥) ، عَائِذَا بِالصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ ، فَإِنْ
رَأَيْتَ إِلَّا تَقَرَّرَ عَيْنَا قَدَيْتَ^(٦) بِنِعْمَتِكَ عِنْدِي ، وَلَا تَسْلُبْنِي مِنْهَا مَا أَلْبَسْتَنِي ،
وَأَنْ تَقْتَصِرَ مِنْ عَقُوبَتِي عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي نَابَنِي بِسَبَبِ عَثْبِكَ ، وَتَأْمَرَ
بِتَعْرِيفِي مِنْ رَأْيِكَ مَا يَطْمَئِنُّ^(٧) حَشَايَ ، وَتَسْكُنَ إِلَيْهِ نَفْسِي ، وَيَأْمَنَ
بِهِ رُوعِي^(٨) ... » (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٨)

٨٧ - كتاب آخر

وله في الصَّفْحِ :

« إِنْ الَّذِي فَرَطَ مِنْكَ وَإِنْ تَجَاوَزَ مِنِّي مَا أَرْضَى لَكَ ، لَمْ يَبْلُغْ مَا يُغْضِبُنِي

- (١) أَى وَصَلْتَهُ بِحَبَالٍ وَدَكَ وَعَطَفْتَهُ . وَحَبَوْتَهُ : مَحَبَّتَهُ .
- (١) أَى أَطْلَبُ نَجْوَاهُ .
- (٣) أَوَّلُ الْكَلَامِ وَتَأَوَّلَهُ : فَسَّرَهُ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِنْ تَأَمَّلْتَهُ » وَقَدْ أَصْلَحْتَهُ كَمَا تَرَى ، وَيُؤَبِّدُ ذَلِكَ مَقَابَلَتَهُ بِمَا بَعْدَهُ .
- (٤) اللَّائِمَةُ : اللَّوْمُ .
- (٥) اسْتَكَانَ : خَضَعَ . وَالْمَوْجِدَةُ : الْغَضَبُ .
- (٦) أَى تَأَذَّتْ ، وَالْقَدَى : مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ ، وَقَدَيْتَ عَيْنَهُ كَرَضِي : وَقَعَ فِيهَا الْقَدَى .
- (٧) أَى يَسْكُنُ .
- (٨) الرُّوعُ بِالْفَتْحِ : الْفَزَعُ ، وَبِالضَّمِّ : الْقَلْبُ وَجَوَابُهُ الشَّرْطُ مَحذُوفٌ لِلْعَلْمِ بِهِ أَى فَعَلْتُ .

عليك ، وحيث انتهى ما يخالفني من قولك وفعلك ، فإن وراءه تعمداً^(١) مني
لإساءتك ، وصفحاً عن زلتك ، فإن تأمناً لانحنك ، وإن يسوؤ ظنك فإنما
نحتاج إلى إصلاحه منك » . (اختيار المنظوم والمشور ١٢ : ٢٦٠)

٨٨ - فصول لآبي علي البصير

فصل له :

« قد أكد الله بيننا من المودة ما نأمن الدهر على حل عقده ، وتقضى
مره^(٢) ، وما يستوى منه تقننا بأنفسنا لك ، ولأنفسنا بما عندك » .



وفصل له :

« الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأنس والثقة وبسط اللسان
بالاستزادة ، وأنا أمت إليك بالحُرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، حتى
تُحل صاحبها محل خاصة الأهل بالقرابة » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

٨٩ - كتاب لغسان بن عمرو الباهلي في الظم

« إنه انتهى إلى ما بلغك فلان ، وقد كفاني سقوطه مئونة إسقاطه ،

(١) أي ستر .

(٢) في الأصل « مزاره » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه « مره » والمر بالفتح : الحبل ، أو
« مراره » بالكسر ، جاء في اللسان : « والمر بضم ففتح : الحبل الذي أجيد قتله ، ويقال المرار
بالكسر والمر بالفتح ، وفي الحديث أن رجلاً أصابه في سيره المرار : أي الحبل ، قال ابن الأثير :
هكذا نسر ، وإنما الحبل المر ولعله جمعه » اه أو صوابه « مرره » بكسر ففتح جمع مرة
بالكسر : وهي طاقة الحبل ، أو « مراره » جمع مريرة أو مرير : وهو الحبل الشديد القتل .

وشدة تعدييه لِقَدْرِهِ الوصفَ لِإِفْرَاطِهِ ، فمَعْرِفَتُكَ بِحَالِهِ عُدْرَةٌ لِي عِنْدَكَ يُدْحِضُ^(١) حِجَّتَهُ ، وَيَكْذِبُ قَوْلَهُ ، وَعَقُوبَةُ مِثْلِهِ الصَّفْحُ عَنِ ذَنْبِهِ إِذَا قَصُرَ عَنِ الْمَجَازَاةِ قَدْرُهُ ، وَلَمْ يَحْتَمِلِ الْمَعَاتِبَةَ عَقْلُهُ ، فَصَفَحْتُ عَنْ سَبِيلِهِ رَغْبَةً بِنَفْسِي عَنْ ذِكْرِهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَضَحْتُهُ^(٢) بِسَهَامٍ نَافِذَةٍ ، وَأُكْذِبْتُ مَقَالَتَهُ بِمُحَجِّجٍ وَاضِحَةٍ ، وَالسَّلَامُ . (اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٤٢٩)

٩٠ - كتاب آخر له في الذم

« فلان ممن شرفت أمره ، وأعليت ذكره ، ووليتته نشر مكارمك فطواها ، وإظهار محاسنك فأخفاها ، وعمد إلى أمورك فتعداها ، استخفاها بالحرم ، وقلة شكر للنعم ، صرت إليه فوجدته ظاهر العذر ، عظيم الكبر ، أسود القلب ، لم يشرق نور الحكمة في قلبه ، ولم يجر ماء الحياء على وجهه ، فيه ثلاثة أمور : الفساد والحب^(٣) والكذب ، (قد أخرج الناس^(٤)) من فسحة العدل إلى صيق الجور ، حتى باعوا الطارف والتلاد ، وهمشوا ببيع النساء والأولاد ، إذعانا للقهر ، واستبسالا للجهد ، ومخالفة للذل ، ثم لم يقنعه ذلك حتى أخذ منهم ما كان الله قد وضع ثقله عنهم ، ولم تعمل به الولاية قبله ، تضعيفا للبلاء ، واستعمالاً للأواء^(٥) .

(١) أدحض حجته : أنزلها .

(٢) نصحه بالليل : رماه .

(٣) الحب : الخداع والحث والعس .

(٤) في الأصل « الفساد والحب والكذب من فسحة العدل إلى صيق الجور » وقد ردت ما بين

القوسين ليستقيم المعنى .

(٥) الأواء : الشدة .

وَجَعَلَكَ عُرْضَةً لِدَعَاءِ الْمَظْلُومِينَ ، وَسُمِّعَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَيْسَرَ
 الْمَلْهُوفَ مِنْ رَوْحٍ ^(١) عَدْلِكَ ، وَالْمَكْرُوبُ مِنْ رَجَاءِ فَضْلِكَ ، وَفَعَلَ « كَذَا »
 تَكَرُّرًا لِلشُّعْنِ ^(٢) ، وَأَخْذًا بِالْبِدْعِ ، وَإِمَاتَةً لِلسُّنَنِ ، وَجَعَلَ مَنْزِلَهُ مَغِيضًا ^(٣)
 لِمَا جَبَى ، وَسِيرَةً لِمَا حَوَى ، لِيَخْتَرْنَ الْفُضُولَ ^(٤) ، وَيَسْتُرَ ذَلِكَ عَنِ الْعْيُونِ ،
 حَتَّى إِذَا حَمَلَهُمُ الْجَهْدَ فَزَهَّدَتِ الطَّاقَةُ ، وَمَاتَتِ الْحَيَاةُ ، وَتَرَحَّتِ النَّفُوسُ ،
 كَشَفَ لَهُمْ عَنِ خُطَّةِ الْجَوْرِ ، نَايَةَ الْأَطْرَافِ ، مَتْرَاحِيَةَ الشُّقَّةِ ^(٥) ، يَعِجَزُ عَنِ
 تَجَشُّمِهَا ذُو الْقُدْرَةِ الْغَنِيِّ ، وَذُو الْمَنَّةِ ^(٦) الْقَوِيُّ ، وَأَبْرَزَ لَهُمْ عُرَّةَ السَّيْفِ ذِي
 الشُّطْبِ ^(٧) ، وَهَامَةَ الْجُرْزِ ^(٨) ذِي الشُّعْبِ ، فَجَبَّرُوهُ بِجَهْدِهِمْ ، وَكَشَعُوا لَهُ عَنِ
 عُذْرِهِمْ ، فَفَعَلَ بِهِمْ « كَذَا » ، حَتَّى أَعْطَوْا الْمَقَادَةَ كَارِهِينَ ، وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ
 خَائِفِينَ ، لِمَا عَاينُوا مِنَ الْقَوْلِ التَّنْبِيحِ ، وَالْأَمْرِ الْقَطِيعِ ، فَأَرْمَضَ ^(٩) بِذَلِكَ
 قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَرِهَ جِوَارَهُ أَهْلَ الْفَضْرِ وَالدِّينِ ، إِذْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا لِمَا صَنَعَ
 تَغْيِيرًا ، وَلَمْ يَجِدُوا إِلَى أَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ سَبِيلًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُنْصِفَ كَرَمِي
 مِنْ لَوْمَةٍ . وَتَعَسَى مِنْ دَعْتِهِ ، وَعُغْشِرِي مِنْ سَعْتِهِ ، فَقَدْ خَالَفَ طَاعَتَكَ وَأَمْرَكَ ،
 وَتَحَامَلَ عَلَى أَهْلِ مَوَدَّتِكَ وَشُكْرِكَ ، فَعَلْتَ .

(اختيار المطوم والشور ١٣ : ٤٢١)

(١) الروح : الرحمة .

(٢) في الأصل « للشع » وهو تحريف .

(٣) كذا في الأصل والمعنى عليه صحيح ، وربما كان « مغيضا » وكلاهما اسم مكان .

(٤) المضول : جمع فضل ، وهو الريادة . وفي الأصل « لحدول » وهو تعريف وصوابه « ليحترن »

(٥) ترح : ضد فرح . والشقة : المسافة .

(٦) المنة : اقوّة .

(٧) شطوب السيف وشطبه (نصمتين) وشطبه (نصم ففتح) : طرائفه التي في مته ، واحده

شطبة نصم ، وضم ففتح ، ونكسر .

(٨) الحرر كقفل وعنق : العمود من الحديد ، وفي الأصل « الحرر » وهو تصحيف .

(٩) أرمضه : أوجمه وأحرقه .

٩١ - كتاب آخر له

وله أيضاً :

« إنك صرفت حاجتي إلى فلان ، فوجدته ظاهراً الغدر ، عظيم الكبر ،
فاشياً النوك^(١) ، لا تقوى له وجوه الأحرار ، فرأيتك في عزله عن أيديك ،
وصرف حاجتنا إلى وجه قريب ، موفقاً ، إن شاء الله . »

(اختيار المطوم والسور ١٣ : ٤٢٢)

٩٢ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل

وكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل يعزيه بآبن له :

« إني أعزيك ، لا أني على ثقة من الحياة ، ولكن سنة الدين
ليس المعزي يباقي بعد ميته ولا المعزي ، وإن عاشا إلى حين »

(العقد العريذ ٢ : ٣٦)

٩٣ - تحميد لإبراهيم بن العباس صدر رسالة الخنيس

وكتب إبراهيم بن العباس للمتوكل رسالة للخنيس صدرها :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي جلت نعمه ، وتظاهرت مننه ، وتابعت

أيديه ، وعم إحسانه ، إله كل شيء وخالقه ، وبارئته ومصوره ، والكائن
قبله ، والباقي بعده ، كما قال في كتابه : « كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم

(١) النوك بالصم والفتح : الحق .

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» العَالِي فِي مَشِيئَتِهِ ، وَالْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ ، الْمُتَعَالِي عَنِ شَبَهِ خَلْقِهِ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» خَلَقَ الْعِبَادَ بِقُدْرَتِهِ ، وَهَدَاهُمْ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَوْضَحَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، بِمَا نَصَّبَ لَهُمْ مِنْ دَلَائِلِهِ ، وَأَرَاهُمْ مِنْ عِبَرِهِ ، وَصَرَّفَهُمْ فِيهِ مِنْ صُنْعِهِ كَمَا قَالَ جَل جَلَّ جَلَالُهُ : «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ .»

وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ خَلْقِهِ إِيَّاهُمْ بِتَمَثِيلِهِ مَا مَثَّلَ لَهُمْ مِنَ الدَّلَائِلِ الَّتِي نَصَبَهَا لَهُمْ ، وَالْأَعْلَامِ الَّتِي جَعَلَهَا إِزَاءَ قُلُوبِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، وَيَسَّرَ لَهُمْ خَوَاطِرَهُمْ وَفِكَرَهُمْ ، وَالْهَيْئَةَ الَّتِي هَيَّأَهُمْ لَهَا ، لِيَقَعَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ عَلَيْهِمْ ، فَلَا يَكْتَفِهِمْ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ ، وَلَا يُجَشِّمُهُمْ مَا يَقْصُرُ عَنْهُ وَتُسَعُّهُمْ ، نَظَرًا مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِمْ ، وَرَحْمَةً بِهِمْ ، لِيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَعْبُدُوهُ ، فَيَسْتَحِقُّوا بِهِ رَحْمَتَهُ وَرِضْوَانَهُ ، وَالخُلُودَ فِي النِّعَمِ الْمُقِيمِ ، وَالظِّلَّ الْمُدِيدِ ، وَالْعَيْشَ الدَّائِمَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ذِكْرَهُ : «إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» . وَكَانَ مِنْ نَظَرِهِ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ أَنْ بَعَثَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءَهُ وَرَسُولَهُ ، يَدْعُونَهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ هُدَاةً ، وَيُوضِّحُونَ لَهُمْ سَبِيلَهُ ، وَيَهْدُونَهُمْ إِلَى رَحْمَتِهِ ، وَيَعِدُّونَهُمْ ثَوَابَهُ ، وَيُنذِرُونَهُمْ عِقَابَهُ ، وَيَنْسُطُونَ لَهُمْ تَوْبَتَهُ ، وَيَحذِّرُونَهُمْ سُخْطَهُ ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ سُنَنَهُ وَشَرَائِعَهُ ، وَيَكشِفُونَ لَهُمْ مَوَاعِظَهُ ، وَيُعَلِّمُونَهُمْ كِتَابَهُ وَحِكْمَتَهُ ، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنَّا يَبْتِغِي وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنَّا يَدْتِغِي» ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ

عَلِيمٌ ، وَكَانَ مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ وَنَظَرِهِ لَهُمْ أَنْ بَعْثَهُمْ إِلَيْهِمْ بِالْحُجَجِ الظَّاهِرَةِ ،
وَالْأَعْلَامِ الْبَيِّنَةِ ، وَالشَّوَاهِدِ النَّاطِقَةِ ، الَّتِي أَظْهَرَ بِهَا صِدْقَهُمْ ، وَأَقَامَ بِهَا بُرْهَانَهُمْ ،
وَأَوْضَحَ بِهَا دَالِيَهُمْ ، وَأَثَبَهُمْ عَمَلٍ سِوَاهُمْ لِيَكُونَ أَدْعَى لَهُمْ إِلَى تَصْدِيقِهِمْ
وَالْقَبُولِ عَنْهُمْ ، وَوَكَّدَ لِلْحُجَّةِ عَلَى مَنْ أَبِي ذَلِكَ مِنْهُمْ .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٧٢)

٩٤ - تحميد لابرهم بن العباس

في فتح إسحاق بن إسماعيل

« الْحَمْدُ لِلَّهِ مُعِزِّ الْحَقِّ وَمُدْبِرِ الْبَاطِلِ (١) ، وَقَامِعِ الْبَاطِلِ وَمُزِيلِهِ ، الطَّالِبِ فَلَا
يُفَوِّتُهُ مَنْ طَلَبَ ، وَالغَالِبِ فَلَا يُعْجِزُهُ مَنْ غَلَبَ ، مُؤَيِّدِ خَلِيفَتِهِ وَعَبْدِهِ ،
وَنَاصِرِ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ ، الَّذِينَ أَقَامَ بِهِمْ دَعْوَتَهُ ، وَأَعْلَى بِهِمْ كَلِمَتَهُ ، وَأَظْهَرَ بِهِمْ
دِينَهُ ، وَأَدَالَ بِهِمْ حَقَّهُ ، وَجَاهَدَ بِهِمْ أَعْدَاءَهُ ، وَأَنَارَ بِهِمْ سَبِيلَهُ ، تَحْمُدًا يَتَقَبَّلُهُ
وَيَرْضَاهُ ، وَيُوجِبُ أَفْضَلَ عَوَاقِبِ نَصْرِهِ ، وَسِوَابِغِ (٢) نَعْمَائِهِ » .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٦٩)

٩٥ - ومن رسالة له في قتل إسحاق بن إسماعيل (٣)

« وَقَسَمَ اللَّهُ عَدُوَّهُ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً : رُوحًا مُعْجَلَةً إِلَى عَذَابِ اللَّهِ ، وَجُثَّةً
مَنْسُوبَةً لِأَوْلِيَائِهِ اللَّهِ ، وَرَأْسًا مَنْقُولًا إِلَى دَارِ خِلَافَةِ اللَّهِ ، اسْتَنْزَلُوهُ مِنْ مَعْقِلِ

(١) أداله الله عليه : نصره .

(٢) نعمة سائغة : أى تامة .

(٣) الظاهر أن التعميد السابق صدر لتلك الرسالة .

إلى عقال^(١)، ويدلوه آجالاً من آمال، وتديماً غَدَّتِ المعصية^(٢) أبنائها، فخلبت^(٣) عليهم من درّها^(٤) مرّضةً، وبسطت لهم من أمانيتها مَطْمَعَةً، ورَكِبَتْ بهم مخاطرَها مَوْضِعَةً^(٥)، حتى إذا وثقوا^(٦) فأمنوا، ورَكِبُوا فاطمأنوا، وانقضى رِضَاعٌ^(٧) وأن فِطَامٌ، سَقَّتْهُمْ سُماً، فَفَجَّرَتْ مجارى ألبانها منها دماً. وأعقبهم من حُلُو غداها مُرّاً، ونقلتهم من عز إلى ذل، ومن فرحة إلى ترحة، ومن مسرة إلى حسرة، قتلاً وأسراً، وغلبة^(٨) وقسراً، وقلّ من أوضع في الفتنة مرّهجاً^(٩)، واقتحم لها مؤججاً، إلا استلحمته آخِذَةً بِمُخَنَّقِهِ^(١٠)، وموهنة^(١١) بالحق كيده، حتى جعلته لعاجله جزراً^(١٢)، ولأجله حطبا، وللحق موعظةً، وعن الباطل مزجرة^(١٣)، أولئك لهم خزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أكبر، وما ربك بظلام للعبيد.

(تاريخ الطبرى ١٢ : ٧٩ ، مروج الذهب ٢ : ٣٨٣)

-
- (١) العقال : اللجأ ، والعقال : الحبل الذى يعقل به البعير ، والمراد الدل والإيسار .
 (٢) وفي الطبرى «العصية» .
 (٣) الدر : اللبن .
 (٤) أوضعت الناقة ووضعت : أسرعت في سيرها .
 (٥) وفي مروج الذهب « رتعوا » .
 (٦) وفيه « وإباحة » . وقسره على الأمر كضرب : أكرهه عليه وفهره .
 (٧) الريح كشمس وسبب : العبار ، وأرهب : أثار الغبار . وأحج النار : ألهبها .
 (٨) استلحم الطريدة : تبعها ، والمخنق : الحلق .
 (٩) أوهنه : أضعفه .
 (١٠) يقال : تركوهم جزر السباع : أى قطعاً من اللحم فأكلها السباع .
 (١١) وفي مروج الذهب « والباطل حجة » .

٩٦ - تحميد له

« الحمد لله الغالب ذى القدرة ، والقاهر ذى العِزَّة ، الذى لم يقابل بالحق باطلاً فى موطنٍ من موطن التحاكم بين عباده ، إلا جعل أولياء الحق منهم حِزْبَهُ وجُنْدَهُ ، وجعل الباطل بهم فلا^(١) منكوبا ، ودحيضا^(٢) زهوقا ، إن نهض به أولياؤه كانت مراصد عواقبه مفرقة ما جمع ، ومبترة^(٣) ما اعد ، وقائدة بأشياعه إلى مَصْرَعِ الظالمين ، حتى يكون الحق الطالب الأعز ، والباطل المطلوب الأذل ، وأولياء الحق الأعلين يداً وأيدا^(٤) ، وأشياء الضلال الأخرين أعمالا وكيدا ، قضاء الله وسنته ، وعادة الله وإرادته ، فى الفئة المنصورة ، أن تعز فلا ترام ، وأن يمكن لها فى الأرض كما يمكن للذين من قبلها ، وفى الفئة الناكين عنه ، أن تذلل ، فتكون كلمتها السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم » . (اختيار المظوم والمشور ١٣ : ٢٦٩)

٩٧ - تحميد له فى فتح

« أما بعد ، فالحمد لله الذى حمد نفسه ، وفرض حمده على خلقه ، وأعز دينه ، وأكرم بطاعته أولياءه ، وأكرم طاعته بأوليائه فجعل جنده منهم المنصورين ، وحزبه منهم الغالين ، نهج^(٥) بهم سبيله ، وأقام بهم حجته .

(١) قوم فل : منهزمون .

(٢) دحيضا : أى مدحوضا باطلا ، من دحضت الحججة إذا نطت ، وزهوقا : أى مضملا .

(٣) من بتره : أى قطعه واستأصله .

(٤) الأيد : القوة .

(٥) نهج : أوضح .

وجاهدَ بهم أعداءه ، وأظهر بهم حقّه ، وقمع بهم الباطلَ وأهله ، وأعلى كلمتهم ،
وأيدَ نصرهم ، وألّف لهم وبهم ، ومكّن لهم في الأرض ، فجعلهم أئمةً
وجعلهم الوارثين .

والحمد لله المعزّ لدينه ، المظهر لحقه ، الناصر لخلفائه ، الممكن لحزبه ،
المنتقم بهم ممن صدّف عنه ، مؤيداً دينه بالنصر ، أيظّهره على الأديان ، وحقّه
بالعز ، فلا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، وجنوده بالفلج^(١) فهم
الأعلون إن استنصر بهم ، والأعزّون إن كاد بهم ، والأقربون منه إخلاصاً
وعملاً ، حمداً يوازي نعمه ، ويمتري^(٢) بمثله فواضله وتزيده .

(اختيار المظوم والمشور ١٣ : ٢٧١)

٩٨ - تحميد آخر له

وله في فتح ابن البعيث لما ظفر به :

« أما بعد ، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخلفائه ، وهادي أوليائه ، أولياء الحق
وحزب الهدى ، الدين أقام بهم سبيل الرشاد ، ونصب بهم مناهج الدين ،
فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون . »

(اختيار المظوم والمشور ١٣ : ٢٧٢)

(١) الفلج : الظفر والفوز .

(٢) عتري : أي يطلب ، من امتري العىء إذا استخرجه ، والريح تمتري السحاب : أي

تستخرجه وتستدره .

٩٩ - تحميد له

« الحمد لله الذي أنجز وَعَدَه ، ونصر عبده ، وأيد جنده ، وجعل فتوح أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق ، وإدالة^(١) باطل ، وإزالة عائد ، وإبادة عائد ، وإقالة مُستقيل ، ويسأل الله أمير المؤمنين مسألة العبد سيده ومولاه ، رغبة إليه ، متذللًا له ، أن يصلي أفضل صلواته عنده على أكرم أنبيائه » . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٩٦)

١٠٠ - تحميد له في فتح

« والحمد لله بجميع محامده التي تُحمد بها ، على جميع آلائه وجميع بلائه ، فيما ولي به خليفته ، ونصر به دينه ، وأقام به حقه ، وأعز به وليه ، وقمع به من ألد عن سبيله ، حمدا يؤدي حق نعته ، ويوجب به أفضل مزيده ، بمنه وطوله » . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ١٩٥)

١٠١ - تحميد له في آخر كتاب فتح

« فالحمد لله المنزى لما يمهّد المبطلون ، ويمكر به الماكرون ، ويكيد به الملحدون ، تمكينا لعبده وخليفته ، وذبا عن دينه وحقه ، وإظهارا لأوليائه وحزبه ، وإمضاء لعزائه وفدريته ، مُنعما قادرا ، ومُتمليا^(٢) مُمهلا ، عدلا إذا

(١) الإدالة : العلة . والعائد : المائل ، وفي الأصل « مشفوعة بين حق وإدالة باطل ، وإزالة عائد وإبادة ومستقيل وإقالة » .
(٢) أملى له : أمهله .

استدرج ، متفضلاً إذا أنعم ، حمداً يُستنزَل به نصره ، ويُبلغ به رضوانه ،
وَيُمْتَرَى بِمِثْلِهِ فَوَاضِلٌ مَزِيدَةٌ . (اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٢٩٥)

١٠٢ - كتابه إلى بعض إخوانه في شفاعته

وكتب شفاعته لرجل إلى بعض إخوانه :

« فلان ممن يَرْكُو^(١) شكره ، ويحسُنُ ذِكْرَهُ ، ويعينني أمره ،
والصنعةُ عنده واقعةٌ موقعها ، وسالِكةٌ طريقها .

وأفضلُ ما يأتيه ذو الدين والحجبي إصابةً شكرٍ لم يضع معه أجرٌ»

(الأغانى ٩ : ٢٥ ، ومعجم الأدياء ١ : ١٧٨)

١٠٣ - كتابه عن المتوكل إلى أهل حمص

ولما قرأ إبراهيم بن العباس على المتوكل رسالته إلى أهل حمص ،
الخارجين عليه ، والداعين إلى العصبة ، وهى :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه ، مما قوم به
من أود^(٢) ، وعدل به من زيغ ، ولم به من مُنْشِر ، استعمال ثلاث ،
يقدم بعضهن على بعض ، أولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف ، ثم
ما يستظهر^(٣) به من تحذير وتخويف ، ثم التى لا يقع بحسب الداء
غيرها^(٤) .

(١) ركا يزكو : نما .

(٢) الأود : الاعوجاج . (٣) أى يستعين .

(٤) كذا فى الأصل ، وهو على تضمين يقع معنى يقوم ، وربما كان « لا يقع بحسب الداء غيرها »

أَنَاةٌ ، فَإِنْ لَمْ تُعْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا وَعَيْدًا ، فَإِنْ لَمْ يُعْنِ أُغْنَتْ عَزَائُهُ ،
عَجِبَ الْمُتَوَكِّلُ مِنْ حَسَنِ ذَلِكَ ، وَأَوْمَأَ إِلَى عَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَاقَانَ :
أَمَّا تَسْمَعُ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ فَضِيلَةَ خِيَابِهَا اللَّهُ لَكَ ،
وَذَخِيرَةَ ذَخَرِهَا عَلَى دَوْلَتِكَ » ،

(معجم الأديباء ، ١ : ١٨٧ ، ورويات الأعيان ١ : ١٠)

١٠٤ - كتابه عن المنتصر إلى طاهر بن عبد الله

وكتب عن المنتصر بالله بن المتوكل إلى طاهر بن عبد الله يعزيه عن
محمد بن إسحاق :

« أما بعد ، تولى الله توفيقك وحياتك ، وما يرتضيه منك ويرضاه
عنك ، إن أفضل النعم نعمة تُلْقِيَتْ بِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الشُّكْرِ ، وَأَوْفَرَ
حَادِثَةٍ ثَوَابًا حَادِثَةٌ أُدِّيَ حَقُّ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ ، وَمِثْلُكَ
مَنْ قَدَّمَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِي نِعْمَةٍ فَشَكَرَهَا ، وَفِي مَصِيبَةٍ فَأَطَاعَهَا فِيهَا ،
وَقَدْ قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ^(١) مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ - قِضَاءَهُ السَّابِقَ وَالتَّوَقُّعَ ، وَفِي ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ -
أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ - وَتَقْدِيمَ مَا يَقْدُمُ مِثْلَهُ أَهْلُ الْحِجَابِ وَالفَهْمَ ، مَا عْتَاضَهُ
مِعَاضٌ ، وَقَدَّمَهُ مَوْفِقٌ ، فَلْيَكُنِ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ ، وَمَا أَطَعْتَهُ بِهِ ، وَقَدَّمْتَهُ
حَقَّهُ فِيهِ ، أَوْلَى بِكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ فِي الْمَكْرُوهِ
بِطَاعَتِهِ ، يُحَسِّنْ وَلَا يَتَّكِفْ فِي تَوْفِيقِكَ لِشُكْرِ نِعْمِهِ عِنْدَكَ »

(اختيار المطوم ، والمشور ١٣ : ٣٠٧)

(١) هو ابن عم طاهر بن عبد الله ، وذلك أن طاهرا هو ابن عبد الله بن طاهر بن الحسين
ابن مصعب بن زريق بن ماهان ، ومحمدا هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن زريق بن ماهان .

١٠٥ - كتابه عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إبراهيم بن العباس عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله
يعزيه عن محمد بن اسحق :

« فَإِنَّ أَوْلَىٰ حَقِّ خَصَصْتُ وَقَدَّمْتُ ، حَقُّكَ ، بِمَحَلِّكَ الَّذِي أُحِلَّكَ بِهِ ،
وَمَكَانِكَ الَّذِي لَكَ عِنْدِي ، وَلِلَّهِ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ أَنْتَ حَقِيقٌ بِشُكْرِهَا ، وَامْتِرَاءٌ^(١)
مَزِيدٌ بِهَا ، وَوَلِلَّهِ فِي خَلَلِ نِعْمِهِ مُلِمَاتٌ ، مِثْلُكَ قَدَّمَ طَاعَتَهُ فِيهَا فَرَضِيَّ مُسْتَدْعِيًا
بِالرِّضَا ثَوَابَهُ ، وَسَلَّمَ مُسْتَدْعِيًا بِالتَّسْلِيمِ مَا يَقْرَبُهُ مِنْهُ ، وَقَدْ قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
فِي مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَضَاءَهُ الْآتِيَّ عَلَيَّ مِنْ مَضَى ، وَالْمَسْكُوتُوبَ عَلَيَّ مِنْ بَقِي ، حَتَّى
يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، فَارْضَ بِشَوَابِ اللَّهِ عِوَاذًا
مِنْ مَصِيبَتِكَ ، وَارْجِعْ إِلَى مَا وَهَبَ لَكَ مِنْ خَلِيفَتِهِ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - مِنْ
إِيثَارِهِ وَاخْتِصَاصِهِ ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ أَوْلَىٰ مَا عَزَّكَ عَنْ مَصَائِبِكَ ، وَقَدَّمْتَ بِهِ
الشُّكْرَ فِي حَقِّ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَاسْتَصْحَبْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا نِيَّةَ الشَّاكِرِ عِنْدَ
النِّعْمَةِ ، وَالرَّاضِيَّ عِنْدَ الْمِحْنَةِ ، تَزِدُ وَتُكْفَىٰ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . »

(١) احيار المطوم والمنور ١٣ : ٣٠٧)

١٠٦ - كتابه عن المؤيد وهو ولي عهد

إلى طاهر بن عبد الله

« فَإِنَّ مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَىٰ أَهْلِ النِّعْمِ تَقْدِيمَ طَاعَتِهِ عِنْدَ مَصَائِبِهِمْ ،

(١) مري الشيء وامتراد : استخرجه .

والتقرب إليه فيما يعزُّوهم منها بالرضا والتسليم ، وقد قضى الله عز وجل في محمد بن إسحق - عفا الله عنه - قضاءه في جميع خلقه حتى يبقى ويرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، فتلق - أمتع الله بحسن توفيقك - قضاء ربك بالتسليم له ، وتعزَّ عن مُصائبك بطاعته ، فإن مثلك من اکتفى بما فهم ، من أن يعزِّي ، واستغنى بما علم . عن أن يُوعَظَ إن شاء الله والسلام .
(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٠٧)

١٠٧ - كتابه إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إبراهيم بن العباس إلى طاهر بن عبد الله يعزِّيه :
« أما بعد ، فإن أحقَّ من أَرْضَى الله في نعمته بِشُكْرِهِ ، وفي مصائبه بالتسليم له ، مَنْ فَهَمَ ما في شكرِ النِّعمِ من استدعاءِ تمامِها ، وما في التذللِّ للمقادير من استحقاقِ رضوانه ، وقد جعل الله محلك من الحالتين جميعاً محلَّ المتقدمِ بنيتِه ومعرفته ، والله يمتَّعُ أمير المؤمنين فيك بصالح قسمة فيمن مضى ، والجارى على من بقى ويبقى ، حتى يودَّى الفناء الذي لا بقاء معه ، إلى البقاء الذي لا فناء بعده .

وأمير المؤمنين يعظُّك بالله ، وهو أحقُّ من وَعَظَ به . ويرشدك من إشار الله لما ندبكَ له منه ، وسهَّلَ لعظيم نعمته عليك ، في هذه النازلة ، بما صحَّب به على بن طاهر مولى أمير المؤمنين أيامه ، ومضى عليه من بصيرته وطاعته ، فقدَّم حقَّ الله عليك بطاعتك به فيما أمرك به ، واتَّقِ الله في مواقع أقداره بك ، تقترض بذلك من ثواب الله أفضل عوض الصالحين ، وبارك

الله لعلِّي فيما أصاره إليه ، وأحسن الله لما قرَّبك منه توفيقك ، وعلى أرضاه
عنك عَوْنُكَ^(١) ، والسلام . (اختيار المظوم والنور ١٣ : ٣٢٧)

١٠٨ - كتابه إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إلى طاهر بن عبد الله في وفاة إسحاق بن إبراهيم .

« أما بعد ، فإن الله عز وتعالى توحد بتقدير عباده ، وإمضاء إرادته
فيهم ، وجعل لكل منهم نهاية إليها يجرى بهم مُنْقَلِبُهُمْ وَمَتَصِرْفُهُمْ ، فإذا
جاء أمرُ الله ، وانقضت مدةُ البقاء ، سَعِدَ أَهْلُ الْحَقِّ بِحَقَّتِهِمْ ، وكانت العاقبة
للتقوى ، وخسر الملحدون .

وإن إسحاق بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين - أبقاه الله ، وأحسن سعيه
وعمله - كان عبدا من عباد الله أيد الله به خلفاءه ، وخليفته كَنَف^(٢) ، فصحب
عمره ذاباً عن دين الله ، محافظاً عليه ، مُطِيعاً لله في حقه ، ناصراً له ، متقرباً
إلى الله في خلفائه ، بما يرضاه منهم ، ويُرضيهم به عنه ، إلى أن قبضه الله على
أحسن حالاته التي تسره أيام لقائه ، من طاعةٍ ومناصحة وإخلاصٍ عمل ،
فكانت المصيبةُ به - عفا الله عنه - مصيبةً خصَّ أمير المؤمنين موقعها ،
ثم وصلت من بعد أمير المؤمنين إلى من وصلت إليه فيك من ولده وأهله .
وأمير المؤمنين يعزى نفسه عن إسحاق ، بما سبق من اختيار الله له

(١) توفيقك مفعول أحسن ، وعونك معطوف عليه ، وأرضى : أعمل تفضيل .

(٢) كنفه : صانه وحفظه وحاطه وأعانه ، أى أيد به خلفاءه الماضين ، وكف به خليفته

الحاضر ، وفي الأصل « وخليفته وكف » .

في مثله من أوليائه و (ذوي) إخوانه ، ثم يعزيبك عنه إذ كانت مصيبتك به
أولى مصائبك بأن تُرْمِضَكَ^(١) جلاله وموقعا ، وأولى مصائبك بأن يعزيبك
(فيها) ، إذ كنتَ منها بين ثواب الله ورضا خليفته ، ولو استغنى ذو نازلة
ومصيبة عند أمير المؤمنين عن تعزيبته بفضل ما جعله الله عنده ، كنتَ
بما منحك الله عن ذلك غنيا ، ولولا أن أمير المؤمنين أوجب لك حقَّ
التعزية ، لكان في علمه ما أغناه عن تناولك بها .

متَّع الله أمير المؤمنين بك ، ووفقك لرشدك بهذه النازلة الواقعة بحقِّ
الله فيها عليك ، وارضَ ثوابَ الله منها عَوْضًا ، وما جعل الله لك عند أمير
المؤمنين خلفًا كريماً ، وقعتْ به مقاديرُ الله من ذلك ، بحيثُ اختارُ المطيع
لربه ، والمقدم لِعَدِهِ ، والراضى ما رَضِيَ اللهُ لَهُ ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما
يسرك الله له عند انتهاء الخبر إليك ، مؤيِّدك^(٢) ومسدِّدك .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٢٨)

١٠٩ - كتابه إلى طاهر

وكتب إلى طاهر أيضاً :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يُوجبُ لك من كل فائدةِ نعمةٍ ،
وحدثِ (رزيةٍ) تهنئتكَ بتجدد مواهب الله عز وجل ، وتعزيبك عن
ملماتِ أقداره ، وقد قضى الله في محمد بن إبراهيم مؤلّي أمير المؤمنين ،

(١) أرمضه : أوجهه وأحرقه .

(٢) حال من لفظ الجلالة .

ما هو قضاؤه في عبادته ، حتى يكون الفناء لهم والبقاء (له) ، وأمير المؤمنين يعزيك عن محمد بما أوجب الله لمن أمره (بالصبر)^(١) في مصائبه ، من جزيل ثوابه وأجره ، فليكن الله وما قرّبك منه ، أوّلَى بك في أحوالك كلها ، فإن مع شكر الله مزيداً ، ومع التسليم لأمر الله رضا ، وبالله توفيق أمير المؤمنين . والسلام . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٢٨)

١١٠ - كتابه إلى طاهر

وكتب إلى طاهر يعزيه :

« أما بعد ، فإن أحق من أطاع الله في مصائبه ، من حسن بلاء الله عنده في نعمته ، وعلى حسب مواهب المعرفة تؤكّد الحجة ، وقد انتهى إلى أمير المؤمنين قضاء الله في محمد بن الحسن بن مُصعب ، وفرّ الله لك ثواب رزقه ، فقدم حقّ الله فيما أصابك منه مسلماً ، وفيما جدّد لك شاكراً ، وارضَ بالله مُنجزاً لك ، واعلم أنك لم تُرْزَأَ من أهلاك من هو أمضى^(٢) لسبيل مُنقلبه على سبيل سيرة واستقامة منه ، والله يُحسّن توفيقك وعونك ، والسلام . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٢٩)

(١) ما بين الأقواس الثلاثة ساقط في الأصل .

(٢) في الأصل « من مضى » .

١١١ - كتابه إلى عبد الرحمن بن خاقان

وكتب إلى عبد الرحمن بن خاقان يعزیه عن أبي زكريا يحيى
ابن خاقان :

« أما بعد ، فقد جرى من قضاء الله في وفاة يحيى بن خاقان - على
أحسن ما يُتَوَفَّى عليه ذو طاعة ونصيحة وقيام بحق إمامه وسلطانة ورعيته -
ما جرى على الأولين ، وهو جارٍ على الآخرين ، حتى يرث الله الأرض ومن
عليها وهو خير الوارثين .

وأمر المؤمنين يأمرك بالرجوع إلى أمر الله ، والرصا بقضائه ، وتلقى
النعمة برضا الله عن يحيى ، وما تبعه من الدعاء ، وخلفه في عقبه بما يستديها
به من الصبر والتسليم ، وبالشخص إلى باب أمير المؤمنين إذا ورد عليك
كتابته هذا ، بعد أن تخلف في عمالك من يقوم فيه مقامك . مُنْبَسِطَ الأمل ،
منفسح الرجاء ، واثقاً بما يرعى أمير المؤمنين منك بنفسك في طاعته
وموالاته ، وأسبابك ، والسلام . »

٢٢

ونسخة التوقيع بخط أمير المؤمنين في هذه التعمية :

« يا عبد الرحمن ، ثق بالله وبالذي لك عند أمير المؤمنين ، وطب
نفساً ، ولا تحمل على نفسك من الغمّ ما لا يصعبك ، لا بل يضرك ، ويفتم
به أمير المؤمنين ، وهذا خط أمير المؤمنين إليك والسلام . »

١١٢ - كتابه إلى الحسن بن رجاء

« أنت والله يا أبا عليّ (١) يميني^(١) مَصْدَرُهَا عَنِ مُخْتَاطٍ لِنَفْسِهِ فِيهَا (المتقدمُ بنيتُه وأثره وجميل ما أبلى^(٢) اللهُ به وعرفَ منه ، فأحسنَ اللهُ جزاءك عن خليفتك ولياً مجتهداً ، وأحسنَ اللهُ جزاءك عنا أخاً متفضلاً ، وبلغنا محبتنا فيما قلّدت ، وبالله لئن كنتَ على أفضل حدٍّ^(٣) (إني^(٤)) لعلّي نهاية مما عليه المعتمدُ بنعمتك ، المسرورُ بما أجرى اللهُ لك به ، وإني لأرجو ألا أكون مقصراً في حقك عن حقك . »

(اختيار المنظوم والشور: ١٢: ٣٦١)

١١٣ - كتابه إلى محمد بن الحسن بن الفياض

ووقع إلى محمد بن الحسن بن الفياض وقد حمل مالا :
« إذا جرى اللهُ ولياً ، بأداء الفرض عليه ، وتأدية حق الشكر عن نفسه خيراً ، فأحسنَ اللهُ جزاءك ، فبالله لئن كنا قدّمنا حسن الظن بك ، لقد وصلتَ ذلك بكفاية حسنة ، وأثرٍ صالح ، وأمورٍ أقلُّ منها يزيد في الثقة بك ، وإني لأرجو أن يسرك اللهُ به إن شاء اللهُ ، ووافقتَ الأموالُ حاجةً منا إليها ،

(١) أي وتلك يميني... والحلمة اعتراضية .

(٢) الإبلاء : الإلزام .

(٣) الحدّ : منتهى الشيء ، وربما كان « على أفضل حدٍّ » والحدّ يفتح المهم : الحط والحطوة

والعظمة ، والأول أولى لقوله بعد « لعلّي نهاية » .

(٤) ما بين القوسين بياض بالأصل .

ومؤننا تراجعَت ، أعان الله على أكثرها بعنايتك وتسديدك ، والسلام .
(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٦١)

١١٤ - كتابه إلى عامل له

ووقع إبراهيم بن العباس في كتاب عامل له يعتدُّ بحُسن أثرٍ ، ويمتُّ
بمقام محمود :

« يا هذا ، لست أشكُّ أن لك أثراً في التوفير ، كان من تقدمك مقصراً
عنه ، وأنتك معنيٌّ ومحتاط ، غير أنك عفت^(١) على ما أحدثت منك ، بما
يتناهى إلى عنك ، على السن المتظلمين وأصحاب الأخبار .

وذكري فلان ما جرى بينك وبين أخيه مما كثر وصفه له ، وقام
منه وقعد ، وتالله لأكونن الباحث عليك ، والمطالب لك دونه ، لإقدامك
على شيخ ابن ستين سنةً ، بما أقدمت به عليه ، وأف لدنيا اضطرت إليكم ،
فكنتم خياراً من يعمل فيها ! وأبرأ إلى الله من أعمالكم التي رجعت بها إلى
أنفسكم ونياتكم » . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٦٣)

١١٥ - كتاب له في السلامة

« أما بعد ، فإن أولى نعمةٍ تُشكر ، سلامةٌ شملت ، عزٌ فيها الحق فوق
مواقعته ، وذلٌّ فيها الباطل فقمع أشيائه ، وتقلب في سترها وأمنها خاصةً
وعامةً ، فانبسط في تأميل فضلها وعائدتها رعيةً حاضرةً وقاصيةً .

وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ كَتَبْتُ إِلَيْكَ ، فِي أَعْمِ السَّلَامَةِ أَمْنَا وَعِزًّا ،
وَأَدْوَمِ نِعْمَةٍ مَوْقِعًا وَخَطَرًا ، وَفِي أَجَلِ بِلَاءِ^(١) اللَّهِ ، يَتَعَرَّفُهُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ
وَأَوْلِيَائِهِ وَعَوَامَّةٍ ، وَبِاللَّهِ عَوْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى شُكْرِ نِعْمِهِ ، وَتَأْدِيَةِ حَقِّهِ .
أَعْلَمَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ لِتَعَرَّفَهُ وَلِتَعْتَدَّ النِّعْمَةَ بِهِ ، وَلِتَكْتُبَ إِلَى
عِمَالِكَ فِي نَوَاحِي أَعْمَالِكَ ، فَيَشْكُرُوا لِلَّهِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ بِبِلَاءِ اللَّهِ فِي خَلِيفَتِهِمْ ، مِمَّا
رَهَبَ لَهُمْ مِنْهُ ، وَأَجْرِي لَهُمْ بِهِ .

وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعْنَى بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ أَخْبَارِكَ وَأَعْمَالِكَ وَأُمُورِكَ: خَاصًّا
بِعَامِّيَا ، وَلَطِيفِيهَا وَجَلِيلِيهَا ، وَفِي أَوْلِيَائِهِ وَرِعِيَّتِهِ قَبْلَكَ ، فَكَتَبَ إِلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا هُوَ مُتَطَّلِعٌ إِلَيْهِ ، مُتَابِعًا كِتَابِكَ إِلَيْهِ عَلَى شَرْحِ
خَبْرِكَ وَتَلْخِيصِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (اِحْتِيَارُ اللَّطُومِ وَالشُّورِ ١٣ : ٣٦٦)

١١٦ - كِتَابُ لَهُ فِي السَّلَامَةِ

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ فِرْعٍ أَصْلًا ، عَنْهُ مُوَدَّاهُ^(٢) وَمُسْتَنْبِطُهُ ، وَإِلَيْهِ
رَجْعُهُ وَمَوْتُهُ ، وَمَتَى رُجِعَ مِنْ أَصُولِ الْأُمُورِ إِلَى تَأْتُلِهَا^(٣) وَتَمَكَّنِيهَا ،
رُجِعَ مِنْ فِرْعِهَا إِلَى اسْتِبَابِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا ، وَأَفْضَلُ مَا تُدِيرُهُ : أُمُورُ دِينِ
لِلَّهِ وَخِلَافَتِهِ ، وَحُقُوقُ اللَّهِ وَعِبَادِهِ ، فَكَانَ الْأَصْلُ وَزَكَوُّهُ^(٤) مَا جَمَعَ بِإِذْنِ
لِلَّهِ سَكُونَ الدَّهْمَاءِ^(٥) ، وَصَلَاحَ الْبَيْضَةِ^(٦) ، وَأَمْنِ السَّرْبِ^(٧) ، وَتَظَاهَرَ

(١) أَي نِعْمَتِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « مَوَادِهِ » وَأَرَاهُ مَحْرَفًا عَنِ « مَوَدَّاهِ » وَرَعَى كَمَا كَانَ الْأَصْلُ « مَوْرَدِهِ » .

(٣) تَأْتُلُ : تَأْتَلُ .

(٤) الرِّكَاءُ : الصَّلَاحُ وَالنِّمَاءُ ، وَفِي الْأَصْلِ « وَرِكَوَاهَا » وَأَرَاهُ مَحْرَفًا .

(٥) الدَّهْمَاءُ : جَمَاعَةُ النَّاسِ . (٦) الْبَيْضَةُ : حَوْرَةُ كُلِّ شَيْءٍ . (٧) السَّرْبُ : النِّسْبُ .

النعمة فيما قرُب وبعُد ، ودنا ونأى ، وبلاء الله حميداً هو عند أمير المؤمنين ،
مع كتابه هذا إليك في نفسه وولده ، وفي أحبائه وخاصته وقاصيته ، وفي
أنصاره ، من عموم الأمن وشموله ، وصلاح الحال واستقامتها ، (بلاء
يرجو^(١)) عن الإحاطة بذكره دون شكره ، وعن إحصاء مواهب الله فيه
دون إحصائه .

أعلمك أمير المؤمنين ذلك معتداً بنعمة الله فيه ، ومُشيداً بذكره ،
ومنبهاً على جميل آلاء الله ، ومستديماً حمده به ، لتأمر بإنفاذ كتبك إلى عمالك
في نواحي أعمالك بما يُنسخ من كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، لتقرأه على
من بحضرتهم وأطرافهم من قواد أمير المؤمنين وجنوده وأوليائه ورعيته
وخاصته وعامته ، فيحمدوا الله على ما أبلى^(٢) أمير المؤمنين في نفسه وفيهم ،
ليجدوا من شكر الله على ذلك ما يمثله استديمت النعمة ، وامتري^(٣) صالح
المزيد ، فافعل ذلك معاناً على أمرك ، متحرراً لأداء حق الله عليك ،
والسلام . (اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٣٦٧)

١١٧ - كتاب آخر

وكتب في سلامة الأضيى :

« فإن أحق من أشاد بنعم الله ناطقاً بلسان شكرها ، وقائلاً بأحسن

(١) في الأصل « بد... » وقد آحمت العبارة كما ترى .

(٢) أى أنعم عليه .

(٣) امترى الشيء : استخرجه .

نشرها ، ومقدماً حقاً الله بذلك فيها ، مَنْ أَلْبَسَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ أُعْزَّ مَلَابِسَهَا ،
 وَحُبِّيَ مِنْهَا بِأَفْضَلِ مَوَاهِبِهَا ، وَمَنْ لَمْ تَزَلْ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ فِي مُتَجَدِّدِ نِعَمِهِ عَلَيْهِ ،
 بِتَيْسِيرِهِ لِأَدَاءِ حَقِّهِ فِيهَا ، ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يَعْتَدُّ بِهِ مِنْ جَلِيلِ آلاءِ اللَّهِ
 لَدَيْهِ فِيمَا يُخَصِّصُهُ ، وَجَلِيلِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ فِيمَا وَقَّقَهُ لَهُ ، وَبِاللَّهِ عَوْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 بِتَبْلِيغِهِ شُكْرَهُ ، وَاسْتِحْقَاقِهِ مَزِيدَهُ ، وَإِحْرَازِ مَا هُوَ أَرْضَى وَأَزْكَى لَهُ عِنْدَهُ
 وَكِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ يَوْمَ النَّحْرِ ، انصِرافَهُ مِنَ الْمَصَلِيِّ ، وَقَدْ عَرَّفَهُ
 اللَّهُ فِي عَيْدِهِ وَمَخْرَجِهِ ، مِنَ السَّلَامَةِ وَعَمُومِهَا ، وَالنِّعَمِ وَتَظَاهُرِهَا فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ
 وَقَوَّادِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَفِي خَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، أَفْضَلَ مَا لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُهُ إِيَّاهُ ، أَمَّنًا ^(١) كَنَفَ
 بِهِ ، وَعِزًّا أَلْبَسَهُ ، وَشُكْرًا وَقَّقَ لَهُ ، وَنِعْمًا أَيْدِيَهَا وَقَمَعَ ، وَأَعْلَى بِهَا وَوَضَعَ ، فَجَعَلَ
 لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ وَحَقِّهِ مِنَ الْعُلُوِّ وَالْكَرَامَةِ ، وَعَلَى أَعْدَائِهِ مِنَ الذُّلَّةِ وَالْحَسْرَةِ ،
 مَا قَدِيمًا تَفْضِيلاً بِمِثْلِهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِ وَاسْتَحْفَظَهُ فِيهِ ، تَفْضِيلاً
 مِنْهُ وَإِحْسَانًا ، وَحَيَاةً وَإِنْعَامًا ، وَلِلَّهِ بِذَلِكَ أَرْضَى شُكْرًا ، وَلَهُ أَفْضَلُ مَا قَرَّبَ
 مِنْهُ وَأَزَلَفَ ^(٢) عِنْدَهُ .

أَحَبُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْكِتَابَ بِذَلِكَ إِلَيْكَ . لِتَعْرِفَهُ وَتُحَمِّدَ اللَّهَ عَلَيْهِ ،
 وَتَنْشُرَهُ فِيمَنْ قَبْلَكَ ، فَيُحَمِّدُوا اللَّهَ وَيَعْتَدُوا نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَإِنْ مَعَ مَعْرِفَةِ
 النِّعْمَةِ شُكْرَهَا ، وَمَعَ التَّوْفِيقِ لَشُكْلِهَا حِرَاسَتَهَا وَوَجُوبَ مَزِيدِهَا ،
 وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِ بِمُخْبِرِكَ وَخَبْرٍ مِنْ قَبْلِكَ بِمَا هُوَ مُتَطَلِّعٌ
 إِلَيْهِ وَإِلَى مَعْرِفَتِهِ ، بِهَيْجٍ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَتَابِعْ - أَصْلِحَ اللَّهُ بِكَ - إِلَى
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (اخْتِيارُ الْمَنْظُومِ وَالنُّثُورِ ١٣ : ٣٦٧)

(١) فِي الْأَصْلِ « مَا » وَأَرَاهُ مَحْرُفًا . (٢) أَيْ قَرَّبَ .

١١٨ - ومن فصوله

«المودةُ تَجْمَعُنَا مَحَبَّتُهَا ، وَالصَّنَاعَةُ تُؤَلِّفُنَا أَسْبَابُهَا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَاحٍ فِي لِقَاءٍ ، أَوْ تَخَلُّفٍ فِي مَكَاتِبَةٍ ، مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا ، يُوجِبُ الْعَذْرُ فِيهِ»
(المقد الفريد ٢ : ١٩٢)

١١٩ - ومن كلامه

« وَوَجَدَ أَعْدَاءَ اللَّهِ زُخْرُفَ بَاطِلِهِمْ ، وَتَمْوِيَةَ كَذِبِهِمْ ، سَرَابًا بِقِيَعَةٍ^(١) يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا » وَكَوَمِيضِ بَرْقٍ عَرَضَ فَاسْرَعَ ، وَلَمَعَ فَاطْمَعَ ، حَتَّى إِذَا انْحَسَرَتْ^(٢) مَفَارِجُهُ ، وَتَشَعَّبَتْ مَوْلِيَةٌ مَذَاهِبُهُ ، وَأَيَقُنَ رَاجِيَهُ وَطَالِبُهُ ، أَنْ لَأَمَلَاذٍ وَلَا أَوْزَرَ ، وَلَا مَوْرِدَ وَلَا صَدَرَ ، وَلَا مِنْ الْحَرْبِ مَفْرُتٌ ، هُنَالِكَ ظَهَرَتْ عَوَاقِبُ الْحَقِّ مُنْجِيَةً ، وَخَوَاتِمُ الْبَاطِلِ مُرْدِيَةً ، سُنَّةُ اللَّهِ فِيهَا أَزَالُهُ وَأُدَالُهُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَا عَن قَضَائِهِ تَحْوِيلًا »
(معجم الأدباء ١ : ١٩٠)

١٢٠ - كتاب الفضل بن حباب

إلى إبراهيم بن العباس

قال إبراهيم بن العباس الصُّولي: كاتبت القاضي أبا خليفة الفضل بن حباب الجمحي

(١) القبة جمع قاع : وهو ما يبسط من الأرض وفيه يكون السراب نصف النهار، قال في اللسان : « ولا نظير له إلا جار وجيرة ، وذهب أبو عبيد إلى أن القبة تكون للواحد » .
(٢) أي انكشفت .

في أمور أرادها ، فأغفلت التاريخ منها في كتابين ، فكتب إلى بعد الثاني :
« وصل كتابك - أعزك الله - مبهم الأوان ، مُظلم المكان ، فأدى
خبراً ما القرب فيه بأولى من البعد ، فإذا كتبت - أكرمك الله تعالى -
فلتكن كتبك موسومةً بتاريخ ، لِأَعْرِفَ أَدْنَى آثَارِكَ ، وَأَقْرَبَ أَخْبَارِكَ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . » (زهر الآداب ٣ : ١٤٣)

١٢١ - كتاب رجل إلى المتوكل

وكتب رجل إلى المتوكل على الله ، وقد أهدى إليه قارورةً من
دُهْنِ الْأَتْرُجِ :

« إِنَّ الْهَدِيَّةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ ،
كَلِمًا لَطُفَتْ ^(١) وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ ، وَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى
الصَّغِيرِ ، كَلِمًا عَظُمَتْ وَجَاءَتْ كَانَتْ أَنْفَعُ وَأَوْقَعُ ، وَأَرْجُو أَلَّا تَكُونَ
قَصَرْتُ بِهَا هِمَّةً أَصَارْتَنِي إِلَيْكَ ، وَلَا أَخَّرْتَنِي ^(٢) إِرْشَادًا دَلَّنِي عَلَيْكَ ، وَأَقُولُ :
مَا قَصَّرْتُ هِمَّةً بَلَغْتُ بِهَا يَا بَابَكَ إِذَا التَّدَاءُ وَالْكَرْمُ ^(٣)
حَسْبِي بَوَدِّكَ إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ

(الغد الفريد ٣ : ٣٠٩)

(١) لطف الشيء ككرم : يصغر ودق .

(٢) في الأصل « ولا أخرى » وهو تحريف .

(٣) الندى بالقصر : الكرم والجود ، ومدته للشعر .

١٢٢ - كتاب رجل إلى مالك بن طوق

وكتب رجل إلى مالك بن طوق^(١) لما عُزل عن عمله .
« أصبحتَ واللهِ فاضِحاً مُتَعِباً : أمّا فاضِحاً فلـكلِّ والـ قبلكَ بحُسنِ
سِيرتِكَ ، وأمّا مُتَعِباً فلـكلِّ والـ بعدكَ أن يُلحِقَكَ » .

(اختيار المظوم والمشور ٣ : ٣٠٠)

١٢٣ - كتاب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشَّيْصِ :
« كتابي إليك كتاب خَطَطْتُهُ يميني ، وفرَّغْتَ لَهُ ذِهْنِي ، فما ظنُّكَ
بِحاجتي : هذا مَوْقِعُهَا مني ؟ أتراني أقبلُ العذرَ فيها ؟ أو أقصرُّ في الشكرِ عليها ،
وإبن أبي الشَّيْصِ قد عرَفْتَ حالَهُ ونَسَبَهُ وصفاتِهِ^(٢) ، ولو كانت أيدينا تنبسط
بِرِّه ما عدَّانا إلى غيرنا ، فاكتفِ بهذا منا » .

(القصد المرید ٢ : ١٩٣ ، واختيار المظوم والمشور ١٣ : ٣٩٤)

١٢٤ - كتاب أحد الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر

وكتب بعض الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر^(٣) وقد نالتهما
مِحْنَةٌ ، ثم ردِّفَتْها نعمة :

(١) كان أميراً على الأهوار في خلافة التوكل - انظر الأغانى ١ : ٢٢ .

(٢) وفي المظوم والمشور « وكفاته » .

(٣) قال ابن النديم في الفهرست ص ١٧٨ . « هو المدبر : أحمد ومحمد وإبراهيم ، وجميعهم تبار
منرسل بليغ » ، وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغانى - في ترجمة إبراهيم بن المدبر ج ١٩ ص ١١٤ -

« بسم الله الرحمن الرحيم : لو قُبِلْتُ فيكما ، ودانيتُ قدرَيْكما ، لقلتُ :
جعلني الله فداكما ، ولكن أُخِرْتُ عنكما ، فلا أُقبلُ فيكما^(١) ، وقد بلغتني
المِحْنَةُ التي لو مات إنسان غَمًّا بها لَكُتُّهُ ، ثم اتصلتُ بي النعمة التي لو طار^(٢)
إنسان فرحاً بها لَكُتُّهُ . وكتب تحتَه :

وليس بتزويق اللسان وصَوْغِهِ ولكنه قد خالط اللحم والدمما
(رهر الآداب ٣ : ١٦ ، وأدب الكتاب ص ١٥٣)

١٢٥ - كتاب عمر بن أيوب إلى أحمد بن المدبر
وكتب أبو حفص عُمر بن أيوب إلى أبي الحسين أحمد بن محمد
ابن المدبر ، يعاتبه في أن دعا له « مَدَّ اللهُ في عُمرِكَ » :

« يا جَواداً بالثنا وبخيلاً بالعطاء

إن : « مَدَّ اللهُ في عُمرِكَ » من كُتُب الجفا

ليس يُستعمل هذا الصَّدرُ بين الأصفياء

فتفضلْ يا فتى النَّاسِ بِتَفخيمِ الدُّعا »

(أدب الكتاب ص ١٦٠)

« إبراهيم بن المدبر شاعر كاتب متقدم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم ودوى الخاه
والتصرفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله » وقال :
« كان أحمد بن المدبر ولي لعبدالله بن يحيى بن خاقان عملاً ، فلم يحمد أثره فيه ، وعمل على أن
يبكته ، وبلغ أحمد ذلك فهرب ، وكان عميد الله محرراً عن إبراهيم شديد الماسة عليه لرأى المتوكل
فيه ، فأعراه به وعرفه حراً أحميه . وادعى عليه مالا حليلاً ، وذكر أنه عهد إبراهيم أحمه ، وأوعر
صدره عليه حتى أدن له في حسه - ويزيبرهم في حسه أستعار كثره حسان مختارة أورد صاحب
الأعاني نصها - وطال حسه ، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة حتى حلصه محمد بن عبد الله
ابن طاهر ، وبدل أن يحتمل في ماله كل ما يطالب به ، فأعفاه المتوكل من ذلك ووهبه له . »

وقال ياقوت في معجم الأدياء ج ١ : ص ٢٢٦ : « هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ،
تولى الولايات الحليفة ، ثم وورر للعميد ، ومات سنة ٢٧٩ وهو نعتل للمعتضد ديوان الضياع معداد »
أقول : وأكبر طي أنه « المدبر » بمنح الماء .

(١) وفي أدب الكتاب : « ولَيْ لا أحرى عنكما ، ولا أقتل بكما » .

(٢) في الأصل « أدب الكتاب » طال وهو تحريف .

١٢٦ - كتاب أبي العباس المبرد إلى إبراهيم بن المدبر

وقال أبو الحسن الأخفش^(١) علي بن سليمان : استهدى إبراهيم بن المدبر
أبا العباس^(٢) محمد بن يزيد جليسا يجمع إلى تأديب ولده الإمتاع بإيناسه^(٣) ،
فندبني لذلك وكتب إليهم معي :

« قد أتفتت إليك - أعزك الله - فلانا وجملة أمره أنه كما قال الشاعر :

إذا زرتُ الملوك فإن حسبي شفيعا عندهم أن يخزوني »

(زهر الآداب ١ : ١٤٤)

١٢٧ - كتاب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون

قال صاحب الأغاني :

وكتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون في أيام نكبه

يسأله إذ كار المتوكل والفتح بن خاقان بأمره :

(١) هو الأحفش الأصغر النحوي المعروف ، تولى سنة ٣١٥ - انظر ترجمه في وفيات الأعيان
١ : ٣٣٢ ، والفهرست لابن النديم ص ١٢٣ ، ونزهة الألبا في طبقات الأدبا ص ٣١٢ .
(٢) هو أبو العباس المبرد النحوي المشهور صاحب كتاب الكامل ، كان إماما في النحو واللغة ،
روى عنه الأخفش المذكور ، وتولى سنة ٢٨٥ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٤٩٥ ،
والفهرست لابن النديم ص ٨٧ ، ونزهة الألبا - ص ٢٧٩ .
جاء في وفيات الأعيان ١ : ٤٩٧ « والمبرد ضم الميم وفتح الباء والراء المشددة لقب عرف به ،
واختلف العلماء في سبب تلقيه بذلك ، فالدي ذكره ابن الجوزي في كتاب الألقاب أنه قال : سئل
المبرد لم لقب بهذا اللقب فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة صلبى للسادمة والمذاكرة مكرهت
الذهاب إليه ، فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني ، فجاء رسول الوالي يطيبني ، فقال لي أبو حاتم : ادخل
في هذا ، يعني غلاف زملة (وهي الرأفة التي يبرد فيها الماء) فارعا ، فدخلت فيه رعتي رأسه ، ثم
خرج إلي الرسول ، وقال : ليس هو عندي ، فقال : أخبرت أنه دخل إليك ، فقال : ادخل الدار
وفتسها ، فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يفتن لغلاف الزملة ، ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق
وينادي على الزملة المبرد المبرد ، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به ، وقيل ان الذي لقبه به شيخه
أبو عثمان المازني ، وقال غير ذلك » وجاء في الزهر للسيوطي ٢ : ٦٧ في « أصل في معرفة الألقاب
وأسابها » : « قال السيرافي : لما صنف المازني كتابه الألف واللام سأل المبرد عن ديقه وعويصه
فأجاب بأحسن جواب : فقال له : قم فأنت المبرد بكسر الراء أي مثبت للحق ، ففيرة الكوفيون
وفتحوا الراء » .

(٣) ذكر صاحب الأغاني في ترجمة ابن المدبر أنه كان يتولى البصرة ح ١٩ : ص ١٢٤)
فالظاهر أن ذلك الاستهداء كان إبان توليه إياها ، وقد كان المبرد من أئمة النحويين البصريين .

كم ترى يَبْقَى عَلَى ذَا بَدَنِي ؟
 أنا في أُسْرِ وَأَسْبَابِ رَدِّي
 يابنَ حَمْدُونَ فَتَى الْجُودِ الَّذِي
 ما الذي تَرْقُبُهُ ، أم ما ترى
 وأبو عَمْرَانَ موسى حَتِيقُ
 وعبيد الله أيضاً مثله
 ليس يشفيه سوى سَفَكِ دمي
 والأميرُ الفَتْحُ إِبْ أذْكَرْتَهُ
 قال : صِدْقٌ حِينَ أَدْعُو بِاسْمِهِ
 قل له : يَا حُسَيْنَ مَا أَوْلَيْتَنِي
 زاد إحسانَكَ عِنْدِي عِظَمًا
 لست أدري كيف أُجْزِيكَ بِهِ
 ما رأى القومُ كَذَنِّي عِنْدَهُمْ
 ذاك فعلى وُتْرَائِي عَنْ أَبِي
 سُنَّةٌ صَالِحَةٌ مَعْرُوفَةٌ
 ظَفَرَ الْأَعْدَاءِ بِي عَنْ حِيَالِي
 لَيْتَ أَنِي وَهُمْ فِي مَجْلِسِ
 قد لَبِي مِنْ طُولِ هَمِّ وَضَنِي
 وَحَدِيدِ فَادِحِ يَكْلِمُنِي ^(١)
 أنا منه في جَنِي وَرَدِ جَنِي ^(٢)
 في أخ مَضَطَّهَدٍ مَرْتَهَنِ ؟
 حاقِدٌ يَطْلُبُنِي بِالْإِحْنِ ^(٣)
 وَنَجَاحُ بِي مُجِدُّ مَا يَنِي ^(٤)
 أو يراني مُدْرَجًا فِي كَفَنِي
 حُرْمَتِي قَامَ بِأَمْرِي وَعُغْنِي
 وسرورٌ حِينَ يَعْرُو حَزَنِي
 ما لِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ تَمَنِّ
 أَنَّهُ بَادٍ لِي يَعْرفُنِي
 غَيْرَ أَنِّي مُثْقَلٌ بِالْمَنِّ
 عَظُمُ ذَنْبِي أَنِّي لَمْ أُخْبِرْ
 واقْتَدَانِي بِأَخِي فِي السُّنَنِ
 هي مِنَّا فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ
 ولعلَّ اللهَ أَنْ يَظْفِرَنِي
 يَظْهَرُ الْحَقُّ بِهِ لِلْفَطَنِ

(١) فدحه كمنه : أثقله . وكله كضربه : جرحه .
 (٢) الجي كفتى : كل ما يجني ، وتمر جنى كفتى : جنى من ساعته .
 (٣) في الأصل « حاقن » وأراه محرفا ، والإحْن : جمع إحنة بالكسر : وهي الحقد .
 (٤) أي ما يفتقر . وفي الأصل « ونجاح في ... » وهو تحريف .

فَسَتَرِي لِي وَلَهُمْ مَلْحَمَةٌ يَهْلِكُ الْخَائِنُ فِيهَا وَالذَّنِي (١)
 وَالذِّي أَسْأَلُ أَنْ يُنْصِرَ فَنِي حَاكِمٌ يَقْضِي بِمَا يَلْزُمُنِي
 قَلْ لِحَمْدُونَ خَلِيلِي وَابْنِي وَلَعَيْسَى حَرَّكَوهُ يَا بَنِي (٢)
 فلم يزالوا في أمره حتى خلاصوه . (الأغانى ١٩ : ١١٩)

١٢٨ - كتابه إلى عريب

وكان بين إبراهيم بن المدبر وبين عريب (٣) المصنفة حال مشهورة ، كان
 يهواها وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة .
 وقد كتبت إليه من سرٍّ من رأى كتابا تشوقه فيه ، وتخبره
 باستيحاها له ، واهتمامها بأمره ، وأنها قد سألت الخليفة في أمره ، فوعدها
 بما تحب .

فأجابها عن كتابها ، ركب في آخر الكتاب .

لعمرك ما صوتٌ بديعٌ لمعبدٍ (٤) أحسنَ عندي من كتاب عريب
 تأملتُ في أثناثة خطِ كاتب ورقّةً مشتاقٍ ، ولفظَ خطيبِ
 وراجعتني من وصفها ما استرَفني وزهدني في وصلِ كلِّ حبيبِ
 فصرت لها عبداً مُقِرّاً بملكها ومستسكاً من وده بنصيبِ (٥)
 (الأغانى ١٩ : ١١٦)

(١) الملحمة : الودعة العظيمة القتل .

(٢) قال صاحب الأغانى : يعنى يابى اراية

(٣) انظر أخبارها في الأغانى ١٨ : ٧٥ .

(٤) هو معدن وهب المعنى المشهور ، كان في عهد الدولة الأموية ومات في أيام الوليد بن يزيد

بدمشق - انظر برحمته في الأغانى ١ : ١٨ .

(٥) وقد اورد صاحب الأغانى مكاتبات شعرية بين إبراهيم بن المدبر وبين عريب وغيرها فارجع إليها فيه

١٢٩ - كتاب لابن المدبر

ولابن المدبر :

« وصل كتابك المفتوح بالعتاب الجميل ، والتقرير اللطيف ، فلولا ماغلب على من السرور بسلامتك ، لتقطعتُ نغمًا بعتابك ، الذي لطف حتى كاد يخني عن أهل الرقة والفطنة ، وعاظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ، فلا أعدمى الله رضاك مجازيا به على ما استحقته عتبتك ، فأنت ظالم فيه ، وعتابك ولي المخرج منه » (العقد لمرید ٢ : ١٩٤)

١٣٠ - الرسالة العذراء لابراهيم بن المدبر

وهي رسالة في موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها أبو اليسر إبراهيم بن محمد بن المدبر :

« بسم الله الرحمن الرحيم : فتح الله بالحكمة ذهنك ، وشرح بها صدرك ، وأنطق بالحق لسانك ، وشرف به بيانك . وصل إلى كتابك العجيب الذي استفهنتي فيه - بجوامع كليك - جوامع أسباب البلاغة ، واستكشفتني عن غوامض آداب أدوات الكتابة : سألتني أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته ، ومحدود فخامة المعنى وجزالة ، ورشاقة نظم الكتاب ، ومشاكلة سرده ، وحسن أفتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله . واعتدال وُصوله ، وسلامتهما من الزلل ، وبُعدهما من الخطل^(١) ، ومتى يكون

(١) الخطل : الخطأ .

الكاتب مستحقاً اسم الكتابة ، والبلغُ مُسَمَّاهُ معاني البلاغة ، في إشارته واستعارته ، وإلى أى أدواته هو أحوجُ ، وبأى آلاته هو أعملُ ، إذا حَصَّصَ^(١) الحقَّ ، ودُعِيَ إلى السَّبْقِ ، وفهِمتهُ .

وأنا راسمٌ لك - أيَّدك اللهُ - من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك ، ويسبرُ عن جملة سؤالك ، وإن طوّلتُ في الكتاب وعرضتُ ، وأطنبتُ في الوصف وأسهبْتُ ، ومُستقصٍ على نفسى في الجواب ، على قدر استقصائك في السؤال ، وإن أخلَّ به التَّياتُ^(٢) الحال ، وسكونُ الحركة ، وفتورُ النشاط ، وانتشارُ الروية ، وتقشُّمُ الفكر ، واشتراكُ القلب ، واللهُ المستعانُ .

اعلم - أيَّدك اللهُ - أن أدوات ديوان جميع المحاسن ، وآلات المكارم ، طائفةٌ منقادةٌ لهذه الصناعة التي خصبتُها ، وتاليةٌ تابعة لها ، وغيرُ خارجة إلى جحد أحكامها ، ولا دافعة لما يلزمها الإقرارُ به لها ، إضراراً منها إليها ، وعجزاً عنها ، فإن تقاضتْ نفسك علمها ، ونازعَتْك همَّتُك إلى طلبها ، فاتخذِ البرهانَ دليلاً شاهداً ، والحقَّ إماماً قائداً ، يقربُ مسافة ارتيادك ، ويسهلُ عليك سبيل مطالبها ، واستوهبِ اللهُ توفيقاً تسنجحُ به مطالبك ، واستمنحْه رشداً يقبلُ إليك بوجه مذاهبك ، فاقصدِ في ارتيادك ، وتأملِ الصواب في قولك وفعلك ، ولا تسكنْ إلى جحود قصدِ السابق بالأجاج ، ولا تخرجِ إلى إهمال حقِّ المصيبِ بالمعاندة والإنكار ، ولا تستخفَّ

(١) حصص : وضع واستبان .

(٢) التيات . الاختلاط والالتفاف .

بالحكمة ، ولا تُصغِرْها حيث وجدتها ، فترحل نافرةً عن مواطنها من قلبك ، وتظمن شاردةً عن مكانها من بالك ، وتتعق^(١) بعد العِمازة من قلبك آثارها ، وتنطمس بعد الوضوح أعلامها .

واعلم أن الاكتساب بالتعلم والتكلف ، وطول الاختلاف إلى العلماء ، ومدارسة كتب الحكماء ، فإن أردت خوض بحار البلاغة ، وطلبت أدوات الفصاحة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه ، في تلقيح ذهنك ، واستنجاح بلاغتك ، ومن نوادير كلام الناس ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأشمار^(٢) ما يتسع به منطقتك ، ويعذبُ به لسانك ، ويطول به قلمك ، وانظر في كتب المقامات والخطب ، ومحاورات العرب ، ومعاني العجم ، وحدود المنطق ، وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم ، وسيرهم ووقائعهم ، ومكائدهم في حروبهم ، بعد أن تتوسط في علم النحو والتصريف واللغة والوثائق والسور والشروط ككتب السجلات والأمانات ، فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب ، وتتمهر^(٣) في نزع آي القرآن في مواضعها ، واجتلاب الأمثال في أماكنها ، واختراع الألفاظ الجزلة ، وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ، فإن تضمين المثل السائر ، والبيت الغابر البارع ، مما يزين كتابتك ، مالم تخاطب خليفة أو ملكاً جليلاً القدر ، فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء

(١) تعق الأثر : درس واتحى .

(٢) في الأصل « والأسماء » وهو تحريف .

(٣) وفي القيد « لتكون ماهراً » .

وَالجِلَّةُ الرَّؤْسَاءُ ، عَيْبٌ وَاسْتَهْجَانٌ لِلْكَتُبِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْقَارِضُ
لِلشَّعْرِ وَالصَّنَاعِ لَهُ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي أُهْبَتِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى بَرَاعَتِهِ ، وَإِنْ
شَدَّوتَ (١) مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ مَا لَا يَشْغُوكَ مَحَلَّهُ ، وَتَنْقَيْتَ مِنْ هَذِهِ الْفُنُونِ
مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِطَالَةِ قَلَمِكَ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِ (٢) يِيَانِكَ .

بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة ، خلو الشمائل ، عذب الألفاظ ،
دقيق الفهم ، حسن القامة ، بعيدا من القدماء (٣) ، خفيف الروح ، حاذق
الحس ، ممتكا بالتجربة ، عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامهما ، وبالملوك
وسيرها وأيامها ، وبالدهور في تقلبها وتداولها ، مع براعة الأدب ، وتأليف
الأوصاف ، ومشاكل الاستعارة ، وحسن الإشارة ، وشرح المعنى بثله من
القول ، حتى تنصب صوراً منطقية تُعَرِّبُ عَنْ أَنْفُسِهَا ، وَتَدُلُّ عَلَى أَعْيَانِهَا ،
لأن الحكماء قد شرطوا في صفات الكتاب : اعتدال (٤) القامة ، وصغر الهامة (٥) ،
وخفة اللهازم (٦) ، وكثافة الأحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة
الشمائل . وخفة الإشارة ، وملاحة الزمى . حتى قال بعض المهالبة (٧) لو أده :

« تَزَيُّوا بِزِيِّ الْكُتُبِ ، فَإِنْ فِيهِمْ أَدَبَ الْمُلُوكِ ، وَتَوَاضَعِ السُّوقَةِ » .

ومن كمال آلة الكتابة : أن يكون الكاتب بهي الملبس ، نظيف

(١) شدة : أحد طرفي الآد .

(٢) الأود : الأعواح .

(٣) اقدماء : التي عن الكلاء في نقل ربحاوة وانه مهم . قدم ككرم فهو مدم كصت .

(٤) في رسائل اللعاه « طول القام » .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) اللهازم : ما كان تحت الأديب من اعلى اللين والحاس .

(٧) المهالبة : هو المهلب بن أبي صفرة .

المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك ^(١) مستفزه ^(٢) المركب ، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية . عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفتنة .

وإذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتّاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم ، فخطب كلاً على قدر أهله وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وتفطنه وانتباهه ، واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام . فأربعة منها للطبقة العلوية ، وأربعة دنون . واكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمة حظ لا يتسع للكاتب البليغ أن يتصر بأهلها عنها ، ويقلب معناها إلى غيرها . فالطبقة العليا : الخلافة التي أجاب الله قدرها . وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد . من أبناء الدنيا في التعظيم والتوهم والمخاطبة والترسل والطبقة اثنائية الوزراء والكتّاب الذين يخاطبون الخلفاء بقولهم وألسنتهم . ويرتدون الفتوق بأرائهم ، ويجمّلون بأدابهم . والنسبة الثالثة : أمراء شعورهم وغنوا جيوشهم ، فإنه يجب مخاطبة كل امرئ منهم على قدره وموضعه وحظه وغنائه ^(٣) وجزائه واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم ، وجلائل أعمالهم . والطبقة الرابعة : القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فمعهم أبهة السلطنة ، وهيبة الأمراء .

(١) الفاره من الدواب : الحيد السير ، واسهرهما : استكرهما : أي انتقاها كرماً فارها .

(٢) أي كعابته .

أما الطبقات الأربع الأخرى ، فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها . والثانية : وزراءهم وكتائبهم وأتباعهم الذين بهم تُقرع أبوابهم ، وبعنايتهم تستباح^(١) أموالهم . والثالثة : هم العلماء الذين يجب توقيروهم في الكتب ، لشرف العلم وعلو درجة أهله . والرابعة : أهل القدر والجلالة والظرف والحلاوة والطلاوة^(٢) والعلم والأدب ، فإنهم يضطرونك بحجة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم .

واستغنيانا عن الترتيب للتجار والشوكة والعوام رتبة ، لاستغنائهم بتجارتهم عن هذه الآلات ، واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الأدوات . ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهبٌ يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك إياهم في كتبك ، فتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتُعطيه قِسْمه ، وتوفيه نصيبه ، فإنك متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم في غير مسلكهم ، وتجرى شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه .

فلا تعتد^(٣) بالمعنى الجزل ما لم تُلبسه لفظاً جزلاً لاثقا بمن كاتبته ، ومشابها لمن راسلته ، فإن إلباسك المعنى - وإن شرف وصلح - لفظاً مختلفاً عن قدر المکتوب إليه ، لم تجر به عادتهم ، تهجين^(٤) للمعنى ، وإخلال بتدوره ،

(١) استباحه : سأله العطاء ، وفي القصد « تسباح » وهو تحريف .

(٢) الطلاوة مثلثة : الحسن والبهجة .

(٣) في رسائل البلاء « فلا يبيد المعنى الجزل » .

(٤) التهجين : التقييح .

وظلم لحق المكتوب إليه ، ونقص مما يجب له ، كما أن في اتباع^(١) تعارفهم ،
وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سننهم ، قطعاً لعذرهم ، وخر وجامن حقوقهم ،
وبلوغاً إلى غير غاية مرادهم ، وإسقاطاً لحجة أدبهم ، فمن الألفاظ المرغوب
عنها ، والصدور المستوحش منها ، في كتب السادات والأمراء والملوك -
على اتفاق المعاني - مثل : « أبقاك الله طويلاً » و « عمرك ملياً^(٢) » وإن كنا
نعلم أنه لا فرقان بين قولهم : « أطال الله بقاءك » وبين قولهم : « أبقاك الله
طويلاً » ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنه قدرأ ، في مخاطبة الملوك ،
كما أنهم جعلوا : « أكرمك الله وأبقاك » أحسن منزلةً في كتب الفضلاء
والأدباء ، من « جُعِلتُ فداك » على اشتراك معناه ، واحتماله أن يكون فداءً
من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداءً له من الشر ، ولولا أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص : « ارم ، فداك أبي وأمي » لكرهتُ
أن يكتب بها أحد ، على أن كتاب العسكر وعوامهم قد أولعوا بهذه اللفظة .
حتى استعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعلوها هجيراًهم^(٣) في مخاطبة
الشريف والوضيع ، والكبير والصغير ، ولذلك قال شعوب الوراق :

كُلُّ مَنْ حَلَّ « سُرَّ مَنْ رَأَى » مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ يُصَاحِبِ الْمَلَكَ
لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مِثْلًا فِي طَرِيقٍ قَالَ لِلْكَلبِ : يَا جُمِلْتُ فِدَاكَ
وَكَذَلِكَ لَمْ يُحَيِّزُوا أَنْ يَكْتُبُوا بِمِثْلِ « أبقاك الله وأمتع بك » ، إلا إلى الحرمة

(١) في رسائل البلاء « كما أن في امتاع تعارفهم . . . وصعاً لعذرهم » وهو محريف .

(٢) في العقد « ضس » وهو تحريف .

(٣) عمره الله وعمره : أبقاه ، وملياً : أي دهرأ طويلاً ، والفرق والفرقان واحد .

(٤) يقال : هذا هجيراً : أي دأبه وشأنه .

والأهل والتابع المنقطع إليك ، وأما في كتب الإخوان فقيرٌ جائزٌ ، بل مذمومٌ مرغوبٌ عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتِ مُلْكَافَهَتِي فِي كُتُبِكَ؟^(١)
أَمْ هَلْ تَرَى أَنَّ فِي التَّوَاضُعِ لِلْإِخْوَانِ تَقْصَا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ؟
أَتَعَبْتِ كَفَيْكَ فِي مَكَاتِبِي حَسَبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعَبِكَ
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابٍ ذِي أَدَبٍ يَكْتُبُ فِي صَدْرِهِ : « وَأَمْتَعْ بِكَ »^(٢)
فَكْتُبْ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَأَعِيسُهُ
فَاعْفُ - فَدَتِكَ النُّفُوسُ - عَنْ رَجُلٍ
كَيْفَ أَخْرَجْتَ الْإِخَاءَ يَا أُمَّ لِي
إِنْ يَكُ جَهْلًا أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي
وَأَمَّا صَدُورُ السَّلَفِ فَأَعْمَا كَانَتْ مِنْ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ ، كَذَلِكَ جَرَتْ
كُتُبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَإِلَى أَقِيَالِ
الْبَيْنِ ، وَإِلَى كِسْرِي ، وَفَيْصَرَ ، وَكُتُبُ أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ كَذَلِكَ ، حَتَّى
اسْتَخْلَصَ الْكُتَّابُ هَذِهِ الْمُحَدَّثَاتُ مِنْ بَدَائِعِ الصُّدُورِ ، رَاسْتَنْبَطُوا لِطِيفِ
الْكَلَامِ ، وَرَتَّبُوا الْكُلَّ رَتْبَةً ، وَجَرَّوْا عَلَى تِلْكَ السَّنَةِ الْمَسَامِيحَةَ إِلَى عَصْرِنَا

(١) حال يحول : تحول وبعير ، والتيه بالكسر : الكبر والصلف .

(٢) وفي رواية العقد الفريد :

أَكَابَ حَقًّا كِتَابٌ دَى مَقَّةِ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ : « وَأَمْتَعْ بِكَ »

هذا في كتب الخلفاء والأمراء ، وثبتوا على ذلك المنهاج في كتب الفتوحات
والأمانات والسجلات .

ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزنٌ ينبغي للكاتب أن لا يتجاوز به عنه ،
ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحوص^(١) حين خاطب الملوك
بمخاطبة العوام في قوله :

وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَدَقُ الحديث ، يقول ما لا يفعل^(٢)
فهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجلوا أقدار الملوك أن يُمدحوا بما يمدح
به العوام ، لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان مدحا ، فهو واجب
على كلِّ ، والملوك لا يُمدحون بالفروض الواجبة ، وإنما يحسن مدحهم
بالنواهل^(٣) ، لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لاترني بحليلة^(٤) جارك ،
وإنك لاتخون ما استودعت ، وإنك تصدق في وعدك ، وتفي بعهدك ،
كان قد أثنى بما يجب ، ولكنه لم يصل بنائهُ إلى مقصد ، وقال مالا
يستحسن مثله في الملوك .

ونحن نعلم أن كل أميرٍ تولى من أمور المؤمنين شيئا فهو أمير المؤمنين ،
غير أنهم لم يُطلقوا هذه اللفظة إلا للخلفاء خاصة ، ونعلم أن الكيس هو
العقل إذا عنوا به ضدَّ الحق^(٥) ، ولكنك لو وصفت رجلا فقلت : « إن

(١) شاعر أوى من أهل المدينة توفي سنة ١٠٥ - انظر ترجمته في الأعيان ٢ : ٥٠ ، والشعر
والسمرات ص ٢٠٤ .

(٢) مدق الـ كـ صر مدقا فهو ممدوق ومدق ومدق كمرح : خلطه بالماء ، ومنه قيل فلان
مدق الود : إذا لم يمه .

(٣) النواهل : جمع ناهلة ، وهي مائة مائة مما لم يح .

(٤) الحليلة : الروحة .

(٥) وله معان أخر ، وهي : الجود والطيب والجماع والعلية بالكياسة .

فلاناً لعاقل^١» كنت قد مدحته عند الناس ، ولو قلت : « إنه كَيْسٌ » كنت قد قصرت به عن وصفه ، وصغرت من قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ، لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة إلا إلى حيث جرت منها العادة في استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة مع الحدائث والغرة وخساسة النفس وصغر السن ، وقد روينا عن علي رضي الله عنه أنه يججج^(١) بالكيس حين بنى سجن الكوفة فقال في ذلك

أما تراني كَيْسًا مُكَيِّبًا بنيت بعد نافعٍ مُخَيِّبًا^(٢)

* حَصِينًا حَصِينًا وَأَمِينًا كَيْسًا^(٣) *

وقال الشاعر « ما يصنع الأحقُّ الرزوقُ بالكيسِ ؟ ونَعْلَمُ أن الصلاة رحمة ، غير أنهم قد حرّموها^(٤) إلا على الأنبياء ، كذلك روى عن ابن عباس رضي الله عنه ، وسمع - مد بن أبي وقاص أخاه يُبَلِّغِي ويقول في تليته : « لبيك يا ذا المَعَارِجِ^(٥) » فقال : نحن نعلم أنه ذو المَعَارِجِ ، ولكن ليس كذلك كنا نبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنا نقول :

- (١) تججج بالسوء : إذا خربته ، وفي العقد « أنه تسمى بالكيس » .
 (٢) الكيس الكيس . الطريف والمعروف بالكيس ، والمخيب تكسر الياء المشددة وفتحها : الحس ، لأنه يخيب المحوسين أي يذلهم ، أو هو موضع التحيس ، واسم سجن بناء على رضى الله عنه بالكوفة ، وكان أول من سجن بها سماه نافعاً ، وكان غير مستوفى البناء - وكان من قصب - وكان المحوسون يهرون منه ، وقيل إنه نهب وأفلت منه المحتسون ، فهدمه علي وبنى لهم الختاس من مدبر ، وجاء في شفاء العليل ص ١٠٩ : « ولم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم سجن ، وكان يحبس في المسجد أو في الدهليز حيث أمكن ، فلما كان زمن سيدنا علي رضي الله عنه أحدث السجن ، وكان أول من أحدثه في الإسلام ، وسماه نافعاً ولم يكن حصيناً ، فاعلت الناس منه ، فبنى آخر وسماه محبياً وقال فيه . . . » .
 (٣) في الأصل « وأمرأ » وفي اللسان والعاموس والشفاء « وأمينا » .
 (٤) في العقد « كرهوا الصلاة » .
 (٥) المراح تكسر الميم والمعرح تكسرها وفتحها : السلم . والمرقاة (بالكسر والفتح أيضاً) .

لبيك اللهم لبيك » وكان أبو إبراهيم المزني قال في بعض ما خاطب به داود ابن خلف الأصبهاني : « وإن قال كذا فقد خرج عن الملة ، والحمد لله » فنقض ذلك عليه داود ، وقال فيما رد عليه : تحمد الله على أن تُخرج امرأ مسلما من الإسلام ! هذا موضع استرجاع ، وللحمد مكانٌ يليق به ، وإنما يقال في المصيبة : « إنا لله وإنا إليه راجعون »

فامتثل هذه الرسوم والمذاهب ، واجر على آدابهم ، فلكل رسمٍ امتثلوها ، وتحفظ في صدور كتبك وفصولها ، وافتتاحها وخاتمها ، وصع كل معنى في موضع يليق به ، وتخير لكل لفظة معنى يُشا كلها ، وليكن ما تحتم به فصولك في موضع ذكر الشكوى بمثل : « والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » وفي موضع ذكر البلوى : « نسأل الله دفع المحذور ، ونسأل الله صرف السوء » وفي موضع ذكر المصيبة بمثل « إنا لله وإنا إليه راجعون » وفي موضع ذكر النعم بمثل : « والحمد لله خالصاً ، والشكر لله واجباً » فإنها مواضع ينبغى للكاتب تفقدها ، فإنما يكون كاتباً إذا وضع كل معنى في موضعه ، وعلق كل لفظة على طبقها من المعنى ، فلا يجعل أول ما ينبغى له أن يكتب في آخر كتابه في أوله ، ولا أوله في آخره ، فإن سمعت جعفر بن محمد الكاتب يقول : « لا ينبغى للكاتب أن يكون كاتباً ، حتى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ، ولا يقدم آخره » .

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتى في آي القرآن ، من الاقتصار والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام ، والعام بالخاص . لأن الله سبحانه

وتعالى إنما خاطب بالقرآن قوماً فصحاء ، فهموا عنه جل ثناؤه أمره ونهيته
ومُراده ، والرسائل إنما يخاطب بها قوم دُخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان
العرب ، وكذلك ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى المتببس ،
فإنه إن ذهب الكاتب على مثل قوله تعالى : « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا
وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ^(١) » وقوله : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » أحتاج أن
يبين معناه : بل مكركم بالليل والنهار ، ومثل هذا في القرآن كثير لا يتسع
الكتاب لذكره .

وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الأشعار
الموزونة ، لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور ^(٢) مقيد بالوزن والقوافي ؛
فلذلك أجازوا لهم صرف ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف
منها ، واغترفوا فيه الإغراب وسوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ،
والإضمام في موضع الإظهار ، وذلك كله غير مُسَاعٍ ^(٣) في الرسائل ولا جائز في
البلاغات ، فما في الشعر من الحذف :

قول الشاعر : « قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي ^(٤) » يعني الحمام
وقول الآخر : « صِفْرُ الْوِشَاحَيْنِ صَمُوتُ الْخَلْخَلِ ^(٥) » يريد الخلخال

(١) ثأويله : واسأل أهل القرية .

(٢) أي مقيد ، من القصر وهو الحبس .

(٣) من أساع فلان الشراب : إذا ابتلعه بسهولة ، وفي القصد « مساع » أي جائز ، بناء من
انساع وجعله مطاوعاً لساع ، يقال : ساع له ذلك ، أي جاز فهو سائع أي حائر ، ولا داعي إلى استعمال
المطاوع ها مادام الفعل يؤدي المعنى .

(٤) قاله العجاج ، وروى في شواهد كتب النحو (باب إعمال اسم الفاعل) « أوالفا » ، وورق :
جمع ورقاء ، وهي الحمامة التي يضرب بإصمها إلى سراد ، والحمي : أصله الحمام حذفت الميم الأخيرة
وقلبت الألف ياء ، وقلبت الفتحة كسرة للروى .

(٥) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر ، تشبه المرأة بين عاتقها وكشحيها ، والصهر : الخالي ،

وكتقول الآخر: « دَارٌ لِسَمَى إِذِهِ مِنْ هَوَاكَ^(١) » يريد إذهى
وكتقول الحطيئة:

فيه الرماح وفيه كلُّ سَابِغَةٍ جَدَلَاءَ مَسْرُودَةٍ مِنْ صُنْعِ سَلَامٍ^(٢)

وصفر الشاحين: أي ضامرة الحصرين، وقال صاحب اللسان: « والخلخل كجفر ورقع من الخلى: معروف، قال الشاعر: « برأقة الجيد صوت الخلل » ثم قال: « والخلخال كالخلخل، والخلخل لغة في الخلل أو مقصور منه، واحد خلاخل النساء ».

(١) جاء في شرح التصريح (١: ١٠٣): « وفي هو وهي، الجميع ضمير، وهو مذهب البصريين، وذهب الكوفيون إلى أن الضمير هو الهاء فقط، والواو والياء لإشباع » وفي حاشية الصبان (١: ٨٩): « وقد تحذف الواو والياء منهما اضطراراً، وتسكرهما قيس وأسد، وتشدهما همدان ».

أقول: ومما جاء بالتشديد قول الشاعر:

وإن لساني شهيدة يشقني بها وهو على من صبه الله علقم

وهاك كلمة لصاحب اللسان في هذا الصدد قال: « قال الكسائي: هو، أصله أن يكون على ثلاثة أحرف مثل أنت، فيقال: هو فعل ذلك، ومن العرب من يخففه فيقول: هو فعل ذلك، وحكي الكسائي عن بني أسد وعم قيس: هو فعل ذلك، بإسكان الواو، وأنشد لعبيد:

وركضك لولا هو لقيت الذي لقوا فأصبحت قد جاوزت قوماً أعاديا

وقال الكسائي: بعضهم يلقي الواو من هو إذا كان قبلها ألف ساكنة فيقول: حناه فعل ذلك وإعناه فعل ذلك، قال: وأنشد أبو خالد الأسدي:

* إذاه لم يؤذن له لم ينيس *

قال: وأنشدني خفاف:

إذاه سام الحسف آلى بفسم نالته لا يأخذ إلا ما احتكم

قال: وأنشدنا أبو مجالد للعجير السلولي:

فبيناه يعمري رحله قال قائل لمن جعل رث المتاع نجيب

وقال ابن جني: إنما ذلك لضرورة في الشعر، وللتشبيه للضمير المتفصل بالضمير المتصل في عصاه وقناه، ولم يقيد الجوهرى حذف الواو من هو بقوله إذا كان قبلها ألف ساكنة، بل قال: وربما حذف من هو الواو في ضرورة الشعر، وأورد قول الشاعر: فبيناه يعمري رحله... وكذلك الياء من هي، وأنشد: « دار لسعدى إذه من هواك » اه - لسان العرب ج ٢٠: ص ٢٦٦.

(٢) الهاء في فيه تعود على قوله في بيت قبله:

ويجفل كيهيم الليل منتجع أرض العدو بيؤس بعد إنعام

ودرع سابغة: تامة طويلة، ودرع جدلاء: محكمة، والسرد: نسج الدرع، وسلام: يعني سليمان بن داود عليهما السلام - وإنما أراد داود - وكان يصنع الدروع، قال تعالى فيه: « وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ » وقال: « وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ

لَبُؤْسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ » واللُبُوس: الدرع، والبيت من قصيدة للحطيئة في مدح أبي موسى الأشعري - انظر ديوان الحطيئة ص ٢٦.

يريد سليمان بن داود ، وكقول النابغة : « وَنَسِجُ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءِ ذَائِلٍ ^(١) »

وقول الآخر : « مِنْ نَسِجِ دَاوُدِ أَبِي سَلَامٍ ^(٢) »

وقول الآخر : « وَالشَّيْخِ عَثْمَانَ أَبِي عَفَّانٍ »

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر :

وسائلةٍ بَعْلَبَةَ بْنِ سَيْرٍ وقد عَلِقَتْ بِعَلْبَةِ الْعُلُوقِ ^(٣)

أراد بعلبة بن سيار ، وقول الآخر :

ولستُ بِآتِيهِ وَلَا أُسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ ^(٤)

أراد ولكن :

وكذلك ينبغي في الرسائل ألا يصغر الأسم في موضع التعظيم ، وإن

كان ذلك جائزا ، مثل قولهم : دُوَيْهِيَّةٌ تصغير داهية ، وجُذَيْلٌ تصغير جذل ،

وعُذَيْقٌ تصغير عذق ، قال لييد :

(١) هو شطر بيت من قصيدة النابغة الذبياني ، قالها في وقعة غزوة عمرو بن الحرث الأصغر
الفساني لبي مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان - انظر ديوان النابغة ص ٩١ - والبيت :

وكل صوت ثلثة تبعية وسج سليم كل قضاء ذائل

والصوت كصبور : الدرع الثقيلة ، والثلثة بالفتح : الدرع الواسعة ، وتبعية نسبة إلى تبع ،
وسليم : أي سليمان ، يريد داود كما تقدم ، والقضاء : الدرع المحكمة ، ودرع ذائل وذائلة ومذالة
بضم الميم : طويلة .

(٢) هو شطر بيت للأسود بن يعفر - انظر لسان العرب ١٥ : ١٩٣ - والبيت :

ودعا بمحكمة أمين سكرها من نسج داود أبي سلام

(والسك بالفتح : الدرع الضيقة الخلق) قال صاحب اللسان : وقالوا في سليمان اسم النبي صلى الله

عليه وسلم : سليم وسلام فغيروه ضرورة ، قال : ومثل ذلك في أشعارهم كثير ، واستشهد بالأبيات
الثلاثة المذكورة ، وبشاهد آخر وهو :

مضاعفة تحبيرها سليم كأن قديرها حديق الجراد

(والفتير بالفتح : رءوس مسامير حلق الدرع) .

(٣) العلوقة : النية ، وجاء في اللسان (٦ : ٥٨) « جعله سيرا للضرورة ، لأنه لم يمكنه سيار

لأجل الوزن ، قال ابن بري : البيت للمفضل النكري يذكر أن ثعلبة بن سيار كان في أسره » .

(٤) البيت للنجاشي من أبيات قالها في ذئب لقيه على ماء فدعاه أن يؤاخيه - انظر الأبيات في

حاشية الأمير على الفصح ١ : ص ٢٠٨ - .

وكلُّ أناسٍ سوف تدخل بينهم دُويهيَّةٌ تصفرُّ منها الأناملُ^(١)
وقال الحُبَابُ بنُ المنذِرِ يومَ سَقِيفَةِ بني ساعدة : « أنا عُدَيْقُهَا المُرَجَّبُ ،
وجُدَيْلُهَا المَحْكُكُ^(٢) »

ومما لا يجوز في الرسائل ، وكرهوه في الكلام أيضاً ، مثل قولهم :
كَلِمَةُ إِيَّاكَ وَأَعْنَى إِيَّاكَ ، وهو جائز في الشعر ، قال الشاعر :
وَأَحْسِنُ وَأَجْمِلُ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ ضَعِيفٌ ، ولم يَأْسِرْ كَأِيَّاكَ أَسِيرُ
وقال الراجز : « إِيَّاكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّاكَ »
وإساءةُ النظم في التأليف في الشعر كثير .

وتكون الكلمة بشعة حتى إذا وُضعت موضعها ، وقرنت مع أخواتها ،
حَسُنَ حالها وراقت ، كقول الحسن بن هاني^(٣) : « ذُو خَصِرٍ أَفَلَّتْ مِنْ
كَدِّ القَبِيلِ^(٤) » والكُدُّ كلمة قَلِقَةٌ لاسيما في الرقيق والغزل والتشبيب ،
غير أنها لما وقعت في موضعها حسنت ، كما أن اللفظة العذبة إذا لم توضع
موضعها تفرت ، قال الشاعر :

رَأَتْ عَارِضًا جَوًّا فَقَامَتْ غَرِيبَةً بِمِسْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّلَامِ تَبَادِرُهُ^(٥)

(١) المراد بالدويهيَّة : الموت .

(٢) قال الحباب ذلك وقد قام يطلب بحق الأنصار في الخلافة - انظر جمهرة خطب العرب ١ : ٦٥ -
والجديل تصغير الجدل (بالكسر) : وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجربي لتحك به
وتتمرس ، والمحكك : الذي تتحكك به ، والعديق تصغير العدق ، بالفتح) : وهو النخلة ، والمرجب
الذي جعل له رجة (كركبة) وهي دعامة تبنى حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة
وطالت تخوفوا عليها أن تنقر من الرياح العواصف ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يسدني برأيه وعقله
(٣) هو أبو نواس الشاعر العبّاسي المشهور .

(٤) ذو خصر : أي ذو ثغر خصر أي نارد ، وفي الأصل « حضر » وهو تصحيف .

(٥) العارض : السحاب العترض في الأفق ، والجون : الأسود (والأبيض أيضاً ، ضد) والمسحاة
ماسحى به الطين ، أي قشر وجرف ، والنريرة : الشابة لا تحربة لها .

فأوقع الجلف^(١) الجافي هذه اللفظة غير موقعها ، وظلمها إذ جعلها في غير مكانها ، لأن المسأحي لا تكون ولا تصلح للغرائر ، وأين كان عن قول الشاعر ؟

غرائرُ ، ما حَدَّثَن يَهْدِين أنْسَهُ فما فوقه منهن غيرُ غرائرِ
حديث لو أن العَصَم تَدْعَى به أُمَّتٌ ودون يد الفَحْشَاء حَدُّ البَوَاتِرِ^(٢)
فتخيرُ من الألفاظ أَرْجَحَهَا وزنا ، وأجزلها معنى ، وأشرفها جوهرًا ، وأكرمها حسبا ، وأليقها في مكانها ، وأشكلها في موضعها ، وليكن في صدر كتابك دليلٌ واضح على مُرادك ، وافتتاح كلامك بَرهَانٌ شاهد على مقصدك ، حينما جريئت فيه من فنون العلم ، وترعت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات^(٣) ، فإن ذلك أجزلٌ لمعناك ، وأحسنٌ لآساق كلامك ، ولا تُطيلن صدر كلامك إطالة تُخرجه عن حدّه ، ولا تقصّريه عن حقه ، ولو صور اللفظ وكان له حدٌّ ، لوقفْتك عليه ، غير أنهم - في الجملة - كرهوا أن يزيدوا صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة . وهذه إشارة لا تعبر إلا عن الجملة من المقصود إليه ، لأن الأسطر غير محدودة .

واعلم أن أول ما ينبغى لك ، أن تُصلِح آلتك التي لا بدّ لك منها ، وأدواتك التي لا تتم^(٤) صناعتك إلا بها ، وهي دواتك ، فأبدأ بعِمارتها

(١) الجلف : الجافي .

(٢) أنسه : أى أس الحديث ، والعصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذى فى ذراعبه يابض وسائره أسود أو أحمر . والبائر : السيف القاطع .

(٣) فى العقد « وأفضل الكتب ما كان فى أول كتابه دليل على حاجته ، كما أن أفضل الآيات ما دل أول البيت على قافيته .

(٤) فى العقد « لا تمر »

وإصلاحها^(١) ، وتخير لها ليفة^(٢) نقيّة من الشعر والودح ، ثلاثا يخرج على حرف قلمك ما يفسد كتابك ، ويشغلك بتنقيته ، وخذ من المداد الفارسي خمسة دراهم ، ومن الصمغ العربي درهما ، وعقصا^(٣) مسحوقا نصف درهم ، ورماد القرطاس المحرق درهمين ، ثم تسحقها وتغربلها ، وتجمعها ببياض البيض ، ثم بندقها^(٤) واجعلها في الظل ، فإذا احتجت إليها أخذت منها مقدار حاجتك فكسرتة وحشوت به دواتك ، وإذا نعتته في ماء السلق حتى ينحلّ ويذوب ويختمر ، ثم أمددت من مائه دواتك ، كان أجود وأنقى .

ثم اختر بعد ذلك من أنابيب القصب الذي يصلح لكتابة القراطيس ، أقله عقدا ، وأكثفه لحما ، وأصلبه قشرا ، وأعدله استواء ، وتجنب الأقلام الفارسية ما استطعت ، فإنها ما تصلح إلا للكواغد والرقوق^(٥) .

واجعل لقلمك برية حادة ، فإن تعثر يد الكاتب وقت قطع القرطاس ، ناقص مروءته ، ومخجل بظرفه ، وإن قدرت ألا تقطع القرطاس إذا فرغت من كتابك إلا بخرطوم قلمك ، فافعل ، فإن ذلك أكمل لمروءتك ، وأبدع لظرفك وقطعك .

واستعمل ليرمي القلم سكيناً طواويسياً^(٦) ، مذلوق الحد ، ومبيض

(١) وفي العقد « فليتم ربها إصلاحها » أي فليجد .

(٢) الليفة : الصوفة التي توضع في الدواة ، والودح : مائلق بأصواف الغنم من البعر والبول .

وفي الأصل « الودح » وهو تصحيف .

(٣) العقص : الذي يتخذ منه الحبر ، مولد ، وليس من كلام أهل البادية .

(٤) أي اجعلها بنادق ، والبنديق : الذي يرمى به واحده بدقة .

(٥) الرقوق : جمع رق بالفتح وبكسر : وهو جلد رقيق يكتب فيه .

(٦) نسبة إلى طواويس ، وهي اسم ناحية من أعمال بخارى بينها وبين صمرقند ، وذلق السكين وذلقه

وأذلقه : حدده .

الطرف، فيكون ذلك عوناً لك على برى أقلامك، فإن محل القلم من الكاتب محل الرُمح من الفارس، وإِنَّ قِيلَ كَأَنَّهُ الرَّمْحُ الرُّدَيْنِيُّ^(١)، لَقَدْ قَالَ الْكَاتِبُ كَأَنَّهُ الْقَلَمُ الْبَحْرِيُّ، وَتَفَقَّدَ الْأُزْبُوقَةَ قَبْلَ بَرِّيكَهَا لِثَلَاثِهَا مَنْكُوسَةً، وَابْرَهَا مِنْ نَاحِيَةِ نَبَاتِ الْقَصَبَةِ. وَارْهَفَ^(٢) - مَا قَدَرْتَ - جَانِبِي قَلَمِكَ، لِيُرِدَ مَا انْتَشَرَ مِنَ الْمِدَادِ، وَلَا تُطِلَّ شَقَّتَهُ. فَإِنَّ الْقَلَمَ لَا يُبْجِجُ الْمِدَادَ مِنْ شَقَّتِهِ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا احْتَمَلَتْ شُعْبَتَاهُ^(٣)، فَرَفَعَ شُعْبَتَيْهِ لِيَجْمَعَا لَكَ حَوَاشِي تَصْوِيرِهِ .

وَأَمَّا قَطُّ الْقَلَمِ فَعَلَى قَدْرِ الْقَلَمِ الَّذِي يَتَعَاطَاهُ الْكَاتِبُ مِنَ الْخَطِّ، غَيْرَ أَنْ الْمُسَلَّسَ^(٤) لَا يَكَادُ يَتَسَلَّسَلُ إِلَّا بِالْقَلَمِ الْمُرَبَّعِ الْقَطُّ، كَمَا أَنَّ كِتَابَ الْمُلُوكِ وَالسُّجَلَّاتِ لَا تَحْسُنُ إِلَّا بِالْقَلَمِ الْمَحْرُوفِ الْكُوفِيِّ، وَأَمَّا قَلَمُ اللَّازُورِ فَهُوَ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ وَالْمَقْصُودُ إِلَيْهِ فِي النَّوَائِبِ وَالْمُهَمَّاتِ .

ورأيت كثيراً من الكتاب يختارون قلم الترجس لتجعدده وتجانسه، ومن اللازورد أبسط منه وأقوم حروفاً، وأما الموشع والمولع والمدبج والمنتم والمسهّم، فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه، وأما حسن الخط

(١) الرديني: نسبة إلى ردينة، وهي امرأة سمهر، وكانا يقولان الرماح بحط هجر .

(٢) رهفه كنع وأرهفه: رققه .

(٣) في الأصل « شبتاه، فارفع شتية ليجمعا لك حواشي تحضيره » وهو محريف، جاء في أدب

الكتاب ص ٨٦: « من كلام مسلم بن الوليد، في صفة برى القلم قوله: « حرف قطة قلمك قليلاً ليعلق المداد به، وأرهف جانبيه ليرد ما استودعه إلى مقصده، وشق في رأسه شقا - غير عاد -

ليحتبس الاستمداد عليه، ورفع من شعبته ليجمعا حواشي تصويره . . . » وأورد صاحب صبح

الأعشى قول مسلم في ذلك (٣: ٦) وفيه: « ما خلا قلماً جوفاً باريه بطنه ليعلق المداد به، وأرهف

جانبيه ليرد ما انتشر منه إليه، وشق رأسه ليجتسب الاستمداد عليه، وأربع من شفتيه ليجمعا حواشي

تصويره إليه . . . » والصواب: ورفع من شعبته كما قدما .

(٤) فصل الفلقشندي في صبح الأعشى الكلام على أنواع الأقلام في الفصل الثاني من الباب الثاني في

الخط - اقرأ هذا الفصل في ج ٣: ص ٥ - ١٥٢ من باب الخط (ج ٢: ص ٤٤٠ - ج ٣: ص ٢٢٦)

فلست أجد له حَدًّا أَقِفَ عليه أكثر من قول عليّ النَّصْرَ ابَاذِي^(١) الكاتب ، فَإِنِّي سَأَلْتُهُ وَاسْتَوْصَفْتُهُ الْخَطَّ ، فَقَالَ : أَعَلَّكَ الْخَطُّ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : تَفْضُلُ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : لَا تَكْتَبَنَّ حَرْفًا حَتَّى تَسْتَفْرِغَ مَجْهُودَكَ فِي كِتَابَةِ الْحَرْفِ الْمَبْدُوءِ بِهِ ، وَتَجْعَلَ فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ لَا تَكْتُبُ غَيْرَهُ ، حَتَّى لَا تَعَجَلَ^(٢) عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالنَّقْطَ وَالشَّكْلَ فِي كِتَابِكَ ، إِلَّا أَنْ تَمُرَ بِالْحَرْفِ الْمُعْضِلِ الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ يَعْجَزُ عَنْ اسْتِخْرَاجِهِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ حُمَيْدِ الْكَاتِبِ يَقُولُ : « لَأَنَّ يُشَكِّلَ عَلَى الْحَرْفِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ يَعَابَ بِالنَّقْطِ وَالْإِعْجَامِ » وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِكِتَابِهِ : إِيَّاكُمْ وَالشُّونِيزَ^(٣) فِي كِتَابِكُمْ ، يَعْنِي النَّقْطَ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ هَانِيٍّ :

لَمْ تَرْضَ بِالْإِعْجَامِ حِينَ كَتَبْتَهُ حَتَّى كَتَبْتَ السَّبَّ بِالْإِعْرَابِ

وَلَا تَغْفُلِ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَقَدْ قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : « إِنْ بَنَى أُمِيَّةٌ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا أَمْرًا وَكِتَابُهُمْ فَطَرَحُوا ذَلِكَ مِنْ كِتَابِهِمْ ، فَجَرَتْ عَادَةُ الْكِتَابِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَلَى مَا سَنُوهُ » وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحٍ^(٤) الرَّاكِبِ ، وَلَكِنْ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ » صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا وَأَوْسَطًا وَآخِرًا .

(١) نسبة إلى نصر اباذ : محلة نيسابور ، ومعناها بالفارسية عمارة نصر ، تنسب إلى نصر بن عبد العزيز الخزاعي ، وكان قد ولي الري في أيام السفاح ، ولم يزل عليها إلى أن قتل أبو مسلم الخراساني ، وفي رسائل البلغاء : « علي بن زين النصراني » وهو تحريف .

(٢) في العقد « حتى تعجز عنه » .

(٣) الشونيز : الحبة السوداء ، فارسية ، والكلام على التشبيه .

(٤) معناه : لا تؤخروني في الذكر ، لأن الراكب يعلق قدحه في آخر رحله عند وراغته من ترحاله ويجعله خلفه ، قال حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :
وأنت زعيم نيط في آل هاشم : كما نيط خلف الراكب القدح الفرد .

وأحب أن تجعل بدل الأشارة^(١) التراب ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتربوا كتبكم ، فإنه أنجح للحاجة » ولا تدع التاريخ ، فإنه يدل على تحقيق الأخبار وقرؤها وبعدها ، وانظر إلى ما مضى من الشهر وما بقي منه ، فإن كان الماضي أقل من نصف الشهر قلت : لكذا ليلة مضت من شهر كذا ، وإن كان الباقي أقل من النصف قلت : لكذا أيضاً بقيت ، وقد قال بعض الكتاب : إن الماضي من الشهر تُخصيه ، والباقي لا تخصيه ، لأنك لا تدي : أَيْمُ الشهر أو ينقص ، وليس هذا بشيء ، لأن تاريخ الكتاب ليس من الأحكام في شيء ، وما على الكاتب أن يكتب إلا بما ظهر وتبين لا بما يظن .

ولا تجعل سحاة^(٢) كتبك غليظة إلا في العهود والسجلات التي تحتاج إلى خواتمها وطوابعها ؛ فإن محمد بن عيسى الكاتب كاتب آل طاهر أخبر عنهم أن عبد الله بن طاهر كتب إلى العراق في إشخاص كاتب كان كتب إليه ، فكتب وغلظ سحاة كتابه ، فردّ الكتاب إليه ، فقدم عليه راجياً لبرّه وجازته ، فقال عبد الله بن طاهر : إن كان معك مسحاة^(٣) فاقطع خزم كتابك وانصرف وراءك ، وكذلك لاتعظم الطينة ، ففي المثل : « من عظم الطينة فإنه مظلوم » ولا تطبعها إلا بعد عنواناتها ، فإن ذلك من

(١) أشر الحشبة كقتل : سقها ، لعة في النون ، والمثشار : المشار ، قال الشاعر :

* أناشر لا زالت يمينك آءه *

جمع بين لعتي النون والهمزة ، فالأشارة هي النشارة الدقيقة التي تحلف عن شق الحطب .
(٢) سحاة القرطاس : مأخذ منه ، وسحا القرطاس وسحاه : أخذ منه سحاة ، أو شده بها ، وسحا الكتاب وسحاه وأسحاه : سده سحاة .

(٣) المسحاة : كالجرفة إلا أنها من حديد .

أدبهم^(١)، وقد يجب عليك عِلْمُ إصْصاق القراطيس ومحوها ، ولم أر شيئاً في
إصصاقها أطف من أن يُنقَع الصمغ العربي في الماء ساعة حتى يذوب ، ثم
يُلصَق به ، وكذلك ماء الكثيراء والنشاستج^(٢) ، ثم تطويه طياً رقيقاً ،
وتجعله في منديل نظيف ، ويرفع تحت وسادة حتى يجف . وأما محوها ،
فعلى قدر لطف الكاتب وتأنيه ، غير أنه ينبغي له أن لا يلقط السواد من
القرطاس إلا بمثل الشمع المسخن واللبان المصوغ ، وما أشبههما ، ثم يكون
لقطه رويداً رويداً ، كلما لقط جانباً حوله إلى الجانب الآخر .
وأما قراءة الكتب المختومة والتلطف لنقض خواتيمها ، فما لا تذكره
خوفاً من سفيه .

وأما تضمين الأسرار في الكتب حتى لا يقرأها غير المكتوب إليه ،
ففيه أدب يجب معرفته ، وقد تعلق العامة بالمعنى ، قال الأصبهاني^(٣) :
وكان أبو حاتم سها بن محمد قد وضع منه أشياء جليلة من تبديل
الحروف تبديلاً يخفى ، وأطف من ذلك أن تأخذ لبناً حليماً فتكتب به
في قرطاس ، فيذّر المكتوب إليه عليه رماداً حاراً من رماد القراطيس ،
فإنه يظهر ما كتبت به إن شاء الله ، وإن كتبت بماء الزاج الأبيض وذرّ
عليه العفص المدقوق بزاج ، أو بماء العفص وذر عليه شيئاً من الزاج ،
أو تنقع شيئاً من وُشَق^(٤) ثم تكتب به ، ثم نثرت عليه الرماد فإنه يظهر ،

(١) في الأصل « فإن ذلك مراد بهم » وهو تحريف .

(٢) هو النشا ، فارسي معرب حذف شطره تخفيفاً .

(٣) في رسائل البلغاء : « تعلق العامة بالقى والأصبهاني » وهو تحريف .

(٤) الوشق والأشق كسكر : صمغ نبات .

وإن أحييته لا يقرأ بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السُّلْحَفَاة .
وإن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب ، فزِنِ اللفظة قبل أن تُخرجها
بميزان التصريف إذا عرضتْ ، وعايرِ الكلمة بعبارة إذا سنَّحت ، فربما
مرَّ بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبت : « أنا فاعل » أحسن من
أن تكتب : « أنا أفعل » وموضع آخر يكون فيه « استفعلت » أحلى من
« فعلت » .

فأدرِ الألفاظ على أعكانها^(١) ، واعرضها على معانيها ، وقلِّبها على جميع
وجوهها ، فأى لفظة رأيتها في المكان الذي نَدَبْتها إليه ، فأنزِعها إلى المكان
الذي أوردتها عليه ، وأوقعها فيه ، ولا تجعل اللفظة قَلِقةً في موضعها ، نافيةً
عن مكانها . فإنك متى فعلت هَجَّجْتَ الموضع الذي حاولت تحسينه ، وأفسدت
المكان الذي أردت إصلاحه ، فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقصدت
بها إلى غير نصابها^(٢) . إنما هو كترقيق الثوب الذي إذا لم تتشابهه رِقاعه ،
ولم تتقارب أجزاءه ، خرج من حدِّ الجِدَّة ، وتغيَّر حُسنه ، كما قال الشاعر:
إن الجديد إذا ما زيدَ في خَلْقٍ بَيْنَ النَّاسِ أنْ الثوبَ مرقوعٌ
وَأرتصدُّ كتابك فراغَ قلبك ، وساعةَ نشاطك ، فتجد ما يمتنع عليك
بالكدِّ والتكلف ، لأن سراحة النفس بمكنونها ، وجُود الأذهان بمخزونها ،
إنما هو مع الشهوة المفرطة في الشعر^(٣) ، والمحبة الغالبة فيه ، أو انغضب

(١) الأعكان والعكس (نص مفتوح) : الأطواء في البطن من السس ، وواحدة العكن كلمة بصم
مكون ، والكلام على الشبيه ، وفي رسائل البلاء : « فأدر الألفاظ أما كتبها . . . حتى تقع
موقعها » .

(٢) النصاب : الأصل .

(٣) في الأصل « الشعر » وهو تحريف .

الباعث منه ذلك . قيل لبعضهم لم لا تقول الشعر؟ قال : كيف أقوله ، وأنا لا أغضب ولا أطرب! وهذا كله إن جرّيت من البلاغة على عِرْق^(١) ، وظهرت منها على حظ ، فأما إن كانت غير مناسبة لطبعك ، ولا واقعة شهوتك عليها ، فلا تُنضِ^(٢) مطيّتك في التماسها ، ولا تُتعب بدّتك في ابتغائها ، واصرف عنانك عنها ، ولا تطمع فيها باستعارتك ألقاظ الناس وكلامهم ، فإن ذلك غير مُثمر لك ، ولا مُجدِّ عليك ، ومن كان مرجعه فيها إلى اغتصاب ألقاظ من تقدّمه ، والاستضاءة بكوكب من سبقه ، وسحب ذيل حُلّة غيره ، ولم يكن معه أداة تولّده من بنات قلبه ، وتأنج ذهنه ، الكلام الحرّ ، والمعنى الجزل ، لم يكن من الصناعة في غير ولا تفير^(٣) ، على أن كلام العظماء المطبوعين ، ودرّس رسائل المتقدمين على كل حال مما يفتق اللسان ، ويوسع المنطق ، ويشحذ الطبع ، ويستثير كوامنه إن كانت فيه سجيّة ، قال العتّابي : «مارأينا فيما تصرفنا فيه من فنون العلم ، وجرّينا فيه من صنوف الآداب ، شيئا أصعب مَرَاما ، ولا أوعر مَسْلَكًا ، ولا أدلّ على نقص الرجال وربّاجحتهم ، وأصالة الرأي وحسن التمييز منه واختياره ، من الصناعة التي خطبتها ، والمعنى الذي طلبته » وليس شيء أصعب من اختيار الألفاظ ، وقصدك بها إلى موضعها ؛ لأن اللفظة تكون أخت اللفظة وقسمتها في الفصاحة والحسن ، ولا تحسُن في مكان غيرها . وبتمييز هذه المعاني ،

(١) العرق : الأصل .

(٢) أنضاه : هزله .

(٣) من أمثال العرب : « لاقى العير ولا في التفير » مثل يصرّب للرحل يحط أمره ، ويصبر قدره ،

وقد تقدم شرحه في جبهة خطب العرب ٢ : ١٣٧ .

ومناسبة طبائع جهابذتها^(١) ، ومشاكلتهم أرواحهم ، جعلوا الكتابة نسباً
وقراءة ، وأوجبوا على أهلها حفظها .

قال الحسن بن وهب : الكتابة نفس واحدة تجزأت في أبدان متفرقة ،
ومن لم يعرف فضلها وجهل أهلها ، وتعدى بهم رتبتهم التي وصفهم الله
بها^(٢) ، فإنه ليس من الانسانية في شيء .

وقالت البرامكة : رسائل المرء في كتبه دليل على عقله ، وشاهد على
غيبه . وقال الشاعر :

وتُنكِرُ ودَّ المرء في لحظِ عينه وتعرفُ عقل المرء حين تُكاتبه
وقال آخر :

وشعرُ الفتى يُبدى غريزة طبعه وبالكتب يبدو عقله وبلاغته

وقيل للشعبي : أي شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .

وقال العتيبي : عقول الناس مدونة في كتبهم ، وقال ابن المقفع : كلام
الرجل وافد عقله .

وشبهت الحكماء المعاني بالغواني ، والألفاظ بالمعارض ، فإذا كسا
الكاتبُ البليغُ المعنى الجزلَ لفظاً رائقاً ، وأحارهُ مخرجاً سهلاً ، كان لاقب
أحلى ، والصدر أملئ^(٣) ، ولكنه بقي عليه أن ينظمه في سلكه مع شقائقه ،
كاللؤلؤ المنثور الذي يتولى نظمه الخاذق ، والجوهرى العالم يظهر بإحكام

(١) جهابذة : جمع جهيد ، بكسر الجيم والباء وهو القاد الحير .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : « كَرَامًا كَاتِبِينَ »

(٣) سهل عن أملاء .

الصَّنعة له حُسْنًا هو فيه ، ومنحةً بهجة هي له ، كما أن الجاهل إذا وضع بين
الجوهرتين خَرَزَةً ، هَجَنَ (١) نَظْمَهُ ، وأطفأ نوره ، كان حَيِّبَ (٢) بنِ أَوْسٍ
ربما وَقَعَ على جوهرة فجعلها بين بَعْرَتَيْنِ ، قال الشاعر :

ولو قَرَنْتَ بَدْرًا فَأَخِرِ خَرَزًا من الزجاج لَقُلْنَا بئس ما نَظَمَّا
والياقوتُ حَسَنٌ ، وهو في جِيدِ الحسنة أحسنُ ، وكذلك الشعرُ الجيِّدُ
مُوَنِقٌ (٣) ، ولكنه من أفواه العظماء آتِقٌ ، والتاجُ الشريفُ بهيَّ المنظرُ ،
وهو على المَلِكِ أبهى ، كما قال ابن قيس الرُّقِيَّاتِ (٤) :

يعتدل التاجُ فوق مَفْرِقِهِ (٥)

قال أبو العتاهية لابن منذر (٦) : بلغني أنك تقول الشعر في الدهر ،

(١) التهجين : التقيح .

(٢) هو أبو تمام الشاعر العباسي المشهور - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ١٢١ ، والأغانى
١٥ : ٩٦ ، والفهرست لابن النديم ص ٢٣٥ .

(٣) آهى الشيء ، إياقا : أعجبي

(٤) هو عبيد الله بن قيس ، ولما لقب بذلك لأنه شَبَّ بثلاث نساء صميين جميعا رقية ، وكان
ريزي الهوى ، وخرج مع مصعب بن الربير على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل مصعب وقتل عبدالله
ابن الربير هرب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه - انظر
ترجمته في الأغانى ٤ : ١٥٤ ، والشعر والشعراء ص ٢١٢ .

(٥) المفرق كفتعد ومجلس : وسط الرأس ، وهو الذى يفرق فيه الشعر ، وهذا صدر بيت وعجزه :
« على جبين كأنه الذهب » وهو من نصيدة قالها في مدح عبد الملك ، ولما أنشده إياها ووصل إلى
هذا البيت ، قال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحى بالتاج كأنى من العجم ، وتقول فى مصعب :

إنما مصعب شهاب من الله تحلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سقى لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا .

(٦) أبو العتاهية شاعر عباسي معروف ، وله ترجمة مطولة في الأغانى ٣ : ١٢٢ ، وفي الشعر
والشعراء ص ٣٠٩ ، ووفيات الأعيان ١ : ٧١ ، والفهرست ص ٢٢٧ . وابن منذر : هو محمد
ابن منذر ، شاعر عباسي أيضا - انظر ترجمته في الأغانى ١٧ : ٩ ، والشعر والشعراء ص ٣٦٤ .

والقصيدة في الشهر ، فقال : نعم ، لورضيتُ لنفسي أن أؤلف تأليفك ،
وأقول : « يا عْتَبَ يَأْذُرُهُ الْعَوَاصِ »^(١) لقلت في اليوم والليلة ألف قصيدة ،
وقال عمر^(٢) بن لَجَأَ لشاعر : أنا أشعر منك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك تقول
البيت وابن عمه ، وأنا أقول البيت وأخاه .

فإن مُنيت بحب الكتابة وصناعتها ، والبلاغة وتأليفها ، وجاش صدرك
بشعر معقود ، أو دَعَتِكَ نفسك إلى تأليف الكلام المنشور . وتهيألك نظمٌ
هو عندك معتدل ، وكلامٌ لديك منسِق ، فلا تدعونك الثقةُ بنفسك ،
والعُجب بتأليفك ، أن تهجم به على أهل الصناعة ، فإنك تنظر إلى تأليفك
بعين الوالد لولده ، والعاشر إلى عشيقه ، كما قال حبيب :

ويُسيء بالإحسان ظنًا ، لا كمن هو بإيته وبشعره مفتونٌ
ولكن اعرضه على البلاء والشعراء والخطباء ممزوجا بغيره ، فإن أصغوا
إليه ، وأذِنُوا^(٣) له ، وشَخَّصُوا بالأبصار ، واستعادوه وطلبوه منك ، وامترج ،
فاكشف من تلك الرسالة والخطبة والشعر اسمه ، وانسبه إلى نفسك ،

(١) عتة التي كان أبو العتاهية يشب بها : هي حربة لريطة بنت أن العاص السجاح ، وكانت تحت
المهدي ، فلما بلغ المهدي إكثاره في وضعها عصب فأصر بحسه ، ثم شمع له يريد من منصور الجبيري
حال المهدي فأطلقه . وحاء في الأغان (١٧ : ١١) : « اجتمع أبو العتاهية ومجد بن ماسد ، فقال له
أبو العتاهية : يا أبا عبد الله ، كيف أمت من الشعر ؟ قال : أقول في الليلة إذا سح القول واتسعت
القوافي عشرة أبيات إلى خمسة عشر ، فقال له أبو العتاهية : لسكى لو شئت أن أقول في الليلة ألف
بيت لقلت ، فقال ابن ماسد : أحل . والله إذا أردت أن أقول مثل قولك :
ألا يا عتة الساعة أموت لساعة الساعة

قلت ، ولكي لا أعود يسي مثل هذا الكلام الساقط ، ولا أسمح لها به ، فحل أبو العتاهية
وقام يحرر رحله .

(٢) شاعر أموي ، وكان ممن هجا حريراً . انظر حبره في اشعر والشعراء ص ٢٦١ ، وفي
الأغان في ترجمة حريير ٧ : ٣٥ والمرردق ١٩ : ٢ .
(٣) أدن إليه وله كمرح : استمع معجناً ، أو عاماً .

وإن رأيت عنه العيون منصرفةً، والقلوب عنه ذاهبة^(١)، فاستدل به على تخلفك عن الصناعة، وتقاصرِكَ عنها، واسترب رأيك عند رأى غيرك من أهل الأدب والبلاغة، فقد بلغنى أن بعض الملوك دعا إنسانا إلى مؤانسته، حتى ارتفعت الحشمة بينهما، فأخرج له كتاباً قد غشاه بالجلود، وجمع أطرافه بالإبريسم^(٢)، وسوى ورقه، وزخرف كتابته، وجعل يقرأ عليه كلما قد حبره^(٣) فيه، ونقته عند نفسه، وجعل يستحسن ما لا يحسن، ويقف على ما لا يستثقل قراءته، حتى أتى على الكتاب، فقال له: كيف رأيت ما قرأت عليك؟ فقال: أرى عقل صانع هذا الكلام أكثر من كلامه، فقطن له ولم يعاوده، إلى أن وقف به على تنور مسجور^(٤)، ثم قذف بالكتاب في النار، بهذا رجل في عقله فضلة، وفيه تمييز.

وإنما البليةُ فيمن إذا بئنت له سوء نظمه واختياره، ووقفته على سخافة لفظه، هجركَ وعاداك، فاجعل هذا الأصل ميزانا ترن به مذهبك في مسائلك وبلاغتك، ولا تخاطبنَّ خاصاً بكلام عام، ولا عاماً بكلام خاص، نتي خاطبت أحداً بغير ما يشاكله، فقد أجريت الكلام غير مجراه، كشفته، وقصدك بالكلام الشريف للرجل الشريف تنبيهٌ لقدر كلامك، رفعٌ لدرجته، قال:

فلم أمدحه تفخيماً لشعري ولكنى مدحت بك المديحا

(١) في الأصل « واهية » .

(٢) الأبريسم: الحرير .

(٣) التحبير: التحسين .

(٤) التنور: الذي يحبر فيه - الفرن - وسجر التنور: أحماه .

فلا تخرجن كلمة حتى تزنها بميزانها ، فتعرف تمامها ونظامها ، ومواردها ومصادرها ، وتجنب ما قدرت الألفاظ الوحشية ، وارتفع عن الألفاظ السخيفة ، واقتضب كلاماً بين الكلامين .

قال الجاحظ : « ما رأيت قوما أمثل طريقة في البلاغة من هؤلاء الكتاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً » . وقال خالد بن صفوان : « أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ، ولا القروي المخدج^(١) ، الذي صحت مبانیه ، وحسنت معانيه ، ودار على أسن القائلين ، وخفت على آذان السامعين ، ويزداد حسناً على نمر السنين . تجلية الرواة ، وتنقية السراة » .

والكتاب المستحق اسم الكتابة ، والبلغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا حاول صيغة كتاب سالت على قفه عيون الكلام من ينايعها ، وظهرت من معادنها ، وندرت^(٢) من مواطنها ، عن غير استكراه ولا اغتصاب .

حدثنا صديق للعتابي قال له : اعمل لي رسالة ، فاستمدته مدة بعد أخرى ، فقال له : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك ، فقال له العتابي : إني لما تناولت القلم تداعت علي المعاني من كل جهة ، فأحييت أن أترك كل معنى يرجع إلى موضعه ، ثم أجتني لك أحسنها .

(١) لا عرب . لا بين « عرب ، واهي العرب صاحبه . والمخدج : الناقص ، من قولهم : أحدثت الناقصة : أي حوت بولد ناقص فهي مخدج (تكسر لئال) والولد مخدج (هتجها) ، ورجل مخدج اليد : ناقصها .

(٢) أي طهرت . « مراعى » بدور : سقط من خوف شيء ، أو من بين أشياء فطهر ، ورجل كان « يرب » أي سببت وعجلك ، وفي رسائل الدعاء « ويدر » وهو تصحيف .

وأملَى يزيد بن عبد الله أخو ذُيَّان^(١) على كاتب له ، فأعْجَلَ الكاتب ،
ودارَكَ في الإملاء عليه^(٢) ، فتعَثَّرَ قلم الكاتب عن تقييد إملائه ، فقال له
متحرِّشًا : اكتب يا حمار ، فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ، إنه لما
هطلتْ شآيب^(٣) الكلام ، وتدافعتْ سيولُه على حرف القلم ، كلَّ القلمُ
عن إدراك ما وجب عليه تقييدُه ، فليتكُرا الأمير عذري ، فكان حضور
جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد .

وقال له يوما وقد نطَّ حرفا في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طُغْيَانٌ في القلم .
وكما اخلَوَى الكلام وعذبَ ورقَّ وسهلتْ مخارجُه ، كان أسهلَ ولُوجًا
في الأسماع ، وأشدَّ اتصالًا بالقلوب ، وأخفَّ على الأهواء ، ولا سيما إذا كان
المعنى البديع مترجما بلفظ مؤنق^(٤) شريف ، ومعبرًا بكلام مؤلف رشيق ،
لم يشنه التكلف بيسمه^(٥) ، ولم يفسده التعقيد باستهلاكه ، كقول ابن
أبي كريمة :

قفاهُ وَجْهٌ حَسَنٌ ، والذي قفاهُ وَجْهٌ يُشْبِهُ الشَّمْسَا

فهجَّن المعنى بتوغُّر مخارج الحروف ، وأخذَه الحسن بن هانئ فسَهَّله وقال :
« بَدَّ^(٦) حُسْنَ الوجوه حُسْنُ قفاكا » وكلاهما من حسان حيث يقول :

(١) في رسائل اللغاة « أخو ديان » وهو تحريف .

(٢) وفي رسائل اللغاة : « وأعجل عليه الإملاء » وأملَى عليه الكتاب بمعنى أملَى .

(٣) شآيب : جمع شؤبوب كصعور ، وهي الدفعة من المطر .

(٤) أي معجب .

(٥) وصمه : أثر فيه سمة ، أي علامة ، والميسم : الآلة التي يوسم بها .

(٦) بد : فاق .

قَفَاؤُكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَأَمَّا خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذِرِ^(١)

وانظر إلى سلاسة الحسن بن سهل حيث قال :

شَرِسْتِ بِلِ لِنْتِ بِلِ قَابِلْتِ ذَاكَ بَدَا فَأَنْتِ لَأَشْكَ فَيْكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وكتب عيسى بن هبة كتابا إلى أخيه أبي الحسن ، فعقد كلامه ، وجاز

المقدار في التنطع ، فوقع في أسفل كتابه :

أَنْيَ يَكُونُ بَلِيغًا مِنْ أَسْمِهِ كَانَ عِيًّا

وَنَالَتْ الْحَرْفُ مِنْهُ إِذَا كَتَبْتَ مُسِيًّا^(٢)

ويبلغني أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة ، فخرج

من عنده ، ومر باب الطاق ، وإذا بطير يدعى « الشفانين »^(٣) فاشتراه وبعث به

إليه ، وكتب كتابا يتنطع في بلاغته ، وذكر أنه يقال له شفانين ، وأرجو

أن يكون شفاء من أنين ، فوقع في أسفل الكتاب . « والله لو عطست ضبا

لم تكن عندي إلا نبطيا »^(٤) ، فأقصر^(٥) عن تنطعك ، وسهل كلامك ، وفي

(١) القفا قد يعد كما في هذا البيت ، والعرب تؤنثه ، والتذكير أعم . وكان حسان بن ثابت زار الحرت بن أبي شمر الضماني - وكان النعمان بن المنذر يساميه - فقال الحرت لحسان : لقد بيئت أملك تفضل النعمان علي ، فقال : وكيف أفضله عليك ؟ فواتته لقفاك أحسن من وجهه ، ولأملك أشرف من أبيه ، في كلام كثير ، فقال له : هذا لا يسمع إلا في شعر ، فنظمه في أبيات منها هذا البيت - انظر ديوان حسان ص ١٨٢ ، ومروج الذهب ١ : ٢٩٩ .

(٢) مسيا سهل عن مسيئا بمعنى سيء ، يريد أن الشطر الثاني من اسمه « سي » يشبه رسمه رسم « سي » .

(٣) هذه الجاحظ في أنواع الحمام ، وقيل : هو الذي تسميه العامة اليمام - انظر كلمة عنه « في حياة الحيوان الكبرى » للدميري ٢ : ٧٤ .

(٤) فسر في العقد قال : « قوله : لو عطست ضبا : يريد أن الضباب من طعام الأعراب ، وفي لدهم يقال : لو عطست فنزت ضبا من عطاسك لم تلتق بالأعراب ولم تكن إلا نبطيا ، وقد جاء في بعض الحديث : إن القط من نثرة عطسة الأسد ، وإن الفأر من نثرة عطسة الخنزير ، فقال هذا : لو أن الضب من نثرتك لم تكن إلا نبطيا » اه . والنبط : قوم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقيين .

(٥) أي كف ، وفي الأصل « فأقصر عن بعضك » وهو تحريف .

هذا المعنى قال محمد الموصلي يهجو حبيب بن أوس الطائي :

أنت عندي عربيٌ ليس في ذلك كلامٌ
 شَعْرُ سَاقِيكَ وَفِخْذِيكَ خُزَامِي (١) وَنَمَامٌ (٢)
 وَقَدَى عَيْنِكَ صَمْعٌ وَنَوَاصِيكَ شَسْبَامٌ (٣)
 وَضُلُوعُ الصَّدْرِ مِنْ شِلْوَكَ نَبْعٌ وَبَشَامٌ (٤)
 لَوْ تَحَرَّكَتَ كَذَا لَأَنْجَفَلَتْ مِنْكَ نَعَامٌ (٥)
 وَظَبَاكُ رَاتِعَاتٌ وَيَرَايِعُ عِظَامٌ (٥)
 وَحَمَامٌ يَتَغَنَّى حَبْدًا ذَاكَ الْحَمَامُ
 أَنَا مَا ذَنْبِي إِنْ كَذَّبْتَنِي فَيَكُ فِيكَ الْأَنَامُ
 وَقَفًّا يَحْلِفُ مَا إِنْ أَعْرَقْتَ فِيهِ الْكِرَامُ
 ثُمَّ قَالُوا هَاشِمِيٌّ مِنْ بَنِي الْأَنْبَاطِ حَامُ
 كَذَبُوا مَا أَنْتَ إِلَّا عَرَبِيٌّ وَالسَّلَامُ

وسألني بعض أهل العلم أن أكتب له قصة إلى جعفر بن عبد الواحد

القاضي ، وقال : اكتب لي قصة سهلة بليغة الألفاظ ، فقلت له : دعني
 أكتب لك ما يصلح للقضاة ، فغضب وقال : ما أسأل أن تعطيني شيئاً !

- (١) الخزامى : نبت رهرة أطيب الأزهار نضجة ، والنمام : نبت أيضا .
 (٢) في العقد «شعام» وهو محرف ، وأرى أن صوابه «شمام» وهو نبات يتب (أى يحسن)
 به لون الحياء .
 (٣) الشلو : الجسد من كل شيء ، والسع : شجر للفسى والسهم ، والبشام : شجر عطر الرائحة
 يستاك بقضبه .
 (٤) انحفل : أسرع الهرب .
 (٥) اليراييع : جمع يربوع بالفتح ، وهو دويبة نحو العارة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ، ورجلاه
 أطول من يديه ، عكس الررافة .

إنما أسألك هذا المعنى الرخيص ، فاحتملتُ عتبه لنِمام^(١) ، فكتبت له قصة لا تصلح أن تدفع إلا لرؤبة^(٢) بن العجاج يقرأها أو الطرماح^(٣) ، فلما حصلتُ بيد القاضي أراد قراءتها فإذا هي مُغلقة عليه ، فقال له : أنت كتبت هذه القصة ؟ قال : نعم ، قال : إذن فاقراها ، فذهب ليقرأها ، فإذا هي بالسودانية ، استعجما عليه ، فقال له : أصلح الله القاضي ، إنما أقرأها في بيتي ، فقال له : فاطلب حاجتك إذن في بيتك ، فرجع إلى غضبان أسفياً يشتم ويؤذي ، وسألني أن أكتب له قصة على ما أرى ، فكتبت له كتاباً يُشبه أن يكون من مثله إلى القضاة ، فقرأه وقضى حاجته ، وعلم أنه لم يكتب واحدة منهما .

والكتاب إذا لم يكن شبيهاً بحالة^(٤) صاحبه ، كان أحد الأسباب المانعة ، والمعاني كلها ممتثلةً ، والكلام مُشبع^(٥) . ولكن سياسته صعبة ، وتأليفه شديد ، إلا على جهابذته وقُرمانه أمراء الكلام ، يصرّفونه كيف شاءوا ، ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، ويكون

(١) النمام : الحق والحرمة .

(٢) هو راجز مجيد مشهور كتأبيه العجاج ، وكان صبراً بالغة عالمياً بحوسبها وعربها ، وهو من عصر الدولتين ، مدح بي أمية وبي العباس ومات سنة ١٢٥ هـ - انظر ترجمته في الأغانى ٥٧ : ٢١ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٨٧ ، والشعر والشعراء ص ٢٣٠ .

(٣) هو الطرماح بن حكيم ، شاعر أموي مشهور . قال رؤبة : كان الطرماح والكميت بصيران إلى فيسألاني عن الغريب ، فأخبرهما به ، فأراه بعد في أستاخرهما . وسئل ابن الأعرابي عن ثمانى عشرة مسألة كلها من عريب شعر الطرماح فلم يعرف منها واحدة ، يقول في جميعها : لا أدري - انظر ترجمته في الأغانى ١٠ : ١٢٨ ، والشعر والشعراء ص ٢٢٨ .

(٤) في الأصل « بحاجة » وأراه محرفاً .

(٥) امثله : تصوره حتى كأنه ينظر إليه ، ومشبع من قولهم : رحل مشبع العقل بفتح الباء أى واره ، وفي الأصل « مشبعا » وهو تحريف .

اللفظ أسبق إلى الأسماع من معناه إلى القلوب^(١) .

قال الجاحظ : كان لفظه في وزن إشارته ، وطَبَعُهُ في معناه في مطابقة معناه . و ذكر الحسن بن وهب أحمد بن يوسف فقال : ما كنت أدري : أَلْفَظُهُ آتَى أم معناه ، أو معناه أَجْزَلُ أم لفظه ؟

والمعاني وإن كانت كامنة في الصدور ، فإنها مصورة فيها ومتصلة بها ، وهي كالآلي المنطوية^(٢) في أصدافها ، والنار المخبوءة في أحجارها ، فإن أظهرتها من أكنانها^(٣) وأصدافها ، تبين حُسنها ، وإن قدحت النار من مكائنها وأحجارها انتفعت بها ، وإلا بقيت محجوبة مستورة ، وربما يُستثار الكامن منها ، ويُستخرج المستسر^(٤) من جواهرها ، بقدر حدق المستنبط ، وصواب حركات المستخرج ، وقصد إشارته ، ولطف مذاهبه ، وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ، ولا يصيب إشارته ، وكلما كان الكلام أفصح ، والبيان أوضح ، كان أدل على حسن وجه المعنى ، وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفي بالروح الخفي ، واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جزأ ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام متنسقاً ، وتضائل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح ، كتضائل الحسناء في الأطمار^(٥) الرثة .

(١) وجاء في نهاية الأرب ٧ : ٨ « وقالوا : لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك » .

(٢) في الأصل « المنطومة » وهو تحريف .

(٣) الأكنان : جمع كنى ، وهو الستر ، بالكسر ، فيهما .

(٤) استسر : استتر وخفي .

(٥) الأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو الثوب الخلق .

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف: لفظ ، وإشارة ، وعقد وخط ، وقد ذكر أرسطاطاليس صنفاً خامساً في كتاب المنطق ، وهو الذي يسمى النصبية ، والنصبية : الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهي الناطقة بغير لفظ ، والمشيرة إليه بغير يد ، وذلك ظاهرٌ في خلق السموات والأرض ، وفي كل صامت وناطق ، وهي داخلة في جملة هذه المعاني الأربعة ، وخارجة منها بالحلية ، ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبها ، وحلية غير مُشاكلة لحلية أختها ، غير أنها في الجملة كاشفة عن أعيان المعاني ، وسافرة^(١) عن وجوهها^(٢) . وأوضح هذه الدلائل ، وأفصح هذه الأصناف ، صنفان منها ، وهما اللسان والقلم ، وكلاهما يترجمان ويدلان على القلب ، ويستمليان منه ، ويؤديان عنه ما لا تؤدي هذه الأصناف الباقية . فأما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حد الاستبهام إلى حد الإنسانية بالكلام ، ولذلك قال صاحب المنطق : حد الإنسان : الحي الناطق . وقال هشام بن عبد الملك « إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه ، من بين الجوارح بتوحيده ، وما جعل الله من عبء عن شيء مثل من لم يعبر عنه » . وقال علي بن عبدة : « إنما يُبين عن الإنسان اللسان ، وعن المودة العينان » . وقال آخر : « الرجل مخبوء تحت لسانه^(٣) » . وقالوا « المرء بأصغريه : قلبه ، ولسانه » وقال الشاعر :

(١) أي كاشفة أيضا .

(٢) وقد عقد الملاحظ مصلا طويلا في الكلام على أصناف الدلالات على المعاني - انظر باب البيان

من كتابه البيان والبيان ح ١ : ص ٢٢ .

(٣) من الحكم المروية عن الإمام علي كرم الله وجهه « المرء مخبوء تحت لسانه » .

وما المرء إلا الأصغران ، لسانه ومعقوله ، والجسمُ خلقٌ مصوّرٌ
فإن ترها راقتك يوما ، فربما أمرٌ مذاقُ العودِ والعودُ أخضرٌ^(١)
وقال الأعور التيمي^(٢) :

لسان الفتى نصفٌ ونصفُ فؤاده فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدم
وقال آخر :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً
وقال الطائي :

ومما كانت الحكاء قالت لسان المرء من خدامِ الفؤاد

وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه الأوصاف ، لأنه ينوب عنها في الإيضاح عند المشهد ويفضلها في المغيب ، لأن الكتب تُقرأ في الأماكن المتباينة ، والبُلدان المتفرقة ، وتُدرس في كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان ذليلاً فصيحاً لا يعدو سامعه ، ولا يجاوزه إلى غيره ، وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله عز وجل : « الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » وأقسم^(٣) به كما أقسم بغيره^(٤) ، ثم أقسم بما يكتبه القلم ، إفصاحاً عن حاله ، وإعظاماً لشأنه ، وتنبيهاً لذكوره ، فقال : « وَمَا يَسْطُرُونَ » . ومن فضيلة الخط : أنه لسان اليد ، ورسول^(٥) الضمير ،

(١) الضمير يعود على مفهوم من السياق : أي صورته .

(٢) وفي رواية الروزي أن هذا البيت لرهبير بن أبي سلمى من معلقته .

(٣) قال تعالى « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ »

(٤) من السماء والطارق والفجر والشمس والليل والصبح والليل والريثون . . . الخ مما ورد في القرآن ، والآيات في ذلك معروفة .

(٥) وفي القند والصبح وبهاية الأرب « وبهجة الضمير » .

ودليل الارادة ، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووحى الفكر ،
وسلاح المعرفة ، ومحادة الأخلاء على التناهي ، وأنس الإخوان عند الفرقة ،
ومستودع الأسرار ، وديوان الأمور ، وترجمان القلوب ، والمعبر عن
النفوس ، والمخبر عن الخواطر ، ومورث الآخر مكارم الأول ، والناقل إليه
ما أثر الماضي ، والمخدله حكمته وعلمه ، والمسامر للعين بسير القلب ،
والمخاطب عن الناصت^(١) ، والمجادل عن الساكت ، والمفصح عن الأيكم ،
والمتكلم عن الأخرس ، الذي تشهد له آثاره بفضائله ، وأخباره بمناقبه .

وقد وضعت البلاغة من القلم^(٢) علو القدر ، وباذخ^(٣) العز ، كأبي مسلم
صاحب الدولة : فرقت شمله ، وبددت جمعه ، ونقضت برمه^(٤) ، وأفسدت
صلاحه ، وضععت بنيانه ، مع ذكائه وتفطنه ، ومكايد ودهائه ،
وأصالة رأيه وشدة شكيمته^(٥) ، وامتناعه على أبي جعفر ونفاره عنه ،
كيف استفزه ابن المقفع ، وصالح بن عبد القدوس وجبل بن يزيد ،
واستمالوه بسحر ألفاظهم ، وبلاغة أفلامهم ، حتى نزل من باذخ عزه ،
وجاء مبادراً حتى وقع في الشرك المنسوب له ، فتفرق جمعه ، وانطفأ
نوره ، وصار خبراً سائراً ، ورثماً دائراً^(٦) .

(١) نصت كضرب ، وأنصت : سكت .

(٢) في رسائل البنفاء : « وقد وقعت البلاغة من العلم » وهو تحريف .

(٣) الباذخ : العالى .

(٤) يقال برم الحبل برما وأبرمه إبراما .

(٥) التكيمة : الأنفة .

(٦) أى دارساً محوا .

ورَفَعَ القلمُ خاشِعَ الطَّرْفِ ، صَغِيرَ الخَطَرِ^(١) ، لثِيمَ الجِنْسِ ، دَرَجَ من عُشِّ التُّجَّارِ ، ونشأَ بينَ المِكيالِ والمِيزانِ ، كيفَ شالتَ^(٢) البلاغَةُ بِضَبْعِيهِ ، ورفعت من ناظريه ، حتى شافهت به عنانَ السماءِ ، ورَفَعَتْ بناءَهُ فوقَ البناءِ ، حتى طَلَبَهُ الراكِبُ ، وقصده الطالبُ ، وخشعت له الرجالُ ، ولحظته العيونُ بالوقارِ ، وتمكَّن من الصنائعِ ، ومُدَّت نحوه الأصابعُ ، فشكَّرت منه اللَّفظةُ ، ورُجيت منه اللَّحظةُ ، كَمحمد^(٣) بن عبد الملك بن الزيات ، وفيه يقولُ علي بن الجهم^(٤) :

أَحْسَنُ من عَشْرينَ يَتَا سُدَى جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ في يَدِ
ما أَحوجُ المُلُكَ إلى مَطْرَةٍ تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَيْتِ^(٥)

(١) الخطر : الفدر .

(٢) أشال الحجر ، وشال به يشول تولا : رفعه ، فأنشال هو - ولا يقال سلت بالكسر - والضبع : العضد كلها أو وسطها ، والعنان : السحاب واحده عناة .

(٣) كان جده أبان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ويتجر فيه ، وكان أبوه عبد الملك تاجراً من مياسير التجار بالكرخ (محلة ببغداد) فكان يحثه على التجارة ، وملازمته ، فيأبى إلا الكتابة ، وطلبها ، وقصد المعالي حتى بلغ مرتبة الوزارة كما قدمنا ، وكان في أول أمره من جملة الكتاب ، وسبب تقدمه أن المعتصم ورد عليه كتاب من بعض العمال ، فقرأه عليه وزيره أحمد بن عمار بن شاذى البصرى ، وكان في الكتاب ذكر الكلا ، فقال له المعتصم : ما الكلا ؟ فقال : لا أدري - وكان قليل المعرفة بالأدب - فقال المعتصم : خليفة أمى ووزير عاى - وكان المعتصم ضعيف الكتابة - ثم قال : أبصروا من بالباب من الكتاب ؟ فوجدوا ابن الزيات المذكور فأدخلوه إليه ، فقال له : ما الكلا ؟ فقال : الكلا : العشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الحلا ، فإذا يبس فهو الحشيش ، وشرع في تقسيم أنواع النبات ، فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده - انظر الأغانى ٢٠ : ٤٦ ووفيات الأعيان ٢ : ٥٤ ، والفخرى ص ٢١٣ ، وغرر الخصاص الواضحة ص ١٤٣ .

(٤) شاعر عباسى مشهور ، توفى سنة ٢٤٩ - انظر ترجمته في الأغانى ٩ : ٩٩ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٤٩ .

(٥) الوضر : وسح الدسم ، وفي العقد الفريد (٣ : ١١١) : « وقال محمد بن الجهم يهجو ابن الزيات : أحسن من سبعين بيتا ... » وجاء في الأغانى (٢٠ : ٥١) : « كان محمد بن عبد الملك يعادى أحمد بن أبى دواد ويهجو ، فكان أحمد يجمع الشعراء ويحرضهم على هجائه ويصلهم ، ثم قال فيه أحمد بيتين كانا أجود ما هجا به ، وهما : أحسن من خمسين بيتا ... » وفي وفيات الأعيان (٢ : ٥٦) « وكان ابن الزيات قد هجا ابن أبى دواد بتسعين بيتا ، فعزل القاضى أحمد فيه بيتين وهما : أحسن من تسعين بيتا ... » وجاء فيه أيضاً (١ : ٢٥) « وهجا بعض الشعراء ابن الزيات بقصيدة

فأجابه محمد بن عبد الملك :

رَقِيتَ فِي الْقَوْلِ إِلَى خُطَّةٍ قَدْرَكَ فِيهَا قَدْ تَعَدَّيْتَ
قَيْرَتِمُ الْمَلِكِ فَلَمْ نُنْقِهِ حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ^(١)

وقال حبيب بن أوس يمدحه ويصف قلمه :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَفَاصِلِ^(٢)
وكان محمد من أطف الناس ذهنًا ، وأرقهم طبعًا ، وأصدقهم حسًا ،
وأرشقهم قلمًا ، وأملحهم إشارةً ، إذا قال أصاب ، وإذا كتب أبلغ ، وإذا
شعر^(٣) أحسن ، وإذا اختصر أغنى عن الإطالة : أمره الواثق أن يتلطف
بعبد الله بن طاهر ، ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم^(٤) ، وفوض
ذلك لابن عمه إسحاق بن إبراهيم ، فكتب :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما في يمينك ، من أمر

عدد آياتها سبعون بيتًا ، مبلغ خبرها القاضي أحمد فقال ... فبلغ ابن الزيات ذلك - وقال : إن
بعض أجداد القاضي أحمد كان يبيع القار (الزفت) - فقال :

يَاذَا الَّذِي يَطْمَعُ فِي هَجُونَا عَرَضَتْ بِي نَفْسُكَ لِمَوْتِ
الرَّيْتِ لَائِزِي بِأَحْسَابِنَا أَحْسَابِنَا مَعْرُوفَةُ الْبَيْتِ
قَيْرَتِمُ الْمَلِكِ قَلَمٌ نُنْقَهُ حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ

وقيره : أحلاه بالقار .

(١) البيتان على هذه الرواية فهما عيب شعري وهو الإصراف ، لأن حركة روى البيت الأول
فتحة ، وحركة روى البيت الثاني كسرة .

(٢) الشبابة : حد كل شيء ، وهذا البيت هو الأول من آيات تسعة مشهورة - انظرها ، في
العقد الفريد ١٧٩:٢ ، ونهاية الأرب ٢٥:٧ ، وصحح الأعمش ٤٤٨:٧ ، وأدب الكتاب ص ٧٥
وزهر الآداب ٢ : ٣٥ .

(٣) شعر كصغر وككرم قل شعرا ، أو شعر بافتح : دل شعراً ، وشعر بالضم : أجاده .

(٤) العواصم : ولاية كانت فصبتها أنطاكية .

الجزائر والعواصم ، فيجعلهُ في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته^(١) .

وقال سهل بن بركة يهجو أبا نوح النصراني الكاتب :
بأبي وأمي ، ضاعت الأحلامُ أم ضاعت الأذهان والأفهامُ ؟^(٢)
من صدَّ عن دين النبي محمدٍ ألهُ بأمر المسلمين قيامُ ؟
إلا تكن أسيافهم مشهورةً فينا ، فتلك سيوفهم أقلامُ
وقال عبد الرحمن بن كيسان : « استعمال الكلام أجدر بإحضار الذهن عند
تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام^(٣) » .

ولم يُخْتَلَفْ في شرف القلم ، وإنما اختلف في كيفية البلاغة وما هيَّتها ،
وقد مدحها كل قوم بأوضح عبارتهم ، وأحسن بيانهم ، فقال صاحب
اليونانيين : « البلاغة تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام » وقال الرومي :
« البلاغة وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة^(٤) » وقال
الفارسي^(٥) : « هي معرفة الفصل من الوصل » وقال الهندي : « هي البصر
بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة . ثم أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها ،

(١) ليس ابن الزيات في هذا المعنى بيدع ، بل اقتبسه من يحيى بن خالد البرمكي - انظر ما قدمناه
في ص ١٧٩ من الجزء الثالث .

(٢) الأحلام : المقول .

(٣) وفي البيان والتبيين ١ : ٤٥ « وقال عبد الرحمن بن كيسان : استعمال القلم أجدر أن يحض
الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام » .

(٤) وفي البيان والتبيين ١ : ٤٩ « وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقضية عند
البداهة ، والزيارة يوم الإطالة ، وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة
وحسن الإشارة » (وكذا في زهر الآداب ١ : ١٣٥) . قال الجاحظ : وقال بعض أهل الهند :

« جماع البلاغة البصر بالحجة » .

(٥) يعني أبا علي الفارسي .

إذا كان الإفصاح أوعرَ طريقاً ، وربما كان الإطراق عنها أبلغ في الدرك ، وأحق بالظفر « وقال غيره : « جماعُ البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، والحذق بما التبس من المعاني ونمض ، وبما شرد عليك من اللفظ وتعذر » ثم قال : « وزين ذلك كله وبهاؤه ، وحلاوته وسناؤه ، أن تكون التماثل ممتدلة ، والألفاظ موزونة ، واللهجة تقية ، فإن جامع ذلك السنُّ والسَّمْت^(١) والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام^(٢) »

وقيل لهندي ما البلاغة ؟ فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها^(٣) : « أول البلاغة اجتماع^(٤) آلة البلاغة ، وذلك أن يكون البليغ رابطاً الجأش^(٥) ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام الشوكة ، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ، ولا يصفىها كل التصفية^(٦) ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفاً حكيماً عليماً ، ومن قد تعود حذف فضل الكلام ،

(١) السمْت : هيئة أهل الخير .

(٢) انظر البيان والتبيين ١ : ٤٩ .

(٣) جاء في البيان والتبيين (١ : ٥١) « قال معمر أبو الأستعت : قالت ليهلة الهندي أيام اجلب يحيى بن خالد أطباء الهند ، ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ، وانكسى لا أحسن ترجمتها لك ، ولم أعالج هذه الصناعة فألق من نفسي بالقيام بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها ، قال أبو الأستعت : فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة ، فإذا فيها : أول البلاغة اجتماع » انظر أيضاً زهر الآداب ١ : ١٢٠ .

(٤) في رسائل البلغاء « احتمال » .

(٥) الجأش : رواع الفل إذا اضطرب من الفرع ، ومن الإنسان . وورط جأشه رباطة (داكسر) اشتد قلبه .

(٦) في رسائل البلغاء « ويصعبها كل التصعبة » .

وأسقط مشترك اللفظ^(١) » وقال أبو شروان لبزرجهم^(٢) : متى يكون
العيب بليغاً ؟ فقال : إذا وصف بليغاً ، وقال أرسطاطاليس : « البلاغة حسن
الاستعارة » وقال بشر بن خالد^(٣) : « البلاغة التقرب من المعنى البعيد ،
والتباعد عن خسيس الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير » وقال خالد
ابن صفوان : « ليس البلاغة بخفة اللسان ، ولا بكثرة الهديان ،
ولكنها إصابة المعنى ، والقرع بالحجة » وقال عمر بن عبد العزيز : « البليغ
من إذا وجد كثيراً ملاء ، وإذا وجد قليلاً كفاء » ، وقال ابن عتبة :
« البلاغة ذنوب المأخذ ، وقرع الحجة ، والاستغناء بالقليل عن الكثير »
وقال بعضهم : « إني لأكره للإنسان أن يكون مقدار لسانه فاضلاً
عن مقدار عقله ، كما أكره أن يكون مقدار عقله فاضلاً عن مقدار
لسانه وعلمه ، يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إيفهام
الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع^(٤) » وقيل لعمر بن
عبيد^(٥) : ما البلاغة ؟ فقال : « ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصرك

(١) جاء في البيان والتبيين ، وزهر الآداب عقب ذلك « قد نظر في صناعة النطق على جهة
الصناعة والمباغة ، لاعلى جهة التصريح والاعتراض ، ووجه النظر والاستطراف » .

(٢) بزرجهم : مركب من بزرج معرب بزرك أى الكبير ، ومهر : أى الروح ، وهو بزرجهم
ابن البخكان وزير كسرى أبو شروان ملك الفرس ، وكان سديد الفكر حصيف الرأى .

(٣) وفي العقد « جعفر بن خالد » وفي زهر الآداب ١ : ١٣٤ « قال أعرابي : البلاغة التقرب
من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقابل على كبر » .

(٤) جاء في البيان والتبيين ١ : ٤٩ « قال الإمام إبراهيم بن محمد : يكفي من حظ البلاغة . . .
الخ » انظر أيضا زهر الآداب ١ : ١٣٤ ، وفي نهاية الأرب ٧ : ٧ « وقيل لآخر ما البلاغة ؟ قال : ألا
يؤتى الفائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان الفائل » .

(٥) وردت هذه الحاوره في زهر الآداب ١ : ١١٧ ، ونهاية الأرب ٧ : ٧ ، وعمر بن عبيد
ابن باب : إمام من أئمة المعتزلة توفى سنة ١٤٤ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ .

بمواقع رشدك ، وعواقب غيبك ، فقال السائل : ليس هذا أريد ، فقال : من لم يُحسِّن أن يسكت لم يُحسِّن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يُحسِّن القول^(١) ، قال : ليس هذا أريد : قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إنا معاشر الأنبياء بكاؤنا »^(٢) وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ، فقال له السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ، ما لا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت^(٣) ، فقال : ليس هذا أريد ، فقال فكأنك إنما تريد تخير اللفظ في حسن إفهام ، قال : نعم ، قال : إنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين^(٤) ، وتخفيف الثؤنة على المستمعين ، وتزوين تلك المعاني في قلوب المريدين^(٥) ، بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة الناطقة عن الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب ، واستوجبت من الله سبحانه جزيل الثواب^(٦) .

(١) وفي نهاية الأرب : « قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يسمع » .

(٢) بكأ الرجل بكاءه بالفتح فهو بكى ، من قوم بكاء بالكسر : قل كلامه خائفة ، وأصله من بكأت الذاقة والشاة كجعل وكرم بكنا وبكاءه بالفتح فيهما ، وبكوءا وبكاء بالضم فيهما ، فهي بكى وبكيسة : إذا قل لبنا ، وفي الحديث « إنا معاشر النبا بكاؤنا » وفي رواية « نحن معاشر الأنبياء فينا بك وبكاء » بالضم أى قللة كلام إلا فيما نحتاج إليه - انظر لسان العرب والقاموس مادة بكأ .

(٣) في رسائل البلغاء « قال كانوا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت » والتصحيح من زهر الآداب .

(٤) وفي نهاية الأرب « المتكلمين » .

(٥) وفيه « المستفهمين » .

(٦) وجاء في زهر الآداب عقب ذلك : « قيل لعبد الكريم بن روح الفقاري : من هذا الذي

وقال الخليل بن أحمد : كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة ، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقة ، ولتلك الحال وفقاً ، وآخر كلامك لأوله مشابها ، وموارده لمصادره موازناً فافعل ، واحرص أن تكون لكلامك متبهما وإن ظرف ، ولنظامك مستيريا وإن لطف . بمواتاة^(١) آلتك لك ، وتصرف إرادتك معك ، فافعل إن شاء الله .

وهذه الرسالة عذراء ، لأنها بكر معانٍ لم تفرعها بلاغة الناطقين ، ولا لمستها أكف المفوهين ، ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ، ولا سبق إلى ألفاظها أذهان الناطقين ، فاجعلها مثلاً بين عينيك ، ومصورة بين يديك ، ومسامرة لك في ليلك ونهارك ، تهطل عليك شآئيب منافعها ، ويظلمك منها بركاتها ، وتوردك مناهل بلاغاتها ، وتذلك على مهيب^(٢) رشدها ، وتصدرك وقد تقع^(٣) ظمؤك بينابيع بحر إحسانها إن شاء الله عز وجل ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم^(٤) .

(رسائل البلاغ ص ١٧٠ ، والعقد الفريد ٢ : ١٧١)

صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال : سألت عن ذلك أبا حفص الشمرى فقال : ومن يجترى عليه هذه الجراءة إلا حفص بن سالم ؟ « أقول : وحفص هذا هو أحد دعاة المعتزلة الذين أنفذهم واصل بن عطاء إلى الآفاق ، وبثهم في البلاد ، لنشر مذهب الاعتزال ، وتبعه عنه واصل إلى خراسان - انظر المنية والأمل ص ١٩ ، والبيان والتبيين ١ : ١٥ .

(١) المواتاة : الموافقة والمطاوعة .

(٢) طريق مهيب : أى بين .

(٣) تقع الماء العطش كقطع : سكتته . وفى مثل « الرشف أضع » أى إن الشراب الذى يترسف قليلاً قليلاً أقطع للعطش وأنجع ، وإن كان فيه بظن ، مثل يضرب فى نرك العجلة .

(٤) ذكر الأستاذ كرد على فى رسائل البلاغ أنه نقل هذه الرسالة من مجموع قديم من كتب الشيخ طاهر الجزائرى ، وقد أورد صاحب العقد الفريد نحواً من تنطرها فى باب أدوات الكتابة ، وأخبار الكتاب ، غير أنه لم يوردها على النمط الذى ورد فى رسائل البلاغ . بل تصرف فيها كثيراً بل حذف والزيادة ، والتقديم والتأخير ، وتراه يقب إبراهيم بن محمد بن المنذر كاتبها بالشيبانى ، فيقول :

١٣١ - كتاب محمد بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر

وكتب محمد^(١) بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر :

« الحمد لله رب العالمين ، حمداً يجاوز حمدَ الحامدين ، الذي جعل قضاءه
خَيْرَةً لك ، فإن زادك نعمةً وفقك لشكرها ، وإن امتحنك ببلوى من
نفت^(٢) حاسدٍ ، أو كيدٍ كائدٍ ، أنار برهانك ، وأفلج^(٣) حُجَّتَكَ ، وجمع بين
وَلِيِّكَ وعدوك في الشهادة لك ، وإن نقلَ أمراً عن يدك فرجعه إليك
مختلاً لِفَقْدِكَ ، هذا إلى ما جعل عندك من خواصِّ النعم التي إن ذكرناها
فأطببنا ، أو تجوزنا فقصرنا ، كان غايتنا إلى الحسور^(٤) دون مدى غايتك ،
وقد زادك الله بهذا الحادث فضلاً عظيماً ، لما ظهر من وِلهِ العامة إليك ،
وتطلُّعها إلى ما كانت فيه ، من لينٍ إنصافك وكرم أخلاقك ، ووحشية
الخاصة لما فقدت من حسن معاملتك ، وكثير تفضلك ، وأيقن أهل
الرأى والتأمل لصفحات الأمور أن كل ما خرج عنك فعائدٌ إليك ،
ومتصلٌ به غيره ، حتى تستقرَّ في يدك شُرا الأمور ومعافدُها ، وتُفتح برأيك
وتديورك أبوابها ومعالقها ، فليهنئك إن كل ما زاد غيرك نقصاً . زادك

قال إبراهيم بن محمد الشيباني وورد القفشدى في صبح الأعشى . فقرأ منها - انظر ج ٢ :
ص ٧ = ٤ و ج ٣ : ص ٦ ، وكذا السويرى في نهاية الأرب - انظر ج ٧ : ص ١٢ ، ١٣ ، ١٩
وكلاهما ياقه بالشيباني أيضاً ، والظاهر أنه ينتمى إلى شيان بالولاء .

(١) كان يبلغ مترسل وكان يبه وبين أي العياء مداعبات ، انظر أحاره في العهرست لان
الديم ص ١٧٩ ، وفي خلال ترجمة أي العياء في وفيات الأعيان ورهص الآداب كما قدما .

(٢) الفت شبه بالفتح ، والمعنى مما يصدر عن الحاسد .

(٣) أي صرماً .

(٤) الحسور : الكلال والاقطاع .

فضلاً ، وكل ما نقص من الرجال وخطأها ، ألحق بك شرفاً ، فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا ممن يقبله رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموافقتك ، ويجري منها على سبيل طاعتك » .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٠١)

١٣٢ - كتابه إلى أحمد بن المدبر

وكتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر :

« إن جميع أكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل ، فإذا اتهموا إليك أقرؤا لك ، ويتناقسون المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك ، فزادك الله ، وزادنا بك وفيك ، وجعلنا ممن يقبله رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموقع موافقتك . ويجري فيها على سبيل طاعتك » .

(القيد العريد ٢ : ١٩٦)

١٣٣ - كتابه إلى أحمد بن دينار

وكتب محمد بن مكرم إلى أحمد بن دينار يعزیه بأخيه :

« الذي حرّكني للكتاب أيها الأمير تعزيتك بمن لا ترهيبك الأيام بمثل الحادث فيه ، ولا تعاض مما كان الله جمعه لك عنده ، من الميل إليك ، والاستباق^(١) في صفوك . والصبر على مكروه جفائك ، مع ما كان الله أعاره من قوة العقل ، وأصالة الرأي ، ومدّ له من عنانه إلى قصوى غايات أمله

(١) في الأصل « الاساق » وهو تحريف .

ورجائه ، أبي محمد رضى الله عنه ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، على ما أفاتتنا
الأيامُ منه حين تم واستوى ، وعالى فى الثروة وتناهى ، وعند الله احتسابُ
المُصابِ به ، وعظم الله لك الأجر ، وأجزل لك المَوْضِ والدُّخْر ، فكل ماضٍ
من أهلك فأنت سيدادُ ثَمَتِه ، وجابرُ رزيتِه ، والمؤنِس من وَحْشَتِه وفقدِه ،
وقد خلف من أنت أحقُّ الناس به : من عجوزٍ وُلِيَتْ تَرْبِيَتَكَ^(١) وحِياطَتَكَ
فى طبقات سنك ، وولَدِ رُبُوَا فى حِجْرِكَ ، ونبَتُوا فى حَوْزَتِكَ ، وليس لهم
بعد الله مرجعٌ سِوَاكَ ، ولا مقيلٌ إلا فى ظِلِّكَ وذَرَاكَ^(٢) ، فأنشُدك الله فيهم ،
فإنه رضى الله عنه أخرَبَهُم بعمارة مُرُوَّتِه . وقطَعَهُم بِصِلَةِ^(٣) فضله ، فالله
يَجْزِيهِ بِجَمِيلِ أَثَرِهِ ، وَيُخْلِيفُ عَلَيْهِمَ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، فَإِنَّ رَأْيَ الْأَمِيرِ أَنْ يَضُمَّهُمْ
إِلَيْهِ ، وَيَحَقِّقَ ثِقَةَ آبِيهِمْ كَانَتْ بِهِ ، وَيُجْرِي عَلَى أُمَّهِ مَا يَقُومُ بِعِصْمَتِهَا
وصيائتِهَا ، فَعَلَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . (احبار اللطوم وانشور ١٣ : ٣١٨)

١٣٤ - كُتَابُهُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ دِينَارٍ

وكتب إلى أحمد بن دينار :

« نحن من السرور أيها الأبيد بما قد استنماض من جميل أنرك في
تلي مر أعمالك ، رزءك إياها بجزءك رزءك ، واتيانك^(١) أهلها من
جور من قرابهم قبلك ، وسرورهم تطارل إياك ، والكورن فى ظل يدك

(١) فى الأصل « رزءك » .

(٢) لدرى : ظل ، يعال : أنا فى دراه : أى فى كء ، وسرره .

(٣) فى الأصل « مقله » .

(٤) اناشه : نشاء واستنقده .

وجناحك ، في إمانته من تحضه وتعمه نعمتك ، وتحول به الجول حيث
حالت بك ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك ، ولم يردد علينا آمالنا فيك
منكوسة ، كما ردها على غيرنا في غيرك ، ولوددت أن أباك كان حين آتارك
هذه ومناقبك ، وإن كان الاقتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلفه ، وألقى
إليك بأمره ومعاقد أتمته ، وجعلك موضع اختصاصه وأثرته ، وصرف ذلك
عمن كان لا يستحقه ، وذم سالف رأيه فيك وفيه ، وحمد آخره ، ثم نعمة
اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أمورك فاعتدلت ، وتلاخمت عليها
وانسقت : ما منحت في كاتبك . ومستقر ثققتك ، وحامل أعبائك ، من
الكفاية والنصيحة . ووضعته عن قلبك مشؤنة التهمة والقص لأثره ،
وإدخاله راحة الطمأنينة إليه . وروح الثقة به ، لا كما ابتلى أخوك^(١) ، فإنه
صحبته تفلط عليه أمره ، وأفشى أسرارَه إلى صاحب بریده ، فأنفل^(٢) ذلك
ينهم ، وقطع جبالهم . حتى هجنت^(٣) آثاره مع حسنها ووضوحها ،
وصفرت يده من حظ عمله ، ولزمه الذم من أهله ، فهذه كتبه إلى ،
في أطراح نصيحة له كانت فيه ، ويسألني أن أشخص إليه كاتباً يحمل
ثقله ، ويفتح له ما أرتجيه^(٤) من أمره ، وهذا من سعادة جدك ، ويمن
طأترك ، وإقبال الأمور إليك ، وسعها على طريق موافقتك ، وهنيئاً . هناك

(١) جاء في تاريخ الطبرى ١٠ : ٣٦٢ « وى سنة ٢٢٤ - فى حلافة المعتصم - ولى جعفر بن دينار
اليس » وجاء به أيضا ١١ : ١٨ وى سنة ٢٣١ ولى الواثق جعفر بن دينار اليس » .
(٢) الإيهال : أحد لرحل الفأس لقطع الفتاد لإياله ، والمعنى هنا قطع .
(٣) أى قضت .
(٤) أى ما أعلفه .

الله نعمه خاصها وعامها ، وأوزعك^(٦) شكرها ، وأوجب لك بالشكر
أحسنَ الزيد فيها . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٠٠)

١٣٥ - كتابه إلى نصراني أسلم

وكتب محمد بن مكرم إلى نصراني أسلم .

« أما بعد : فالحمد لله الذي وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، فطهر
من الارتباب قلبك ، ومن الاقتراء عليه لسانك ، وما زالت مخايلك ممثلة لنا
جيل ما وهبه الله لك ، حتى كأنك لم تنزل بالاسلام موسوما ، وإن كنت على
غيره مقيا ، وكنا مؤمنين لما صرت إليه ، مُشفقين لك مما كنت عليه ، حتى
إذا كاد إشفاقنا يستعلي رجاءنا ، أتت السعادة بما لم تنزل الأنفس تعدد
منك ، فأسالُ الله الذي نورك في رأيك ، وأضاء لك سبيلَ رشدك ، أن
يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ،
ويقيك عذاب النار . »

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٠٥ ، وزهر الآداب ١ : ٣٢٥)

١٣٦ - كتابه إلى حاج

وكتب تهنئة لحاج :

« بلغك الله الرضا في أمك ، من تجحج كل حاجة ، وإبلاغ كل أمنية ،
وتقبيل كل دعوة خصصت بها نفسك أو عممت بها أحداً من أهلك ، في

مجاميع وفُوده ، ومُعْتَزَلِ قَرَارِهِ ، فَكُنْتَ شَافِعَ مَنْ شَاهَدَكَ ، وَوَافِدَ مَنْ
فَابَ عَنكَ ، يَسْتَفْتِحُ بِدَعَائِكَ ، وَيُرْجِي بِرُكَّةِ مُحَضْرِكَ ، وَالقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِ جَاهِكَ » . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٢٩٩)

١٣٧ - كتابه إلى بعض الرؤساء

وكتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء يعتذر :
« نَبَيْتُ بِبَنِي عَنكَ ^(١) غِرَّةَ الحَدَاثَةِ ، فَرَدَدْتَنِي إِلَيْكَ التَّجْرِبَةَ ^(٢) ، وَبَاعَدْتَنِي
عَنكَ الثِّقَةَ بِالْأَيَّامِ ، فَأَدْنَيْتَنِي إِلَيْكَ الضَّرُورَةَ ، ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ
عَنكَ ، وَقَبُولِكَ لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ
سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ الصَّفْحِ عَنِّي . فَرَاجِعْ فِيَّ مَجْدَكَ وَسُوءُ دُودِكَ ، وَإِنِّي
لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذْلَ مِنْ مَوْقِفِي ، لَوْلَا أَنَّ المَخَاطِبَةَ فِيهِ لَكَ ، وَلَا خُطَّةً أَدْنَى
مِنْ خُطَّتِي ، لَوْلَا أَنَّهُمَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ ^(٣) . »

(زهر الآداب ٣ : ٣٨٢ ، وعيون الأخبار ٣ : ص ١٠٥)

١٣٨ - كتابه إلى سليمان بن وهب

وله إلى سليمان بن وهب يعزيه عن أخيه الحسن :
« لئن أطنبتُ في وصف جلاله المصيبة بفلان ، لأجدنَّ من القول

(١) باعه : تخافى وتباعد ، والعمرة : العقلة .

(٢) وفي عيون الأخبار « الحكمة » - بالضم - .

(٣) وفيه : « وإن كانت ذنوبي قد سدت عليك مسالك الصفح ، فأى موقف هو أدنى من هذا الموقف ، لولا أن المخاطبة فيه لك ، وأى خطبة هي أودى بصاحبها من خطبة أنا راكبها ، لولا أنها في رضاك ؟ » .

مُستعرضاً فسيحاً يزيدُ الإيمانُ فيه على غايته بُعداً ، ولئن أسهبتُ في ذكر
ثوابها - الذي إذا خَطَرَتِ الدنيا لأقلِّه لها كانت به وفاءً وله تبعاً^(١) -
لأجدنَّ أرحبَ منه مذهباً ، وأوسعَ مجالاً ومُضطرَّياً ، فجعل الله حظَّك حظَّ
الصابرين المحنسين ، الذين عَرَفُوا فسلمُوا ، وأيقنُوا فصبرُوا ، وإنا لله وإنا
إليه راجعون ، أخذاً بأدب الله الذي قرَنَ به صلواته ورحمته ، ورحم الله
فلانا رحمةً تأتي من وراء زلَّه ، وتُعنى على فرَطات لسانه ويديه ، فلقد ظنَّ
عن الدنيا محموداً مفقوداً ، قد أطلَّ تفجَّعَ عشيره وخليه ، وصدَّعَ في قلبه ،
وجاقى جنبه ، وأعدمه سلوة العوض ، وراحة السكون إلى أحد .

وبعدُ ، فإن الرَّمَضَ^(٢) والمهلح إنما يكونان المصيبة الخاصة التي
لا تعدُّ وصاحبها ، ولا يجدُ مُسعداً عليها ، ولا شريكاً فيها ، وقد أعانك الله
على مصيبتك بالواشج^(٣) رَحماً بك ، والبعيد نسباً منك ، وجمَع في ثقلٍ
محملها وألمٍ فجَّعها صديقك وعدوك ، وكلُّ مَكْتَسٍ منها سِرْبَالٍ وحشةً ،
ومُنطويٍّ على دخيلٍ حزنٍ ، وناظرٍ من أعقابها في نظرٍ وعمرٍ ، فجميعهم^(٤)
فيها مشترك ، وأنت بالتمزِّي حقيقٌ قَمِيحٌ^(٥) ، على أنها لو خصتكَ لكان
في علمك - بأن كلَّ مصيبة سلَّمت من شائنةٍ تنتقصُ ثوابها فهي النعمة
الوافية ، وكلَّ مصيبة تحيَّف^(٦) جزعها أجزها فهي الرزية الباقية - ما أغذاك

(١) في الأصل هكذا « دعا » .

(٢) الرمض : حرقه العيط .

(٣) وشجت بك قرانته كوعد : اشتكت ، ولو اشحة : لرحم ، وشكة .

(٤) في الأصل « معلك » .

(٥) أي حقيق أيضاً ، بكسر الميم وتشديد الكاء .

(٦) أي تنقص .

وكفاك عن أن تعيش من غيرك ، أو تعول في حظك على سواك ، وأن
يتخطى الجزعُ نعمةَ الله عليك إلى قلبك ، أو يجتازها إلى عزمك ، اللهم إلا
مالاتك النفسُ في بدء الصدمة من لوعة الفرقة حتى تقسيم أمرها ،
وتصيرَ إلى أخذ مالها وترك ما عليها ، فتفتناً^(١) بفوز قدحك ، وبغنى سهمك ،
ويبقى الله أثرَك منهجاً لغيرك ، فقد يما وهب الله لك الخيرة في رأيك ،
والتوفيق في إيرادك وإصدارك ، فله الحمدُ ومنه المعونةُ على الشكر ، وبطوله
يُستحقُّ المزيدُ ، فإن رأيتَ أن تأمر بالكتاب إلى بما نفسى إليه متطلعةً ،
وإله مرجعي ، من صبرٍ إن كان عزم لك عليه ، أتخذك فيه إماماً ، وأروح
عن قلبي براحة قلبك ، أو غيره^(٢) - لا ابتلاك الله به - فأقضي فيه معك ،
وأحلَّ فيه محلاتك ، فعلتَ إن شاء الله . (اختيار المنظوم المنشور ١٣ : ٣١٩)

١٣٩ - كتاب محمد بن مكرم إلى أبي العيناء

وكتب محمد بن مكرم إلى أبي العيناء .

« أما بعدُ ، فإنني لأعرف للعروف طريقاً أُحزن^(٣) ولا أوعر^(٤) من
طريقه إليك ، ولا مستودعاً أقلَّ زكاً^(٥) ولا أبعدَ من ثمرة خيرٍ من مكانه
عندك ، لأنه يحصلُ منك المعروفُ في حسب دنى ، ولسانٍ بذيء ،

(١) نثي كفرح : انكسر عضه ، وفي الأصل فتناً « وربما كان « فتناً » .

(٢) معطوف على « صبر » .

(٣) أي أوعر ، من الحزن بالفتح : وهو ما علق من الأرض .

(٤) الزكاء : البهاء والصلاح .

وَجَهْلٍ قَدْ مَلَكَ عَلَيْكَ عِيَانُكَ ، فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ
مَهْجُورٌ ، غَايَتُكَ فِي الْمَعْرُوفِ أَنْ تَجْزُرَهُ ^(١) ، وَرِوَايَةٌ أَنْ تَكْفُرَهُ ^(٢) .

(النظوم والمنتثور ١٣ : ٤١١)

١٤٠ - فصول لابن مكرم

فصل له :

« إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَى عَلَيْكَ إِلَّا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ ، وَلَا يَأْمَنُ
التَّقْصِيرَ ، وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ تَقْيِصَةُ الْكُذْبِ ، وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ إِلَى غَايَةٍ
إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا ، وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنْ الدَّاعِيَ لَا يَمْدَمُ ^(٣) كَثْرَةَ
الْمَتَابِعِينَ لَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ » .



وفصل له :

« السِّيفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَأُ ، اسْتَعْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجِلَاءِ ، حَتَّى
تَعُودَ جِدَّتُهُ ، وَيُظْهِرُ فَرْنَدَهُ ^(٤) ، لِلِّينِ طَبِيعَتَهُ ، وَكِرْمِ جَوْهَرِهِ ، وَلَمْ أَصْفِ
نَفْسِي لَكَ عَجْبًا بِكَ بِنِ شُكْرًا » .



وفصل له :

(١) أى تقطعه وتستأصله وفي الأصل « تخرره » وهو تصحيف . وربما كان « تحقره » كما في القند .
(٢) تقدم لك (في الجزء الثالث ص ٤٥٦) أن صاحب العقد الفريد روى هذا الكتاب - بصورة
أخصر من ذلك - معروا إلى أحمد بن يوسف . ولم أورد هنا ردَّ أبي العيَّاش على ابن مكرم لما فيه من
إغشاش صريح لا يليق بشعره .
(٣) في الأصل « لا يقدم » وهو تحريف .
(٤) فرند السيف : جوهره .

« زاد معروفك عندي عظاماً أنه عندك مستور حقير ، وعند الناس مشهور كبير^(١) » .



وكتب في التنصل :

« لاقِ عَظِيمَ أَمَلِي فِيكَ ، مَا أَتَيْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذَنْبًا : مُخْطِئًا وَلَا مَتَعَمِّدًا ، وَاعِلًا فَلْتَةً لَمْ أُلْقِ لَهَا بَالًا ، فَأَوْطَيْتُ لَهَا اعْتِدَارًا ، وَإِنْ تَكُنْ ، فَبُغْيَةِ حَاسِدٍ زَخْرَفَهَا عَلَى لِسَانِ وَاشٍ نَبَذَهَا إِلَيْكَ فِي بَعْضِ غِرَّاتِكَ ، أَصَابَتْ مِنِّي مَقْتَلًا ، وَشَفَّتْ مِنْكَ غَلِيلًا » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٤ ، ١٩٦)



وله

« لا تتركني معلقاً بحاجتي ، فالصبر الجميل خيرٌ من المظل الطويل » .



وله :

« إنه يسهل عليّ في طلب حاجتي إليك أمران في نفسي ، وأمران فيك . فأما اللذان في نفسي فأني لست أضيقُ عنك بعذري ، ولا أصونُ عنك شكري . وأما اللذان فيك ، فسرورك إن أجديت^(٢) ، وصحةُ عذرك إن أكديت^(٣) » . (اختيار النظم والمشور ١٣ : ٣٩٣)

(١) أخذه الشاعر فقال :

زاد معروفك عندي عظاماً أنه عندك مستور حقير
تناساه ككأن لم تأه وهو عند الناس مشهور كبير

(٢) أجدى : أعطى .

(٣) أكدي : بخل أو قلّ خيره أو قلل عطاءه .

١٤١ - كتاب سعيد بن موسى إلى أبي شراعة

وكتب أبو شراعة^(١) إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مسلم بن قتيبة
يستهديه نبئدا ، فكتب إليه سعيد :

« إذا سألتني - جعلني الله فداءك - حاجة فاشطط ، واحتكم فيها حكم
الصبي على أهله ، فإن ذلك يسرني وأسارع إلى إجابتك فيه » .
وأمر له بما التمس من النبئذ ، فزجه صاحب شرا به وبعث به إليه .

١٤٢ - ردّ أبي شراعة على سعيد بن موسى

فكتب إليه أبو شراعة :

« أستنسي^(٢) الله أجلك ، وأستعيذه من الآفات لك ، وأستعينه على
شكر ما وهب من النعمة فيك ، إنه لذلك وليّ ، وبه ملىّ .
أتاني غلامك المبيع قدّه ، السعيد بملكك^(٣) جدّه ، بكتاب قرأته
غير مستكره اللفظ ولا مزور^(٤) عن القصد ، ينطق بحكمتك ، ويبين عن
فضلك . نوالله ما أوضّح لي خفيّاً ، ولا زادني بك علماً ، وإذا أنت تسأل

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة ، من بكر بن وائل ، شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية ،
حيد الشعر ، وهو كالدوي في مذهبه ، وكان يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره ، وكان صديقاً
لإبراهيم بن المدبر أيام نقله البصرة أثيراً عده - انظر ترجمته في الأغاني ٢٠ : ٣٥ .

(٢) أي أسأله أن يطيل أحلك .

(٣) الملاك : الملك .

(٤) رور : مال وانحرف ، والقصد : استقامة الطريق .

فيه أن تهب ، وتحب أن تُحمد ، ولاغرو^(١) أن تفعل ذلك ، ومن كتب^(٢)
أخذته ، وعن كلاله^(٣) وغير كلاله ورثته ، موسى أبوك ، وسعيد جدك ،
وعمرؤ عمك ، ولك دار الصلة ودار الضيافة ، وصاحب البغلة الشهباء^(٤) ،
وحصين بن الحمام^(٥) ، وعروة بن الورد^(٦) ، ففي أي غلوات^(٧) المجد يطمع
قريتك أن يستولى على المدى والأمد ، والأمد دونك .

وكتابك إلى أن أتحمم عليك تحم الصبي على أهله ، قلشد ماجررت
إلى معروفك ، ودللت على الأنس بك ، وحاشا للمحكوم له والمحكوم عليه
في ذات الحسب العتيق^(٨) ، والمنظر الأنيق ، الذي يسر القلب ، ويلاثم
الروح ، ويطردهم :

تَدِبُّ خِلَالَ شُؤْنِ الْفَتَى دَيْبَ دَبَا التَّمَلِّهِ الْمُنْعِشِ^(٩)

(١) لاغرو ولاغروي : لا يحب .

(٢) أي من قرب .

(٣) الكلاله : ما لم يكن من النسب لحا ، قال الفرزدق : « ورثتم فناء الملك لاعم كلاله » أي
ورثتموها وراثه قرب لا وراثه سد ، قال عامر بن الطفيل :

وما سودني عامر عن كلاله أبي الله أن أسمو بأم ولا أب

ومنه قولهم : هو ابن عم كلاله ، أي سيد النسب ، فإذا أردوا القرب قالوا هو ابن عم دية
(نكسر الدال) .

(٤) شهباء ذات شبهة بالضم ، وهي بياض يصدعه سواد .

(٥) كان سيد بي سهم بن مرة ، وكان يقال له : مانع الضيم ، وهو شاعر جاهلي مقل - انظر
ترجمته في الأغانى ١٢ : ١١٨ ، والشعر والشعراء ص ٢٤٧ .

(٦) شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من درسانها ، وكان يلقب : عروة الصعاليك ، لسخائه ،

وهو من بني عيس - انظر ترجمته في الأغانى ٢ : ١٨٤ ، والشعر والشعراء ص ٢٦٠ .

(٧) الغلوة : الغاية قدر رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال : هي قدر ثلثمائة ذراع إلى أرمائة ،
وقد تستعمل الغلوة في سباق الخيل ، - وهو المقصود هنا - والمدى والأمد : الغاية .

(٨) يعني الخمر .

(٩) الدبا : أصغر العمل .

إِذَا فُتِحَتْ فَفَعَمَتْ رِيحُهَا وَإِنْ سِيلَ حَمَارُهَا قَالَ : « خَشَّ^(١) »
فَإِنْ كُنْتَ رَعَيْتَ لَهَا عَهْدًا ، وَحَفِظْتَ لَهَا عِنْدَكَ يَدًا ، فَانظُرْ رَبَّ
الْحَانُوتِ^(٢) فَاْمُطِّلْهُ دَيْنَهُ ، واقطع السبب بينك وبينه ، فقد أساء
صُحْبَتَهَا ، وَأَفْسَدَ بِالْمَاءِ جُمَّتَهَا^(٣) ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا عَدُوَهَا ، وَاعْلَمْ بِأَنْ أَبَاكَ
الْمُتَّمِلُّ بِقَوْلِهِ :

يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا فَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ
وَقَدْ بَسَطَتْ قَدْرَتَكَ لِسَانِكَ ، وَأَكْثَرْتَ لَكَ الْحَمْدَ ، فَذُونُكَ نُهْرَةٌ^(٤)
الْبَدِيهَةُ ، نَهْ فَقَالَ :

وَبَادِرٌ بِمَعْرُوفٍ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا زَوَالَ افْتِقَارٍ أَوْغَى عَنْكَ يُعْقِبُ
وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ بِقَرَابَةِ^(٥) مَعَ الرَّسُولِ ، وَأَنْشَأْتَ فِي إِثْرِهَا أَقُولُ :
إِلَيْكَ ابْنَ مُوسَى الْجُودِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي مُجَلَّلَةً يَضْفُو عَلَيْهَا جِلَالُهَا^(٦)
كَتُومُ الْوَجَى لَا تَشْتَكِي أَلَمَ الشَّرَى سَوَاءَ عَلَيْهَا مَوْتُهَا وَاعْتِلَالُهَا^(٧)
إِذَا شَرِبَتْ أَبْصَرَتْ مَا جَوْفُ بَطْنِهَا وَإِنْ ظَمِئَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهَا هُزَالُهَا
وَإِنْ سَمَلَتْ حِمْلًا تَكَلَّفُ حِمْلُهَا وَإِنْ حُطَّ عَنْهَا لَمْ أَبْلُ كَيْفَ حَالُهَا^(٨)

(١) فَمَمَّه الطيب كع : سد خياشيمه ، وسال يسال : لغة في سأل المهموز ، وخش : كلمة فارسية تفسرها : طيب .

(٢) الحانوت : دكان الحار ، ويقال : مطله حقه ، وبه .

(٣) وربما كانت « حنبا » .

(٤) النهرة : الفرصة . (٥) أى بنى قرابة .

(٦) الجلال جمع جل ناضع والفتح : وهو ما تلبسه الدابة لتصان به ، وجلالها : ألبسها الجل ، وثوب ضاف : أى ساع .

(٧) الوسى : الحنى أو أشد منه ، والسرى : سير عامة الليل .

(٨) يقال : ما باليت وما ليت به : أى لم أكرت به ، ولم أبال ولم أبل ، حذفوا الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال .

بعثنا بها تسمو العيونُ وراءها إليك ، وما يُخشى عليها كلالها^(١)
وغنى مُغنيننا بصوتِ فشاقي متى راجعٌ من أم عمرو خيالها
أحبُّ لكم قيسَ بنَ عيلانَ كلِّها ويُعجِبني فُرسانها ورجالها^(٢)
ومالي لأهوى بقاءِ قبيلةِ أبوك لها بدْرٌ وأنت هلالها !
فبعث إليه برسوله الذي حمل إليه النبيذ ، وبصاحب شرابه ، وكل
ما كان في خزانته من الشراب ، وبثلثمائة دينار . (الأغاني ٢٠ : ٤٠)

١٤٣ - كتاب البيعة للمنتصر بالله

ومات المتوكل على الله سنة ٢٤٧ هـ فبويغ ابنه المنتصر بالله بالخلافة ،
وكانت نسخة البيعة التي أخذت له :

« بسم الله الرحمن الرحيم : تبأيعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين ،
بيعة طوع واعتقاد ، ورضا ورغبة ، بإخلاص من صرائركم ، وانشراح
من صدوركم ، وصدق من نياتكم ، لا مكرهين ولا مجبرين ، بل مقرين
عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها ، من طاعة الله وتقواه ، وإعزاز دين الله
وحقه ، ومن عموم صلاح عباد الله ، واجتماع الكلمة ، ولم الشعث ،
وسكون الدهماء^(٣) ، وأمن العواقب ، وعز الأولياء ، وقمع الملحدين ، على
أن محمدا الإمام المنتصر بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته ،

(١) الكلال : الإعياء .

(٢) لكم أي لأجلكم ، وقيس : هو قيس بن عيلان بن مضر . والمعنى : أحب جميع العرب
الضرية لأجلكم (وسعيد المكنوب إليه من باهلة ، وهم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس) .

(٣) الدهماء : جماعة الناس .

والوفاء بحقه وعقده ، لا تشكون ولا تذهنون^(١) ، ولا تميلون ولا ترتابون ،
وعلى السمع له والطاعة ، والمسألة والنصرة ، والوفاء والاستقامة ، والنصيحة
في السر والعلانية ، والخُفوف^(٢) والوقوف عند كل ما يأمر به عبدُ الله
الإمام المنتصرُ بالله أمير المؤمنين ، وعلى أنكم أولياء أوليائه ، وأعداء أعدائه ،
من خاصٍ وعامٍ ، وأبعد وأقرب ، وتمسكون ببيعته بوفاء العقد ، وذمة
العهد ، سرايركم في ذلك مثل علانيتكم ، وضمائركم مثل ألسنتكم ، راضين
بما يرضاه لكم أمير المؤمنين في عاجلكم وآجلكم ، وعلى إعطائكم أمير المؤمنين
بعد تجديدكم بيعته هذه على أنفسكم ، وتأكيديكم إياها في أعناقكم ، صفة
أيمانكم راغبين طائعين ، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ، وعلى
الآن تسعوا في تقض شيء مما أكد الله عليكم ، وعلى ألا يميل بكم تميل^(٣)
في ذلك عن نصرة وإخلاص ، ونصح وموالة ، وعلى أن لا تبدلوا ، ولا
يرجع منكم راجع عن نيته وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون
بيعتكم التي أعطيتكم بها ألسنتكم وعهودكم ، بيعة يطلع الله من قلوبكم على
اجتبابها^(٤) واعتقدها ، وعلى الوفاء بدمته بها . وعلى إخلاصكم في نصرتها
وموالة أهلها ، لا يشوب ذلك منكم دغل^(٥) ولا إدهان ، ولا احتيال ولا
تأول ، حتى تلقوا الله مؤفنين بهده ، ووَدَّين حرة عليكم ، غير

(١) الإدهان : إظهار خلاف ما يبصر ، والعتس .

(٢) الخفوف : العجلة وسرعة السير .

(٣) ميل بالفتح مصدر كميل ، ويصح أن يكون بالضم اسم فعل .

(٤) احتاه : اختاره .

(٥) الدغل : العساد .

مستشرقين^(١) ولا ناكثين ، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ، عليكم بذلك وبما أكثت هذه البيعة في أعناقكم ، وأعطيتم بها من صفة أيمانكم ، وبما اشترط عليكم بها ، من وفاء ونصر وموالاتة واجتهاد ونصح ، وعليكم عهد الله إن عهده كان مستولاً ، وذمة الله وذمة رسوله ، وأشد ما أخذ على أنبيائه ورسله وعلى أحد من عباده من متأكد وثائقه ، أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيعة ولا تبدلوا ، وأن تطيعوا ولا تعصوا ، وأن تخلصوا ولا ترتابوا ، وأن تمسكوا بما عاهدتم عليه تمسك أهل الطاعة بطاعتهم ، وذوى العهد والوفاء بوفائهم وحقهم ، لا يلقاكم عن ذلك هوى ولا ميل ، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدى ، باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة ، بما جعلتم على أنفسكم ، لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها ، فمن نكث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه ، مسيراً أو معلناً ، أو مضمراً أو محتالاً ، فأذهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذت به موايق أمير المؤمنين وعهود الله عليه ، مستعملاً في ذلك الهوينى دون الجِدِّ ، والرث كونه إلى الباطل دون نُصرة الحق ، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم ، فكل ما يملك كل واحد ممن خان في ذلك بشيء نقض عهده ، من مال أو عقار أو سائمة

(٢) استشرقه حقه : طلبه ، وسيأتي في كتاب البيعة للمعتر « غير مستريدين » .

أوزرع أو ضرع ، صدقةً على المساكين في وجوه سبيل الله ، محرّمٌ عليه أن يرجع شيء من ذلك إلى ماله ، عن حياة يقدمها لنفسه أو يمتثل بها ، وما أفاد^(١) في بقية عمره من فائدة مال ، يقلُّ خطرُها أو يجلبُ قدرُها ، فتلك سبيله إلى أن تُوافيه منيته ، ويأتي عليه أجله ، وكلُّ مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنةً من ذكر أو أنثى ، أحرارٌ لوجه الله ، ونساؤه يوم يلزمه الحنثُ ، ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنةً ، طوالقُ ألبتةً طلاق الحرج^(٢) ، لا مشنوية^(٣) فيه ولا رجعةً ، وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجةً^(٤) لا يقبلُ الله منه إلا الوفاء بها ، وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريءان ، ولا قبلَ الله منه صرفاً ولا عدلاً^(٥) ، والله عليكم بذلك شهيد ، وكفى بالله شهيدا»

(تاريخ لطبري ١١ : ٧١)

١٤٤ - كتاب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وفي سنة ٢٤٨ أغزى المنتصرُ وصيفاً التركي - أحد كبار الموالى الأتراك - بلاد الروم ، وكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مؤلى أمير المؤمنين :

سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ،

(١) أي استعاد . (٢) انظر ص ١٦١ من الجزء الثالث .

(٣) أي لا استثناء . (٤) الحجة : الله .

(٥) الصرف : النوبة ، والعدل : العمية .

ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله .
أما بعد : فإن الله - وله الحمد على آلائه ، والشكرُ يجميل بآلائه -
اختار الإسلام وفضله ، وأتمه وأكملته ، وجعله وسيلةً إلى رضاه ومثوبته ،
وسبيلًا نهجًا^(١) إلى رحمته ، وسبيلًا إلى مذكور كرامته ، فقهر له من خالفه ،
وأذل له من عند عن حقه ، وايتقى غير سبيله ، وخصه بأتم الشرائع وأكملها ،
وأفضل الأحكام وأعد لها ، وبعث به خيرته من خلقه ، وصفوته من عباده ،
محمدًا صلى الله عليه وسلم ، وجعل الجهادَ أعظم فرائضه منزلةً عنده ، وأعلاها
رُتبةً لديه ، وأنجحها وسيلةً إليه ، لأن الله عز وجل أعز دينه ، وأذل عتاة
الشرك ، قال الله عز وجل أمرًا بالجهاد ، ومفترضًا له : « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا
وَجاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

وليست تمضي بالجهاد في سبيل الله حال لا يكابد في الله نصيبًا ولا
أذى ، ولا ينفق نفقةً ، ولا يقارعُ عدوًّا ، ولا يقطع بلدًا ، ولا يطأ أرضًا ،
إلا وله بذلك أمرٌ مكتوبٌ ، وثوابٌ جزيلٌ ، وأجرٌ مأمولٌ ، قال الله عز
وجل : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ^(٢) فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ
بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ

(١) النهج : الطريق الواضح .

(٢) المخمصة : المجاعة .

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» ثم أثنى عز وجل بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين
عنده ، وما وعدهم من جزائه ومثوبته وما لهم من الزئفى عنده فقال :
« لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى
الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى
الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » .

فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وجعل جنته
ثمنًا لهم ، ورضوانه جزاء لهم على بذلها وَعَدَّ اللَّهُ مِنْهُ حَقًّا لَأَرْيَبَ فِيهِ ، وَحُكْمًا
عَدْلًا لَا تَبْدِيلَ لَهُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا
عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ،
فَأَسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » وحكم الله
عز وجل لأحياء المجاهدين بنصره ، والفوز برحمته ، وأشهد لموتاهم بالحياة
الدائمة ، والزئفى لديه ، والحظ الجزيل من ثوابه ، فقال : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ إِلَّا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُحْزَنُونَ » .

وليس من شيء يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم ،
ويسعون به في حط أوزارهم ، وَفَكَأَنَّ^(١) رقابهم ، ويستوجبون به الثواب

(١) فكأك الرهن بالفتح وبكسر : ما يملك به .

من ربهم ، إلا والجهادُ عنده أعظمُ منه منزلةً ، وأعلى لديه رتبةً ، وأولى بالفوز في العاجلة والآجلة ، لأن أهله بذلوا لله أنفسهم ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وسمّحوا بها دون مَنْ ورائهم من إخوانهم وحرّيم المسلمين وَيُضَتِّهِمْ ، ووقفوا^(١) بجهادهم العدو .

وقد رأى أمير المؤمنين - لما يُحِبُّهُ من التقرب إلى الله بجهاد عدوه ، وقضاء حقه عليه فيما استحقَّه من دينه ، والتماس الزُّلْفَى له في إعزاز أوليائه ، وإحلال البأس والنقمة بمن حاد عن دينه ، وكذب رساله ، وفارق طاعته - أن يُنهِضَ « وصيفاً » مولى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة الروم غازياً ، لما عرف الله أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ، ومحمود تعبته ، وخلوص نيته في كل ما قرَّبه من الله ومن خليفته .

وقد رأى أمير المؤمنين - والله وليُّ معونته وتوفيقه - أن يكون موافقاً « وصيفٍ » فيمن أنهض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنده وشاكريته^(٢) ثغرَ عَاطِيَةَ^(٣) ، لِأَثْنَتِي عَشْرَةَ لَيْلَةً تخلو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وذلك من شهور العجم للنصف من حزيران ، ودخوله بلاد أعداء الله في أول يوم من تحوز .

فأعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عمالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا ، ومُرِّهم بقراءته على مَنْ قبليهم من المسلمين ، وترغيبهم في الجهاد

(١) أي أدلوا واهمروا .

(٢) الشاكري : الأخير والمستخدم .

(٣) قال ياقوت في معجمه « ما ظبه بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء وتحفيف اياء ، والعامية تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء : هذه من بلاد الروم مشهورة مدكوره بتاحم الشام » .

وَحَثُّهُمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتِنْفَارِهِمْ إِلَيْهِ ، وَتَعْرِيفِهِمْ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ لِأَهْلِهِ ، لِيَعْمَلَ ذَوُو النِّيَّاتِ وَالْحِسْبَةِ وَالرَّغْبَةَ فِي الْجِهَادِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ فِي النَّهْوِضِ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، وَالْخُفُوفِ إِلَى مَعَاوَنَةِ إِخْوَانِهِمْ ، وَالذِّيَادِ عَنْ دِينِهِمْ ، وَالرَّحْمَى مِنْ وَرَاءِ حَوَازِمِهِمْ ، بِمُؤَافَاةِ عَسْكَرِ « وَصَيْفٍ » مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَلْطِيَّةً فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ .

وَكُتِبَ أَحْمَدُ بْنُ الْخَصِيبِ^(١) سَبْعَ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنَ الْمَحْرَمِ مِئَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ . (تَارِخُ الطَّبْرِيِّ ١١ : ٧٤)

١٤٥ - رُقْعَةُ الْمُعْتَزِ وَالْمُؤَيَّدِ فِي خَلْعِ أَنْفُسِهِمَا مِنَ الْبَيْعَةِ

وَسَعَى الْأَتْرَاكُ سَعْيَهُمْ - بِتَدْبِيرِ الْوَزِيرِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ - لَدَيْ الْمُتَنَصِّرِ ، فِي أَنْ يَخْلَعَ أَخُوَيْهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزَ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدَ مِنَ الْخِلَافَةِ ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى فَعَلَ ، وَاسْتَكْتَبَ كِلَا مِنْهُمَا رُقْعَةً بِخَطِّهِ أَنَّهُ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْبَيْعَةِ ، وَقَامَا فِيمَنْ اجْتَمَعَ مِنْ وَجُوهِ النَّاسِ فَأَعْلَنَا ذَلِكَ لَهُمْ ، وَكَانَتِ النُّسْخَةُ الَّتِي كَتَبَاهَا .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَلَدَنِي هَذَا الْأَمْرَ ، وَبَايَعُ لِي وَأَنَا صَغِيرٌ ، مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِي وَمُحِبَّتِي ، فَلَمَّا فَهِمْتُ أَمْرِي عَابَتُ أُنَى لَا أَقُومُ بِمَا قَلَدَنِي ، وَلَا أَصْلِحُ خِلَافَةَ الْمُسْلِمِينَ ، فَمِنْ كَانَتْ يَمَعِي فِي عُنُقِهِ فَهُوَ مِنْ تَقْضِيهَا فِي حِلٍّ ، وَقَدْ حَلَلْتُكُمْ مِنْهَا ،

(١) كَانَ وَزِيرًا لِلْمُتَنَصِّرِ - انْظُرْ خَبْرَهُ فِي التَّمَعْرِی ص ٢١٧ وَمَرْوَجُ الدَّهَبِ ٢ : ٣٩٩ .

وأبرأتكم من أيمانكم ، ولا عهد لي في رقابكم ولا عقد ، وأنتم بُرَاء من ذلك .
وكان الذي قرأ الرقعة أحمد بن الخصيب ، ثم قام كل منهما فقال لمن
حضر : هذه رقعتي وهذا قولي ، فاشهدوا عليّ ، وقد أبرأتكم من أيمانكم
وحللتكم منها ؛ فقال لهما المنتصر عند ذلك : قد خار الله لكما وللمسلمين .
(تاريخ الطبري ١١ : ٧٧)

١٤٦ - كتاب المنتصر بخلع المعتر والمؤيد

وكتب المنتصر كتابا إلى العمال بخلعهما ، وهذه نسخة كتابه إلى أبي
العباس محمد بن عبد الله بن طاهر في ذلك :
« من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله
مولى أمير المؤمنين .

أما بعد ، فإن الله - وله الحمد على آلائه ، والشكرُ بجميل بلائه -
جعل ولاة الأمر ، من خلفائه القائمين بما بعث به رسوله صلى الله
عليه وسلم ، والذائبين عن دينه ، والداعين إلى حقه ، والمُضيين لأحكامه ،
وجعل ما اختصهم به من كرامته قواما لعباده ، وصلاحا لبلادهم ، ورحمةً
عمر بها خلقه ، واقترض طاعتهم ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم ، وأوجبها في مُحكم تنزيله ، لما جمع فيها من سُكون الدهماء ،
واتساق الأهواء ، ولم الشَّعَث ، وأمن السُّبُل ، ووقم العدو ، وحفظ الحرم ،
وسد الثغور ، وانتظام الأمور ، فقال : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ » فَمِنَ الْحَقِّ عَلَى خَلْفَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ حَبَّاهُمْ بِعَظِيمِ نِعْمَتِهِ ، وَاخْتِصَّاهُمْ

بأعلى رُتَبِ كرامته ، واستحفظَهم فيما جعله وسيلةً إلى رحمته ، وسبباً لرضاه
ومثوبته ، أن يُؤثروا طاعته في كل حال تصرَّفت بهم ، ويُقيموا حقه
في أنفسهم ، والأقرب فالأقرب منهم ، وأن يكون محلُّهم من الاجتهاد
في كل ما قرَّب من الله عز وجل حسبَ موقعهم من الدين ، وولاية أمير
المسلمين ، وأمير المؤمنين يسأل الله مسألةً ، رغبةً إليه وتذلاً لعظمته ، أن
يتولاه فيما استرعاه ، ولايةً يجمع له بها صلاح ما قلده ، ويحمل عنه أعباء
ما حمَّله ، ويُعينه بتوفيقه على طاعته ، إنه سميع قريب .

وقد علمت ما حضرت من رفع أبي عبد الله وإبراهيم ابني أمير المؤمنين
المتوكل على الله رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين رُفعتين بخطوطهما يذكران
فيهما ما عرفهما الله من عطف أمير المؤمنين عليهما ورأفته بهما . وجميل
نظره لهما ، وما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله عقده لأبي عبد الله
من ولاية عهد أمير المؤمنين ، وإبراهيم من ولاية العهد بعد أبي عبد الله ،
وأن ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفلاً لم يبلغ ثلاث سنين ، ولم يفهم ما عقد
له ، ولا وقف على ما قلده ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحلم ، ولم تجر^(١) أحكامهما ،
ولا جرت أحكام الإسلام عليهما ، وأنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووقفاً على
عجزهما عن القيام بما عُقد لهما من العهد ، وأسند إليهما من الأعمال ، أن
يتصحا لله وجماعة المسلمين ، بأن يُخرجا من هذا الأمر الذي عُقد لهما
أنفسهما ، ويعتزلا الأعمال التي قلداها ، ويجعلا كلَّ من في عنقه لهما ييمةً
وعليه عينٌ ، في حلٍّ ، إذ كانا لا يقومان بما رُشَّحَ حاله ، ولا يصلحان
لتقلده ، وأن يُخرج من كان ضمَّ إليهما ممن في نواحيهما من قواد

(١) وربما كان « ولم تجر » .

أمير المؤمنين ومواليه وغلمانه وجنده وشاكريته وجميع من مع أولئك القواد بالخضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسوميها ، ويُنزال عنهم جميعا ذكر الضم إليهما ، وأن يكونا سُوقَةً^(١) من سُوقِ المسلمين وعامتهم ، ويصِفان ما لم يزالا يذكُران لأمير المؤمنين من ذلك ، ويسألانه فيه ، منذ أفضى الله بخلافته إليه ، وأنهما قد خَلعا أنفسهما من ولاية العهد وخرجا منها ، وجعلا كلَّ من لهما عليه يعةً وعينٌ ، من قواد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيته قريتهم وبعيدهم ، وحاضرهم وغائبهم ، في حلٍّ وسعةٍ من بيعتهم وأيمانهم ، ليخلعوهما كما خَلعا أنفسهما ، وجعلا لأمير المؤمنين على أنفسهما عهدَ الله وأشدَّ ما أخذ على ملائكته وأنبيائه وعباده من عهد وميثاق ، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليهما من الأيمان ، بإقامتهما على طاعته ومناصحته وموالاته في السر والعلانية ، ويسألان أمير المؤمنين أن يظهرَ مافعلاه وينشره ، ويخضِر جميع أوليائه ليسمعوا ذلك منهما ، طالبين راغبين ، طائعين غير مُكرهين ولا مُجبرين ، ويُقرأ عليهم الرُّقعتان اللتان رفعاهما بخطوطهما ، بما ذكرا من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد وهما صبيان ، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما ، وما سألنا من صرّفهما عن الأعمال التي يتوليانها ، وإخراج من كان بها ممن ضمَّ إليهما في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين وجنده وغلمانه وشاكريته وجميع من مع أولئك القواد بالخضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسوميها ، وإزالة ذكر الضم إليهما عنهم ، وأن يُكتب الكتاب بذلك إلى جميع عمال النواحي ، وأن أمير المؤمنين وَقَفَ على

(١) السوقة : الرعيه ، للواحد والجمع والمدكور والمؤنث ، وقد جمع على سوق ضم فتح .

حِذْقَهُمَا فِيمَا ذَكَرَا وَرَفَعَا ، وَتَقَدَّمَ فِي إِحْضَارِ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ وَمَنْ بِحَضْرَتِهِ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَقَوَادِهِ وَمَوَالِيهِ وَشِيعَتِهِ وَرُؤَسَاءِ جُنْدِهِ وَشَاكِرِيَّتِهِ وَكُتَّابِهِ
وَقُضَاتِهِ وَالْفُقَهَاءَ وَغَيْرَهُمْ وَسَائِرَ أَوْلِيَاءِهِ الَّذِينَ كَانَتْ وَقَعَتْ الْبَيْعَةُ لَهُمَا بِذَلِكَ
عَلَيْهِمْ ، وَحَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقُرِئَتْ رُقْعَتَاهُمَا بِخَطْوَتِهِمَا بِحَضْرَتِهِمَا فِي مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِمَا وَعَلَى جَمِيعِ مَنْ حَضَرَ ، وَأَعَادَا مِنَ الْقَوْلِ بَعْدَ قِرَاءَةِ الرُّقْعَتَيْنِ مِثْلَ الَّذِي
كُتِبَ بِهِ ، وَرَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْمَعَ فِي إِجَابَتِهِمَا إِلَى نَشْرِ مَا فَعَلَاهُ
وَإِظْهَارِهِ وَإِمضَائِهِ ذَلِكَ ، قَضَاءً حَقُوقِ ثَلَاثَةِ : مِنْهَا حَقُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا
اسْتَحْفَظَهُ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَأَوْجِبَ عَلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ لِأَوْلِيَاءِهِ فِيمَا يَجْمَعُ لَهُمْ كَلِمَتَهُمْ
فِي يَوْمِهِمْ وَغَدِهِمْ ، وَيُؤَلِّفُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَمِنْهَا حَقُّ الرِّعْيَةِ الَّذِينَ هُمْ وَدَائِعُ اللَّهِ
عِنْدَهُ ، حَتَّى يَكُونَ الْمُتَقَدِّدُ لِأُمُورِهِمْ مَنْ يَرَاعِيهِمْ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، بِعِنَايَتِهِ
وَنَظَرِهِ وَتَفَقُّدِهِ وَعَدْلِهِ وَرَأْفَتِهِ ، وَمَنْ يَقُومُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، وَمَنْ
يَضْطَلِعُ بِثِقَلِ^(١) السِّيَاسَةِ وَصَوَابِ التَّدْيِيرِ ، وَمِنْهَا حَقُّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَإِبْرَاهِيمَ
فِيمَا يُوَجِبُهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمَا بِأَخُوَّتِهِمَا وَمَا سَرَّحَهُمَا ، لِأَنَّهُمَا لَوْ أَقَامَا عَلَى
مَا خَرَجَا مِنْهُ ، مَعَ عَجْزِهِمَا عَنْهُ ، لَمْ يُؤْمَنْ تَأْدِي ذَلِكَ إِلَى مَا يَعْظُمُ فِي الدِّينِ
ضُرُّهُ ، وَيَعْمُ الْمُسْلِمِينَ مَكْرُوهُهُ ، وَيَرْجِعُ عَلَيْهِمَا عَظِيمُ الْوِزْرِ فِيهِ ، فَخَلَعَهُمَا
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ خَلَعَا أَنْفُسَهُمَا مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ ، وَخَلَعَهُمَا جَمِيعُ إِخْوَةِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ بِحَضْرَتِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَخَلَعَهُمَا جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ مِنْ
قَوَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَالِيهِ وَشِيعَتِهِ وَرُؤَسَاءِ جُنْدِهِ وَشَاكِرِيَّتِهِ وَكُتَّابِهِ

(١) الثقل : الحمل ، واضطلع به : قوى على حمله .

وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين ، الذين كانت أخذت
لهما البيعة عليهم ، وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك إلى جميع العمال ،
ليتقدموا في العمل بحسب ما فيها ، ويخضعوا أبا عبد الله وإبراهيم من ولاية
العهد ، إذ كانا قد خلعا أنفسهما من ذلك ، وحللا لخاص والعام ، والحاضر
والغائب ، والدائى والقاصى منه ، ويسقطوا ذكرها بولاية العهد ، وذكر
ما نسب إليه من نسب ولاية العهد ، من المعتز بالله والمؤيد بالله من كتبهم
وألفاظهم ، والدعاء لهما على المنابر ، ويسقطوا كل ما ثبت في دواوينهم من
رسومها القديمة والحديثة الواقعة على من كان مضموما إليهما ، ويُريلوا
ما على الأعلام والمطارد^(١) من ذكرها ، وما وُسِّمت به دواب الشاكرية
والرأبطة من أسمائهما ، ومحلك من أمير المؤمنين وحالك عنده على حسب
ما أخلص الله لأمر المؤمنين من طاعتك ومناصحتك وموالاتك ومشايعتك
ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك ، وما عرف الله أمير المؤمنين من
طاعتك ، ويؤمن تقيتك^(٢) ، واجتهادك في قضاء الحق ، وقد أفرذك
أمير المؤمنين بقيادتك ، وإزالة الضم إلى أبي عبد الله عنك ، وعمن في ناحيتك
بالخضرة وسائر النواحي ، ولم يجعل أمير المؤمنين بينك وبينه أحدا يرأسك ،
وخرج أمره بذلك إلى ولاية دواوينه . فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك بنسخة
كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وأوعز إليهم في العمل على حسبه إن
شاء الله والسلام .

(١) المطرد كبير : رمح قصير يطرد به .

(٢) التقية : النفس .

وكتب أحمد بن الحُصَيْب يوم السبت لِعَشْرِ بَقِيْنٍ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ
وَأَرْبَعِيْنٍ وَمِائَتِيْن . (تاريخ الطبري ١١ : ٧٧)

١٤٧ - كتاب البيعة للمعتز بالله

وتُوِّفِيَ المنتصر بالله سنة ٢٤٨ هـ فَوَلِيَ الخِلاَفَةَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ ،
وَلُقِّبَ بِالْمُسْتَعِيْنِ بِاللَّهِ ، وَفِي عَهْدِهِ قَوِيَتْ شَوْكَةُ الْأَثْرَاكِ .

وفى سنة ٢٥١ انحدر المستعين من سامرا^(١) إلى بغداد ، وما لبث
الأثراك أن ثاروا به ، وأخرجوا المعتز^(٢) بالله وبإيعونه ، وكانت نسخة
بيعته^(٣) :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، تَبَايَعُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْإِمَامَ الْمُعْتَزَّ بِاللَّهِ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِيْنَ ، بِيَعَةَ طَوْعٍ وَاعْتِقَادٍ ، وَرِصًا وَرَغْبَةً وَإِخْلَاصٍ مِنْ سِرَائِرِكُمْ ،
وَأَنْشِرَاحٍ مِنْ صُدُورِكُمْ ، وَصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِكُمْ ، لَا مُكْرَهِيْنَ وَلَا مُجْبَرِيْنَ ،
بَلْ مُقَرَّرِيْنَ عَالِمِيْنَ بِمَا فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَنَاكِدَهَا مِنْ تَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ،
وَإِعْزَازِ حَقِّهِ وَدِينِهِ ، وَمِنْ عُمُومِ صَلَاحِ عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ ، وَلَمْ
الشَّعْتِ ، وَسُكُونِ الدَّهْمَاءِ ، وَأَمْنِ الْعَوَاقِبِ ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَقَعْرِ
الْمُلْحِدِيْنَ ، عَلَيَّ أَنْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزَّ بِاللَّهِ ، عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيْفَتُهُ ، الْمُفْتَرَضُ عَلَيْكُمْ
طَاعَتُهُ وَنُصِيْحَتُهُ ، وَالْوَفَاءُ بِحَقِّهِ وَعَهْدِهِ . لَا تُشْكُونُ وَلَا تُدْهِنُونَ وَلَا تَمِيلُونَ

(١) سامرا عة في سر من رأى ، وقد سماها كبة عمار بن ١٥٠ .

(٢) وكان المعتز والنويزدي حنن في الحوسق (أى عقر) في حجره صيره ، مع كل واحد
مهما علام لخدمه ، موكل بهم رحن من الأثراك يساه عسى حده . مان ، ومعه عدة من راعوان .

(٣) هى نسخة بعه المنتصر مع تعبير طيب وبعبر أنه من . سح .

ولا ترتابون ، وعلى السمع والطاعة والمشايعة والوفاء والاستقامة والنصيحة
في السر والعلانية ، والخُفُوفِ والوقوفِ عند كل ما يأمر به عبدُ الله
أبو عبد الله الإمام المعترِّ بالله أمير المؤمنين ، من موالاته أوليائه ، ومُعَاداةِ
أعدائه ، من خاصٍّ وعامٍّ ، وقريبٍ وبعيدٍ ، متمسِّكين ببيعته بوفاء العُقْدِ ،
وذمة العهد ، سرائرُكم في ذلك كعلانيتكم ، وضامئُكم فيه كمثل ألسنتكم ،
راضين بما يَرْضَى به أمير المؤمنين بعد بيعتكم هذه على أنفسكم ، وتأكيديكم
إياها في أعناقكم ، صَفْقَةَ ، راغبين طائعين ، عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم
ونياتكم ، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخى أمير المؤمنين ، وعلى
ألا تسعوا في نقض شيء مما أكد عليكم ، وعلى أن لا يميل بكم في ذلك
مميلٌ عن نُصرة وإخلاص ومُوالاته ، وعلى ألا تُبدلوا ولا تغيروا ، ولا يرجع
منكم راجع عن بيعته وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون بيعتكم
التي أعطيتموها بألسنتكم وعهودكم بيعة يطَّلِع اللهُ من قلوبكم على اجْتِبائها
واعتمادها ، وعلى الوفاء بذمة الله فيها ، وعلى إخلاصكم في نصرتها ومُوالاته
أهلها ، لا يشوب ذلك منكم نفاقٌ ولا إدهانٌ ولا تأوُّلٌ ، حتى تلقوا الله
مُؤدِّين بعهدِهِ ، مؤدِّين حقه عليكم ، غير مُستَهزِئين ولا ناكثين ، إذ كان
الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين ، بيعة خلاقته وولاية العهد من بعده
لإبراهيم المؤيد بالله أخى أمير المؤمنين ، إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ ، يَدُائِهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ
اللهُ فَمِئْتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ، عليكم بذلك وبما أُكِّدْتُ عليكم به هذه البيعةُ

في أعناقكم ، وأعطيتم بها من صَفْقَةِ أيمانكم ، وبما اشترط عليكم من
 وفاء ونُصرة وموالاتة واجتهاد ، وعليكم عهد الله ، إن عهده كان مستولاً ،
 وذمةُ الله عزّ وجل وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أخذ الله على أنبيائه
 ورسله وعلى أحدٍ من عباده من مَوا كيده ومَواثيقه ، أن تسمعوا ما أُخِذَ
 عليكم في هذه البيعة ، ولا تبدلوا ولا تميلوا ، وأن تمسكوا بما عاهدتم
 الله عليه تمسك أهلِ الطاعة بطاعتهم ، وذوى الوفاء والعهد بوفائهم ،
 لا يَلْفِتِكُمْ عن ذلك هوى ولا ميل ، ولا يُزِيغ قلوبكم فتنةً أو ضلالةً عن
 هدى ، باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حقّ الدين
 والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم ، لا يقبل الله منكم في هذه البيعة
 إلا الوفاء بها ، فمن نكثَ منكم ممن بايع أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين
 أخا أمير المؤمنين هذه البيعة ، على ما أخذ عليكم ، مُسِرّاً أو مُعَلِّناً ، مُصَرِّحاً
 أو مُحْتالاً أو متأولاً ، وأذهنَ فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أُخِذَ عليه من
 موثيق الله وعهوده ، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الرأى ، فكلُّ
 ما يملك كلُّ واحدٍ منكم ممن ختر^(١) في ذلك منكم عهده ، من مال أو عقارٍ
 أو ساعةٍ أو زرعٍ أو ضرعٍ ، صدقةٌ على المساكين في وجوه سبيل الله ، محبوبٌ
 محرّمٌ عليه أن يرجع شيئاً من ذلك إلى ماله ، عن حيلةٍ يقدّمها لنفسه أو يحتال له
 بها ، وما أفاد في بقية عمره من فائدةٍ مالٍ يقلُّ خطرُها أو يجلُّ ، فذلك سبيلها
 إلى أن توافيه منيته ، ويأتى عليه أجلُّه ، وكل مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين

(١) الختر : المدر والحديعة أو أقبج المدر ، وفعله كسرت ونصر .

سنة من ذكر أو أنثى ، أحراراً لوجه الله ، ونساؤه يوم يلزمه فيه الحنث ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنة ، طوالق طلاق الحرج ، لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها ، وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريتان ، ولا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، والله عليكم بذلك شهيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » (تاريخ الطبري ١١ : ٩٨)

١٤٨ - كتاب عن محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد

(كتبه سعيد بن حميد)

ولما بايع الأتراك المعتز بسامراً ، أمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد ، فتقدم في ذلك ، وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكل على حرب المستعين وابن طاهر وولاه ذلك ، فسار إلى بغداد في جمع من الأتراك والمغاربة ، فصدم ابن طاهر وأوقع بهم ودارت عليهم الدائرة .
وأمر ابن طاهر سعيد بن حميد فكتب كتاباً يذكر فيه هذه الواقعة ، فقرأ على أهل بغداد في مسجد جامعها ، ونسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته ، والقادر فلا يعارض في قدرته ، والعزير فلا يدل في أمره ، والحكم العدل فلا يرد حكمه ، والناصر فلا يكون نصره إلا للحق وأهله ، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن أمره ، والهادي إلى سبيل رحمته فلا يضل من انقاد لطاعته ، والمقدم إعداره ايظاها به حجته ، الذي جعل

دينه لعباده رحمة ، وخلاقته لدينه عصمة ، وطاعة خلفائه فرضا واجبا على كافة الأمة ، فهم المستحفظون في أرضه على ما بعث به رساله ، وأمناؤه على خلقه فيما دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج حقه ، لتلا تشعب بهم الطرُق المخالفة لسبيله ، والهادون لهم إلى صراطه ، ليجمعهم على الجادة^(١) التي ندب إليها عباده ، بهم مهي الدين من البغاة الطاغين ، وحفظت معالم الحق من الغواية المخالفين ، محتجين على الأمم بكتاب الله الذي استعملهم به ، ورعاة للأمر بحق الله الذي اختارهم له ، إن جادلوا كانت حجة الله معهم ، وإن حاربوا حُكِمَ بالنصر لهم ، وإن جاهدوا كان في طاعة الله نصرهم ، وإن بغاهم عدو كانت كفاية^(٢) الله حائلة دونهم ، ومعقلا لهم ، وإن كدّم كآذ فالله من وراء عيونهم ، نصّبهم الله لإعزاز دينه ، فمن عاداهم فإنما عادى الدين الذي أعزّه وحرسه بهم ، ومن ناوأهم^(٣) فإنما طعن على الحق الذي يكلؤه بحرامتهم ، جيوشهم بالرعب^(٤) منصوره ، وكتائبهم بساخطان الله من عدوهم محروطة^(٥) . وأيديهم يديها عن دين الله عاياه ، وأشياءهم بتناصرهم في الحق غالبة ، وحزاب أعدائهم بينهم مئة مئة^(٦) . وحجتهم عند الله وعند خلقه داحضة^(٧) ، ووسائيلهم إلى النصر مردودة ، وأحكام الله

(١) الجادة : الطرق الواسعة ، وندبه إلى الأمر كصبر : دعاء وحثه .

(٢) وفي المنطوق ونسور « نكابة » .

(٣) ناوأه : عاداه . ويكلؤه : يحرسه ويحفظه .

(٤) وفي الطبرى « ناصر وأمر » .

(٥) وفيه « محروطة » ، ويديها عن دين الله داحضة .

(٦) قعه كسعه : تهره وأدله .

(٧) دحضت الحجة كضع : طلت ، وفي الطبرى « راحصه » وهو تحريف .

بِخِذْلَانِهِمْ وَاقِعَةً ، وَأَقْدَارُهُ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى أَوْلِيَائِهِ جَارِيَةٌ ، وَعَادَتُهُ فِيهِمْ وَفِي
الْأُمِّ السَّالِفَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ مَاضِيَةٌ ، لِيَكُونَ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ إِنْجَازِ
سَابِقِ الْوَعْدِ ، وَأَعْدَاؤُهُ مُحْجُوجِينَ بِمَا قُدِّمَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْإِنْدَارِ ، مُعْجَلَةً لَهُمْ
نِقْمَةُ اللَّهِ بِأَيْدِي أَوْلِيَائِهِ ، مُعَدًّا لَهُمُ الْعَذَابُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَالْخِزْيُ مُوَصُولٌ
بِنَوَاصِيهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ، وَرَسُولِهِ الْمُرْتَضَى ، وَالْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى
الْهُدَى ، صَلَاةً تَامَّةً نَامِيَةً بِرِكَاتِهَا ، دَائِمًا اتِّصَالُهَا ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
تَوَاضَعًا لِعَظَمَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِقْرَارًا بِرُبُوبِيَّتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ اعْتِرَافًا بِقُصُورِ أَقْصَى
مَنَازِلِ الشُّكْرِ عَنْ أَدْنَى مَنَزَلَةٍ مِنْ مَنَازِلِ كِرَامَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْهَادِي إِلَى حَمْدِهِ ،
وَالْمُوجِبِ بِهِ مَزِيدَهُ ، وَالْمُحْصِي بِهِ عَوَائِدَ إِحْسَانِهِ ، حَمْدًا يَرْصَاهُ وَيَتَقَبَّلُهُ ،
وَيُوجِبُ طَوْلَهُ وَإِفْضَالَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَكَمَ بِالْخِذْلَانِ عَلَى مَنْ بَغَى عَلَى أَهْلِ
دِينِهِ ، وَسَبَقَ وَعْدُهُ بِالنَّصْرِ لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِ مِنْ أَنْصَارِ حَقِّهِ ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ
كِتَابَهُ الْعَزِيزَ مَوْعِظَةً لِلْبَاطِنِ ، فَإِنْ أَقْلَعُوا كَانَتْ التَّذْكَرَةُ نَافِعَةً لَهُمْ ،
وَالْحُجَّةُ عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَامَ بِهَا فِيهِمْ . ثُمَّ أَوْجَبَ بَعْدَ التَّذْكَرَةِ وَالْإِصْرَارِ
جِهَادَهُمْ ، فَقَالَ فِيمَا قَدَّمَ مِنْ وَعْدِهِ ، وَأَبَانَ مِنْ بُرْهَانِهِ : « وَمَنْ بَغَى عَلَيَّ
لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ » وَعَدًّا مِنْ اللَّهِ حَقًّا ، نَهَى بِهِ أَعْدَاءَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَثَبَّتَ بِهِ
أَوْلِيَاءَهُ عَلَى سَبِيلِهِ ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ .

وَاللَّهُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - فِي رَأْسِ دَعْوَتِهِ ، وَسَيْفِ دَوْلَتِهِ ، وَالْحَاجِي
عَنْ سُلْطَانِهِ ، وَحَمَلِ ثِقَتِهِ ، وَالْمُتَقَدِّمِ فِي طَاعَتِهِ وَنُصِيحَتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَالذَّابِّ

عن حقه ، والقائم بجاهدة أعدائه ، محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين -
نعمة يرغب إلى الله في إتمامها ، والتوفيق لشكرها ، والتطوُّل بمن أراد
المزيد فيها ، فإن الله قدر لآبائه القيام بالدعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين ، ثم
جمع له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية ، حين حاول أعداء الله أن يطمسوا معالم
دينه ويُعفوها^(١) ، فقام بحق الله وحق خليفته ، مُحامياً عنها ، ومُرَامياً من
ورائها ، متناولاً للبعيد برأيه ونظره ، مباشرًا للقريب بإشرافه وتفقدِهِ ،
بإذلاً نفسه في كل ما قرَّبه من الله ، وأوجب له الزُّلفَةَ عنده ، وسيمنعُ الله
أمير المؤمنين به وولياً مُكافئاً^(٢) على الحق ، وناصراً مُوازراً على الخير ، وظهيراً
مُجاهداً لعدوِّ الدين .

وقد علمتم ما كان كتابُ أمير المؤمنين تقدّم به إليكم فيما أحدثته
الفرقة الضالّة عن سبيل ربها ، المفارقة لعصمة دينها ، الكافرة بنعم الله ،
ونعم خليفته عندها ، المباينة لجماعة الأمة التي أَلَّفَ اللهُ بخلافته نظامها ، المحاولة
لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثة لبيعتة ، الخالعة لربقة^(٣) الإسلام من
أعناقها ، الموالى الأتراك ، وما صارت إليه من نصب الغلام المعروف بأبي
عبد الله بن المتوكل لإمامتها^(٤) ، عند مصير أمير المؤمنين إلى مدينة السلام ،
محلّ سلطانه ، ومجتمع أنصاره وأبناء أنصار آبائه ، وما قابل به أمر المؤمنين
خياتهم ، وآثره من الأناة في أمرهم ، ثم إن هؤلاء الناكثين جمعوا جماً

(١) عفاه كدحل وعفاه : محاه .

(٢) كاهمه : عاونه وساعده ، والظهير : المعين .

(٣) الرقة واحدة الرق بالكسر ، وهو حل فيه عدة عرى تشد به الهم ، والمراد هنا العهد .

(٤) في الأصل « تاريخ الطبرى » : « من نصر » وفيه أيضا « لإقامتها » وهو تحريف .

من الأتراك والمغاربة ومن ولج في سوادهم ، ودخل في غمارهم^(١) ، مؤاتياً للفتنة من ألقاف^(٢) الغي ، ورأسوا عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتوكل ، ثم ساروا نحو مدينة السلام في الجانب الشرقي ، مُعلنين للبغي والاعتدار ، مُظهريين للغي والإصرار ، فتأنأهم^(٣) أمير المؤمنين ، وفسح لهم في النظرة لهم ، وأمر بالكتاب إليهم بما فيه تبصيرهم الرشد ، وتدبيرهم بما قدموا من البيعة ، وإفهامهم ما لله عليهم وله في ذلك من الحق ، وأن خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طوعاً أو خروجه من دين الله والبراءة منه ومن رسوله ، وتحريرهم أموالهم ونساءهم عليهم ، وأن في تمسكهم به سلامة أديانهم ، وبقاء نعمتهم ، والاحتراس من حلول النقم بهم ، وأن يُبين لهم ما سلف من بلائه عندهم ، من أسنى المواهب ، وأرفع الرغائب ، والاختصاص بسنى المراتب ، والتقدم في المحافل ، فأبوا إلا تمادياً وتقاراً ، وتمسكا بالغي وإصراراً ، فقلد أمير المؤمنين نصيحة المؤمن ووليّه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين تدبير أمورهم ودعاهم إلى الحق ما كانت الإجابة ، أو محاربتهم إن جنح بهم غيهم ، وتتلعوا^(٤) في ضلالهم ، لم يألهم^(٥) نظراً وإفهاماً ، وتبيننا وإرشاداً ، وهم في ذلك رافعون أصواتهم بالتوعد لأهل مدينة السلام ، بسفك دماهم ،

(١) ولج يلعج : دخل ، وسوادهم : عامتهم ، وغمارهم بالصم والفتح : رحمتهم وكثرتهم .

(٢) مؤاتياً : مطاوعاً ، والألقاف جمع لف بالكسر وهو الحرب والطائفة ، من الالتفاف .

(٣) حاء في اللسان « تأنى في الأمر أي ترفق وتطر ، واستأنى به أي انظر به ، ويقال : تأمنتك

حتى لا أناة لي » ، وفسح له كعب : وسع ، والظرة : التأخير .

(٤) التلغ : الشاحص للامر والرافع رأسه للهوس والتقدم .

(٥) ألا يألو : قصر .

وَسَبِي نَسَائِهِمْ ، وَتَغْنَمُ^(١) أَمْوَالِهِمْ ، وَقَبِلَ ذَلِكَ مَا كَانُوا فِي مَسِيرِهِمْ عَلَى
السَّبِيلِ الَّتِي يَسْتَعْمَلُهَا أَهْلُ الشُّرْكِ فِي غَارَاتِهِمْ ، وَيَعْمَلُونَ إِلَيْهَا عِنْدَ إِمْكَانِ
النُّهْزَةِ^(٢) لَهُمْ ، لَا يَجْتَازُونَ بِعَامِرٍ إِلَّا أَخْرَبُوهُ ، وَلَا بِحَرِيمٍ^(٣) لِمُسْلِمٍ وَلَا
غَيْرِهِ إِلَّا أَبَاحُوهُ ، وَلَا يُسْلِمُ يَعْجَزُ عَنْهُمْ إِلَّا قَتَلُوهُ ، وَلَا بِمَالٍ لِمُسْلِمٍ وَلَا ذِمِّيٍّ
إِلَّا أَخَذُوهُ ، حَتَّى انْتَقَلَ كَثِيرٌ مِمَّنْ سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ أَخْبَارُهُمْ مِمَّنْ أَمَامَهُمْ عَنِ
أَوْطَانِهِمْ ، وَفَارَقُوا مَنَازِلَهُمْ وَرِبَاعَهُمْ^(٤) ، وَفَزِعُوا إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
تَحْصُنًا مِنْ مَعَرَّتِهِمْ ، لَا يَمْرُثُونَ بِنَعْيٍ إِلَّا خَلَعُوا عَنْهُ لِبَاسَ الْغَنَى ، وَلَا بِمَسْتَوِرٍ
إِلَّا هَتَكُوا عَنِ الثَّرِيَّةِ وَالنِّسَاءِ سِتْرَهُ ، لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا^(٥) وَلَا ذِمَّةً ،
وَلَا يَتَوَقَّفُونَ عَنِ مُسْلِمٍ بِهَيْتِكَ وَلَا مُثَلَّةً^(٦) ، وَلَا يَرْغَبُونَ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ
دَمٍ وَلَا حُرْمَةٍ .

ثُمَّ تَلَقَّوْا التَّذَكِرَةَ بِالْحَرْبِ ، وَقَابَلُوا الْمُوعِظَةَ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ ،
وَعَارَضُوا التَّبْصِيرَ بِالْإِسْتِبْصَارِ فِي الْبَاطِلِ ، فَدَلَّفُوا^(٧) نَحْوَ بَابِ الشَّمَّاسِيَّةِ ،
وَقَدَّرَتْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ الْبَابِ وَالْأَبْوَابِ الَّتِي
سَبِيلُهَا سَبِيلُهُ مِنْ أَبْوَابِ مَدِينَةِ السَّلَامِ الْجِيُوشَ فِي الْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ ، وَالْعِدَّةِ
الْمُتَظَاهِرَةِ ، مَعَاقِلَهُمْ التَّوَكَّلَ عَلَى رَبِّهِمْ . وَحُصُونَهُمُ الْإِعْتِصَامُ بِطَاعَتِهِ ،

(١) اغتنامه وتغنمه : عده غنيمه .

(٢) النهزة : الفرصة .

(٣) حريمك : ما تحببه وتقاتل عنه .

(٤) الرباع جمع ربيع بالفتح : وهو المنزل .

(٥) الإل : العهد .

(٦) مثل به بالتخفيف مثله ، ومثل به بالتشديد تمثيلاً : كل .

(٧) دلفت الكتيبة في الحرب كضرب : تقدمت .

وشعارهم التكبير والتهليل أمام عدوهم ، ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين يأمرهم بتحسين ما يليهم ، والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحة^(١) لهم ، فباداهم الأولياء بالموعظة ، وبدأهم العواة الناكثون بحربهم ، وغادوهم أياما يجمعونهم وعدادهم ، مُدِلِّينَ بَعْدَتِهِمْ وَمَقْدِّرِينَ أَنْ لَا غَالِبَ لَهُمْ ، وَلَا يَعْلَمُونَ بِاللَّهِ أَنَّ قُدْرَتَهُ فَوْقَ قُدْرَتِهِمْ ، وَأَنَّ أَقْدَارَهُ نَاقِذَةٌ بِخِلَافِ إِرَادَتِهِمْ ، وَأَحْكَامُهُ عَادِلَةٌ مَاضِيَةٌ لِأَهْلِ الْجَقِّ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ لِلنَّصْفِ مِنْ صَفَرٍ ، وَاقِفُوا بَابَ الشَّامِيَةِ بِأَجْمَعِهِمْ ، قَدْ نَشَرُوا أَعْلَامَهُمْ ، وَتَنَادَوْا بِشَعَارِهِمْ ، وَتَحَصَّنُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ ، وَبَدَأَ الْأَمْرَ مِنْهُمْ لِمَنْ عَايَنَهُمْ ، لَيْسَ لَهُمْ وَعِيدٌ دُونَ سَفْكِ الدَّمَاءِ ، وَسَبِيِّ النِّسَاءِ ، وَاسْتِبَاحَةِ الْأَمْوَالِ ، فَبَدَأَ الْأَوْلِيَاءُ بِالْمَوْعِظَةِ فَلَمْ يَسْمَعُوا ، وَقَابَلُوهُم بِالتَّذْكَرَةِ فَلَمْ يُصْغَوْا إِلَيْهَا ، وَبَدَءُوا بِالْحَرْبِ مَنَابِذِينَ لَهَا ، فَتَسَرَّعَ الْأَوْلِيَاءُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ ، وَاسْتَنْصَرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، وَاسْتَحْكَمَتْ بِاللَّهِ ثِقَتُهُمْ ، وَنَفَذَتْ بِهِ بَصَائِرُهُمْ ، فَلَمْ تَزَلْ الْحَرْبُ يَبْتَنِمُ إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ ، فَقَتَلَ اللَّهُ مِنْ حِمَاتِهِمْ وَقُرْسَانِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ وَقَادَةَ بَاطِلِهِمْ جَمَاعَةً كَثِيرًا عَدَدُهَا ، وَنَالَتْ الْجِرَاحَةَ الْمُتَخِيفَةَ^(٢) الَّتِي تَأْتِي عَلَى مَنْ نَالَتهُ أَكْثَرَ عَامَّتِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَى أَعْدَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاءُ دِينِهِ أَنَّ قَدْ أَكْذَبَ ظَنُونَهُمْ ، وَحَالَ يَبْتَنِمُ وَبَيْنَ أَمَانِيَّتِهِمْ ، وَجَعَلَ عَوَاقِبَهَا حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ ، اسْتَنْهَضُوا جَيْشًا مِنْ « سَامَرًا » مِنَ الْأَتْرَاقِ وَالْمَغَارِبَةِ : فِي الْعَتَادِ^(٣) وَالْعُدَّةِ

(١) مندوحة : أى سعة .

(٢) أثنى فى العدو : بالغ الجراحة فيهم .

(٣) العتاد : العدة .

والجلد والأسلحة ، في الجانب الغربي طالبين الممرّة ، ومؤملين أن ينالوا نيلا من أهله ، باشتغال إخوانهم في الجانب الشرقي بأعدائهم ، وقد كان محمد ابن عبد الله مولى أمير المؤمنين شحّنا الجانبين جميعا بالرجال والعُدّة ، ووكل بكل ناحية من يقوم بحفظها وحراستها ، ويكف عن الرعية بوائق^(١) أعدائهم ، ووكل بكل باب من الأبواب قائدا في جمع كثيف ، ورتب على الشور من يُراعيه في الليل والنهار ، وبت الرجال ليعرف أخبار أعداء الله في حرّ كتابهم ونهوضهم ومقامهم وتصرفهم ، فيعامل كل حال لهم بحال يفت الله في أعضادهم^(٢) بها ، فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، وافى الجيش الذي أنهضوه من الجانب الغربي الباب المعروف باب قُطرابل^(٣) ، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرقي من دجلة ، في عدد لا يسعه إلا الفضاء ، ولا يحمله إلا المجال الفسيح ، وقد تواعدوا أن يكون دُنوهم من الأبواب معا ، لشغل الأولياء بحربهم من الجهات ، فيضعضفوا عنهم ، ويغلبوا حقهم بباطلهم ، أملاّ كادهم الله فيه غير صادق ، وظننا خائبا منه فيه قضاء نافذ ، وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبي عون وبندار ابن موسى الطبري مولى أمير المؤمنين وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قُطرابل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته ، والاتباع لأمره ، والتصرف مع كتابه ، والتوقف عن الحرب حتى تسبق التذكرة الأسماع ، وتنزل الحجة

(١) البوائق جمع نائفة : وهي الداهية .

(٢) فت في عضده . أصغمه .

(٣) اسم قرية بين بغداد وبعكرا نسب إليها الحر .

بالتتابع منهم والإصرار، فنقدوا في جمع يقابل جمعهم، مستبصرين في حق الله عليهم، مسارعين إلى لقاء عدوهم، محتسبين خطاهم ومسيرهم، واثقين بالثواب الآجل، والجزاء العاجل، فتلقاهم ومن معهم أعداء الله قد أطلقوا نحوهم أعتتهم، وأشرعوا^(١) لنحوهم أسنتهم، لا يشكون أنهم نهزة المختلس، وغنيمة المتتهب، فنادوهم بالوعظة نداءً مُسمِعاً، فحجتها أسماعهم، وعميت عنها أبصارهم، وصدقهم أولياء الله في لقاءهم بقلوب مستجيبة لهم، وعلم بأن الله لا يخلف وعده فيهم، فجالت الخيل بهم جولة، وعاودت كربةً بعد كربة عليهم، طعنا بالرماح، وضرباً بالسيوف، ورشقا بالسهام، فلما مسهم ألم جراحها، وكلمتهم^(٢) الحرب بأنيابها، ودارت عليهم رحاها، وصمم عليهم أبناؤها، ظمأً إلى دماهم، ولوا أذبازهم، ومنح الله أكتافهم، وأوقع بأسه بهم، فقُتلت منهم جماعة لم يحترسوا من عذاب الله بتوبة، ولم يتحصنوا من عقابه بإنابة^(٣)، ثم ثابت ثانية فوققوا بإزاء الأولياء، وعبر إليهم أشياءهم الغاؤون من عسكرهم باب الشماسية ألف رجل من أنجادهم^(٤) في السفن، معاوين لهم على ضلالتهم، فأنهض محمد بن عبد الله خالد ابن عمران والشاه بن ميكال مولى طاهر نحوهم، فنقدوا ببصيرة لا يتخونها فتور، ونية لا يلحقها تقصير، ومعهما العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين. فلما وافى الشاه فيمن معه أعداء الله، وكل بالمواضع التي يتخوف منها مدخل

(١) أشرع محوه الرمح والسيف وشرعهما: أتملها إياه وسددهما له.

(٢) كله كصرف: حرجه.

(٣) في الأصل «أمانة» والظاهر أنها «إنابة» لتناسب قوله قل «توبة».

(٤) أمجاد جمع نجد، والنجد كشمس وكنف ورجل: الشجاع الماصي فيما يعجز غيره.

الْكُفَّاءِ ، ثُمَّ حَمَلَ وَمَنْ تَوَجَّهَ مَعَهُ مِنَ الْقَوَادِمِ الْمَسْمُومِينَ مَا ضَيَّعَ لَا يَعْرِقُهُمْ ^(١) الوعيد ، وَلَا يَشْكُونُ مِنَ اللَّهِ فِي النَّصْرِ وَالْتَأْيِيدِ ، فَوَضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِيهِمْ ، تَمْتَضِي أَحْكَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى أَلْحَقُوهُمْ بِالْمَعْسَكِ الَّذِي كَانُوا عَسَكَرُوا فِيهِ وَجَاوَزُوهُ ، وَسَلَبُوهُمْ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ سِلَاحٍ وَكُرَاعٍ ^(٢) وَعَتَادِ الْحَرْبِ ، فَمِنْ قَتِيلٍ غَوْدَرَتْ جُثَّتُهُ بِمَضْرَعِهِ ، وَتُقِلَّتْ هَامَتُهُ ^(٣) إِلَى مَصِيرٍ فِيهِ مُعْتَبَرٌ لغيره ، وَمِنْ لَاجِيٍّ مِنَ السَّيْفِ إِلَى الْفَرَقِ ، لَمْ يُجِرَّهُ اللَّهُ مِنْ حِذَارِهِ ، وَمِنْ أَسِيرٍ مَصْفُودٍ ^(٤) يُقَادُّ إِلَى دَارِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَحِزْبِهِ ، وَمِنْ هَارِبٍ بِحُشَّاشَةٍ ^(٥) نَفْسَهُ ، قَدْ أَسْكَنَ اللَّهُ الْخَوْفَ قَلْبَهُ ، فَكَانَتْ النِّقْمَةُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَاقِعَةً بِالْفَرِيقَيْنِ : مَنْ وَافَى الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ قَادِمًا ، وَمَنْ عَبَرَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مُنْجِدًا ، لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ نَاجٍ ، وَلَمْ يَعْتَصِمْ مِنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ مَعْتَصِمٌ ، وَلَا أَقْبَلَ إِلَى اللَّهِ مُقْبَلٌ ، فَرِقًا أَرْبَعًا يَجْمَعُهَا النَّارُ ، وَيَشْمَلُهَا عَاجِلُ النَّكَالِ ، عِظَّةٌ وَمُعْتَبَرًا لِأُولَى الْأَبْصَارِ ، فَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ^(٦) ، جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ » وَلَمْ تَزَلْ الْحَرْبُ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ وَبَيْنَ الْفَرِيقَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَالْقَتْلُ مُحْتَفِلٌ ^(٧) فِي أَعْلَامِهِمْ ، وَالْجِرَاحُ فَاشِيَةٌ فِيهِمْ ، حَتَّى إِذَا عَايَنُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنَ الْبَوَارِ ، وَأَحَلَّ بِهِمْ مِنَ النَّقْمَةِ وَالْإِسْتِئْصَالِ ، مَا لَمْ يَنْزِلْ مِنَ اللَّهِ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ « لَا يَعْرِقُهُمْ » وَأَرَاهُ مَحْرَفًا وَصَوَابَهُ « لَا يَعْرِقُهُمْ » .

(٢) الْكُرَاعُ : اسْمٌ يَجْمَعُ الْحَيْلَ .

(٣) الْهَامَةُ : الرَّأْسُ .

(٤) صَفْدُهُ كَصْرِهِ : شَدُّهُ وَأَوْثَقُهُ كَأَصْفَدِهِ وَصَفْدِهِ .

(٥) الْحُشَّاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْحَرِيحِ وَالرَّيْسِ .

(٦) الْبَوَارُ : الْهَلَاكُ .

(٧) مِنْ اِحْتَفَلَ : أَيِ اجْتَمَعَ .

عاصم ، ولا من أوليائه ملجأ ولا مؤئل ، ولأوا منتهز مین مفلولين منكوبين ،
قد أراهم الله العبر في إخوانهم الغلوية ، وطوائفهم المضيلة ، وضل ما كان
في أنفسهم ، لما رأوا من نصر الله لجنده ، وإعزازة لأوليائه ، والحمد لله
رب العالمين ، قامع الغواة الناكبين عن دينه ، والبغاة الناقضين لعهدده ،
والمراق الخارجين من جملة أهل حقه حمداً مبلغاً رضاه ، وموجباً أفضل من يده ،
وصلّى الله أولاً وآخرأ على محمد عبده ورسوله الهادي إلى سبيله ، والداعي
إليه بإذنه وسلم تسليماً .

وكتب سعيد بن حميد يوم السبت لسبع خلون^(١) من صفر سنة ٢٥١

(تاريخ الطبري ١١ : ١٠٦ ، واختيار المظوم والمشور ١٣ : ٢٨٤)

١٤٩ - كتاب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان

وكتب سعيد^(٢) بن حميد إلى بعض أهل السلطان في يوم التّيروز :
« أيّها السيد الشريف ، عشت أطول الأعمار ، بزيادة من العمر
موصولة بفرائضها من الشكر ، لا ينقض حقّ نعمة حتى يُجدّد لك أخرى ،
ولا يمرّ بك يوم إلا كان مقصراً عما بعده ، مؤفياً عما قبله .

إني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السّادة ،

(١) هكذا في الأصل وأراه خطأ وصوابه « بقين » لأن الوقعة استمرت إلى « يوم الأرساء
لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر » كما جاء في هذه الرسالة .

(٢) كان كاتب أحمد بن الحبيب ، وقلده المستعين ديوان الرسائل ، وكان كاتباً شاعراً مترسلاً
عدت الألفاظ مقدما في صناعته ، وهو من أبناء المجوس . وكان يدعى أنه من أولاد ملوك الفرس - انظر
ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ١٧٩ ومروج الذهب ٢ : ٤٠٨ وتاريخ الطبري ١١ : ٧٠
والأغانى ١٧ : ٢ .

فالتمستُ النَّاسِيَّ (١) بهم في الإهداء ، وإن قصرتُ بي الحالُ عن الواجب ،
 وإني إن أهديتُ نفسي فهي ملكٌ لك ، لاحظاً فيها لغيرك ، ورميتُ
 بظرفي إلى كرائمِ مالي فوجدتها منك ، فإن كنتُ أهديتُ منها شيئاً فإني
 لمُهْدٍ مَالِكَ إِلَيْكَ ، وتزعتُ إلى مودتي فوجدتها خالصةً لك ، قديمةً غيرَ
 مستحدثةً ، فرأيتُ إن جعلتها هديتي لم أجدد لهذا اليوم الجديد برّاً
 ولا لطفاً ، ولم أميز منزلةً من شكرى بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر
 مقصراً عن الحق والنعمة ، زائداً على ما تبلغه الطاقة ، فجعلتُ الاعترافَ
 بالتقصير عن حقك هديةً إليك ، والإقرارَ عما يجب لك برّاً أتوصلُ به
 إليك ، وقلتُ في ذلك :

إن أهدى مالا فهو واهبهُ وهو الحقيقُ عليه بالشكرِ
 أو أهدى شكرى فهو مرتينُ يحمِلُ فِعْلِكَ آخِرَ الدهرِ
 والشمسُ تستغني إذا طلعتُ أن تستضيءَ بسنةِ البدرِ (٢)

(المقدم الفريد ٣ : ٣٠٧)

١٥٠ - كتاب سعيد بن حميد إلى صديق له

وكتب سعيد بن حميد إلى صديق له يوم نيروز :

« هذا يومٌ سهلتُ فيه السنةُ للعبيد الإهداءَ للملوك ، فتعلقتُ كلُّ
 طائفةٍ من البرِّ بحسبِ القدرةِ والهمةِ ، ولم أجِد فيما أملاكُ ما يفي بحقِّك ،

(١) قال في اللسان : النَّاسِيَّ في الأمور : الأسورة أي القدوة ، وفلان يَأْتِي بِفُلَانٍ : أي

يقتدى به .

(٢) السنة : الوجه .

ووجدت تقريرك أبلغ في أداء ما يجب لك ، ومن لم يؤت في هديته إلا من
جهة قدرته فلا طعن عليه . (صبح الأعشى ٢ : ٤٢٠)

١٥١ - كتاب سعيد بن حميد إلى أبي العباس بن ثوابة

وكان سعيد بن حميد صديقا لأبي العباس^(١) بن ثوابة ، فدماه يوما ،
وجاءه رسول « فضل^(٢) » الشاعرة ، يسأله المصير إليها ، فمضى معه وتأخر
عن أبي العباس ، فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها معاتبةً فيها بعض الغلظة :
فكتب إليه سعيد :

أقلل عتابك ، فالبقاء قليلٌ والدهرُ يعدل تارةً ويميلُ
لم أبك من زمن ذممتُ صروفه إلا بكيتُ عليه حين يزولُ
ولكل نائبة أملتُ مدةً ولكل حال أقبلتُ تحويلُ
والمُتمون إلى الإخاء جماعةٌ إن حُصلوا أفنأم التحصيل^(٣)
ولعل أحداث الليالي والردى يوما ستصدعُ بيننا وتحول^(٤)
فلئن صدقتُ لتبكين بحسرة وليكثرن عليَّ منك عويلُ

(١) آل ثوابة بن يونس من بلغاء الكتاب العباسيين ، منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة
(توفي سنة ٢٧٧) ، وابنه أبو عبد الله محمد بن أحمد وكان مترسلا بليغا ، وكتب للمعتضد ، وأخوه
أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة ، تولى ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان الوزير ، ثم ابنه
أبو الحسين محمد بن جعفر بن ثوابة ، ثم ابنه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن جعفر بن ثوابة ، ولى ديوان
الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر سنة ٣١٢ في أيام المقدر إلى أن مات وهو متولى في أيام معز الدولة
سنة ٣٤٩ - انظر معجم الأدباء ٤ : ١٤٤ ، ٢٤٣ و ٧ : ١٨٧ والفهرست ص ١٨٧ - ١٨٨
(٢) جارية مولدة من مولدات البصرة ، أهديت إلى المتوكل ولم يكن في نساء زمانها أشعر منها
- انظر أخبارها في الأغانى ج ٢١ ص ١١٤ .
(٣) التحصيل : تمييز ما حصل .
(٤) يصدع : أى يفرق .

وَلْتَفْجَعَنَّ بِمُخْلِصٍ لَكَ وَامِيقٍ حَبْلُ الْوَفَاءِ بِحَبْلِهِ مَوْصُولٌ^(١)
(الأغاني ١٧ : ٦)

١٥٢ - كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة

وَعَضِبْتَ فَضْلَ الشَّاعِرَةِ عَلَى سَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهَا :
يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ مَا لِي وَلَكَ ؟ أَهَكَذَا تَهْجُرُ مَنْ وَاصَلَكَ ؟
لَا تَصْرِفِ الرَّحْمَةَ عَنْ أَهْلِهَا قَدْ يَعْطِفُ الْمَوْلَى عَلَى مَنْ مَلَكَ^(٢)
ظَلَمْتَ نَفْسًا فِيكَ عُلَّقَتْهَا فِدَارًا بِالظُّلْمِ عَلَى الْفَلَاحِ^(٣)
تَبَارَكَ اللَّهُ ، فَمَا أَعْلَمَ اللَّهَ بِمَا أَلْتَقَى ، وَمَا أَغْفَلَكَ !
فَرَاغْتِ وَصَلَهُ وَصَارَتْ إِلَيْهِ جَوَابًا لِلرَّقْعَةِ ،
(الأغاني ١٧ : ٦)

١٥٣ كتابه إلى فضل الشاعرة

وَكُتِبَ سَعِيدِ بْنِ حَمِيدِ رُقْعَةً إِلَى فَضْلِ الشَّاعِرَةِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا مِنْ تَغْيِيرِ
ظَنِّهَا بِهِ ، وَفِي آخِرِهَا :

تَظُنُّونَ أَنِّي قَدْ تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُمْ بَدِيلًا ، وَبَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ وَمُنْكَرٌ
إِذَا كَانَ قَلْبِي فِي يَدَيْكَ رَهِينَةً فَكَيْفَ بَلَاقِلِبِ أَصَابِي وَأَهْجُرُ ؟
(الأغاني ١٧ : ٤)

(١) الواقف : المحب .

(٢) المولى ها : السيد .

(٣) علق فلان امرأة (بالباء للجهول) : أحبها .

١٥٤ - كتابه إلى فضل الشاعرة

وتغاضب سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أياما ، ثم كتب إليها :

تَبَالَى نُجِدُّ عَهْدَ الرِّضَا وَنَصْفَحُ فِي الْحَبِّ عَمَّا مَضَى
وَنَجْرِي عَلَى سُنَّةِ الْعَاشِقِينَ وَنَضْمَنْ عَنِّي وَعَنْكَ الرِّضَا
وَيَبْذُلُ هَذَا لِهَذَا هَوَاهُ وَيَصْبِرُ فِي حُبِّهِ لِلْقَضَا
وَنَخْضَعُ ذُلًّا حُضُوعَ الْعَبِيدِ لِمَوْلَى عَزِيزٍ إِذَا أَعْرَضَا
فَإِنِّي مُذْ لَجَّ هَذَا الْعِتَابُ كَأَنِّي أَبْطَنْتُ جَمْرَ الْغَضَا^(١)

فصارت إليه وصالحته^(٢) . (الأغانى ١٧ : ٥)

١٥٥ - كتابه إلى أبي هفان

وبلغ أبا هفان^(٣) عن سعيد بن حميد كلام فيه جفاء وطعن على شعره ، فتوعدده بالهجاء . وكان الخاكي عن ذلك كاذبا ، فبلغ سعيدا ماجرى ، فكتب إلى أبي هفان :

أَمْسَى يَخُوفُنِي الْعَبْدِيُّ بِصَوْلَتِهِ وَكَيْفَ آمَنْ بَأْسَ الضَّيِّغِ الْهَصْرِ^(٤)
مَنْ أَيْسَ يُحْرِزُنِي مِنْ سَيْفِهِ أَجَلِي وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَيْدِهِ حَذْرِي

(١) الغضا : شجر له حجر يبق طويل .

(٢) وقد أورد صاحب الأغانى عدا ما قدمنا مكاتبات شعرية بين فضل وسعيد بن حميد وبينها وبين غيره ، فارجع إليها في ترجمتهما فيه .

(٣) هو أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب الشاعر - انظر ترجمته في نزهة الألبا في طبقات الأدبا

ص ٢٦٧ .

(٤) الضيغم : الأسد ، وكذا الهصر ، من هصره إذا كسره .

ولا أبارزه بالأمر يكرهه
ولو أعنتُ بأنصارٍ من الغير^(١)
له سهامٌ بلا ريش ولا عقبٍ
وقوسه أبداً عطلت من الوتر^(٢)
وكيف آمن من نحرى له غرض
وسهته صائبٌ يخفى عن البصر؟

(الأغاني ١٧ : ٧)

١٥٦ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه يهنئه بعزل عن عمله :

« جعلني الله من السوء والمكروه فداءً لك ، وأطال في الخير والسرور
بقائك ، وأتم نعمة عليك ، وأحسن منها مزيدك ، وبلغك أقصى أمنيته ،
وقدمني أمامك ، وقد بلغني ما اختار الله لك ، فسررت من حيث يفتم لك
من لا يعرف قدر النعمة عليك ، ولا يراك بعين استحقاقك ، ولئن ساءني
ماساء إخوانك من عزك ، لقد سررتني ما يسر الله لك ، والحمد لله الذي
جعل انصرافك محموداً ، وقضى لك في عاقبتك الحسنى ، وأقول :

ليهنك أن أصبحت مجتمعة الحمد
وراعي المعالي ، والحامي عن المجد
وأنت صنت الأمر فيما وليته
ففرقت ما بين العواية والرشد
فلا يحسب الباغون عزك معنماً
فإن إلى الإصدار عاقبة الورد
وما كنت إلا السيف جرد للوغى
فأحمد فيها ثم ردد إلى الغمد

وقد قال الأول :

(١) غير الدهر : أحداثه العيرة .

(٢) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

فَمَنْ يَكُنْ بُوْرُوْدِ الْعَزْلِ مَكْتَتِبًا فَإِنِّي بُورُوْدِ الْعَزْلِ مَسْرُوْرٌ
 بَعْدَ الْوَلَايَةِ عَزْلٌ يَسْتَبِيْنُ بِهِ طَوْلُ الْوَلَايَةِ ، وَبَعْدَ الْعَزْلِ تَأْمِيْرٌ
 أَمَّا مَا عِنْدِي مَعَ تَصَوُّرِ الْعَاقِبَةِ لَكَ فِي نَفْسِي ، فَيَمَسُّنِي فِي أَمْرِكَ فِي حَالِ الْمِحْنَةِ
 مَا يَخْصِيْنِي مِنْهُ فِي وَقْتِ تَجَدُّدِ النِّعْمَةِ ، وَبِحَسَبِ ضَمِيْرِكَ الشَّاهِدِ عَلَيَّ مَا عِنْدِي
 مَا أَجِدُهُ لَكَ فِي نَفْسِي ، فَلَا زِلْتَ فِي نِعَمٍ مُتَّابِعَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ ، وَلَا عَدِمْتَ
 الثَّرْوَةَ وَالزِّيَادَةَ ، وَبَلَّغَكَ اللهُ أَقْصَى أَمْلَاكَ وَأَمَلِ أَخِيكَ لَكَ ، وَكَتَبْتُ (١)
 أَعْدَاءَكَ ، وَجَعَلْتَنِي وَقَاءَكَ الْمَقْدَمَ عِنْدَكَ .

أُحِبُّ أَنْ تُشْرِحَ لِي صُورَةَ الْأَمْرِ ، إِيْلَامَ تَأَدَّتْ؟ وَكَيْفَ كَانَ الْإِبْتِدَاءُ؟
 فَإِنِّي لَا أَشْكُ أَنَّهَا حِيلَةٌ وَنِيَّةٌ مِنْ عِزِّ الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ الْقَدْرِ ، وَلَهَا عَاقِبَةٌ مِنْهُ
 إِنْ شَاءَ اللهُ مَحْمُودَةٌ ، وَتُقْضَى مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفْسِي ، إِنْ شَاءَ
 اللهُ . (اِخْتِيَارُ الْمَنْظُومِ وَالْمَشُورِ ١٣ : ٣٠١)

١٥٧ - كِتَابُهُ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

وَكَتَبَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيْدٍ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَهْنِئُهُ بِعِزْلِهِ عَنْ عَمَلِهِ :
 « حَفِظَكَ اللهُ بِحِفْظِهِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكَ كِرَامَتَهُ ، وَأَدَامَ إِلَيْكَ إِحْسَانَهُ .
 إِنْ سَرُوْرِي بِصَرْفِكَ ، أَكْثَرُ مِنْ سَرُوْرِ أَهْلِ عَمَلِكَ بِمَا خُصُّوْا بِهِ مِنْ
 وَلايَتِكَ ، وَقَدْ كُنْتَ - أَعَزُّكَ اللهُ - فِيمَا يُرَبُّ (٢) بِكَ عَنْهُ ، بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ فِي

(١) كتبه : أذله ورده نفيظه .

(٢) يقال : إني لأرَبُّبُكَ عن هذا الأمر : أي أرفعك عنه ، واستأهله : صار أهلاً له ومستحقاً ،
 قال صاحب القاموس : وهي لغة جيدة ، وإسكار الجوهري باطل (إذ يقول : ولا تغل مستأهل ،
 والعامه تقول) .

قدرك واستيهاك ، ولكننا رجونا أن يكون سبباً لك إلى ما تستحق ، فطينا
نفساً بالذي رجونا ، فالحمد لله الذي سلمك منه ، ونسأله تمام نعمة عليك
وعلينا فيك ، بتبليغك أملاك وآماننا فيك ، وشفع ما كان من ولايتك
بأعظم الدرجات ، وأشرف المراتب ، ثم خصك الله بحميد الصنع ، وبلغك
غاية المؤمنين .

إن من سعادة الوالي - حفظك الله - وأعظم ما يُخص به في عمله وولايته ،
السلامة من بوائق^(١) الإثم ، ونوائب الدنيا وشرها ، والعاقبة مما يُخاف منها ،
وقد خصك الله منها - بمنه وطوله - ما نرجو أن يكون سبباً لك إلى نيل
ما تستحق من المراتب ، والله نسأل إيزاءك^(٢) شكر ما من به عليك ،
وتبليغك غاية أملاك في جميع أمورك ، برحمته وفضله .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٠١)

١٥٨ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه :

«سرك الله بتابع نعمة ، وترادف إحسانه ، وزادك من فواضل أقسامه ،
بلغني - أكرمك الله - ما وهب الله لك من سلطانك ، فقواك الله على
ما استرعاك ، ورزقك الشكر على ما أولاك ، والسلامة منه في الدنيا .»

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٢٩٩)

(١) البوائق جمع بائقة : وهي الداهية .

(٢) أوزعه الله : أهله .

١٥٩ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه :

« أنا أهنيء بك العمل الذي وُلِّيتَه ، ولا أهنتُّك به ، لأن الله أصاره
إلى مَنْ يُورِدُه مَوَارِدَ الصواب ، وَيُصْدِرُه مَصَادِرَ الْحُجَّة ، ويصونه من كل
خَلَلٍ وتقصير ، وَيُضَيِّعُه بالرأى الأصيل ، والمعرفة الكاملة ، قَرَنَ اللهُ لك كل
نعمة بشكرها . وأوجب لك بطوِّله المزيدَ منها ، وأوزَعَكَ من المعرفة بها
ما يصُونُهَا من الفتن ، ويحُوِّطُهَا من النقص » .

(اختيار المظوم والمشور ١٣ : ٢٩٩)

١٦٠ - كتاب له في السلامة

« كتابي إليك عن سلامة ، ووَحْشَتِي لِفِرَاقِ الْبَلَدِ الَّذِي يَجْمَعُ السَّادَةَ
وَالْإِخْوَانَ ، وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ ، عَلَى حَسَبِ الْأَنْسِ بِمَكَانِي فِيهِ ، وَالسَّرُورِ بِهِ ،
وَلَكِنَّ الْمَقْدَارَ يُجْرِي فَيُتَصَرَّفُ مَعَهُ ، وَقَعَ ذَلِكَ بِالْمَهْوَى أَوْ خَالَفَهُ ، وَلَئِنْ كَانَتْ
هَذِهِ حَالِي فِي الْوَحْشَةِ ، إِنَّ أَكْثَرَ ذَلِكَ وَأَوْفَرَهُ لِفِرَاقِكَ وَمَا بَعُدْنَا مِنَ الْأَنْسِ
بِكَ ، فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لَنَا اجْتِمَاعًا عَاجِلًا فِي سَلَامَةٍ مِنَ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ ،
وَعِظْمَةٍ مِنَ الْحَالِ ، وَغَنَى عَنِ الْمَطَالِبِ بِرَحْمَتِهِ » . (اختيار المظوم والمشور ١٣ : ٣٢٥)

١٦١ - كتاب له في الشوق

« كتابي والله يعلم كيف وَحَشْتِي لَكَ ، لا أَوْحَشَكَ اللهُ مِنْ نِعْمِهِ ، ولا فَرَّقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَافِيَتِهِ ، وكان مما زاد في الوَحْشَةَ أَنَّهَا جاوزت الأملَ المتَمَكِّنَ في الأُنْسِ بقرب الدار ، وتَدَابِي المَزَارِ ، نَحْمَدُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على نِعْمِهِ ، ونَسْتَدِينُهُ لَكَ وَلَنَا فِيكَ أَجْمَلَ بِلَاءِهِ ، ونَسْأَلُهُ أَلَّا يُخْلِيَكَ مِنْ شُكْرِهِ وَمَزِيدِهِ ، ولو كُنْتُ في كل يوم أكتبُ إِلَيْكَ كتاباً ، بل لو شَخَصْتُ نَحْوَكَ قاصداً ، لكان ذلك دونَ الحقِّ ، ولكنني غَلِقْتُ^(١) بما تَعَلَّمُ مِنَ العَمَلِ ، وأَكْرَهُ أَنْ أَتَاعَ كِتَابِي فَأَسْأَلَكَ سَبِيلاً مِنْ سُبُلِ الثَّقَلِ ، وَأَقِفُ بِمَنْزِلَةِ تَوْسِطِي ، أَرْجُو أَنْ أَسْلِمَ بِهَا مِنَ الجَفَاءِ وَالإِبْرَامِ ،^(٢) وَأَنَا وَإِنْ أَبْقَيْتُ عَلَيْكَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي شُغْلِكَ ، فَلَسْتُ بِمَمْتَنِعٍ مِنْ مَسْأَلَتِكَ التَّطَوُّلَ بِتَعْرِيفِي جِهَةً مِنْ خَيْرِكَ أَسْكُنُ إِلَيْهَا ، وَأَعْتَدُ بِالنِّعْمَةِ وَأُحْمَدُ اللهُ عَلَيْهَا . » (اختيار النظم والمثور ١٣ : ٣٧٥)

١٦٢ - كتاب آخر

« كتابك ليس من الحق أن أسألكه في كل ما تفد لي رسولاً ، ومن الجفاء^(٣) أن أعفبك منه في كل وقت ، ولكن أسألك بنا سبيلاً بين السبيلين نخرج نحن وأنت بها من حدِّ المبرمين ، وتخرج أنت بها من حدِّ الجفاء . » (اختيار النظم والمثور ١٣ : ٣٧٥)

(١) من علق الرهن : إذا لم يفتكك في الوقت المشروط ، والمعنى أني مقيد بقيود من العمل لأحدٍ منها ، مرهق ما شِئوا على الحمة التي ملكت على أوقاي .

(٢) أمره : أصحره . (٣) في الأعمال رسول من الجفاء ... »

١٦٣ - كتاب آخر

« أنا أتعمد في كتبي إليك ما يخف ويسهل عليك ، فأمسك عن الكتاب أحياناً بالإبقاء^(١) ، وأكتب أحياناً لئلا يتوهم على الجفاء ، فإن يجر الأمر عندك فيها هذا المجرى ، وإلا فالاستعاب قريب ، ومتابعة الكتب على سهل ممكن » . اختيار (المطوم والمشور ١٣ : ٣٧٥)

١٦٤ - كتاب له في توصية

« من شكر فقد قضى حق النعمة ، واستوجب من المنعم الزيادة ، وقد شكر فلان ما وعدته في حاجته ، فاستوجب الإنجاز بالشكر ، وكل ما ناله من مرفق وحظ فهما واصلان إلى دونه ، فأحب أن تأتي في أمره ما أنت أهله » . (اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣٨٣)

١٦٥ - كتاب له في الاعتذار

« من قبل عذر في ترك إجابته فلا قبل الله عذره ، ومن حسن أمر في ترك ابتداءه بالكتاب فلا حسن الله أمره ، فإنك الآن بفضل حدقك أردت أن تحفوني بحجة ، وتقصّر في برّي يرهان قاطع يقوم عند الجاهل - غيرك - مقام المقبول من الأمر ، ولكنه إذا تصفحه أهل النظر علموا

(١) أي سبب الإبقاء عليك ، والإشفاق من الزيادة في شعك ، لعلى بكثرة أعمالك .

أنه طَرَف من الحيلة استعملته ، وطريق من الغدر سلكته ، والله إن في طمعك في أن أقبل إقرارك بالعجز عن إجابتي ، لمساومة منك بعقلي ، وتشكيك لي فيما تحيط به معرفتي ، وثقرت لي بالجهل من حيث شهدت بالعلم لي ، وأبلغ المناقضة ما لم تطل فيه المجاذبة ، وما استشهد فيه على المنازع من قوله ، وعُدل عن التماس الدليل من جهة تُبعد بينه وبين صاحبه ، فد صدقت - أعزك الله - في كل ما قدمت من الدعوى ، وفلجنت^(١) فيما ذهبت إليه من الحجّة ، وعجزت بالحقيقة عما اتحمت العجز عنه في الظاهر . فقد كتبت إلى كتابا لم تعد فيه طريق العادة ، هو كتابنا هذا ، فاكتب الآن الجواب ، وأنت محمود يا صليفا^(٢) ، وحسبي من معاتبتك ، فليس يجب للفارغ أن يكلف المشغول النظر في أكثر من هذا المقدار من كتابه فيما لا يجدي ولا يعود بحظ . (احسا المظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٠)

١٦٦ - كتاب تعزية له

« إذا استوى المعزى والمعزى في النائية ، استغنى عن الاكتار في الوصف لموقع الرزية . والعذر في التأخر يكاد ظهوره ينبئ عن التنبيه عليه ، وأنت أولى بما تطول به في قبوله . وأنا أقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إقراره بالهلكة واعترافه بالرجوع إليه ، وانسحابه لقضائه ، ورضا بمواقع أقداره ، وأسأل الله أن يصلي على محمد صلاة متصلة بركاتها ، وأن يوفقك

(١) أي اتصرت وطهرت .

(٢) الصلف بالمدح : محاور . من الطرف والادعاء فرق ذلك كذا .

لما يُرْضِيهِ عَنْكَ قَوْلًا وَفِعْلًا ، حَتَّى يُكْمِلَ لَكَ ثَوَابَ الصَّابِرِ الْمُحْتَسِبِ ،
وَجَزَاءَ الْمُطِيعِ الْمُتَنَجِّزِ لِلْوَعْدِ ؛ وَيَرْحَمُ فُلَانًا وَيُجِدِّدُ أَعْلَى مَنَازِلِ أَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ
رَضِيَ سَعِيهِمْ ، وَتَطَوَّلَ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ ، إِنَّهُ وَلِيُّ قَدِيرٍ «
(اختيار المظوم والشور ١٣ : ٣٠٦)

١٦٧ - كتاب تعزية له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وكتب تعزية إلى محمد بن عبد الله بن طاهر عن بعض أوليائه :
« ورد على الخبر - أعز الله الأمير - بحديث قضاء الله في الولي الناصح ،
المطيع الشاكر ، فلان - رحمه الله - فكان وقع المصاب به على حسب علمي
بمحله كان من الأمير وما يراه من حق طاعته ونصيحته ، وما يجرى
عليه من أدبه وسلوك نهجه ، والتمسك بأمره ، وما يوجبه الأمير لمن وسمه
بمعروفه ، وشرفه باختياره ، واختصه بالقرب من خدمته ، هذا مع ما أخلص
الله بيني وبينه من المودة الصادقة ، والثقة الصحيحة التي بعثنا على التمسك
بجبل الأمير ، والاتصال بأسبابه . والوقوف في ظله ، فإن الله عز وجل
جعل ذلك سببا يجمع أهله ، وإن اختلفت بهم الأسباب ، وتفرقت بهم
الديار ، وتباعدت الأشكال .

وأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزل له الثوبة والدخر ، وجعل الله
الأمير وارث أعمارنا ، والباقي بعدنا ، والمؤمل خلفونا وأعقابنا ، ورحم الله
أبا فلان ونقله إلى جنته التي لا يجاوزها أمل ، ولا يوازيها خطر ، فما أكاد
أشهد مشهداً من مشاهد التمييز والنظر ، إلا وهم شاهدون له بالفضل الذي

شرفه به اصطناعُ الأمير واختياره والنصيحةُ له ، وقدمه الله به على
أكفائه^(١) ، فلقد رفعه الله به إن شاء الله في حياته [وأورثه^(٢)] ثناءً جميلاً
بعد وفاته . (احيار المطوم والمشور ١٣: ٣٠٧)

١٦٨ - تعزية له في مثله

« لولا أن التعزية على المصائب سبيل لا يُنكر على مثلي من خدم
الأمير وعبيده سلوكها ، لأجلتُ الأمير أن أذكره من الصبر وحسن العزاء
بما أعلم أنه بفضل نعمة الله عليه ، وما خوّله من العلم الذي جعله به قدوة ،
وإنما أسأل الله عز وجل أن يوفق أمير المؤمنين لما يُعظم به أجره ، ويجزل
به منوبته ، ولا يهد له ركنا ، ولا يريه في شيء من عواريه لديه ومناجحه نقصاً
ولا غيراً ، ولا تبديلاً ، بمنته ولطفه » . (احيار المطوم والمشور ١٣: ٣٠٧)

١٦٩ - كتاب له

وكتب :

« شغلك يقطعنا عن مطالبتك بالحق في جوابات كتبنا إليك ، وصدق
مودتنا لك يمنعنا من التقصّي في الحجّة عليك ، ومن يكلك إلى رأيك فإنه
لا يفي بك إلا لك ، صلة إخوانك والتعاهد لهم من برّك بما يشبه فضلك
والنعمة عليهم فيك .

(١) في الأصل « والصحة له التي قد الله به على كفايه ، وهو تحريف .

(٢) ردت هذه الكلمة لتستقيم العارة .

وفلان بينى وبينه مودة أقدمه بها على الأخوة ، لأنك تعلم قُرب ما بين
المودة والقرابة ، وقد بَلَّوْهُ^(١) على الحالات كلها ، فلم يزدنى اختباره إلا
اختياراً له ، ولا أعلم بالعسكر جليلاً إلا وهو لى صديق ، يشكر بشكره ،
ويوجب على نفسه المنّة فيما آتى إليه ، فأما من بين إخوانه فلست أعدل عن
قضاء حقه ، ولا أتأخر عن معروف أسدى إليه ، فإن رأيت أن تُحِلَّهُ بِالْحَلِّ
الذى يستحقه بنفسه وسلفه ، فوالله ما رأيت سوق الأحرار أتفق^(٢) منها
عندكم ، أهل البيت ، أبقى الله تبارك وتعالى بإقيمكم ، وَرَحِمَ مَاضِيَكُمْ .

(اختيار المطوم والنور ١٢ : ٢٥٦)

١٧٠ - تحميد له في فتح

وله تحميد في فتح عن وصيف :

« أما بعد ، فالحمد لله الحميد المجيد ، الفعّال لما يريد ، الذى خلق الخلق
بقدرته ، وأمضاه على مشيئته ، ودبره بعلمه ، وأظهر فيه آثار حكيمته التى
تدعو العقول إلى معرفته ، وتشهد لدى الأبواب برؤيته ، وتدل على
وحدانيته ، لم يكن له شريك فى ملكه فينازعه ، ولا معين على ما خلق
فتلزّمه الحاجة إليه ، فليس يتصرّف عباده فى حال إلا كانت دليلاً عليه ،
ولا تقع الأبصار على شى إلا كان شاهداً له ، بما رسم فيه من آثار صنعه ،
وأبان فيه من دلائل تدبيره ، إعداراً بحجّته ، وتطوّلاً بنعمته ، وهدايةً إلى
حقه ، وإرشاداً إلى سبيل طاعته » وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ

(١) بلاه بلوه : اختره .

(٢) أى أروح .

أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ .»

والحمد لله العزيز القهار ، الملك الجبار ، الذي اصطفى الإسلام واختاره ،
وارتضاه وطهره ، وأعلاه وأظهره ، فجعله حُجَّةَ أهله على من شاقهم ^(١) ،
ووسيلتهم إلى النصر على من عند ^(٢) في حقهم ، وابتغى غير سبيلهم ، وبعث
به رساله يدعون إلى حقه ، ويهدون إلى سبيله بالآيات التي يبينون بها عن
المخلوقين ، ويوجبون بها الحججة على المخالفين ، حتى انتهت كرامة الله إلى
خاتم أنبيائه ، وحامل كتابه ، ومفتاح رحمته ، صلى الله عليه وسلم ، على حين
فتره من الرسل ، واختلاف من الملل ، ودثور ^(٣) من أعلام الحق ، واستعلاء
من الباطل ، والناس عاندون عن سبيل ربهم ، يتسافكون دماءهم ، ويحثلون
ما حرم الله عليهم ، ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، وأيده
بالبرهان الواضح ، والحجج القواطع ، والآيات الشواهد ، وأنزل عليه كتابه
العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم
حميد ، وجعل فيه أوضح الدليل على رسالته ، وأعد الشواهد على نبوته ،
إذ عجز المخلوقون عن أن يأتوا بمثله على مر الأيام ، وكثرة الأعداء
والمنازعين ، يتحداهم به في المواسم ، ويقصدهم بحجته في المحافل ، ولا يزدادون
عنه إلا حسوراً ^(٤) وعجزاً ، ولا تزداد حجة الله عليهم إلا تظاهراً وعلواً ،

(١) أي حالهم وعاداهم .

(٢) أي مال .

(٣) دثر الأثر كدحل دثوراً : درس .

(٤) أي كلالاً وانقطاعاً .

ثم أيده بالنصر بأنصار ألف بينهم بطاعته ، وجمعهم على حقه ، ولم شعتمهم
بنصرة دينه ، بعد الشقاق المتصل بينهم ، والحرب المفرقة لجماعتهم ، كما قال
عز وجل : « هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ » وقدم إليه وعده بالنصرة
والتمكن ، فجعله بشرى للمؤمنين ، وحجة على الكافرين ، ودليلا على ما
بعثه به من الدين ، فهزم بالقليل من عددهم الكثير من عدد أعدائهم ، وغلب
بضعفائهم أهل القوة ممن ناوأم^(١) . فقلَّ به حدُّهم ، وفضَّ جموعهم ، وافتتح
حصونهم وحرير^(٢) معاقليهم ، وأظهر بحجته ونصره عليهم ، وأنجز سابق
وعده لهم وفيهم ، وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ .

(اختيار المطوم والمتور ١٣ : ٢٨٢)

١٧١ - فصول لسعيد بن حميد في المودة

وكتب سعيد بن حميد :

« إني أهديت مودتي رغبةً إليك ، ورضيتُ بالقبول منك مَثُوبَةً ،
فصرتَ بقبولها قاضيا لحقِّ ، ومالكاً لِرِيقٍ ، وصرتُ - بالاسرع إلى الهدية ،
والتخير للمثوبة - مُرْتَهَنَ اللسان بالرضا ، واليدين بالوفا » .



وفصل له :

« إني صادقتُ منك جوهر نفسي ، فأنا خير محمودٍ على الاتقياد لك بغير
زِمَامٍ ، لأن النفس يقود بعضها بعضا » .

(١) أي عادم .

(٢) الحرير : الحصين ، والمقل كجلس : اللعاب .



وفصل له :

« لسانى ترطب بذكرك ، وقلبي معمور بحببتك ، حضرت أو غبت ،
سيرت أو أقت » . (العقد المرید ٢ : ١٩٢)

١٧٢ - كتاب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد

وكتب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد :

« أكره - أظال الله بقاءك - أت أضعك ونفسي موضع العذر
والقبول ، فيكون أحدنا معتذرا مقصرا ، والآخر قابلا متفضلا . ولكن
أذكر ما في التلاقي من تجديد البر ، وفي التخلف من قلة الصبر ، وأسأل الله
تعالى أن يوفقك وإيانا لما يكون منه عُقبى الشكر » .

١٧٣ - رد سعيد بن حميد عليه

فأجابه سعيد بن حميد :

« وصل كتابك - أكرمك الله تعالى - الحاضر سروره ، اللطيف
موقعه ، الجميل صدوره ومورده ، الشاهد ظاهره على صدق باطنه ، ونحن
- أعزك الله - نجعل عزاءك الاعتراف بفضلك ، ومجازاتك التقصير دونك ،
ونرى أن لا عذر في التخلف عنك وإن حال الاشتغال بيننا وبينك ، فإن
كنت ساحت على العذر قبل الاعتذار ، وسبقت إلى فضيلة الاعتذار ،

فلا زلت على كل خير دليلاً ، وإليه داعياً ، وبه آمراً ، وقد التقينا قبل وصول كتابك لقاءً أحدثَ قطراً^(١) ، وهاجَ شوقاً ، وأرجو أن تتسع لنا الجمعة بما فاضت به الأيامُ ، فننالَ حظاً من محادثتك والأُنسِ بك .

(زهر الآداب ٣ : ٣٦١)

١٧٤ - كتاب لسعيد بن عبد الملك في السلامة

« أما بعدُ ، فإن أوَّلَى نعمةٍ تُشكر وتُقْبَلُ ، نعمةٌ خَصَّتْ فاستقامت بها الأمورُ ، واقعةٌ بمصالحها ، جاريةٌ على أقصد^(٢) سُنَنِهَا ، وأجملِ ما ولى اللهُ به منها ، وعَمَّتْ فَالْفَتِ البَشَرَ ، وجمعتِ الكلمةَ ، وآمنتِ السَّرْبُ^(٣) ، ومكنتِ بها الدَّهْمَاءُ^(٤) .

وإن أمير المؤمنين كتبَ إليك ، وهو من ترادفِ النعمِ الخاصَّةِ عنده في نفسه وولده وأدانيه وأوليائه ، من شمولِ السلامة والنعمة والصَّنْعِ وتابعه في رعيته وأموره بحضرتِه وقاصيته وكذا ...

فاللهُ يتولى لأمير المؤمنين في ذلك شكرَ تفضُّله ، وإليه الرغبةُ في إدامة أحسنِ ما أنعم به عليه ، إنه ولىٌّ قديرٌ .

(اختيار المطوم والمشور ١٣ : ٣٦٦)

(١) أى قطر النعوع ، كناية عن شدة تأمير اللقاء .
(٢) أى أقوم ، أفعل من القصد وهو استقامة الطريق .
(٣) السرب : النفس .
(٤) الدهماء : جماعة الناس .

١٧٥ - كتاب له في سلامة الفطر

« أما بعد ، فإن الله هو وليُّ أمير المؤمنين فيما استحفظه من النظر في سياسة عباده ومراعاة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامة شرائع دينه ، ودلالة الأمة إلى مَراشِدِها في قضاء حق الله عليها ، وجمعها في المواطن التي ندبها إليها ، وجعل نَوَافِلِ^(١) الخير والبرِّ فيها ، فأدام الله صلاحها ، ولا أخلاها من بَرَكَرعايته ، ومن ولايته وسياسته ، ولا زالت في كَنَفِ السلامة بِسلامته ، وظِلِّ العافية بعافيته ، وعلى سبيل نِجاة هدايته .

وقد كتبتُ إلى أمير المؤمنين فيما وليه الله به في نَحْرَجِه إلى عِيده من يوم فِطْرِه ، وما وَفَّقَه له من التقرب إليه بوسائل التذلل في طاعته ، والاجتهاد في شكره ، والمناصحة في مخاطبة مَنْ حَضَرَه ، وإنصاتهم لوعظه وتذكيره ، وما وليه الله به من العافية والسلامة الشاملة ، والنعمة الكامِنة (والسلامة^(٢) التامة) والعزموصول بالسكينة ، والإخبات^(٣) والخشوع . وحُسن الرغبة والدَّعة والوقار والاستغفار والتكبير والتهيل ، وما منحه الله من كثرة الدعاء ممن شاهد من خاصته وعامته ، ومن أوفى من البلدان والأمصار ، وآتاه من تَقَرُّعِهِمْ لشكر النعمة عليهم ، وأفرشهم^(٤) من عدله وإحسانه ، وفضله وامتنانه ،

(١) النافلة : العطفية .

(٢) هكذا في الأصل ، وبلاحظ أن كلمة « السلامة » قد قدمت ، فعمله سهو من الناسخ ، أو قد

يكون الأصل « والسلطة التامة » .

(٣) أخبت : خشع وتواضع .

(٤) من أفرش فلانا بساطا : إذا بسطه له كفرته .

وأعانهم على ما كانوا يتشوقون^(١)، ويُعيدون له في أعيادهم، من رفع حوائجهم
وذكر مظالمهم، منّا من الله خصّ به خليفته، وأعطاه فضل مزيته، بما
وقفه له من العدل والنصفة، والبرّ والمرحمة، والعطف^(٢) والرافة، كتاباً
أمرت بنسخه لك آخر كتابي هذا، فافعل وافعل... والسلام» .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٢٧١)

١٧٦ - كتاب له في الاعتذار

« لحظك الله بمغفرتك، وعاد عليك وعلينا بعفوه، فنسأل الله ما لا يقبله
على العلم والقدرة غيره، لو بدلت مكان سوء الظن أحسنه، وتيقنت أن قليل
ما يلم بصدقي - مما يظرف عينه، ويؤذيه سماعه، دون ما يخاف من لواحق^(٣)
عيبه - لا يزال خلدي الاهتمام به، حتى يجعل الله مخرجاً، كنت رويحت
عن قلبك وعنّي في استبطائك» . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٨٦)

١٧٧ - تعزية لسعيد بن جبلة الملك

« لكل معزٍ - أعزّ الله الأمير - سبيل في موقفه من التعزية والعزاء،
وحق الأمير لا يقضيه طول السعي فيه . لجلالة خطره، وعظيم قدره،
وكل ما أدّى إليه منه فهو دون ما يجب له (وما^(٤) قصّر عنه) لفضل منزلته،

(١) تشوق إليه : اطماع .

(٢) في الأصل « والمطة » وهو محريف .

(٣) في الأصل « من لواحق عيبه » وأراه محرفاً .

(٤) ما هنا نافية، والجملة حالية .

وارتفاع مزيد النعمة عليه وتواليها^(١) ، فإن النعم على الأمير متكاملة قد وفرت
عن الجزع لحادث المصيبة ، وذلته بالتقوى لخالص الشكر ، وعلت به في كل
أمر يحدث له أو عليه ، وحطت درجة مثلى عن تعزيتة إلا بالدعاء ، فثبتت
الله الأمير بعزيمة الصبر ، ووفاه متكامل الأجر ، وزاده في مدة العمر ،
ولا أخلاه في السراء والضراء من نعمة تثبتته على شكر يجمع له به ذخائر
البر ، ووهب لميته رضوانه ومغفرته ، وبرّد عفوه في جنته التي لا يجاوزها
أمل ، ولا يبلغها خطر . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٢)

١٧٨ - تعزية له

« المصائب - أكرمك الله - هدايا لقوم ، وبلايا على آخرين ، فجعلك
الله من عقل ، عند ما استعمل الشكر عند الإمتاع ، والصبر عند الارتجاع .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٧)

١٧٩ - كتاب له في توصية

« للمودة أسباب تؤدي إلى اتصال المحبة ، واجتماع المودة ، واتساق نظم
الأخوة وكتابي هذا من أسبابها القوية ، إذ كان في سبيل البرّ والثوبة ،
ولفلان قبلك حاجة ، فافعل وافعل . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٣)

(١) في الأصل « وتواهيها » وهو تحريف .

١٨٠ - كتاب آخر

« كتابي إليك لك، فإن قبيلته كان شبيها بكرمك ونعمة الله عندك ،
وما أقبل منك إلا أن تقبله ولا تؤخره ، وهو أنك قد عرفت ما يجب لفلان ،
وما كتبتُ به له ، وما أرجع عليه بلوِّم في حسن ظنِّه بك ، وصبره
عليك ، ووفائه لك ، ولا أرضى منك أن تغفل عنه ، وأن تجعل حاجته فيما
تدافع به أو تعتلُّ فيه ، فقد ضمنتُ له عنك أن يكون جوابه النُّجْح ، وقد
اقتصر على كتابي واقتصرت له عليه ، وأرجو ألا تُخِلَّ به ، ولا تردّه بغير
حظ إن شاء الله » . (اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣٩٣)

١٨١ - كتاب له في إطلاق محبوس

« معرفتي أنك لا تجاوز في العقوبة سبيلها من مواقع الأدب بالحق ،
تحمِلُنِي على مسألتك ما أنت مُوجِبٌ له ، والدُّكْرَى تنفع المؤمنين ، ولولا
ذلك لاستغنى صاحبُ كتابي عنه ، فإن كان ذنبه صغيرا ، فالعقوبة يُخرجه
من حبسه ، وإن كنت تناهيت في حبسه إلى مدة ذنبه ، فالحقُّ يُخرجه ،
وكتابي متقاضٍ لك » . (اختيار المنظور والمشور ١٣ : ٣٩٤)

١٨٢ - كتاب له

وكتب سعيدُ بن عبد الملك :

« كتبتُ - على شغلٍ - في قطع من القرطاس ، ولم يقطع بي حسن

الظن بك في قبولك العذر ، وتحسينك ما أنت أهل لتحسينه ، فإنك تقبل
دون حَقِّك ، وتَهَبُ الذنبَ فيه ، فيكون شكرك جارياً على سبيلين ، كلاهما
يُبين لك عن فضلك ، ويوجب لك ما لا يقصرُ معه إلا مغبونُ الحظِّ ، خسيسُ
النصيبِ . (اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ٢٦٤)

١٨٣ - ومن فصوله

فصل له :

« أنا صبَّبْتُ إليك ، سامي الطرفِ نحوكَ ، وذِكْرُكَ مُلصَقٌ بلساني ،
واسمُّكَ حُلَّةٌ لي لهَوَاتِي ^(١) وشخصُكَ ماثلٌ بينَ عيني . وأنتَ أقربُ الناسِ من
قلبي ، وآخذُهم بِمَجَامِعِ هَوَايَ . »

وفصل له :

« لنحنُ أحقُّ بابتدائك بما ابتدأنا به من الصلَّة ، إلا أنك أحقُّ
بالفضل الذي سبقنا إليه . » (السد الرد ٢ : ١٩٢)

١٨٤ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المعتز

وصفَّق أمرُ المستعِين بِضَعْفٍ ، والمعتزُّ يَقْوَى . ولما رأى ذلك محمد
ابن عبد الله بن طاهر كاتبَ المعتزِّ . وَجَّحَ إليه ، ومال إلى الصَّاحِ على خلع

(١) لهوات جمع لهاء : وهي اللعنة المنسوبة على الخاق .

المستعين ، وكانت عاقبة أمره أن خلع نفسه من الخلافة وبيع للمعز (سنة ٢٥٢) فأخذ له ابن طاهر البيعة ببغداد ، وأشهد عليه الشهود من بني هاشم والقضاة والفقهاء والقواد ، وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم ، ووجه ذلك مع أخيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر إلى المعز بسامرا ، وكتب إليه :

« أما بعد ، فالحمد لله متمم النعم برحمته ، والمهادي إلى شكره بفضله ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله الذي جمع له ما فرّق من الفضل في الرسل قبله ، وجعل تراثه راجعا إلى من خصّه بخلافته وسلم تسليما .

كتابي إلى أمير المؤمنين ، وقد تمّ الله له أمره ، وتسلمت تراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان عنده ، وأنقذته إلى أمير المؤمنين مع عبيد الله بن عبد الله مؤلى أمير المؤمنين وعبيده . »

(تاريخ الطبري ١١ : ١٣٧)

وجاء في مروج الذهب للمسعودي :

وقدم على المعز عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبردة والقضيب والسيف ويجوهر الخلافة ومعه شاه . الخادم ، وكتب محمد ابن عبد الله إلى المعز في شاهك :

إن من آتاك بإرث رسول الله صلى الله عليه وسلم جديرا أن لا تحفر

ذمته^(١) « (مروج الذهب ٢ : ٤٢٠)

ثم أخذ المستعين إلى « وابطط » وقتل في شوال من سنة ٢٥٢ هـ

(١) أخبره : تفض عهده وغدره .

١٨٥ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عمال النواحي

ولما أفضت الخلافة إلى المعتز ، أمر العقداً لأنصاره على النواحي ، وأطلقهم في أشعار أعدائهم وأبشارهم^(١) ودمائهم . فلما بلغ محمد بن عبد الله ابن طاهر ما أمر به في النواحي أنشأ كتاباً نسخته :

« أما بعد ، فإن زَيْغَ الهوى صَدَف^(٢) بكم عن حَزْمِ الرأى ، فَأَقْحَمَكُم^(٣) حَبَائِلَ الخَطَا ، ولو مُلْكُكم الحقُّ عليكم ، وحكمتُمُ به فيكم ، لَأَوْرَدَكُم البصيرةَ ، ونفى عكم غيابة^(٤) الحيرة ، والآنَ فإن تجنحوا^(٥) للسلِّم تحقنوا دماءكم ، وترغدوا عيشكم ، ويصفح أمير المؤمنين عن جريرة^(٦) جارمكم ، وأخلى لكم ذرورة سُبُوغِ النعمة عليكم ، وإن مَضِبْتُم على غُلُوَائِكُم^(٧) ، وسوَّل لكم الأملُ أ-وأعمالكم ، فأذِنُوا^(٨) بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بعد نَبَذِ^(٩) العذرة إليكم . ر إقامة الحجة عليكم ، ولئن شنت الغاراتُ ، وشبَّ ضِرَامُ^(١٠)

(١) أشعار: جمع شعر كشمس وسبب ، وهو معروف ، وأشار: جمع شر كسب : وهو طاهر الخلد جمع شرة كرقعة ، والمعنى : أراح لهم صرهم وخلصهم .

(٢) صدف عنه كصرف : أعرض ، وصدفه : صرفه .

(٣) أى رى بكم .

(٤) عيانة كل شىء ما استرك منه .

(٥) تحجوا : تملوا .

(٦) الحريرة : الدب ، وحرم كصرف وأحرم : أدب ، وسووع النعمة : اساعها .

(٧) الغلواء : اللوؤ .

(٨) أى كونوا على علم بها ، من أدن نالنى كسمع : علم .

(٩) أى عديم ، وأصل السد . الطرح .

(١٠) شب : أورد ، والصرام : دفاق الحطب الذى يسرع اشتعال النار فيه .

الحرب ، ودارت رحاها على قُطبها ، وحسَمَتِ^(١) الصوارِمُ أوصالَ مُحامِتها ،
واستجرتِ العوَالِي^(٢) من نَهَمِها ، ودُعِيَتِ نزالِ^(٣) ، والتحم الأبطالُ ،
وكلَّحت^(٤) الحربُ عن أنيابها أشداقها ، وألقت للتجرُّد عنها قناعها ، واختلفت
أعناق الخيل ، وزحف أهل النجدة إلى أهل البغي ، لتعلمن أي الفريقين أسمعُ
بالموت نفساً ، وأشدُّ عند اللقاء بطشاً ، ولات حينَ معذرةٍ ، ولا قبولِ
فديةٍ ، وقد أَعذَرَ مَنْ أُنذَرَ ، وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .
(تاريخ الطرى ١١ : ١٤٩)

١٨٦ - رد الأتراك على كتاب ابن طاهر

فَبَلَغَ كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَتْرَاكِ فكَتَبُوا جَوَابَ كِتَابِهِ :

« إِنَّ شَخْصَ الْبَاطِلِ تَصَوُّرُكَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ ، فَتَخِيلُ لَكَ الْغِيَّةَ
رُشْدًا ، كَسَرَابٍ بَقِيْعَةٍ^(٥) يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْئًا ،
وَلَوْ رَاجَعْتَ عُزُوبَ^(٦) عَقْلِكَ ، أَنَارَكَ بِرَهَانِ الْبَصِيرَةِ ، وَحَسَمَ عَنْكَ مَوَادَّ

(١) حسمت : قطعت .

(٢) العوالي : جمع عالية : وهي أعلى الريح ، والحرة بالكسر : ما يهيج به العير من نطه وأكله
ثابته ، وقد احتز وأحز ، ولم يرد في كتب اللغة استخرج بهذا المعنى .

(٣) نزال : معدول عن الماراة في الحرب ، ولذا أت ، قال الشاعر :

ولعم حشو الذرع أت إذا دعيت نزال ولح في الدعر

وقال آخر :

* فدعوا نزال فكت أول نزال *

(٤) الكلوح : بدو الأسنان عند العوس ، وفعله كعب .

(٥) السراب : ما تراه نصف النهار ، كأه ماء ، والبقعة : جمع قاع : وهو أرض سهلة مطشاة قد
امرحت عنها الجمال والآكام .

(٦) العزوب : العيبة والذهب ، أي عقلك الذاهب .

الشبهة ، لكن حصت^(١) عن سنة الحقيقة ، ونكصت على عقبيك ، لما
ملك طباعك من دواعي الخيرة ، فكنت في الإصغاء لهتافه ، والتجرؤ
إلى وزوده ، كالذي استهوته الشياطين في الأرض حبران ، ولعمرك يا محمد :
لقد ورد وعدك لنا ، ووعدك إيانا . فلم يدتنا منك ، ولم يئتنا عنك ، إذ كان
فحص اليقين قد كشف عن مكنون ضميرك ، وأفاك كالمكتفي بالبرق نهجاً
إذا أضاء له مشى فيه ، وإذا أظلم عليه قام ، ولعمرك لئن اشتد في البنى
شأوك^(٢) ، ومثمت بصباية من الأمل ، ليكون أمرك عليك نعمة ،
ولنايتك يجنون لاقية لك بها ، ولنخرجك منها ذليلاً وأنت من
الصاغرين ، ولولا انتظارك كتاب أمير المؤمنين بإعلامنا مانعاً في
شاكلته^(٣) ، بلغنا بالسياط النياط ، وعمد "سيوف" وهي كالة ، وجد لنا عالماً
سافلاً ، وجمانها مأوى الضالمان^(٤) وحيات والبوم ، وقد ناديناك من
كثب^(٥) ، وأسمعناك إن كنت حياً ، فإن تجب تفلح ، وإن تاب إلا
غياً نخزك به ، وعمّا قليل لتصبحن نادمين . (تاريخ الطرى ١١ : ١٥٠)

(١) حص عنه يحص : عدل وحاد ، والسنة : الطريقة ، ونكص على عقبيه : رجع عما كان عليه
من خير ، حاص بالرجوع عن الخير ، أو في شعر نادر .

(٢) الشأو : السق والناية ، والصباية : النقية .

(٣) الشاكلة : الطريقة والمدب ، والنياط : عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه .

(٤) الضالمان : جمع ظلم : وهو ذكر النعام .

(٥) أي من قرب .

١٨٧ - كتاب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمود الإسكافي

وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي^(١)
وزير المعتز بالله - وكان العزيم يختص به ويتقرب إليه قبل الوزارة - :
«مازلت - أيديك الله تعالى - أذمُّ الدهر بدمك إياه ، وأنتظر لنفسي ولك
عقباه ، وأتمنى زوال من لا ذنب له إلى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله ،
وأترك الإعذار في الطلب ، على الاختلال الشديد ، ضننا بالمعروف عندي إلا
عن أهله ، وحبسًا لشعري إلا عن مستحقته .»

١٨٨ - رد جعفر على محمد بن عباد

فوقع في كتابه :

« ! أوخر ذكرك ناسيا لحظاك ، ولا هُملا لواجبك ، ولا موهنا لهمم
أمرك ، لكني ترقمت اتساع الحال ، واتساح الأعمال ، لأخصك بأسناها
خطرًا ، وبأجله فدرًا ، وأعودها نفعًا عليك ، وأودعها رزقًا لك ، وأقربها
مسافةً منك ، فإذا كنت ممن تحفره^(٢) الأعمال ، ولا يتسع له الإمهال ،

(١) انظر حره في المعرى ص ٢٢١ ، وفي رهر الآداب أنه ابن محمد وهو تحريف ، وصوابه ابن محمود كما في المعرى ، ويبدل على ذلك معناه فيه ص ٢٢٢ : « واستورره المعتز ثابته ، ولما تولى الوزارة في المرة الثانية قال بعض الشعراء :

يا نفس لا تولى تصيد وعلى الفل بالمواعيد

وانتظري قدر أيت مساقه الله إلى جعفر بن محمود

وفي تاريخ الطبري أنه جعفر بن محمود أيد - انظر ح ١١ : ص ١٦١ .

(٢) في الأصل « تحفره » وهو تصحيح ، وصوابه « تحفره » كما أثبتته ، من حفره كصره أي دمه وأجمله .

فسأختر لك خيراً ما يشير إليه الوقت ، وأنعم^(١) النظر فيه ، فأجعله أول ما أمضيه . (زمر الآداب ٣ : ١٩٨)

١٨٩ - كتاب ابن طاهر إلى عماله

وفي سنة ٢٥٣ هـ مات محمد بن عبد الله بن طاهر - وكانت علته التي مات فيها قروحا أصابته في حلقه ورأسه فذبخته - واستخلف محمد قبل موته أخاه عبيد الله على أعماله ، ووصى بذلك وكتب به إلى عماله ، ثم وجه المعتر الخلع وولاية بغداد إلى عبيد الله .

وهذه نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بن عبد الله إلى عماله باستخلافه أخاه عبيد الله بعده :

« أما بعد ، فإن الله عز وجل جعل الموت حتماً مقضياً جارياً على الباقيين من خلقه ، حسب ما جرى على الماضين . وحقيق على من أعطى حظاً من توفيق الله أن يكون على استعدادٍ لحلول ما لا بد منه ، ولا يحيص^(٢) عنه في كل الأحوال .

وكتابي هذا : أنا في الله قد امتد الإشفاق منها ، وكاد الإياس يغلب على الرجاء فيها ، فإن يبيل^(٣) الله ويدفع فيقدرته وكريم عادته ، وإن يحدث بي الحدث الذي هو سبيل الأولين والآخريين ، فقد استخلفت عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، أخي الموثوق باقتفائه أثرى ، وأخذه بسد ما أنا بسبيله من

(١) في لسان العرب : أعم الطر في الشيء : إذا أطال العكرة فيه ، وفيه أيضاً وفي القاموس : في الأمر بالغ .

(٢) أي لا يمر ولا مهرب منه

(٣) أي يرى ، من بل من مرصه إذا برأ وأبل أيضاً .

سلطان أمير المؤمنين ، إلى أن يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه ، فاعلم ذلك وأتمر فيما تتولاه بما تردُّ به كُتُبُ عبيد الله وأمره إن شاء الله .
وكتب يوم الخميس ثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة ٢٥٣ هـ .
(تاريخ الطرى ١١ : ١٥٥)

١٩٠ - رقعة المعتز بخلع نفسه

واضطرب أمر المعتز واضطره الأتراك أن يخلع نفسه ففعل ، وبايعوا بالخلافة محمدا المهدي بالله بن الواثق بالله سنة ٢٥٥ ، ثم قتلوا المعتز ، وكانت نسخة الرقعة بخلع المعتز نفسه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أشهدُ عليه الشهودُ المسَمَّونُ في هذا الكتاب ، شهدوا أن أبا عبد الله ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقرَّ عندهم وأشهدهم على نفسه ، في صحة من عقله ، وجوازٍ من أمره ، طائعا غير مكره ، أنه نظر فيما كان تقلده من أمر الخلافة والقيام بأمر المسلمين ، فرأى أنه لا يصلح لذلك ولا يكملُ له وأنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها ، ضعيف عن ذلك . فأخرج نفسه وتبرأ منها وخلعها من رقبتة وخلع نفسه منها ، وبرأ كلِّ من كانت له في عنقه يعة ، من جميع أوابائه وسائر الناس مما كان له في رقابهم من البيعة والعهود والمواثيق والأيمان بالطلاق والعناق والصدقة والحج وسائر الأيمان ، وخلعهم من جميع ذلك ، وجعلهم في سعةٍ منه في الدنيا والآخرة ، بعد أن تبين له أن الصلاح له والمسامحة في خروجه عن الخلافة والتبري منها ، وأشهد على نفسه بجميع

ما سُمِّيَ ووُصِفَ في هذا الكتاب جميعَ الشهود المسَمَّينَ فيه وجميعَ مَنْ حضر ، بعد أن قُرِيَ عليه حرفاً حرفاً ، فأقرَّ بفهمه ومعرفة جميع ما فيه طائفاً غير مُكْرَه ، وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ .
فوقع المعترف في ذلك :

« أقرَّ أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطه » .

وكتب الشهود شهاداتهم : شهد الحسن بن محمد ، ومحمد بن يحيى ، وأحمد بن جناب ، ويحيى بن زكرياء بن أبي يعقوب الأصبهاني ، وعبد الله ابن محمد العامري ، وأحمد بن الفضل بن يحيى ، وحامد بن إسحاق ، وعبد الله ابن محمد ، وإبراهيم بن محمد . (تاريخ الطبري ١١ : ١٦٢)

١٩١ كتاب الموالي بالكرخ والدور إلى المهتدي

وفي سنة ٢٥٦ هـ انتشر الخبر في العامة أن القوم على أن يخلعوا المهتدي ويفتكروا به ، فتحرك الموالي بالكرخ والدور^(١) ، ووجهوا إلى المهتدي وسألوه أن يوجه إليهم أحد إخوته ، فوجه إليهم أخاه أبا القاسم ، فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمر المؤمنين ، وأنه بلغهم أن موسى بن بغا وبايكباك وجماعة من قوادهم يريدونه على الخلع ، وأنهم يبذلون دماءهم دون ذلك ، وأنهم قد قرءوا بذلك رقاعاً ألقيت في المسجد والطرقات ، وشكروا مع ذلك سوء حالهم وتأخر أرزاقهم ، وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم التي قد أجهفت بالضياع والخراج ، وما صار لكبرائهم من المعاونة والزيادات من الرسوم القديمة ،

(١) الكرخ : محلة بمعداد ، ودور بغداد : موضع بها أيضا .

مع أرزاق النساء والدخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال الخراج ،
وكثر كلامهم في ذلك ، فقال لهم أبو القاسم : اكتبوا هذا في كتاب إلى
أمير المؤمنين أتولى إيصاله لكم ، فكتبوا ذلك .

١٩٢ - رد المهدي عليهم

فكتب المهدي جواب كتابهم بخطه وختته بخاتمه ، وغدا أبو القاسم
إلى الكرخ فوافاهم بكتاب المهدي فقرأ عليهم ، وإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله وصلى على محمد النبي وعلى آله وسلم
تسليما كثيرا ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم وليا وحافظا ، فهيمت
كتابكم ، وسرني ما ذكرتم من طاعتكم ، وما أتم عليه ، فأحسن الله
جزاءكم ، وتولى حياطتكم ، فأما ما ذكرتم من خلتكم^(١) وحاجتكم فعزيرت
على ذلك فيكم ، ولو ددت والله أن صلاحكم يهيبا بأن لا آكل ولا أطعم
ولدى وأهلي إلا القوت الذي لا يسع شيء دونه ، ولا ألبس أحدا من ولدى
إلا ما ستر العورة ، ولا والله - حاطكم الله - ما صار إن منذ تقلدت أمركم
لنفسى وأهلي وولدى ومتقدمي غلماني وحشمتي إلا خمسة عشر ألف دينار ،
وأتم تقفون على ما ورد ويرد ، وكل ذلك مصرف إليكم ، غير مدخر
عنكم ، وأما ما ذكرتم مما بلغكم وقرأتم به الرقاع التي أقيت في المساجد
والطرق ، وما بذلتم من أنفسكم ، فأنتم أهل ذلك ، وأين تعتذرون مما

(١) الخلة : الحاجة .

ذكركم ، ونحن وأتم نفس واحدة ، فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم
وأمانتكم خيرا ، وليس الأمر كما بلغكم ، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله ،
وأما ما ذكرتم من الإقطاعات والمعاون وغيرها ، فأنا أنظر في ذلك وأصيرُ منه
إلى محبتكم إن شاء الله والسلام عليكم ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم
حافظا ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما كثيرا .
(تاريخ الطرى ١١ : ١٩٥)

١٩٣ - كتاب الموالي بالكرخ والدور إلى المهتدى

فلما فرغ القارىءُ كثير الكلام ، فقال لهم أبو القاسم اكتبوا بذلك كتابا ،
فكتبوا بعد أن دَعَوْا الله فيه لأمير المؤمنين :
« إن الذى يسألون أن تُردَّ الأمور إلى أمير المؤمنين فى الخاصِّ والعامِّ ،
ولا يعترض عليه معترض ، وأن تردَّ رسومهم إلى ما كانت عليه أيامَ المستعين
بالله ، وأن يكون على كل تسعة منهم عريف ، وعلى كل خمسين خليفة ،
وعلى كل مائة قائد ، وأن تسقط أرزاق النساء والزيادات والمعاون ، ولا
يدخل مَوْلى فى قبالة^(١) ولا غيرها ، وأن يوضع لهم العطاء فى كل
شهرين على ما لم يزل ، وأن تبطل الإقطاعات ، وأن يكون أمير المؤمنين
يريد من شاء ويرفع من شاء . »

وذكروا أنهم صائرون فى إثر كتابهم إلى باب أمير المؤمنين ،
ومقيمون هناك إلى أن تُقضى حوائجهم ، وأنه إن بلغهم أن أحدا اعترض

(١) قل به كصر وسمع وصر بقبالة : كهل ، والقبيل : الكفيل والضامن .

على أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن نغا وبايكباك ومفلحا وياجور وبكالبا وغـيرهم ، ودَعَوْا الله لأمر المؤمنين ، ودَفَعُوا الكتاب إلى أبي القاسم فانصرف به حتى أوصله .

١٩٤ - كتاب المهتدى إليهم

فأخذ المهتدى كتابهم ، ووقع باجابتهم إلى ما سألوا ، ثم كتب كتاباً مُفْرَداً بخطه وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى أبي القاسم وصار أبو القاسم إليهم بكتاب أمير المؤمنين ، فقرأ عليهم فإذا فيه .

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده . وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم .

أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم ، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم ، وعلى أيديكم ، فهيت كتابكم وقرأته على رؤسائكم ، فذكروا مثل الذي ذكرتم ، وسألوا مثل الذي سألتهم . وقد أجبتمكم إلى جميع ما سألتهم ، محبةً لصلاحكم وأفتكم واجتماع كلمتكم ، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم ، وأن تصير دائرةً عليكم ، فليست لكم حاجة إلى حركة ، فطيبوا أنفساً والسلام .

١٩٥ - كتابهم إلى المهتدى

فكلموا كلاما كثيرا ، ثم كتبوا كتابا يعتذرون فيه بمثل العذر الأول إلى أمير المؤمنين ، وذكروا فيه خصالا مما ذكروه في الكتاب الذي قبله ، ووصفوا أنه لا يُقنعهم إلا أن يُنفذ إليهم خمسة توقيعات : - توقيعا بحط الزيادات ، وتوقيعا برّد الإقطاعات ، وتوقيعا بإخراج الموالى البوائين من الخاصة إلى عداد البرانيين^(١) ، وتوقيعا برّد الرسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعين ، وتوقيعا برّد التلاجي^(٢) - حتى يدفعوها إلى رجل يضمون إليه خمسين رجلا من أهل الدور ، وخمسين رجلا من أهل سامرا يتنجّزون من الدواوين ، ثم يصير أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته أو غيرهم ممن يرى ، ليسفر^(٣) بينه وبينهم بأمورهم . ولا يكون رجلا من الموالى ، وأن يؤمّر صالح بن وصيف فيحاسب هو وموسى بن بغا على ما عندهم من الأموال . وأنه لا يرضيهم دون ما سألوا في كتبهم كلها ، مع تعجيل العطا وإدراج أرزاقهم عليهم في كل شهرين ، وأنهم قد كتبوا إلى أهل سامرا والغاربة في موافقتهم ، وأنهم صاثرون إلى باب أمير المؤمنين لينجر ذلك لهم . وددعوا الكتاب إلى

أبي القاسم

(١) من قولهم « من أصاح حوايه أصلح الله رأيه » أي من أصلح سريره أصلح الله علاقته ، أحد من الحو والر ، والحو : كل نطن طامس ، والر : نثن الطاهر ، فهاتان الكلمتان على النسبة اليهما بالألف والياء ، وأصل الرأى من قولهم حرح لأن را إذا حرح إلى البر والصحراء ، وليس من قديم الكلام ومصيحه .

(٢) التلاجي : جمع تلجة ، وهي الإكراه ، فعله من الإلحا .

(٣) سفر بينهم كصرف وصر : أصلح .

١٩٦ - كتابهم إلى القواد

وكتبوا كتابا آخر إلى موسى بن بغا ويايكباك ومحمد بن بغا ومفلح وياجور وبيكالبا وغيرهم من القواد كتابا ذكروا فيه :

« أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا ، وأن أمير المؤمنين لا يمنعهم ما سألوا إلا أن يعترضوا عليه ، وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوه لم يوافقوه على شيء ، وأن أمير المؤمنين إن شاكته شوكة أو أخذ من رأسه شعرة . أخذوا ردوسهم جميعا . وأهم ليس يُمنعهم لا أن يظهر صالح ابن وصيف حتى يُجمع بينه وبين موسى بن بغا حتى ينظر أين موضع الأموال ، فإن صالحا قد كان وعدم قبل استناره أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر » .

تم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى .

١٩٧ - كتاب المهتدى إليهم

فأمر المهتدى سليمان بن وهب^(١) بإنشاء الكتب على ما سألوا في خمسة رِقاع ، فأنفذها المهتدى في درج كتاب منه بخطه ، ودفعه إلى أخيه أبي القاسم ، وكتب القواد إليهم جواب كتابهم ، ودفعوه إلى صاحب موسى ، فصار إليهم أبو القاسم وقرأ عليهم كتاب المهتدى فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : وفقنا الله وإياكم لطاعته ما يُرضيه ، فهمت

(١) وروى المهتدى بالله ، تم من بعده للعتمد على الله ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٢١٦ ،
والصحرى ص ٢٢٣ والأعلى ٢٠ : ٦٦ .

كتابكم - حاطكم الله - وقد أتقنتُ إليكم التوقيعاتِ الخمس على ما سألتكم ،
فوكَّلوا من يتنجزها من الدواوين إن شاء الله ، وأما ما سألتكم من تصيير أمركم
إلى أحد إخوتي ليوصل إلي أخباركم ، ويؤدّي إلي حوائجكم ، فوالله إني
لأحبُّ أن أتفقدَ ذلك بنفسى ، وأن أطلعَ على كل أمركم وما فيه مصلحتكم ،
وأنا مختار لكم الرجل الذى سألتكم من إخوتي أو غيرهم إن شاء الله ،
فاكتبوا إلي بحوائجكم وما تعلمون أن فيه صلاحكم ، فإني صائرٌ من ذلك إلى
ما تحبون إن شاء الله ، وفقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه .

(تاريخ الطبرى ١١ : ١٩٨)

١٩٨ - كتاب القواد إليهم

وأوصل إليهم رسول موسى كتابَ موسى وأصحابه فإذا فيه

« بسم الله الرحمن الرحيم : أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم ،
فهنا كتابكم ، وإنما أنتم إخواننا وبنو عمنا ، ونحن صائرون إلى ما يحبون ،
وقد أمر أمير المؤمنين - أعزه الله - فى كل ما سألتكم بما تحبون ، وأنفذ
التوقيعاتِ به إليكم ، وأما ما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين
وتغيرنا له ، فهو الأخ وابن العم ، وما أردنا من ذلك ما تكرهون ، فإن وعدكم
أن يُعطِيكم أرزاقَ ستة أشهر فقد رفعنا إلى أمير المؤمنين رِقاباً نسأله مثل
الذى سألتكم ، وأما ما قلتم من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض

الأمر إليه ، فنحن سامعون مطيعون لأمر المؤمنين ، والأمور مفوضة إلى الله ، وهو مولانا ونحن عبيده ، وما نعرض عليه في شيء من الأمور أصلاً ، وأما ما ذكرتم أنا نريد بأمر المؤمنين سوءاً ، فمن أراد ذلك فجعل الله دائرة السوء عليه ، وأخزاه في دنياه وآخرته ، أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم . (تاريخ الطبري ١١ : ١٩٨)

١٩٩ - كتاب علي بن يحيى إلى سليمان بن وهب

ونالت علي بن يحيى جفوة من سليمان بن وهب . فكتب إليه :

جفاني أبو أيوب ، نفسي فداؤه فعاتبته كما يريع ويُعْتَبَا^(١)
فو الله لولا الظن مني بؤده لكان سهيل من عتايه أقربا^(٢)

٢٠٠ - رد ابن وهب عليه

فكتب إليه سليمان :

ذكرت جفائي وهو من غير شيمتي وإني لدان من بعيد تقرُّبا
فكيف بخيل لي أضين بؤده وأصفيه ودا ظاهراً ومعيباً^(٣)
علي بن يحيى لا عدمت إخاءه فما زال في كل الخصال مهذباً

(١) راع يريع : رجع ، وأعنته : أعطاه العنى نالصم وهي الرضا .

(٢) سهيل : حم .

(٣) أصمته الود : أحلصته .

ولكن أشغلا أعدت وتواترت فلما رأيت الشغل حاقاً وأتعباً
ركنت إلى عذر الأخلاء إنهم كرام وإن كان التواصل أوجباً
فإن يطلب مني عتابك أوبةً بيرةً تجدني بالإنابة معتبياً^(١)
(الأمانى ٢٠ : ٧٠)

٢٠١ - كتاب ابن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر

وأهدى سليمان بن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلالاً رطباً
من ضيعته ، وكتب إليه :

أذن الأمير بفضله وبمجوده وبذيله
لوليّه في برّه بجنّاه سكر نخله
فبعثت منه بسلةً تحكى حلاوة عدله
(الأمانى ٢ : ٧١)

٢٠٢ - كتاب رجل إلى سليمان بن وهب

وكتب رجل إلى سليمان بن وهب وهو يتولى شيئاً من أعمال
الضياع :

أطال الله إسماعاً ذك في الآجل والعاجل
أما ترعى لمن أمّال فضلاً حرمة الآمل؟
وعندي عاجل من رشوة يتبعها آجل
وأنت العالم الشاهد أنى كاتب عامل

(١) في الأصل « بالأمانة » وهو تحريف .

فَوَلِّ الْكَافِلَ الْبَاذِلَ لَدُونِ الْعَاجِزِ الْبَاخِلِ
فَمَا أَفْشِي لَكَ السَّرَّ فِعَالِ الْأَخْرَقِ الْجَاهِلِ

٢٠٣ - رده عليه

فضحك وكتب في رقته :

أَبْنُ لِي مَا الَّذِي تَخَطَّبُ شَرَحًا أَيُّهَا الْبَاذِلُ ؟
وَمَا تُعْطِي إِذَا وُلِّيتَ تَعْجِيلًا وَمَا الْآجِلُ ؟
أَفِي الْإِسْلَامِ تَنْقِيسُ أَمِ الْوِزْنِ لَهُ كَامِلٌ ؟
وَفِي الْمَوْقُوفِ تَضْمِينٌ أَمْ الْوَعْدُ بِهِ حَاصِلٌ ؟
وَهَلْ مِيقَاتُهُ الْغَلَّةُ فِي الْعَامِ أَوْ الْقَابِلِ ؟
أَبْنُ لِي ذَلِكَ ، وَارِدُ ذُرْقَمِي يَا كَاتِبًا مَائِلٌ
فَلَمَّا قَرَأَهَا الرَّجُلُ قَطَعَ مَا بَيْنَهُ ، وَرَدَّ الرِّقْعَةَ عَلَيْهِ ، وَوَلَّاهُ سُلَيْمَانَ مَا التَّمَسُّ .
(الأعراف : ٢٠ : ٧١)

٢٠٤ - كتاب اعتذار سليمان بن وهب

« أَنَا مُقَرَّبٌ مُعْتَرِفٌ ، فَمَا تُرَاكَ صَانِعًا بَعْدَ أَنْ أَعْلَقَكَ زَمَامَهُ ، وَأَمَكَّنَكَ مِنْ
قِيَادِهِ ، وَحَكَّمَكَ فِي أَمْرِهِ ، مَعَاقِبًا لَهُ أَرْمَتُفَضَّلًا عَلَيْهِ بِالْعَقْوِ عَنْهُ ؟ لَكِنِّي أَرْجُو
أَنْ أُسْتَقْبِلَ طَاعَةً لَا تَمْتَنِعُ مِنْ شُكْرِهَا ، وَاعْتِفَارٍ كُلِّ تَقْصِيرٍ خَلَا فِي جَنْبِهَا ،
فَالْأَيَّامُ بِمَا تَحِبُّ أَمَامَكَ » . (اختصار النظم والنثر ، ٣ : ٣٨٥)

٢٠٥ - كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر إسماعيل بن بلبل

ولما ولى أبو الصقر إسماعيل^(١) بن بلبل الوزارة للمعتد^(٢) على الله ، خيّر أبا العيناء فيما يحبّه حتى يفعلّه به ، فقال : أريد أن تكتب إلى أحمد بن محمد الطائي تعرفه مكاني ، وتلزمه قضاء حقّ مثلّي من خدمه ، فكتب إليه كتابا بخطه ، فوصله إلى الطائي ، فسَيَّب^(٣) له في مدة شهر مقدار ألف دينار وعشرة أجمال ، فانصرف بجميع ما يحبّه ، وكتب إلى أبي الصقر كتابا مضمّنّه :

« أنا - أعزك الله - طليقتك من الفقر ، وتقيدك^(٤) من البؤس ، أخذت يدي عند عترة الدهر ، وكبوة الكبر ، وعلى أية حال حين فقدت الأولياء^(٥) والأشكال ، والإخوان والأمثال ، الذين يفهمون في غير تعب ، وهم الناس الذين كانوا غيائنا للناس ، فخلت عُقدة الخلة^(٦) ، ورددت إلى بعد النفور النعمة . وكتبت لي كتابا إلى الطائي ، فإنما كان منك إليك أثبتّه^(٧) ، وقد استصعبت^(٨) على الأمور ، وأحاطت بي النوائب ، فكثرت من بشره ، وبذلك من يُشره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومن برّه أحكمه ، مُكرّمًا لي مدة

(١) انظر خبره في الصخرى ص ٢٢٩ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن التوكل ولي الخلافة سنة ٢٥٦ ومات سنة ٢٧٩ ، وكان مستضعفا ، وكان أخوه الموفق طلحة هو العال على أمره .

(٣) السيب : العطاء ، وسَيَّب ها معناه : أعطاه .

(٤) التقيد : المتقذ (بفتح القاف) .

(٥) الأولياء : جمع وليّ ، وهو الصير ، والأشكال : جمع شكل ، وهو المثل .

(٦) الخلة : الفقر والحاجة ، وفي المثل « الخلة تدعو إلى السلة » والسلة بالفتح : السربة .

(٧) أثابته : رجعته ورده .

(٨) استصعب الأمر : صار صعبا كصعب وأصعب (واستصعبه : وحده صعبا ، فهو لازم متعدّ) .

ما أقت ، ومثقلًا لي من فوائده لما ودعت ، حكمتي في ماله فتحكمت ،
وأنت تعرف جوري إذا تمكنت ، وزاد في طوله^(١) فشكرت ، فأحسن
الله جزاك ، وأعظم حماك ، وقدمني أمامك ، وأعاذني من فقدك وحماك ،
فقد أنفقت عليّ مما ملكك الله ، وأنفقت من الشكر ما يسره الله لي ،
والله عز وجل يقول : « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ » فالحمد لله الذي جعل لك
اليَدَ العَالِيَةَ : والرُّتْبَةَ الشَّرِيفَةَ ، لأزال الله عن هذه الأمة ما بسطَ فيها من
عَدْلِكَ ، وَبَتَّ فِيهَا مِنْ رِفْدِكَ^(٢) . (زهر الآداب ٣ : ١٥)

٢٠٦ - كتاب أبي العيناء إلى بعض الرؤساء

وكتب أبو العيناء إلى بعض الرؤساء - وقد وعده بشيء فلم
يُنجزه - :

« ثَقَّتِي بِكَ تَمَعْنِي مِنْ اسْتِبْطَائِكَ ، وَعَلِمِي بِشُغْلِكَ يَدْعُونِي إِلَى
إِذْكَارِكَ ، وَلَسْتُ آمِنٌ - مَعَ اسْتِحْكَامِ ثَقَّتِي بِطَوْلِكَ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِعُلُوِّ هِمَّتِكَ -
اخْتِرَامِ الْأَجْلِ ، فَإِنَّ الْأَجَالَ آفَاتُ الْأَمَالِ ، نَسَحَ اللَّهُ فِي أَجْلِكَ ، وَيَلْغَاكَ
مَنْتَهَى أَمْلِكَ ، وَالسَّلَامُ » . (وفيات الأعيان ١ : ٥٠٥)

٢٠٧ - كتاب أبي العباس بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل

وكتب أبو العباس^(٣) أحمد بن محمد بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل حين
صاهرَ النَّاصِرَ لِدِينِ اللَّهِ الْمُوَفَّقَ بِاللَّهِ :

(١) الطول والتطول : التفضل والامتنان .

(٢) الرfid : العطاء والصلة .

(٣) انظر هامش ص ٢٨٣ .

«بسم الله الرحمن الرحيم ، بلغني ، للوزير - أيده الله - نعمة زاد شكرها
على مقادير الشكر ، كما أرزني مقدارها على مقادير النعمة ، فكان مثلها قول
إبراهيم بن العباس :

بَنُوكَ غَدَا آلُ النَّبِيِّ وَوَارِثُوا الْخِلَافَةَ وَالْحَاوُونَ كِشْرَى وَهَاشِمَا
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا مَوْهَبَةً تَرْتَبُطُ مَا قَبْلَهَا ، وَتَنْتَظِمُ مَا بَعْدَهَا ،
وَتَصِلَ جَلَالَ الشَّرَفِ ، حَتَّى يَكُونَ الْوَزِيرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - عَلَى سَادَةِ الْوُزَرَاءِ
مُوفِيًا ، وَجَمِيلَ الْعَادَةِ مُسْتَحِقًّا ، وَلِحَمْدِ الْعَاقِبَةِ مُسْتَوْجِبًا ، وَأَنْ يَلْبَسَ خَدَمَهُ
وَأَوْلِيَاءَهُ مِنْ هَذِهِ الْحُلَلِ الْغَالِيَةِ مَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرًا بَاقِيًا وَشَرَفًا مُخَلَّدًا»

(معجم الأدباء ٤ : ١٥٧)

٢٠٨ - كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إلى عبيد الله بن سليمان

ولما ولي عبيد الله^(١) بن سليمان بن زهب الوزارة للمعتد ، كتب إليه
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتابا ، وفيه شعر له :

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَتَا فِي تَهْوِسِنَا وَأَسْعَفْنَا فِيمَنْ نَحِبُّ وَنُعْظِمُ

فَقَلَّتْ دُ : نَعْمَاكَ فِيهِمْ أَيْمَهَا وَدَعَّ أَمْرَنَا إِنْ هُمَّ الْمَقْدَمُ

فلما قرأ عبيد الله هذا الشعر قال : «أحسن ما احتال في شكوى حاله بين

(١) انظر حبره في المعرى ص ٢٣١ ، وفي زهر الآداب : «ولما ولي سليمان بن

زهب الوزارة . . . » .

أضعاف مدحه ، وأمر بإيصال رِقاعه إليه ، وقضى كل حاجة كانت له :
(أدب الكتاب ص ٢٣٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢١٧ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٨)

٢٠٩ - كتاب سعيد بن عبد الملك

إلى عبيد الله بن سليمان

وحُجِبَ سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان .

فكتب إليه :

« سِرْتُ إِلَى بَابِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - عِنْدَ مَا حَدَّثْتَ مِنْ أَمْرِكَ ، فَلَمْ يُقْضَ
لِقَاؤُكَ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ ثِقَّتَكَ بِمَا عِنْدِي قَدْ مَثَلَتْ لَكَ حَالِي مِنَ السَّرُورِ بِنِعْمَةِ
اللَّهِ عِنْدَكَ . وَأَرْتُكَ مَوْضِعِي مِنَ الْإِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ وَوَصَلَ إِلَيْكَ ،
فَوَكَّلْتُ الْعِذْرَ إِلَى ذَلِكَ . »

ثم إنا نأتيك مُتِمِّتِينَ بِطَلْعَتِكَ ، مُشْتَاقِينَ إِلَى رَوْيَتِكَ ، فَيَحْجُبُنَا عَنْكَ
مَلَا حِظٌ ، وَهُوَ - كَمَا عَلِمْتَ - كِنٌ^(١) الصَّنِيعَةِ ، لَيْمٌ الطَّبِيعَةِ ، يَحْجُبُ عَنْكَ
الْكَرَامَ ، وَيَأْذَنُ عَلَيْكَ لِلنَّامِ ، كَمَا نَجَمَتْ^(٢) لَهُ يَدٌ بِيضَاءَ ، أَتْبَعَهَا يَدًا سَوْدَاءَ ،
فَإِنْ رَأَيْتَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْ بَابِ مَكَارِمِكَ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(زهر الآداب ٢ : ١٢١)

(١) كِنٌ الصِّبْغُ : سَوْدٌ .

(٢) أَي طَهَّرَتْ .

٢١٠ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو العيناء إلى عبيد^(١) الله بن سليمان بن وهب وزير المعتمد :
« أنا - أعزك الله تعالى - وولدي وعيالي زرّع من زرعك ، إن أسقيته
زاع^(٢) وزكا ، وإن جفوته ذبل وذوى^(٣) ، وقد مسنى منك جفاء بعد برّ ،
وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم عدوّ ، وشمت حاسد ، ولعبت بي ظنون رجال
كنت بهم لاعبا ، ولهم مخربا ، والله درّ أبي الأسود في قوله :
لا تهني بعد إذ أكرمتني وشديد عادة متزعه

(زهر الآداب ١ : ٢٩١ ، وعيون الأخبار ٨ : ١٩٥)

٢١١ - رد عبيد الله عليه

فوقع في رقعه

« أنا - أسعدك الله - على الحال التي عهدت ، وميل إليك كما علمت ،
وليس من أنسيناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقنطاع الشغل لنا ،
واققسامه زماننا . كان من حقت علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرك ،
وقد وقعت لك برزق شهرين ، لتزيج علتك ، وتعرفني مبلغ استحقاقك ،
لأطلق لك باقي أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام » . (زهر الآداب ١ : ٢٩١)

(١) وفي عيون الأخبار « إلى أبي القاسم بن عبيد الله بن سليمان » والصواب « إلى أبي القاسم
عبيد الله بن سليمان » .
(٢) زاع يربع : نما وزاد ، وزكا يزكو : نما أيضا .
(٣) أي ذبل .

٢١٢ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان ، وقد نكبه وأباه المعتمد^(١) ،
وهما يطالبان بمال يبيعان له ما يملكانه من عقارٍ وأثاثٍ وعبيدٍ وأمةٍ ، وقد
أعطى بخادم أسود لعبيد الله خمسون ديناراً :

« قد علمت - أصلحك الله - أن الكريم المنكوب أجدى على الأحرار
من اللئيم الموفور : لأن اللئيم يزيد مع النعمة لؤماً ، والكريم لا يزيد مع المحنة
إلا كرمًا ، هذا متكىل على رازقه ، وهذا يسئ الظن بخالقه ، وعبدك
إلى ملك « كافور » فقيرٌ ، وثمنه - على ما اتصل بي - يسير ، لأنه
بخدمته السلطان ، يعرفني الرؤساء والأخوان ، ولست بواجدٍ ذلك في غيره
من الغلمان ، فإن سمحت به فتلك عادتك ، وإن أمرت بأخذ ثمنه فمالك
مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك » .

فأمر له به . (زهر الآداب ١ : ٢٩١)

٢١٣ - جواب لأحمد بن سليمان بن وهب

وقال الحسين بن إسحق : كنت عند أحمد^(٢) بن سليمان بن وهب ،
ونحن على شراب ، فوافته رُقعةٌ فيها أبياتٌ مدح ، فكتب الجواب :

(١) قدما أن الموفق طلحة . كان هو الغالب على أمر أخيه المعتمد ، وجاء في الأغانى (ج ٢٠ ص ٧٢)
(٧٢) « أن الموفق لما استكتب سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ليقف منهما على ذخائر موسى بن نعا
وودائمه فلما استقصى ذلك كتبها لكثرة ما لها » وجاء في تاريخ الطبرى (ج ١١ : ص ٢٥١) « وفي
سنة ٢٦٤ خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا ، ومعه الحسن بن وهب ، فلما صار بسامرا
غضب عليه المعتمد وحبسه وقيدته واتهب داره ودارى ابنيه وهب وإبراهيم » .

(٢) انظر ترجمته في معجم الأدباء ، ٣ : ٥٤ .

« وَصَلَتْ رَقَعَتُكَ - أَعَزَّكَ اللهُ - فَكَانَتْ كَوْصِلَ بَعْدَ هَجْرٍ ، وَغْنَى
 بَعْدَ فَقْرٍ ، وَظَفَرَ بَعْدَ صَبْرٍ ، أَلْفَاظُهَا دُرٌّ مَشُوفٌ ^(١) ، وَمَعَانِيهَا جَوْهَرٌ مَرصُوفٌ ،
 وَقَدْ اصْطَحَبَهَا أَحْسَنُ صُحْبَةٍ ، وَتَأَلَّفَهَا أَقْرَبَ أَلْفَةٍ ، لَا تَعُجُّهَا الْأَذَانُ ، وَلَا تَتَعَبُ
 بِهَا الْأَذْهَانُ ، وَقَرَأْتُ فِي آخِرِهَا مِنَ الشَّعْرِ مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي أَنْ كَتَبْتُ
 - لَجَلَالَتِهِ عِنْدِي ، وَحُسْنِ مَوْقِعِهِ مِنْ نَفْسِي - بِمَا لَا أَقُومُ بِهِ ، مَعَ تَحْيِيفٍ ^(٢)
 الصَّهْبَاءِ لِي ، وَشُرْبِهَا مِنْ عَقْلِي وَمِقْدَارِ شُرْبِي ، وَلَكِنِّي وَاثِقٌ مِنْكَ بِطَلِّي
 سَيْئَتِي ، وَنَشْرِ حَسَنَتِي :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ	وَإِنِّي كِتَابُكَ بَعْدَ طُولِ الْيَاسِ
وَإِنِّي ، وَكُنْتُ بَوَّحَشَتِي مَتَفَرِّدًا	فَأَصَارُنِي لِلْجَمْعِ وَالْإِينَاسِ
وَقَرَأْتُ شِعْرَكَ فَاسْتَطَلَّتْ لِحْسَنُهُ	نَفْرًا عَلَى الْخُلَطَاءِ وَالْجُلَاسِ ^(٣)
عَايَنْتُ مِنْهُ عَيُونََ وَشِيِّ سُدِّيَّتِ	بِيدَائِعٍ فِي جَانِبِ الْقَرِطَاسِ ^(٤)
فَاقَتْ دَقَائِقَهُ وَجَلَّ لِحْسَنُهُ	عَنْ أَنْ يُحَدَّ بِفِطْنَةٍ وَقِيَاسِ
شِعْرٌ كَجَرِيِّ الْمَاءِ يَخْرُجُ لَفْظُهُ	مِنْ حُسْنِ طَبْعِكَ مَخْرَجَ الْأَنْفَاسِ
لَوْ كَانَ شِعْرُ النَّاسِ جِسْمًا لَمْ يَكُنْ	لِكَالِهِ إِلَّا مَكَانَ الرَّاسِ

(معجم الأدباء : ٥٦)

(١) مشوف : مجلوف ، من سناه يشوفه شوقاً : أى جلاء .
 (٢) تحييفه : تنقصه من حيفه ، والحيف كعب : جمع حيفة بالكسر ، وهى الناحية .
 (٣) الخلطاء : جمع خليط ، وهو الخالط ، وفى الأصل « على الخلفاء » وأراه محرفاً .
 (٤) الوشى : نقش الثوب ، سديت بدائع : أى جعلت البدائع سدى لها ، والسدى بالفتح :
 الخيوط التى تمد طولاً فى النسيج (واللحمة بالضم والفتح : ما ينسج عرضاً) .

٢١٤ - كتابه إلى ابن أبي الأصبع

وكتب أحمد بن سليمان بن وهب إلى ابن أبي الأصبع^(١) :
« لو أطعتُ الشوقَ إليك ، والنزاعَ^(٢) نحوك ، لكثرتُ قصدي لك ،
وغشيانى^(٣) إياك ، مع العلة القاطعة عن الحركة ، الحائلة بيني وبين الركوب ،
قالمة إن تخلفتُ مُخَلَّفَتِي ، وإيثارُ التخفيفِ يؤخرُ مكاتبتى . فأما مودة القلب ،
وخلوصُ النية ، ونقاء الضمير ، والاعتدادُ بما يحدده الله لك من نعمة ،
ويرفعك إليه من درجة ، ويبلغك إياه من رتبة ، فعلى ما يكون عليه الأخُ
الشقيق ، وذو المودة الشفيق ، وأرجو أن يكون شاهدي على ذلك من
قلبك أعدلَ الشهود ، ووافدي بإعلامك إياه أصدقَ الوُفود ، وبحسبِ
ذلك انبساطى إليك في الحاجة تعرّض قبلك ، ويُعنى بالنجاح منها عندك ،
وعرّضتُ حاجةً ليس تمنعني قلتها من كثير الشكر عليها ، والاعتداد بما
يكون من قضائك إياها ، وقد حمّلتها يحي لتسمهها منه ، وتقدّم بما أحبُّ
فيها ، جارياً على كرم سجيّتك ، وعادة تفضلك إن شاء الله . »

(معجم الأدباء ٣ : ٦٠)

٢١٥ - كتابه إلى أخيه عبيد الله بن سليمان

وكتب إلى أخيه الوزير عبيد الله بن سليمان - وقد سافر ولم يودّعه - :

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبع ، انظر الفهرست لابن النديم ص ١٨٤ ، وفي الأصل « ابن أبي الأصبع » .
(٢) نزاع إلى أهله كضرب نزاعة بالفتح ، ونزاعاً بالكسر ؛ وتروعا بالضم : اشتاق .
(٣) غشيه غشياناً : جاءه .

« أطال الله بقاء الوزير، مُصْحِباً لَهُ السَّلَامَةَ الشَّامِيَةَ، وَالغِبْطَةَ الْمُتَكَامِلَةَ،
وَالنِّعْمَ الْمُتَظَاهِرَةَ، وَالْمَوَاهِبَ الْمُتَوَاتِرَةَ، فِي ظَعْنِهِ وَمُقَامِهِ، وَحَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ،
وَحَرَكَتِهِ وَسُكُونِهِ، وَلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَعَجَلِ إِيْنَا أَوْبَتِهِ، وَأَقْرَبِ عِيُونِنَا بِرَجْمَتِهِ،
وَمَتَّعِنَا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ .

كَانَ شَخُوصُ الْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ بَعْتَهُ أَعْجَلَ عَنِ
تَوَدِيْعِهِ، فَزَادَ ذَلِكَ فِي وَهْمِي، وَإِضْرَامِ لَوْعَتِي، وَاشْتَدَّتْ لَهُ وَحْشَتِي،
وَذَكَرْتُ قَوْلَ كَثِيرٍ :

كُنْتُمْ تَزِينُونَ الْبِلَادَ فَفَارَقْتُمْ (عَشِيَّةَ بِنْتُمْ) زَيْنَهَا وَجَمَالَهَا
فَقَدْ جَعَلَ الرَّاضُونَ إِذْ أَنْتُمْ لَهَا بِخِصْبِ الْبِلَادِ يَشْكُونَ وَبِأَلْهَا
وَالْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - يَعْلَمُ مَا قِيلَ فِي يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ :

يَنْسَى صِنَائِعَهُ وَيَذْكُرُ وَعْدَهُ وَيَبِيْتُ فِي أَمْثَالِهِ يَتَفَكَّرُ «

(معجم الأدباء ٣ : ٦١)

٢١٦ - كتابه إلى صديق له

وكتب إلى صديق له :

« ليس عن الصديق الخليص، والأخ المشارك في الأحوال كلها
مذهب، ولا وراءه للوائق به مطلب، والشاعر يقول :

وَإِذَا يُصِيبُكَ (وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ) حَدَّثُ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الْأَوْثِقِ^(١)

وَأَنْتَ الْأَخُ الْأَوْثِقُ، وَالْوَلِيُّ الْمَشْفِقُ، وَالصَّدِيقُ الْوَصُولُ، وَالْمَشَارِكُ

(١) حداك : ساقك .

في المكروه والمحجوب ، قد عرفني الله من صدق صفائك ، وكرم وفائك ،
على الأحوال المتصرفة ، والأزمنة المتقلبة ، ما يستغرق الشكر ، ويستعيد
الحُرَّ ، وما من يوم يأتي عليَّ إلا وثقتي بك تزداد استحكامًا ، واعتمادى عليك
يزداد توكلًا والتسائمًا ، أنبسط في حوائجى ، وأثقتُ بنجح مسألتى ، والله
أسألُ لك طولَ البقاء في أدومِ النعمة وأسبغها^(١) ، وأكمل العوافى وأتمها ،
وَأَلْيسُبَ الدنيا نَضْرَتَهَا^(٢) بك ، وبهجتها يبقائك ، فما أعرفُ بهذا الدهر
المتنكر في حالاته ، حسنةً سواك ، ولا حيلةً غيرك ، فأعيدك بالله من
العيون الطامحة ، والألسنة القادحة ، وأسأله أن يجعلك في حرزه الذى
لا يُرام ، وكنفه الذى لا يُضام ، وأن يحرسك بعينه التى لا تنام ، إنه ذو
المنِّ والإِنعام . (معجم الأدباء ٣ : ٦٢)

٢١٧ - كتاب أبى العباس بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

ومن فصل لأبى العباس أحمد بن محمد بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان :
« لم يُوثَ الوزيرُ من عدم فضيلة ، ولم أوتَ من عدم وسيلة ، وغلة^(٣)
الصادى^(٤) تأبى له انتظارَ الوارد ، وتُعجل عن تأمل ما بين الغدير والوادي ،
ولم أزل أترقب أن يُخطرنى بياله ، ترقب الصائم لفطره ، وأنتظره انتظارَ
السارى لفجره ، إلى أن برح الخفاء^(٥) ، وكشفت الغطاء ، وشمت الأعداء ،

(١) أى وأتمها . (٢) أى بهجتها ورواءها .

(٣) الغلة : حرارة العطش ، والصادى : العطشان .

(٤) أى انكشف الأمر ووضح ، أخذه من قول حسان :

ألا أبلغ أبا سفيان عى مغلطة فقد برح الخفاء

وإن في تخلفي وتقدم المقصرين ، لآية للمتوسمين ، والحمد لله رب العالمين .

(معجم الأدياء ٤ : ١٤٧)

٢١٨ كتاب له

ومن كلام أبي العباس :

« من حق المكاتبة أن يسبقها أنس ، وينعقد قبلها وُد ، ولكن الحاجة

أعجلت عن ذلك ، فكتبت كتاب من يُحسن الظن إلى من يحقّقه .

(معجم الأدياء ٤ : ١٤٧)

٢١٩ - كتاب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر إليه من تركه مكاتبته

بالتفدية^(١) :

« الله يعلم - وكفى به عليماً - لقد أردت مكاتبتك بالتفدية ، فرأيتُ

عينا أن أفديك بنفس لا بد لها من الفناء ، ولا سبيل لها إلى البقاء ، ومن

أظهر لك شيئا يُضمِر خِلافه فقد غش ، والأمر إذا كانت الضرورة توجبه ،

وتحقّق أنه ملك لا يتحقّق ، وعطاء لا يتحصّل ، لم يجز أن يخاطب به مثلك^(٢) ،

وإن كان عند قوم نهاية من نهايات التعظيم ، ودليلاً من دلالات الاجتهاد ،

وطريقاً من طرق التقرب » (أدب الكتاب ص ١٥٥ ، ورهر الآداب ٣ : ١٦)

(١) في رهر الآداب « في التعرية » .

(٢) في رهر الآداب « والأمر إذا كانت الضرورة توجب أنه ملك لا يتحقّق إعطاء ، ولا يتحصّل

لم يحب أن يخاطب به مثلك » وفي أدب الكتاب « فقد غش ، والأمر ، إذا كانت الضرورة توجبه ،

وتحقّق أنه ملك لا يتحقّق ، وعطاء لا يتحصّل ، وإن كان عند قوم ... » وكلاهما محرف .

٢٢٠ - جواب عن تعزية لابن ثوابه

« وصل كتابك بالتعزية عن أخي وفهمته ، وقد جلت مصيبتى به وعظمت ، فنكأت^(١) القلب ، وهدت الركن ، وأذهبت القوة ، ونقصت العيش ، وأزرت بالأمل ، فعند الله أحسبُه ، وإياه أسأل تفضلاً عليه ، وصفحاً عنه ، وتعمداً^(٢) لذنوبه ، وصبراً على حادث فضائه فيه ، واستعداداً للموت وتأهباً له ، فإنه مصرع لا بد منه ، ومورد لا يحصى عنه وقد كنت استجفيت كتابك ، وأنارت تأخر تعزيتك ، وعددت ذلك من هفوات الإخوان الذين يقع التقصير منهم . وتصيح نياتهم وضمايرهم ، فرددت الزلل من فعلك ، إلى موثوق به من نيتك وضميرك ، وأسأل الله ألا يُعَدِمَنَّكَ على أحوالك كلها ، ويمتدنا بمواهبه فيك »

(اختيار المطوم والمشور ١٣ : ١٣ -)

١ - تعزية له إلى ابني عمر

« أنا أستهجنُ وصفَ مشاركتكما عند كل حادث من نازلة بكما . اكتفاءً بالحال . وتأكد الوصل والأسباب . وحدثت هذه المصيبةُ فالله يعلم ما أترت بقلبي ، وهدت من قوتي ، ومئات من قُرب المية في ، فإن المصائب نوائب ، ومن رأى حُرطاً بغيره يلم أنها حالة في نفسه ومن يتصل

(١) من مكافأة كعب : قدرها قبل أن تقرأ حديث .

(٢) أي سترًا وعمرًا لها .

به ، ولقد اشتد جزعى لذلك وَوَحْشَتِي مِنْهُ ، وَمِنْ خُلُوتِ مَنَازِلِكَا مِنْ الْأُمِّ
الْبِرَّةِ ، وَالْأَخْتِ الطَّاهِرَةِ ، مَعَ قِصْرِ أَيَّامٍ ، وَقُرْبِ مَدَّةٍ ، وَعَدَمِ سَلْوَةٍ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَا ، وَلَا تَقْصَلَا لِكَا عِدَا .

وعزير^٢ على أن أتخلف عن حقكما ، أو أمر^١ يلزمني فيه ما يلزم كافة
أهلكما ، لكني في حال قد عرفتكما^(١) ، فإن اتسع لي العذر مع ما نازعني
فيه من أحوالكما ، وإلا فإن في تفضلكما موضع احتمال الهفوة ، وتعمد الزلة ،
وإقالة العثرة ، والرجوع إلى نية قد صححت ، وطوية قد خلصت واستحسنت .

(اختيار المظوم والمشور ٣ -)

٢٢٢ - عهد من الموفق إلى أحد الولاة

كتبه ابن ثوابة

« هذا^(٢) ما عهد به أبو أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين ، إلى فلان ،
حين ولأه الصلاة بأهل كورة الرى ودنياوند^(٣) ونواحيها والحرب
والأحداث ميهما .

أمره بتقوى الله وطاعته ، وخشيته ومراقبته ، في سره وعلايته ،
وظاهر أمره وباطنه ، والعمل بما أمر الله به ، والانتها عما نهى عنه فيما
وافقه وخالفه ، وأرضاه وأسخطه ، فإنه من يتق الله يقه ، ومن يعتصم به

(١) في الأصل « قد عرفتكما » ، وربما كان الصواب « قد عرفتكما إياها » .

(٢) تأثر فيه عهد المهدي السابق واقنس منه - انظر ص ١٥٢ من الجزء الثالث .

(٣) حل من نواحي الرى .

يَهْدِيهِ ، وَمَنْ يُطِيعَهُ يَتَوَلَّهُ وَيُكْفِهِ ، « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ
مُحْسِنُونَ » .

وَأَمْرَهُ أَنْ يُشْعِرَ قَلْبَهُ خَيْفَةَ اللَّهِ وَهَيْبَتَهُ وَالتَّفْوِيضَ إِلَيْهِ ، وَالاعْتِمَادَ
عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ كِتَابَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا لَهُ إِمَامًا ، وَمُسْنَدًا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِثَالًا ، فَإِنْ فِيهِمَا دَلَالَةٌ وَتَبْيَانًا ، وَضِيَاءٌ وَنُورًا وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ،
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَا يُعْنَى بِهِ وَيُقَدَّمُ ، وَيُرَاعَى وَيُؤْتَرُ ، إِقَامَةُ
الصَّلَاةِ لِمَوَاقِيتِهَا ، بِإِتْحَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا ، وَأَدَاءِ فَرَضِ اللَّهِ فِيهَا ؛ إِذْ كَانَتْ
عِمَادَ الدِّينِ ، وَأَفْضَلَ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ . وَكَانَ مِنْ أَضَاعِهَا وَقَصَّرَ فِي
وَاجِبِهَا ، أَشَدَّ تَضْيِيعًا لِمَا سِوَاهَا مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا وَفَرَائِضِهِ وَدِينِهِ
وَشَرَائِعِهِ « وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ » .

وَأَمْرَهُ أَنْ يُلْهِمَ نَفْسَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ حَالَاتِهِ ، وَصَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنْ
أَمْرِهِ ، ذِكْرَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَقُدْرَتَهُ عَلَيْهِ ، وَالْأَيْمُنِيَّ أَمْرًا إِلَّا بَعْدَ اسْتِخَارَةِ
اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فِيهِ ، وَاسْتِغْنَاءَهُ فِي ذَلِكَ بِالذِّي هُوَ لَهُ أَرْضَى ، وَعِنْدَهُ أَرْكَى .
فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَى ، وَإِنْ أَفْضَلَ الْأُمُورِ خَيْرُهَا عَاقِبَةٌ ، وَأَحْمَدُهَا مَغْبَةٌ ،
وَمَا التَّوْفِيقُ إِلَّا بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ .

وَأَمْرَهُ أَنْ يُحْسِنَ الْوِلَايَةَ لِأَهْلِ عَمَلِهِ ، وَالسِّيَاسَةَ لِمَنْ اسْتُرْعِيَ أَمْرَهُ ،
وَيُكْثِرَ الْجُلُوسَ لَهُمْ ، وَالنَّظَرَ فِي أُمُورِهِمْ ، وَيَفِيضَ الْعَدْلَ وَالنِّصْفَةَ فِيهِمْ ،
وَيَكْفِ الْعَدُوَّ الظَّالِمَ عَنْهُمْ ، وَيَسُوِّيَ الْحَقَّ بَيْنَ كَفْتِهِمْ . وَلَا يَمِيلُ إِلَى شَرِيفٍ
فِي شَرَفِهِ ، وَلَا عُلَى خَامِلٍ لِسُقُوطِ مَنْزِلَتِهِ ، وَأَنْ يَخْتَارَ لَوِلَايَةِ أَعْمَالِهِ - اضْرِبْهَا

ونائبها ، وقريبها وبعيدها ، ذوى العفاف والشهامة والكفاية ، ويُوعز إليهم في الرفق بأهلها ، والتألف لمن حسنت طاعته ، واستقامت طريقته ، والشدة على من خالف الحق مذهبه ، ولا يكون لأحد عنده إغضاء عن ريبه يشتمل عليها ، وسبيل غير محمود يسلكها ، فإن في إقامة الحق صلاحاً وخيراً كثيراً ، وفي التفريط ضرراً وخلاً عظيماً .

وأمره أن يتفقد من معه من موالى أمير المؤمنين وأوليائه ، ويحسن صحبتهم وعشرتهم ، ويتفقد أمورهم ومصالحهم ، ويراعى أحوالهم في طاعتهم ومناصحتهم ومذاهبهم فيما يُصرفهم فيه ، ويهيئ^(١) بهم إليه ، ويُنزلهم منازلهم على حسب ما يحمد ويدمّ منهم ، ليزداد محسنهم في إحسانه ، وينزع مقصّرهم عن تقصيره .

وأمره أن يقدم أهل الفضل والصلاح والمشايعة والمؤالاة والنسيحة للسلطان ويدنيهم ويقربهم ، ويسمع منهم ، ويعرف لهم ماسدوا ، ويظهر من نصائحهم ، ويحتمل من حالاتهم ، حتى يدعو من فعله بهم غيرهم إلى سلوك مذاهبهم ، والاقتراب بهم . والازوم هديهم ، وأن يتخذ أهل العفة والرأى والسنن والورع جلساءه وبطانته ، ويشاورهم في أمره ، ويستعين بأرائهم فيما هو مُصدرة ، حتى يكون ما يُخفى ويُنفذ منه بحسب ما يجتمعون عليه ، ويروده موافقاً للحق والعدل ومجاوباً للظلم والجور .

وأمره أن تكون أحكامه بما ينفرد بالانظر فيه ، وإقامته من التحديد وما أشبهها . عما يجب لله عليه في ذلك ، من اتباع محكم تنزيل ، أو ما تورسنة ،

أورأى يتفق عليه نذيل^(١) مُحْسِنٌ ومن يليه من الفقهاء وذوى المعرفة ،
والأُّ يُقَدِّم على سَفَك دم ، ولا تخليّة سبيل محبوس ، ولا قَطْع مستحقّ
للقطع ، حتى يكتب إليه باسم من وجب ذلك عليه ، واسم أبيه وقصته ، في
إقرار إن كان منه ، أو يئنه إن قامت عليه ، وأسماء تلك البيعة ، وما تُعرف به
في أنسابها ومواضعها ، وما شهدت به ، وعدلها فيمن هي منه ، ليأتيه الأمر
فيه يمثله ، فإن هذين الحدّين من أجل الأحكام منزلة ، وأعظمها تبعه ،
وأولها بالحظر ، إلى أن يوقف على حقيقة ما يجب فيها ، ويأمر السلطان
- أعزه الله - بما يوقفه الله في إقامتها إن شاء الله .

وأمره ألا يأخذ أحداً من الرعية بقرّة^(٢) ولا إحنة ، ولا يعرض لأحد
من أهل البراءة والسلامة والاسستقامة ، ولا يلحق بهم جرأثر أهل
النطف^(٣) والرّيبة ، وأن يُشرف على أهل الدّعارة والفساد في عمله ويقمّعهم
ويردّعهم ، فيشرّد بهم ، ويعاقب من استحق العقوبة منهم بقدر جرمه ،
وبحسب ما حدّ في مثله ، من غير أن يبلغ بأحد من لا يجب عليه الحدّ حدّاً ،
فإن لكل شيء قدرا ، ولن يستطيع الرأى فيمن أشكل عليه مقدار تأديبه ،
ومن لا يصلحه إلا المبالغة في عقوبته ، ويكتب بحاله وشرح جريمته ، ليأتيه
الرأى فيه بما يعمل به إن شاء الله .

وأمره أن يصرف عنايته إلى الفواحي التي تصاقب^(٤) عمله ، من نواحي

(١) في الأصل « سبيل » وأراه محرّفاً ، والنذيل : الذكي التجيب ، والواو في « ومن » للمعية .
(٢) فرقه بسوء : رماه به واتهمه ، والفرقة بالكسر : التهمة الإحنة : الحقد .
(٣) نطف كفرح وعى نطفاً بالتحريك ونطافة ونطوفة : اتهم برية وتلطح بعب وفسد .
(٤) صاقبه : قاربه .

الأعداء المكتنفة له ، ويرتب إزائها من يسدُّ خلفها ، ويرتق فتقها ،
ويراعهم بإشرافه وتفقدته ، ويعاجل من يحتاج إلى معالجته من نجم^(١)
ويجُم بها ، ويخاف عاديته وشرته ، ويناهضه بنفسه وبكافة الأولياء الذين
معه ، ويستعمل في أمره ما يدفع الله به مكروهه ومعرته ، مؤثراً في ذلك
اليقظة على الغفلة ، والجِدَّة على الفتور ، فإن مراعاة أولئك الأعداء وكف
عاديتهم ، من أهم الأمور التي يتقلدها ، ويؤمل عنده الكفاية لها ، وأن
يتقدم إلى من قبله من التجار وغيرهم ألا يجاوزوا شيئاً من عمله إلى شيء من
تلك النواحي بالمير^(٢) والأسلحة ، ولا يحملوا تلك المير إليها ، ويظهر النداء
فيهم ، فمن تجاوز أمره وتعداه تقدم في حبسه وكتب باسمه واسم أبيه
وإحصاء ما وجد معه من أصناف المير وغيرها ، ليأتيه الأمر بما يمثله إن
شاء الله .

وأمره أن يتفقد طرف عمله ومساحله^(٣) بالضبط لها ، وبذرة^(٤) السابلة
المختلفة فيها ، ويبلغ في ذلك المبلغ الذي يرجو معه بإذن الله أمنها وسلامتها ،
ويرتب فيها الثقات من أصحابه ، وأهل الجلد من جنده وأعوانه ، ويأمرهم
بمراعاة ما يوكلهم به منها ، ورفع شؤوناتهم عن يجتاز بها ، حتى لا يلزمهم
جناية بسبب ثار ولا غيره ، وألا يحمل أحدا منهم كلفة ولا نايبة^(٥) ، فإن

(١) أي ثار ، من نجم النات : إذا ظهر وطلع .

(٢) جمع ميرة بالكسر : وهي الطعام .

(٣) المسالخ جمع مسلحة بالفتح : وهي الثغر ، والقوم ذوو سلاح .

(٤) البذرة : الحفارة ، فارسية معربة ، والمبذرق : الحخير .

(٥) في الأصل « يأسه » والنايبة : ما ينوب الإنسان أي يتزل به من المهمات والحوادث

في ذلك رفقاً بهم ، وصلاً حالهم ، وعمارةً لطرفهم ، ودُرُوراً لتجاراتهم ،
ووصولاً للنفع إلى البلدان التي يقصدونها للتجارات ، وأمناً من انقطاعها
عنها بإذن الله .

وأمره أن يُحسِنَ مَعُونَةَ أحمد بن محمد ، المتقلد لأعمال الخراج والضَّياع
قَبْلَهُ ، على ما استعان به عليه ، مما فيه زَجَاءٌ^(١) الخراج ، ودُرُورٌ جبايته ، ويُزِيحُ
عِلَّتَهُ^(٢) فيمن يحتاج إلى إشخاصه اليوم^(٣) من الممتنعين والمدافعين بما يجبُ
عليهم ، وفي سائر ما يلتمسُ منه المعونةَ عليه ، وأن يضمَّ إليه من الأعوان
العِدَّةَ التي لم تزل تُضمُّ إلى المتولَّى لما قلده ، ويعمل على أن ذلك من أولى
ما قدمه وآثره ، واستفرغ فيه وسعته ، للصلاح العائد به ، والحظُّ الراجع فيه
إن شاء الله .

وأمره أن يتفقدَ مَنْ في الحبسِ قَبْلَهُ ، ويكثرَ عَرْضَهُم والنظرَ في
أمرهم ، والأسبابِ التي حُبِسُوا بها ، ولا يقصدَ لإطالةِ حبسٍ من لا يجب
ذلك عليه ، ولا لإطلاق ما يوجب الحقُّ تخليده ، ويعمل في أمورهم ومشاوره
أهلِ الفقه فيهم ، وإقامةِ التأديبِ والحدودِ عليهم ، بما حُدِّدَ في أمثالهم
إن شاء الله .

وأمره ألاَّ يقسيمَ على أهلِ عمله قِسْمَةً بسببِ نُزُلٍ^(٤) ولا غيره ، مما كان

(١) زجا الخراج يزجو زجا : تيسرت جبايته .

(٢) في الأصل « ويرتج عليه » وهو نصيف .

(٣) كذا في الأصل ، والأظهر أنه « إلينا » .

(٤) النزول كعق وقل : ماهي للضيف أن ينزل عليه .

شِرَارُ الْعُمَالِ يوظفونه ويقسمونه على أهل أعمالهم ، ويتجنب الطعم^(١) الشائنة ، والمكاسب الرديئة ، ويحذر أن يعرض لشيء منها ، أو يطلقه لأحد من كفاته ، فيرد عليه من النكير ما هو حري بتوقيه والتصون عنه .

وأمره أن يتقدم في تعريف ما يوجد من الضوال^(٢) في عمله والإشادة بذكرها ، فإن عرف أحد ضالة منها ، وأوضح ملكة إياها بما يوضح به مثله ، سلمت إليه ، وأشهد بها عليه ، وإن لم يحضر لها طالب ، وأشفق من ضياعها ، باعها في أسواق المسلمين بأقصى أثمانها ، وأحوط ما يعمل به في أمرها ، وسلم ثمنها إلى عامل الخراج قبله ، ليجمعه عزلاً^(٣) في بيت المال ، فإن استحقه مستحق بعد ذلك دفعه إليه إن شاء الله :

وأمره أن يجس من ظفر به من أبق^(٤) أرقاء المسلمين والمهاجرين ويستوثق منهم ، ويسأل عن أسمائهم وأسماء مواليتهم ومواضعهم ، ويكتب بذلك إلى العمال الذين هم في أعمالهم ، ويدفع كل عبد منهم أو أمة إلى مولاه ، إذا قامت البيئة العادلة على أنه رقيق له ، أبق منه ، ويشهد بذلك عليه إن شاء الله .

وأمره أن يتخير للجسبة على أهل الأسواق وسائر أصحاب الصناعات والبياعات^(٥) في عمله ، من يعرف بالقصد في مذهبه ، والستر في نفسه ،

(١) الطعم جمع طعمة بالضم : وهي وجه المكب .

(٢) الضوال جمع ضالة : وهي الحيوان الضائع لا يعرف له رب ، وقد تطلق الضالة على المعاني .

(٣) العزل : ما يورد بيت المال مقدمة غير موزون ولا منتقد .

(٤) جمع أبق : وهو الهارب .

(٥) البياعات جمع بياعة بالكسر وهي السلعة ، وفي الأصل « الساعات » وهو تحريف .

والمعاف في طعمته ، واستيفاء الحق فيما يُقلده ويُستكنى القيام به ، ويتقدم إليه في أخذ كل طبقة من أهل الطبقات التي يقع في الحسبة فيها ، بتصحيح المعاملة ، ورفع العش ، وتجنب كل ما عاد بمضرة على المسلمين وتحيف^(١) لهم ، وتعبير^(٢) المكاييل والموازين في سائر عمله ، وإقامتها على الوفاء والعدل ، وختمها بالرضا ، وحمل المتاعين فيها وغيرهم عليها ، والإشراف على ما يرسمه ويتقدم بامثاله في سائر وجوه الحسبة ، حتى لا يخالف شيء منه إلى غيره ، ومعاقبة من عسى أن يقدم على مخالفته فيه ، يردعه ويعظ من سواه ، فإن الله عز وجل يقول : « أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » .

وأمره : إن كان فيما يؤدي إلى صلاح ما ولاه واستقامته ووقوع الاحتياط فيه ، موافقة أمر لم يعهد إليه فيه ، واحتاج إلى استئماره في ذلك ، أن يتوقف عن إحداث حدث في شيء منه ، ويكتب إليه به ، ليأتيه الأمر في ذلك بما يعمل به ويقتصر عليه . وإن كان مما سبيله أن يمضي فيه رأيه ، عمل فيه بما يوفقه الله له ، ممثلاً في ذلك أعدل السير وأقصدها إن شاء الله . وأمره أن يقرأ عهده على أهل عمله ، ويُعلمهم رأيه فيه ، وعنايته بما فيه صلاحهم ، والإحسان إليهم ، والمعدل عليهم ، والتقرب إلى الله بذلك

(١) تحيفه : نقصه من حيفه ، والحيف كعب : النواحي جمع حيفة بالكسر .

(٢) قال في اللسان : « عبرت الدناير : وهو أن تلتقي ديناراً ديناراً ، فتوازن به ديناراً ديناراً ، وكذلك عبرت تعبيراً إذا وزنت واحداً واحداً ، يقال هذا في الكيل والوزن ، قال الأزهري : فرق الليث بين عايرت وعبر ، فجعل عايرت في المكيال وعبرت في الميزان . . . » .

في أمرهم ، لِيَسُطُّ آمَالَهُمْ ، وَيُحْسِنَ ظَنُونَهُمْ ، وَيُحَمِّدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

هذا عهدى إليك ، وأمرى إياك فيما قلدتك وأسندتُ إليك ، فامتثلهُ
واعملْ به ولا تُجاوِزْهُ ، واستعنْ بالله فيما غلبك منه يقك ، والله أسأل أن
يصلى على محمد عبده ورسوله ، وأن يوفقك ويحسن كفايتك ، والسلام .
(اختيار المنظوم والمنتور ١٣ : ٣٤٦)

٢٢٣ - كتاب جعفر بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان :
« قد فتحتَ للمظلوم بابك ، ورفعتَ عنه حجابك ، فأنا أحاكم الأيام
إلى عدلك ، وأشكو صرْفَهَا^(١) إلى عطفك ، وأستجير من لؤم غابتها بكرم
قدرتك ، فإنها تؤخرني إذا قدمت ، وتحرمني إذا قسمت ، فإن أعطت
أعطت يسيراً ، وإن ارتجعت ارتجعت كثيراً ، ولم أشكها إلى أحد قبلك ،
ولا أعددتُ لإنصافها إلا فضلك ، ودفعَ ذمام^(٢) المسألة وحقَّ الظلّامة
حقَّ التأميل وقدمُ صدقِ الموالاةِ والمحبة ، والذي يملأ يدي من النصفة ،
ويُسبِغُ العدلَ على ، حتى تكون إلى مُحسِننا ، وأكون بك للأيام مُعدياً ،
أن تخاطبني بخواصِّ خدمك ، الذين نقلتهم من حال الفراغ إلى الشغل ،
ومن الخمول إلى النباهة والذكر ، فإن رأيت أن تُعديني^(٣) فقد استعديتُ ،

(١) صرف الدهر : نوائبه .

(٢) الذمام : الحق والحرمة .

(٣) أعداه : نصره وأعانه وقواه ، واستعداه : امتعانه واستنصره .

وَتُجِيرَنِي فَقَدْ عُدَّتْ بِكَ ، وَتَوَسَّعَ عَلَيَّ كُنْفَكَ فَقَدْ أُوَيْتُ إِلَيْهِ ، وَتَشَمَّلَنِي
بِإِحْسَانِكَ فَقَدْ عَوَّلْتُ عَلَيْهِ ، وَتَسْتَعْمَلُ بَدَنِي وَلِسَانِي فِيهَا يَصْلُحَانِ لخدمَتِكَ
فِيهِ ، فَقَدْ دَرَسْتُ كُتُبَ أَسْلَافِكَ ، وَهُمْ الْأُمَّةُ فِي الْبَيَانِ ، وَاسْتَضَاءَتْ بِرَأْيِهِمْ ،
وَاقْتَفَيْتُ آثَارَهُمْ اقْتِفَاءً جَعَلَنِي بَيْنَ وَحْشِي كَلَامٍ وَأُنَيْسِهِ ، وَوَقَفَنِي مِنْهُ عَلَى جَادَةٍ
مَتَوَسِّطَةٍ ، يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْعَالِي ، وَيَسْمُو نَحْوَهَا الْمَقْصُرَ ، فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى . (معجم الأدياء ٧ : ١٨٨)

٢٢٤ - كتاب أحمد بن أبي طاهر إلى علي بن يحيى

وكتب أحمد^(١) بن أبي طاهر يشكر علي^(٢) بن يحيى :

« وَصَلَ إِلَيَّ - وَصَلَ اللَّهُ نِعْمَتَكَ بِالزَّيْدِ - مَا ابْتَدَأَتْ بِهِ مِنْ بَرِّكَ الْمَتَابِعِ ،
وَفَضْلِكَ الْوَاسِعِ ، فَصَادَقْنَا عَلَى حَالٍ مِنَ الْخَلَّةِ^(٣) قَدْ دَعَتْنَا ضَرُورَةُ الْحَاجَةِ بِهَا
إِلَى ذَلِّ الْمَسْأَلَةِ ، فَرَمَّ^(٤) مَا تَلَّمَهُ الدَّهْرُ مِنْ مُرُوءَتِنَا ، وَسَدَّ مَا كَشَفَهُ مِنْ
خَلَّتِنَا ، وَكَفَانَا مِثْوَنَةَ الْإِمْتِحَانِ لِلْإِخْوَانِ فِي مَوَدَّتِنَا ، وَسَتَرَ وَجُوهَنَا
بِالصِّيَانَةِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ ، وَأَبَقَى جَاهَنَا عِنْدَ أَهْلِ الْمَوَدَّةِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَعْرُوفٍ
صَادَفَ حَاجَةً ، وَصَنِيْعَةً كَانَتْ إِبْسَاطُهَا بِإِلَازِلَةٍ وَلَا بَدَلَةٍ^(٥) ، وَمَعُونَةٍ جَاءَتْ

(١) هو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، صاحب كتاب المنظوم والمشور ، ولد ببغداد سنة ٢٠٤ وتوفي سنة ٢٨٠ - انظر ترجمته في الفهرست ص ٢٠٩ ومعجم الأدياء ٣ : ٨٧ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، وكان من خاصة ندماء المتوكل ، وخص به وبين بعده من الخلفاء إلى أيام المعتز ، وكان مقبلاً عندهم ، يفضون إليه بأسرارهم ، ويأمنونه على أخبارهم ، وكان راوية للأشعار والأخبار شاعراً محسناً ، وتوفي سنة ٢٧٥ - انظر الفهرست ص ٢٠٥

(٣) الخلة : الحاجة والفقر .

(٤) رمه : أصلحه .

(٥) البذلة : اسم من الابتذال : وهو امتهان النفس وعدم صيانتها .

بلا مئونة ، وغيثٍ جاء بلا عارضٍ ولا مُخيلة^(١) ، وأملٍ أدرك بلا تعب ،
 وحقٍّ أوجب بلا حرمة ولا سبب ؟ ما كان إلا كالقطر ، في الأرض
 القفر ، أغفلها الزمان ، وجفأها العمران ، وكلٌّ معروف وإن كثراً فأكثرُ
 منه فضلك ، وكل صنعة وإن كبرت فأكبرُ منها الأملُ فيك ، وكل
 شكرٍ بلغ غايةً محمودة فأقلُّ كرمك يستغرقه ، وكبيره يقصُرُ عن تطوُّك
 به ، فتُّ والله المادح المطيب ، وقصّر عنك لسانُ الشاكرِ المعترف ،
 والحامدِ المجتهد ، وأتقد فضلك المحاسن ، واستوفى أقلك جميعَ القضايل ،
 وكلُّ دونك لسانُ الخطيب والشاعر ، وتزيّنت بك الأيام ، وازدحمت
 عليك الآمال ، وامتلأ مكارمك الكرام ، وقصّر عنك الجياد والأجواد ،
 فإلى الذي زيننا بإخائك ، نرغب في بقائك ، ونسأله أن يهبك لفاقتنا إليك ،
 واتكأنا بعده عليك . (اختيار المنظوم والمثور ١٣ : ٣٨٢)

٢٢٥ - كتابه إلى علي بن يحيى

وله إلى علي بن يحيى :

« إن أحقَّ معروف بأن يشكر ، ويدِّ بارّةً بأن لا تكفر ، وأحقَّ
 واجبٍ بأن يؤدّي ، وإحسانٍ وبرٍّ بأن يجازي ، معروفك - أعزك الله -
 عندي ، ويدُّك قبلي ، وحقُّك علي ، وإحسانك إليّ ، لأن المعروف يحسن
 عند الأحرار موقعه ، ويجب عليهم شكره ونشره والإشادة بذكره ،

(١) العارض : السحاب المعترض في الأفق ، والسحابة الخبيثة (ياء مشددة مكسورة) والخيلة
 (تكسر الحاء) : التي تحسبها مطرة .

تتطوع مبتدئا ، وتشفع ما تقدم مُعَقِّبًا ، وتُحَسِّن رَّبَّ ما أُسَدِيته متفضلا ،
لا أخلاك الله من برِّ وإحسان ، ولا أخلاننا منك في حال .

(النظم والمنثور ١٣ : ٣٨٠)

٣٢٦ - كتابه في ذم ابن ثوابه

ولأحمد بن أبي طاهر في ذم ابن ثوابه حين ولى طَسَاسِيح^(١) الكوفة :
« أما بعد ، فإن فلانا قدم علينا شامخًا بأنفه ، عاقدا لعُنُقِه ، ذاهبا
بنفسه ، يرى أن الجنة خُلِقَتْ لمن أطاعه ، والنار لمن عصاه ، وأن الملائكة
المقرَّين لم تنزلْ على مَنْ نزلتْ عليه من الأنبياء إلا بتوكيد ذلك له ، فلا
يعذب الله العباد إلا على معصيته ، ولا يُثيبهم إلا على طاعته ، ولا أن
الصَّيْحَةَ أخذتْ قومَ مُودٍ إلا لاعتراضٍ كان منهم على أوْلِيَّةِ أجداده ، ولم
يرسل الله الرِّيحَ العَقيمَ على قوم عاد إلا عن خلافٍ كان منهم لآبائه ، وأن
الواجب على هذه الأمة ، والفرض المحتوم الذي لا يُقبَلُ منهم غيرُه ، طاعته
وقلةُ الخِلافِ عليه ، بالاسْتِحْقاقِ منه لذلك في نفسه ، وللوراثَةِ عن آبائه
وأجداده ، كأنه قَدَارٌ^(٢) عاقِرٌ ناقَةٌ مُودٍ في خلقته ، وفرعونُ ذو الأوتاد
في جَبَرِيته ، يحسبُ الجُودَ ذُلًّا ، والبخلَ عِزًّا ، والجورَ عدلًا ، وأن ما نهى
الله عنه من قبيح فهو الجميل الذي أمره به ، وما أمر به من جميل فهو القبيح

(١) طَسَاسِيح جمع طسوج (بفتح الطاء وضم السين المشددة) : وهو الناحية ، وحاء في ترجمة ابن ثوابه
في معجم الأدياء « وكان عبيد الله بن سليمان الوزير قد صرف أحمد بن محمد بن ثوابه عن طَسَاسِيح
كان يتقلدها » .
(٢) هو قدار بن سالف .

الذي نهاه عنه ، لا يستكثر الخلافة فيحدث بها نفسه تيهًا ، ولا النبوة
 يتمناها على ربه عجبا ، وإذا قعد على فرشه وأخذ مجلسه ، ورعى بطرفه في
 منزله ، دخلته العزة ، وعلته الأبهة ، وغلب عليه الكبر ، حتى يخيل إليه
 أن بيت الله الحرام بعض داره ، وأن صحنها هو الصرح المررد^(١) الذي ذكره
 الله في كتابه ، وأن مهبط الملائكة على ظهر كنيسته ، وبئر زمزم من بعض
 آباره ، وما بين الصفا والمروة مراغة لدوابه ، يضع من قدر نفسه ، ويرفع من
 قدر طعامه ، فيرى أن مائدته هي التي ذكر الله في كتابه^(٢) ، فمن أكل منها
 كان رِقَالَه بأكلته ، تجرى عليه أحكامه ، وينفذ فيه أمره ، ضيقه أشدُّ
 الناس شها بالملائكة : طعامه التسبيح ، وشعاره الصبر ، وكل حشمة طائفة
 من الجن ، مُبرِّحُون^(٣) بالشَّمِّ دون الأكل ، وبالمصِّ دون الشرب ، ولولا
 ما كفى الله من غربته^(٤) ، بالغرب^(٥) الذي به ، لَضَجَّت الأرضُ إلى الله من
 تيهه ، ولتبدت الأمةُ لله بالابتهاال إليه من تجبره ، يرى أن قارون^(٦) كان

(١) الصرح : القصر وكل بناء عال ، والمررد : الملس ، يشير إلى قوله تعالى : « قال إنه صرح
 مررد من قوارير » .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : « قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء
 تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين » .

(٣) برَّح به الأمر تبرحاً : جهده واشتد عليه .

(٤) الغرب : الحدة .

(٥) لعينه عرب : إذا كانت تسيل فلا تقطع دموعها .

(٦) قال تعالى : « إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم . وآتيناه من الكنوز
 ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة » كان ابن عم موسى وابن خالته ، والأكار بالتشديد

المرات ، جمه أكرة ، كأنه جمع آكر في التقدير .

من بعض أكرته ، والخضر^(١) صلوات الله عليه من بعض فيوجهه ، ولولا ما تقدم من حقه ، وما سبق من مودته ، والذي أنا عليه من الميل إلى ناحيته ، والنصرة لمذاهبه ، والحيلة من ورائه ، والذب عنه ، وأنى لا أرى أن أصفه إلا بأحسن ما فيه ، ولا أستحل ذلك منه ، لأنطلق لساني من وصف عجائبه ، ولطيف بدائعه ، بما لم يخطر على قلب بشر .

(اختبار المنظوم والمنثور ١٣ : ٤١٩)

٢٢٧ - كتاب ابن أبي طاهر إلى أبي البصير

وكتب أحمد بن أبي طاهر إلى أبي البصير يعاتبه على مؤاخاة ابن مكرم ، معددا سيئاته ومثاليه :

« وفر الله يا أخى من كل خير حظك ، وأجزَلَ منه قسَمك ، وبلغك غاية هممك ، ونهاية طلبتك ، ومتع إخوانك بما منحهم منك ، وأعاذهم من الغير فيك ، إنه يقال - جعلني الله فداك - : أخوك من صدقك ، وعدوك من نافقك ، وعليك لأخيك مثل الذى عليه لك ، والعتابُ أمانة الإشفاق ، ودليل الضنن من الأخوان ، ومن جادل نفسه في هواه ، عرف صوابه وخطأه ، وعلى النصفة ثبات المودة ، ومن المشاكاة تكون الموافقة^(٢) ، ولولا

(١) هو النبي الذي لقيه موسى عليه السلام ، وقتاه يوشع بن نون ، في طريقهما ، وفي ذلك يقول تعالى : « فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا »

والفيوج جمع فيج بالفتح : وهو رسول السلطان الذي يسى بالكتب .

(٢) وربما كان «المراقبة» .

رجائي يا أخي أن تستميلك المعاتبة، وتُرْجِعَكَ^(١) المراقبة، وعلى أن فيما أعدد عليك، وأذكرك به، وأتقدم فيه إليك، ما يثني أخلاقك، إلى ما يشبه أعراقك^(٢)، وأنى قد بلغت بك في النظرة^(٣) الموضع الذي يتعذر مخرج العذر عليك منه، إلا أن تعود بالإقرار، بمقامك على الجفاء والإصرار، وما أرجع إليه من الثقة بك، وإخلاص المحبة والمقّة لك، وما أعرفه من صحة ودك، وكريم عهدك، وحسن اختيارك وتميزك، ما عتبت عليك ولا استعبتك، ونخلتتك وما اخترت، ولم أنبهك على ما أضعت، ولما وصلت ما قطعت، حتى يثوب إليك حازم من رأيك، وعاطف من ودك وإخائك، ولكني ما أمسكت عن المعاتبة، وتأنيتك^(٤) بالمراقبة، ورأيتك قد رضيت بالمهنة^(٥) التي تلزمك في الهجنة، وكنت إلى لين استعطافك، وحسن إنصافك، أحوج مني إلى قطع أسبابك، والمقام على ترك عتابك، وكنت مستعداً لاحتمال ما يضيمنى منك، ويتناهى إلى عنك، لميل النفس بالرغبة إليك، وإقبالها - وإن أدبرت عنها - عليك، لأن العدوان في المعاملة، من شأن من يحظر عليه في المواصلة، سيما من قد أخلق عندك إخاؤه، ورث في نفسك وفاؤه، ودعاك طول عهده إلى ملالة وده، لم أجد بداً من ردك، باستعتابك إلى ما هو أولى بك، ردك الله إلى أجل العادة، وما هو أولى بك فينا من النصفة.

(١) في الأصل « وتوحك » وهو تحريف .

(٢) أى أصلك وفي الأصل « إلى ما لا يشه »

(٣) أى الإمهال والتأخير .

(٤) تأناه : انتظره .

(٥) المهنة : الخدمة ، وامتهنه : تشده واحقره ، والهجنة : ما يبيغ .

الأخى - أقبل الله بك إلى الواجب - أنا الخليل الذى لا يُزِيلُهُ عن ودِّك
وقديم عهدك سَكْرًا^(١) ، ولا يُعَيِّرُ من قد بلاك وبَلَوْتَهُ^(٢) ، وامتحنك
فاختارك واخترتَه ، أوَّلَكَ عنده حميد ، وآخِرَكَ^(٣) عنده جديد ، مَوَدَّتُهُ لك
غيرُ مدخولة ، وعِشْرَتُهُ غيرُ مملولة ، لم تَنْبُ^(٤) عنك خلائِقُهُ ، ولم تنشعبْ
عنك طرائقُهُ ، يَغُضُّ من نفسه ليرفَعَكَ ، ويضربها لينفَعَكَ ، فحين نطقتُ
بلسانك فيما ضربتني ، وتقدمتُ لك فيما أخرتني ، وأخدمتُ^(٥) مودتك نفسى
وعرضى ، وهتكتُ لك أدبى ومروءتى ، فوددتُ بودك ، وصددتُ
بصدك ، ووقفتُ بك حيث وقفتَ بنفسك ، واتقدتُ لك حيث سلكتُ
بى محبتك ، ولم أجشمتك الوقوفَ عند هوائى ، ولم أسمك الانصرافَ إلى
رضائى ، إلا فى أمر تسلَّم عاقبته ، ولا تسوءك مغيبته ، أوثرُ على محبتى ماسرك ،
وأقدم على أمرى أمرك ، لا أوازنك المعاملة ، ولا أقارِضك المشاغلة ، ما تحبُّ
فضمونُ لك عندى ، وما تكره فمصرفُ عنك منى ، أحملُ عنك الثقيلَ ،
وأتوَعَّرُ ليسهل لك السبيلُ ، أوسعُ لك فى الذنوب المنهجَ ، إذا ضاق عليك
من العذر المخرجُ ، أظلمك على مكنون سرى ، وأظهرك على باطن أمرى ،
لا أقول هذا تمنًا ، ولا أعتدُّ به تبعجًا^(٦) ، ولا أقتضيك عليه شكرًا ،

(١) فى الأصل « شكر » وهو تحريف ، والسكر بالتحريك : الغضب والغيظ ، وربما كان
الأصل « شكوى » .

(٢) بلاه : اختبره .

(٣) فى الأصل « وأحرك » .

(٤) أى لم تضيق .

(٥) أخدمت فلانا : أعطيته خادمًا يخدمه ، أى جعلت مسمى وعرضى خادمين لمودتك .

(٦) تبعج به : نثر .

إذ كنت أرى أنى أوّدي به فرضا واجبا ، وأقضي به حقا لازما ، ولكنى
أذكرك ما نسيت ، وأنبئك على ما أضعت ، وأحتج عليك إذ قصرت ،
وقدمت عليّ في إخائك ، من ليس من أكفائي ولا أكفائك ، المقلّي المذمّم ،
المهين « ابن مكرم » ، العاق لأبيه ، والمنتقن من أخيه ، والقاذف لأمه ،
والقاطع لرحمه ، المهتوك الحرمّة ، الوضع الهمة ، الضيق الصدر ، القريب
القر ، السريع إلى الصديق ، البطيء عن الحقوق ، المشهور بالزنا (١) ،
المعروف بالبغياء ... (٢) ، العاكف على ذنبه (٣) الصادف (٤) عن ربه ، الوضع
في خلائقه ، العاني (٥) على خالقه ، الدائم البطنة ، النطف (٦) الدين والجيب ،
الدنس العرض والثوب ، عدوّه آمن من غائلته ، وصديقه خائف من بائقته ،
جهله جهل الصبيان ، وضعفه ضعف النسوان ، سهك (٧) الرّيح ، ثقيل الروح ،
خفيف العقل والوزن ، خبيث الفرج والبطن ، جليسه بين تنن وأذى ، وقدر
وبدى (٨) ، من استخف به أكرمه ، ومن وصله صرّمه ، غث الخلقه ، رث الهيئة ،
ومسخ المروعة ، يحلف ليحنث . ويعهد لينكث ، ويعد ليخلف ، ويحدث
ليكذب ، إن تكلم ملاً الأسماع عيا ، والأف نننا ، وإن سكت قرى (٩)

(١) في الأصل « المشهور إليه » هكذا . والرنا والزنا بالقصر والمد .

(٢) حذفنا فقرتين هنا لما فيهما من البذاءة .

(٣) في الأصل « على دينه » وهو تصحيف .

(٤) أي المعرض .

(٥) عنا : استكبر وجاور الحدّ .

(٦) نطف كفرح وعى : تلتح نعب واتهم بريئة .

(٧) السهك محرّكة : ربح كريمة من عرق ، سهك كفرح وهو سهك .

(٨) البذاءة : السعة والإفحاش في المطق وقد قصره من مدّ .

(٩) أي قدم إليها ، من قرى الضيف يقربه إذا أحسن إليه - وهو تهكم .

العيونَ قبجاً ، والقلوبَ مَقْتاً ، إسنادُهُ عن المختَين ، وبلاغته في ذم الصالحين ،
وطرفه قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ (١) ، وسَعِيهِ في كَسْبِ السِّبْئَاتِ ، وخلوته لاقراف
السُّوءَاتِ ، وتمتني الشهوات ، أحسنُ عنده من مدحه الأفراط في ذمّه ،
كما أنه أجملُ من وصله المُقامُ على صرْمه (٢) .

هذا قليل من كثير ما أعرف عنه ، ويسيرُ في (جنب ما (٣)) يوصف
منه ، فأنى يا أخى اخترته ؟ ولأى شيء على أثره ؟ (٤) وأى
أموره استلنت ؟ أتدبده بالإخوان (٥) ، أم محافظته على الإخوان (٦) ، أم أنسه
بالخيانة ، أم شتمه الصحابة ، أم مؤاكلته الكلاب ، أم مقامه على
الاعتياب ، أم تثن رأثته ، أم سوء معاشرته ، أم ملاله وضجره ، أو وضره
وبخره (٧) ؟ أم وصلته حين قطعته ، واخترته حين اطرأته ؟ .

وإن مما حقق ظنى بك فيه ، أنك لم تكن له زوّاراً فواظبت عليه ،
وكنت عنه متثاقلاً فأسرعت إليه ، وله ذاماً فلسانك رطبٌ بمدحه ، حتى
كأنك إلى غاية مكروهى أُجريت في أمره ، وإلا فكيف أنست بالجانب
الوحشى من الثقة ، وأوحشت الجانبَ المعمورَ لك بالأنس والمقة ، وقد

(١) المحصنة : العيفة أو المتزوجة ، قال ثعلب : كل امرأة عفيفة فهي محصنة بفتح الصاد وكسرهما
وكل امرأة متزوجة فهي محصنة بالفتح لاغير .

(٢) أى قطعه .

(٣) ماين القوسين يياض بالأصل ، وقد تمت به الجملة .

(٤) يياض بالأصل .

(٥) نذد به صرح بيبوبه وشهتره وسمتع به ، وفي الأصل « أتدبداً على الإخوان » والذي في
كتب اللغة تعدية هذا الفعل بالياء .

(٦) الحوان : كغراب وكتاب : ما يؤكل عليه الطعام ، والمراد به الطعام .

(٧) وضره : أى وسخه وقذره ، وأصل الوضر : وسح الدسم والابن ، واليخر : نين الفم .

تظاهرت عليه بما قلت الشهادة ، وهتفت به الألسن من كل ناحية ،
وتحاماه كل ذي دين ومروءة ، فأعطيت المودة غير أهلها ، ومنحت الجفوة
غير مستحقها ، ووصلت من قطعك ، وقطعت من وصلك .

فبادر يا أخي في يومك منه بترك ما لا ينفعك في غدٍ معرفته ، وتوقع
هجاءه^(١) لك عن قليل ، ونبو^(٢) أخلاقه عنك عن قريب « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » . (اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٤٢٣)

٢٢٨ - كتاب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب عبد الله بن المعتز^(٣) إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب في
يوم عيد .

« أَخْرَتْنِي الْعِلَّةُ عَنِ الْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فَخَضَرْتُ بِالْدَّاءِ فِي كِتَابِي
لِيَنْوِبَ عَنِّي ، وَيَقْرَأَ مَا أَخْلَتَهُ الْعَوَائِقُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا
الْعِيدَ أَكْبَرُ الْأَعْيَادِ السَّالِفَةِ بِرُكَّةٍ عَلَى الْوَزِيرِ ، وَدُونَ الْأَعْيَادِ الْمُسْتَقْبَلَةِ فِيمَا يُحِبُّ
وَيُحِبُّ لَهُ ، وَيَقْبَلُ مَا تَوَسَّلَ بِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، وَيَضَاعِفُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ عَلَى الْإِحْسَانِ

(١) في الأصل « حجاب » وأرى أنه محرف .

(٢) من نبا الطبع عن الشيء : أي نمر ولم يقبله ، ونبأ الشيء عني : تجافى وتباعد ، ونبأ فلان
عن فلان : لم ينقله ، وفي الأصل « ونو أخلاقه عليك » وربما كان : « وتبوا أخلاقه عليك »
أي مخالفتك له .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي ، كان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً سهل
اللفظ حسن الإبداع للمعاني ، وفي خلافة المقتدر (الذي ولي الخلافة من سنة ٢٩٥ إلى سنة ٣٢٠)
اتفق مع ابن المعتز جماعة من رؤساء الأحناف ووجوه الكتاب ، ثلغوا المقتدر سنة ٢٩٦ وبايعوا
ابن المعتز ، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتنوه ، وأعادوا المقتدر
إلى الخلافة ، واختفى ابن المعتز ثم أخذ وقتل ، وأقام في الخلافة يوماً ولبيلة - انظر ترجمته في وفيات
الأعيان ١ : ٢٥٨ ونزهة الألبا ص ٢٩٩ وكتب التاريخ .

منه ، ويمتعه بصُحبة النعمة وليباس العافية ، ولا يُريه في مَسْرَةٍ تقصا ، ولا
يقطع عنه مَزِيداً . ويجعلني من كل سوء فِدَاءه ، ويصرف عيون الغير^(١) عنه
وعن حظي منه . (زهر الآداب ١ : ٢٠٧)

٢٢٩ - كتابه إلى عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدمه

وكتب عبد الله بن المعتز إلى الوزير عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدمه :
« الحمد لله على ما امتنَّ به على الوزير - أعزه الله - من جميل السلامة ،
وحُسن الإياب^(٢) ، حمداً مستمداً من مزیده^(٣) ، وإخلاصاً مستدعياً لقبوله ،
وبارك الله له في قدومه ومسيره ، وفي جميع أموره ، وجعل له منة وافية على
نعمه ، وأبقاه لملك يحرُّسُه ، ومؤملاً يُنعِشُه ، وعائراً يرفعه ، وحفيظاً له
ما خولُه^(٤) ، كما حفظ له ما استرعاه ، ووقفه فيما طوَّقه ، وزاده كما زاد منه .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٨٨)

٢٣٠ - كتابه إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه

وكتب إليه يعزيه عن ابنه أبي محمد :
« عِلْمُ الوزير - أيده الله - بذخائر الأجر يُغني عن نزعته فيه ، وسبقه

(١) الغير : حوادث الدهر المعيرة .

(٢) في الأصل « وحسن الإيابة » والتي في كتب اللغة : الأوب ، والإياب ، والأوية ، والأية
والإيبة والتأوب والتأييب والتأوب ، أي الرجوع ، وليس فيها الإيابة .

(٣) في الأصل « حمداً يستمد أمر مزیده » وأراه محرفاً .

(٤) أي ملكه .

إلى الصبر يكفيني تذكرةً به ، لكن لوليّ الوزير - أيده الله - موضعٌ إن أخلاه دخل في جملة المضيّمين لحقّه ، اللّاهين عما عناه ، وقد كان من قضاء الله في أبي محمد - رضى الله عنه - ما خصّت به المصيبةُ مواقعَ نِعَمِ الوزير ، وآثارَ إحسانه . حاش لله إقراراً بالحق ، وتجزاً للوعد منه ، وعظّم الله أيّها الوزيرُ أجرك ، ووفراً ذخرك ، وعمرَ بقيّتك ، وكثراً عددك ، وسرك ولا ساءك ، وزادك ولا نقصك ، ووصلَ بسلام الزمانِ نعمتك ، ووليّك بما تحبُّ فيما خولّك ، وكلُّ مصيبةٍ وإن عظمتُ صغيرةٌ في ثواب الله عليها ، ضئيلةٌ بين نِعَمِ الله قبلها وبعدها ، وما زال أولياء الله يُعرّضون على المحنّ ، فيستقبلونها بالصبر ، ويتبعونها بالشكر ، وتنفدُ بصائرهم مذمومَ أوائلها إلى محمود عواقبها ، ويعدّونها مراقباً إلى شرف الآخرة ، ومراتبَ لأهل السعادة ، في دارٍ لا تلجها المموم ، ولا يزول فيها النعيم .

وإذا تأمل الوزير ما تجاوزت هذه الحادثةُ عنده من النعم ، في ولده أبي الحسين ، الذي قد نهض بما حمّله ، ووفّى آماله ، وأقرّ عينه ، وغاظ حاسده ، واكتسى لباسَ كرامته ، وقام للخلافة بخلافته ، علّم أنه رابع على الدهر ، حقيقٌ يتجاوز الصبر إلى الشكر ، فجعل الله الخلفَ للوزير من الماضي ، طولَ عمرِ الباقي ، وحرّسه من المكاره كلّها ، وكفاه وكفانا فيه .

٢٣١ - وله فصل من تعزية بولد

« لئن حُرِمَ الأجرَ بِبرِّك ، لقد كُنِيَ الإثمَ بِمُقُوقِكَ ، ولئن فُجِعتَ بِفقدِهِ ،
لقد أمنتَ الفِتنَةَ بِهِ . » (الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٠)

٢٣٢ - وله تعزية

« عارِيَةٌ سَرَّكَ اللهُ بِمَدَّتِهَا ، وآثَرَكَ بِثَوَابِهَا ، وَأَثَابَكَ عَنْ ارْتِجَاعِهَا ،
فَأَبَشَرَ بِعَاجِلٍ مِنْ صُنْعِهِ ، وَأَجَلَ مِنْ جَزَائِهِ وَمَثُوبَتِهِ .
عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكَ ، وَجَعَلَ الثَّوَابَ عِوَضَكَ ، وَوَفَّقَكَ لِنَيْلِ مَرْضَاتِهِ
عَنْكَ ، وَإِنَّا لِلَّهِ ، قَوْلًا بِمَا عَلِمَ ، نَتَنَجَّزُ بِهِ مَا وَعَدَ . »
(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٤)

٢٣٣ - وله تعزية أخرى

« الْخُلُودُ فِي الدُّنْيَا لَا يُؤْمَلُ ، وَالْفَنَاءُ لَا يُؤْمَنُ ، وَلَا سُنْخَطَ عَلَى حِكْمِ اللهِ ،
وَلَا وَحْشَةَ مَعَ خِلَافَتِهِ ، وَالْأَنْسَ بِطَاعَتِهِ ، فَأَدِّ مَا اسْتَرَدَّ صَابِرًا ، وَأَصْبِحْ
لِمَا اسْتَرْجَعَ مَسْتَلِمًا ، فَإِنْ مَنَ عَلِمَ أَنَّ النِّعْمَةَ تَفْضُلُ مِنَ وَاهِبِهَا ، شَكَرَهَا
مُقْبِلَةً ، وَصَبَرَ عَلَيْهَا مُوَلِّيَةً ، جَعَلَكَ اللهُ مُحْتِمِلًا لِلنِّعْمَةِ ، مُؤَدِّيًا لِلشُّكْرِ ، صَابِرًا
عِنْدَ المِحْنَةِ ، مُحْفُوظًا مَوْفُورًا أَجْرَهَا ، وَالْفُوزَ بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا . »
(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٤)

٢٣٤ - وله تهنئة بمولود

« أتصل بي خبر مولودك ، فسرتني لك ماسرك ، وأنا أسأل الله أن يتبع
النعمة به عليك ببقائه لك ، وأنت يعمرك حتى ترى زيادةً إليه منه ،
كما رأيتها به . » (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٢٣٥ - وله فصل في قبول عذر

« كيف أَرُدُّ عُدْرَ مَنْ لا تهتدى إليه الموجهة^(١) ، ولا تتسلط عليه
التهمة ، ووالله ما عرضت لك وحررت منك إلا بخلاً بما ذخرتُه من
مودتك ، واعتمدت عليه من إخلاصك ، تخوفني مع ذلك أن تصير غفلتك
تغافلاً ، وزلتك تعمداً ، وهذا مالا أحبه لك ، وإن كنت أحتله منك ،
وما أعتذر من مطالبتك بما جعلك أهلاً للمعرفة به ، وجعلني بودك
مستحقاً له . » (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

٢٣٦ - وله فصل في حاجة

« موصل كتابي فلان ، وقد جعلت الثقة بك مطيته إليك ،
فلا تنضها^(٢) بطلك ، وأسرع ردّها بسابق إنجازك ، وتصديق الأمل فيك
والظن بك . » (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

(١) الموجهة : العصب .

(٢) أنضها : مزها .

٢٣٧ - وله فصل

« قد ملتُ إليك فما أعتدك ، ونزلتُ بك فما أرتحلُ ، ووقفتُ عليك
فما أنتقلُ » .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

٢٣٨ - وله فصل

« لولا أن الإطناب في وصفِ مطيئةً للمتخرِّصِ^(١) ، وتهمةً للمخلص^(٢) ،
لأطلتُ به كتابي ، وكفى بمقاساةٍ ذي النقصِ مُذَكِّراً بأهل التمام ، وقد
لبثتُ بعدك بقلبٍ يودُّ لو كان عينا ليراك ، وعينٍ تودُّ لو كانت قلبا فلا تخلو
من ذكراك » .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

٢٣٩ - وله فصل

« كيف ينقطع ذكري لك بغير خائف منك ، وينصرف قلبي عنك
والتجاربُ تزوي^(٣) إليك . واللهُ يعلم أن خيالك شمسُ نفسي إذا نمتُ ،
وذكرك سراجها إذا انتبهتُ ، وإن ذلك لأقلُّ حقوقك ، ولا ظلمتُ غيرك
بك ، ولا ملتُ عليه لك » .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

(١) تخرص عليه : افتري .

(٢) في الأصل « للمخلص » وأراه محرفا .

(٣) زواه : نجاه ، أي تصرفي إليك ، ووجهي نحوك .

٢٤٠ - وله فصل

ذَكَرْتَ حَاجَةَ فُلَانٍ ، لَا فَصَّلَهَا اللَّهُ بِالنَّجَاحِ ، وَلَا يُسْرِبَانَهَا بِالِاتِّفَاحِ ،
وَوَصَفْتَ عُذْرًا لَهُ نَصَحَ بِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ، وَمَا نَصَحَ عَنْهَا ، وَلَكِنَّهُ نَصَحَ عَلَيْهَا ،
وَأَنَا وَإِنْ أَصَوْنَكَ عَنْهُ ، وَأَنْصَحُ لَكَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ خَبِيثُ النِّيَّةِ ، فَاسِدُ الطَّوِيلَةِ ،
جَائِرُ الْمَعَاتِبِ ، طَالِبُ الْمَعَايِبِ ، مَقْلَبُ لِسَانِهِ بِالْمَلَقِ ، سَاتِرٌ بِالتَّخَلُّقِ وَجْهَ
الْخُلُقِ ، موجود عند الرجاء . مفقود مع البلاء ، فَأَتَمِبْ عَقْلَكَ بِاخْتِيَارِهِ ،
وَلَا تُوحِشْ نِعْمَتَكَ بِاصْطِنَاعِهِ . (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٢)

٢٤١ - وله فصل في الشوق

إِنِّي لَأَسْفُفُ عَلَى كُلِّ يَوْمٍ فَارِغٍ مِنْكَ ، وَكُلَّ لِحْظَةٍ لَا تُؤْنِسُنِيهَا
رُؤْيَاكَ ، وَسَقِيًّا لِدَهْرِ كَانَ مُوسِمًا بِالِاجْتِمَاعِ مَعَكَ ، مَعْمُورًا بِلِقَائِكَ ،
جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَ سُرُورِي بِكَ ، وَعَمَّرَ بَقَائِي بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ .
(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٢)

٢٤٢ - وله شفاعة في شغل

« مَنْ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ ، كَثُرَتِ الرِّغْبَةُ إِلَيْهِ ، فَاسْتَجَلِبُ بِالْإِنْعَامِ مِنْكَ
إِنْعَامَ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَاسْتَزِدُّ بِمَا تَهَبُّ^(١) مِنْكَ مَا يَهَبُ لَكَ ، وَاجْتَمِلْ حِطِّي مِنْ
وَلَايَتِكَ قَبُولَ اخْتِيَارِي لَكَ هَذَا الرَّجُلَ ، وَأَخْلِطُهُ بِأَوْلِيَاءِكَ الْقَائِلِينَ^(٢) »

(١) في الأصل « واسترد ما به منك » وهو تحريف .

(٢) قال يقبل : نام في الفاعله ، وهي نصف النهار .

فِي ظِلِّكَ ، فَقَدْ أَفْرَدَكَ بِرَغْبَتِهِ ، وَصَرَفَ إِلَيْكَ وَجْهَ رَجَائِهِ ، وَلَيْسَ فِيهِ فَضْلٌ
لِلانتظار ، وَلَا بَقِيَّةَ لِلإِذْكَارِ ، فَمَجَّلْ إِنْ نَوَيْتَ جُودًا ، وَبَادِرْ إِنْ نَوَيْتَ
صُنْعًا ، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ وَلَايَتُهُ وَعَدُّهُ ، وَصَرَفُهُ اعْتِدَارٌ .

(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٢٤٣ - وله فصل في فراق

« كَأَنَّ الدَّهْرَ أَبْجَلُ مِنْ أَنْ يُعَلِّينِي ^(١) بِكَ ، وَأَنْكَدُ مِنْ أَنْ يُسَوِّغَنِي ^(٢)
قُرْبَكَ ، وَإِنِّي لَهُ لَصَابِرٌ إِلَّا عَلَى فَقْدِكَ ، وَرَاضٍ إِلَّا بِبَعْدِكَ .

(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٢٤٤ - وله فصل

« تَوَلَّى اللَّهُ عَنِّي مَكَافَأَتَكَ ، وَأَعَانَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ نَيْتَكَ ، وَأَصْحَبَ
بِقَاءِكَ عِزًّا يَدْسُطُ يَدَكَ لَوْلِيَّكَ ، وَعَلَى أَعْدَائِكَ ، وَكِلَاءَةٍ ^(٣) تَدْبُ عَنْ وَدَائِعِ
مِثْنِهِ عِنْدَكَ ، وَزَادَ فِي نِعْمِكَ وَإِنْ عَظُمَتْ ، وَبَلَّغَكَ آمَالَكَ وَإِنْ انْفَسَحَتْ .

(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٤)

٢٤٥ - وله فصل

« لَا أزال الله عَنَا ظِلِّكَ ، وَأَعْلَى فِي شَرَفِ الْمَنَازِلِ مُرْتَقَاكَ ، وَلَا أَعْدَمْنَا

(١) ملأه الله حبيبه : متعه به وأعاشه معه طويلا .

(٢) سوَّغَه إياه : تركه له خالصا .

(٣) كلاءة كنعها كلاءة بالكسر : حرسه .

فيك إحسانا باقيا ، ومزيدا متصلا ، ويوما محمودا ، وغدأ مأمولا ، وعزا يمكن
قبضتك ، ويمد بسطتك . (الأوراق للصولي ٢ : ٢٩٤)

٢٤٦ - وله فصل

« ان تكسب - أعزك الله - المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالحمل
على النفس والحال ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت
المكارم تنال بغير مؤنة ، لاشارك فيها السفل والأحرار ، وتساهمها الوضعا
من ذوى الأخطار ، وإسكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها ،
تخفف عليهم حملها ، وسوَّغهم فضلها ، وحظرها على السفلة لصغر أقدارهم عنها ،
وبعد طباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقشعزارها منهم . »

(زهر الآداب ٣ : ٣١٣)

٢٤٧ - وله في وصف البيان

« البيان ترُّجمان القلوب ، وصيقلُ العقول ، ومجلىُّ الشُّبهة ، وموجب
الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون . والمفرِّق بين الشك واليقين ، وهو
من سلطان الرُّسل الذي انتقاد به المستصعب ، واستقام الأصيل^(١) ، وبهت
الكافر ، وسلم الممتنع ، حتى أشب^(٢) الحقُّ بأنصاره ، وخلا ربُّع الباطل
من عمَّاره . »

(١) الأصيل : المائل العنق .

(٢) من أشب الشجر كفرح : أى النفا .

وخيرُ البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ، ليُسْرِعَ إلى الفهم تلقّيه ،
وموجزاً ليخفّ على اللفظ تعاطيه ، وفضلُ القرآن على سائر الكلام معروف
غير مجهول ، وظاهرته غيرُ خفية ، يشهد بذلك عجزُ المتعاطين ، وهنُّ
المتكلفين ، وتحيرُ الكذابين ، وهو المبلغ الذي لا يَمَلُّ ، والجديد الذي
لا يَخْتَلِقُ ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والمأجى لظلم الضلال ، ولسان
الصدق النافى للكذب ، ونذيرته قدّمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعي
الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلّدة ، ومفتاحُ الخيرة ، ودليل الجنة ، إن
أوجزَ كان كافياً ، وإن أكثرَ كان مذكراً ، وإن أوماً كان مُقنِعاً وإن أطال
كان مُفهِماً ، وإن أمرَ فناصحاً ، وإن حكَمَ فعادِلاً ، وإن أخبر فصادقاً ،
وإن بيّن فشافياً ، سهل على الفهم ، صعب على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد
المرام ، سراجٌ تستضيء به القلوبُ ، حُلُوٌّ إذا تذوّقته العقول ، بحر العلوم ،
وديوان الحكيم ، وجوهر الكليم ، ونزهة المتوسّمين ، وروح قلوب المؤمنين ،
نزل به الروحُ الأمين ، على محمد خاتم النبيين . صلى الله عليه وعلى آله
الطيبين ، فخصمَ الباطلَ ، وصدّعَ بالحق ، وتألّفَ من النُّمرة ، وأنقذَ من
الهلكة ، فوصلَ الله له النصر ، وأضرع^(١) به خدّ الكفر .

(زهر الآداب ١ : ١٦٤)

٢٤٨ - وله في وصف الكتاب والقلم

« الكتابُ والرجُّ الأبواب ، جرىء على الحُجَّاب ، مُفهم لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، إذا أقعده الفراق^(١) .
والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يملُّ الاستزادة ، يسكت واقفا ، وينطق سائرا^(٢) ، على أرضٍ يابضها مُظلم ، وسوادها مُضيء ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان^(٣) . »

(رهر الآداب ٢ : ٣٢ ، والعقد الفريد ٢ : ١٨١ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٠٢)

٢٤٩ - كتاب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب - وقد نال رتبةً فنقص إخوانه في الدعاء - :

« الكبر - أعزك الله - معرض يستوى فيه النبوة ذكرا ، والخاملُ قدرا ، ليس أمامه حجاب يمنعه ، ولا حاجز يحظره ، والناس أشد تحفظا على الرئيس المحظوظ ، وأكثر اجتلاء لأفعاله ، وتنبه لمعايبه ، وتصفحا لأخلاقه ، وتنقيرا^(٤) عن خصاله ، منهم ، عن خامل لا يُعنى به ، وساقط لا يكثر له فيسير عيب الجليل يفرح فيه . وصغير الذنب يكبر منه ، وقليل الدم يسرع إليه . »

(١) وفي كتاب الأوراق للصولي « ومه يداوى العراق » .

(٢) وفي العقد « يسكت واكفا ، وينطق ساكفا » .

(٣) الوار : الرهر أو الأبيض مه .

(٤) نقر الشيء وعه : نحت عنه ، وفي الأصل « وعيرا » نالعا ، وهو تصحيف .

والحال التي جددها الله لك - وإن كنت أراها دون حَقِّكَ ، وناقصةً
عن همتك ، وأرضاً عند سمائك - حالٌ : الحاسدُ عليها كثيرٌ ، وآمالُ
المنافسين إليها تسيرٌ ، والموَدَّةُ تقتضي النصيحةَ ، والمِلَّةُ^(١) تدعو إلى صدق
المشورة ، وليس يحرُسُ النعمة ويحوطُها ، ويحسِمُ الأطماعَ ويصرفها ،
ويستجيب القلوبَ النافرةَ ويطلقها ، إلا ترك ما أراك تستعمله في ترتيب
المكاتبة ، وتمييزِ المخاطبة والمخاصة^(٢) في ألقاظ الدعاء ، والبخل ينسِرُ الثناء ،
وتطبيق^(٣) إخوانك ومعاملتك في ذلك ، حتى صار عندك كأنه نسبٌ
لاتعمداه ، ونعتٌ لهم لاتخطاه ، فأما إخوانك فليس من حَقِّكَ أن تحطهم
حالَ رفعتك ، وأن تنقصهم دولةَ زادتك ، كما ليس من حَقِّكَ عليهم أن
يغالطوك . فيمسيكوا عن خطابك ، ويتحاموا عن عتابك .

(أدب الكتاب ص ١٠٥)

٢٥٠ - كتاب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له نقصه في دعائه ، وحن في كتابه :
(وما أنا والكتابُ إلى صديقٍ أدِينُ من الوفاء بغير دينه ؟
أعظمه ويحقرني ، وأدعو له باللفظ يدعو لي بدونه !
وينقصني ولم أتقصه حقاً ويخشن لفظه من بعد لينة !

(١) الملة : المحنة .

(٢) يقال : تحاصوا وحاصوا : أى اقموا حصصاً ، وفي الأصل « والمخاصة » وهو تصحيف .

(٣) أى تعيم وتسوية .

فقام كتابه بالردّ عني لكثرة ما تضمن من لُحُونُهُ»
(أدب الكتاب ص ١٦١)

٢٥١ - كتاب أحمد بن يحيى الأسدی إلى الحسين بن سعد

وقال أحمد بن يحيى الأسدی : كتب إلى الحسين بن سعد ، فنقصني في الدعاء ، فكتبت إليه :

« قد علمت - أعزك الله - أن السبب في العداوة بين محمد بن عبد الملك الزيات وإبرهيم بن العباس الصُّولي ، أنه لما ولي وزارة | المعتضد^(١) نقص إبرهيم عما يستحقه من الدعاء ، فلم تحتمل ذلك نفسه ورياسته وموضعه من الصنّاعة والدولة ، فعاتبه في ذلك فلم يُعْتَبِه ، فألهب له نار هجاء لا يُطْفئها الدهر ، وعلامة ذلك قوله في كلام مشور قد ذكره : « ولي هذا الأمر فما ظن أن الرياسة تنجذب إليه ، ولا أن العز يتحصّل له ، إلا بحطّ إخوانه عن منزلتهم ، ونقصهم عن مرتبتهم ، فبخسني^(٢) في المكاتبه ، وساءني في المعاملة » في كلام له طويل ، ثم نظم ذلك في شعر فقال :

مَنْ رَأَى فِي الْأَنَامِ مِثْلَ أَخِي ؟ كَانَ عَوْنِي عَلَى الزَّمَانِ وَخِي
رَفَعْتَهُ حَالًا ، فحَاوَلَ حَطِّي وَأَبَى أَنْ يَعِزَّ إِلَّا بَدَلِي

وكان هذا الخطاب في أول الأمر ، ثم أنحى عليه بالهجاء ، فافتقد -

(١) هكذا في الأصل ، وهو خطأ ، فإن ابن الريات إنما وُزر للمعتضد والوائق والتوكل ، ثم نكبه المتوكل وقتله سنة ٢٣٣ ، وأما المعتضد فإنه ولي الخلافة سنة ٢٧٩ ونوى سنة ٢٨٩ ، والصواب أنه « الوائق » .

(٢) أي نقصي .

أعزك الله - إنصاف إخوانك ، وتجنب ظلمهم ، يصف لك غدير وُدِّهم .
(أدب الكتاب ص ١٥٩)

٢٥٢ - كتاب أحمد بن علي المازراني إلى ابن بشر المرثدي

وروي الصولي أيضا في أدب الكتاب قال :
لما ولي ابن بشر المرثدي كتابة الموفق بالله ، تقص أحمد بن علي
المازراني في الدعاء حين كاتبه ، فكتب إليه :
كَلِمَاتٌ رُمْتُ أَنْ أُخَلِّفَ مَنْ كَانَتْ أُمَامِي خَلَفَتْ عَمَّنْ وَرَأَيْتُ^(١)
أَنْقَصَتْ الدَّعَاءَ لِي مِنْكَ لَمَّا زَادَكَ اللهُ رِفْعَةً فِي دَعَائِي ؟
فَلَيْتَ تَمَّ مَا أَرَاهُ وَأَصْبَحْتُ وَزِيْرًا لَتَطْعَمَنَّ جَزَائِي^(٢)
فاعتذر إليه وزاده في الدعاء .

وكان هذا في كلام مشهور لمن كان قبل المازراني : « وكنت أمل لك
الرفعة ، ولم أدر أنها تكسبني الضعة ، وأرجو لك الثروة ولم أدر أنها تؤدبني
إلى الإضاعة ، فكان المنى طرد العناء ، والدعاء سبب الثراء » .
(أدب الكتاب ص ١٦٠)

٢٥٣ - فصل لعبد الله بن أحمد في الشكر

« إن من حقِّ النعمة أن تُذكر وتُنشر ، ومن كفرها أن تُنسى »

(١) يقال : خلفه ورائه أي جملة ورائه فتخلف عنه : أي تأخر عنه ، ويقال أيضا : خلف
عن أصحابه : أي تحلف .

(٢) لتطعمن : أي لتذوقن ، وفي الأصل « لتطعمني » وهو محريف .

وتُسْتَر، وما أحبُّ أن أتزيّن بنعمتك وأكون عُطْلاً^(١) من شكرك ، ولا أن
تكون مِنَّتكَ مُوَفَّرَةً عندي وأنا ناقصُ الحِظِّ من رعاية ما أوليتني ، لِنِعْمِ
إِذْنِ ما أتيت إليّ ، إذ صرفتَ أفضلَ نظركِ نحوي ، ولَبِئْسَ ما اخترتُ
لنفسِي ، إذ حَرَمْتُها فضلَ الشكرِ مِن أنعم عليّ ، فجعلتُ حظِّي في قضاء حقِّ
النعمة ، وما في الشكر من استيجابِ الزيادة » .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٨٠)

٢٥٤ - كتاب ابن عبد كان عن أحمد بن طولون

إلى ابنه العباس

وكتب ابن عبد كان^(٢) عن أحمد بن طولون إلى ابنه العباس حين عَصَى
عليه بالإسكندرية^(٣) ، مُنذِراً له ومُوبِّخاً له على فعله .

(١) من قولهم : امرأة عاطل وعطل : إذا لم يكن عليها حلي .
(٢) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان ، كان على المكاتب والرسائل في عهد الدولة
الطولونية ، وكان بليغاً مترسلاً فصيحاً - انظر الفهرست لابن النديم ص ١٩٢ ومعجم الأدباء ٦ : ٨٥ .
(٣) كان الخليفة المعتز قد ولي بايكباك مصر ، فولى عليها بايكباك من قبله أحمد بن طولون سنة
٢٥٤ ، ثم استقل ابن طولون بمصر سنة ٢٥٧ في عهد الخليفة المعتمد ، ثم أراد أن يوسع نطاق
ملكه فأغار على الشام سنة ٢٦٤ ، وفي أثناء غيابه بها عصى عليه ابنه العباس ، وجاء في تاريخ الكامل
لابن الأثير في هذا الصدد (ج ٧ : ص ١٠٧) : « كان أحمد بن طولون قد خرج إلى الشام واستخلف
ابنه العباس على مصر ، فلما أبعد عن مصر حسّن للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال والاسراع
إلى برقة ، ففعل ذلك ، وأتى برقة في ربيع الأول سنة ٢٦٥ ، وبلغ الخبر أباه فعاد إلى مصر ،
وأرسل إلى ابنه ولاطفه واستعطفه ، فلم يرجع إليه ، وخاف من معه فأشاروا عليه بقصد إفريقية ،
فسار إليها وكاتب وجوه البربر ، فأناه بعضهم ، وامتنع بعضهم ، وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يقول :
إن أمير المؤمنين قد قلدني أمر إفريقية وأعمالها ، ورحل حتى آتى حصن « لبد » ففتح أهله له ،
فعاملهم أسوأ معاملة ونهبهم ، فمضى أهل الحصن إلى إلياس بن منصور رئيس الأباضية هناك ،
فاستعانوا به ، فغضب لذلك وسار إلى العباس ليقاتله ، وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل
طرابلس جيشاً وأمره بقتال العباس ، فالتفوا واقتلوا قتالاً شديداً ، قاتل العباس فيه بيده ، فلما كان

« من أحمد بن طولون مؤلَى أمير المؤمنين^(١) ، إلى الظالم لنفسه ، العاصي
لربه ، الملمّ بذنبه ، المفسد لكسبه ، العادي^(٢) لطورِه ، الجاهل لقدره ،
الناكص على عقبه ، المركوس^(٣) في قنته ، المبخوس من حظّ دنياه وآخرته .
سلام على كل مُنيب مستجيب ، تائب من قريب ، قبل الأخذ
بالكظم^(٤) ، وحلولِ الفوتِ والندم .

وأحمدُ الله الذي لا إله إلا هو حمدَ معترفٍ له بالبلاءِ الجميل ، والطَّوْلِ
الجميل ، وأسأله مسألةَ مُخلصٍ في رجائه ، مجتهدٍ في دُعائه ، أن يصليَ على محمد
المصطفى ، وأمينه المرتضى ، ورسوله المجتبي ، صلى الله عليه وسلم .

أما بعدُ ، فإن مَثَلَك مثلُ البقرة تُثيرُ المذيةَ بقرَئِها ، والنملةُ يكونُ حتفُها
في جناحِها ، وستعلم - هَبِلْتَك^(٥) الهَوَابِلُ ! أيها الأحمقُ الجاهل ، الذي أتى
على النغيِّ عطفَه واغترَّ بضجاجِ المواقِبِ خلفَه - أيٌّ مَوْرِدَةٍ هَلَكَةٍ

الغد واقام إلياس بن منصور الأباضي في اثني عشر ألفاً من الأباضية ، فاجتمع هو وعامل طرابلس على قتال العباس فقتل من أصحابه خلق كثير ، وانهمزم أقبح هزيمة ، وكاد يؤسر نخلصه مولى له ، ونهبوا سواده وأكثر ما حمله من مصر وعاد إلى برقة أقبح عود ، وشاع بمصر أن العباس انهمزم فاغتم والله حتى ظهر عليه ، وسير إليه العساكر لماعلم سلامته ، فقاتلوه قتالاً صبر فيه الفريقان ، فانهزم العباس ومن معه ، وكثر القتل في أصحابه ، وأخذ العباس أسيراً وحمل إلى أبيه فحبسه في حجرة في داره ، إلى أن قدم باقي الأسرى من أصحابه ، فلما قدموا أحضرهم أحمد عنده والعباس معهم ، فأمره أبوه أن يقطع أيدي أعيانهم وأرجلهم ففعل ، فلما فرغ منه وبخه أبوه وذمه ، ثم أمر به فضرب مائة مفرعة ، ودموعه تجرى على خده رقة لولده ، ثم رده إلى الحجرة واعتقله وذلك سنة ٢٦٨ « ومات ابن طولون سنة ٢٧٠ » .

(١) يعنى المعتمد على الله .

(٢) عدا الأمر وعنه : جاوزه ، والطور : القدر .

(٣) الركس : قلب أول النغيء على آخره .

(٤) الكظم : مخرج النفس .

(٥) هبلته أمه كفرح : ثكلته ، وامرأة هابل وهبول .

يَا ذَنُ اللَّهِ تَوَرَّدَتْ ، إِذْ عَلَى اللَّهِ جَلُّ وَعِزُّ تَمَرَّدَتْ وَشَرَّدَتْ ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 قَدْ ضَرَبَ لَكَ فِي كِتَابِهِ مِثْلًا : « قَرْيَةٌ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
 رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ
 بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .

وَإِنَّا كُنَّا نَقْرُبُكَ إِلَيْنَا ، وَنَنْسُبُكَ إِلَى بِيوتِنَا ، طَمَعًا فِي إِنْجَابِكَ ، وَتَأْمِيلًا
 لِفَيْئَتِكَ^(١) ، فَلَمَّا طَالَ فِي النَّعْيِ إِنِهَمَا كُكُّ ، وَفِي نَعْمَةِ الْجَهْلِ ارْتَبَا كُكُّ ،
 وَلَمْ نَرَ الْمَوْعِظَةَ تُلِينُ كِبِدَكَ ، وَلَا التَّدْ كِيرَ يُقِيمُ أَوْدَكَ^(٢) ، لَمْ تَكُنْ لِهَذِهِ النَّسَبَةِ
 أَهْلًا ، وَلَا لِإِضَافَتِكَ إِلَيْنَا مَوْضِعًا وَمَحَلًّا ، بَلْ لَا نُكْنِي بِأَبِي الْعَبَّاسِ إِلَّا
 تَكْرُهَا ، وَطَمَعًا بِأَنْ يَهَبَ اللَّهُ مِنْكَ خَلْفًا تُقَلِّدُهُ اسْمَكَ ، وَنُكْنِي بِهِ دُونَكَ ،
 وَنَعُدُّكَ كُنْتَ نِسِيًا مَنْسِيًّا^(٣) ، وَلَمْ تَكْ شَيْئًا مَقْضِيًّا ، فَانظُرْ - وَلَا نَظَرَ
 بِكَ - إِلَى عَارِ نِسْبَتِهِ تَقَلَّدْتَ ، وَسَخَطِ مِنْ قَبْلِنَا تَعَرَّضْتَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَلَاءَ
 يَأْذَنُ اللَّهُ قَدْ أَظْلَكَ ، وَالْمَكْرُوهَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِكَ ، وَالْمَسَاكِرَ بِحَمْدِ اللَّهِ
 قَدْ أَتَتْكَ كَالسَّيْلِ فِي اللَّيْلِ ، تُؤْذِنُكَ بِحَرْبٍ وَبَوَيْلٍ ، فَإِنَّا نُقْسِمُ - وَنَرْجُو
 أَنْ لَا نَجُورَ وَنَظْمُ - أَلَا تَنْهَى عَنْكَ عِنَانًا ، وَلَا نُؤَثِّرُ عَلَى شَانِكَ شَانًا ، وَلَا
 تَتَوَقَّلُ^(٤) ذِرْوَةَ جَبَلٍ . وَلَا تَلِيحَ بَطْنِ وَادٍ ، إِلَّا تَبِعْنَاكَ^(٥) بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ
 فِيهِمَا ، وَطَلِبْنَاكَ حَيْثُ أُمَّتَ مِنْهُمَا ، مُنْفِقِينَ فِيكَ كُلِّ مَالٍ خَطِيرٍ ،

(١) العيئة : الرجوع .

(٢) الأود : الأعوجاج .

(٣) النسي : مانسي .

(٤) وقل في الجبل كوعد وتوكل : صعد .

(٥) في الأصل « جعلناك » والظاهر أنه محرف ، وصوابه « تبعناك » كما ذكره مصحح

ومستصغرين بسببك كل خطب جليل ، حتى تستمر من طعم العيش
 ما استحلّيت ، وتستدفع من البلايا ما استدعيت ، حين لا دافع
 بحول الله عنك ، ولا مزخزح لنا عن ساحتك ، وتعرف من قدر
 الرخاء ما جهلت ، وتود أنك هبّلت ولم تكن بالمعصية عجّلت ، ولا رأى من
 أضلك من غواتك قبلت ، فحينئذ يتفرّى^(١) لك الليل عن صبحه ،
 ويسفر لك الحق عن مخضه ، فنظر بعينين لا غشاوة عليهما ، وتسمع بأذنين
 لا وقر^(٢) فيهما ، وتعلم أنك كنت متمسكا بجبال غرور ، متماذيا في مقابح
 أمور ، من عقوق لا ينام طالبه ، وبغى لا ينجو هاربه ، وغدر لا ينتعش
 صريعُه ، وكفران لا يودى^(٣) قتيلُه ، وتقف على سوء رويتك ، وعظم
 جريرتك ، في تركك قبول الأمان ، إذ هولك مبذول ، وأنت عليه محمول ،
 وإذ السيف عنك مغمود ، وباب التوبة إليك مفتوح ، وتلهّف والتلهّف
 غير نافعك ، إلا أن تكون أجبت إليه مسرعا ، وانقذت إليه منتصحا .
 وإن مما زاد في ذنوبك عندي ما ورد به كتابك على بعد نفوذى على
 القسّطاط من التمويهات والأعالي^(٤) ، والعِدَاتِ بالأباطيل ، من مصيرك -
 بزعمك - إلى إصلاح ما ذكرت أنه فسّد على ، حتى ملّت إلى الاسكندرية

(١) تفرى : اشق ، والمعنى ها يكشف ، وسفر الصبح كضرب وأسر : أضاء وأشرق .

(٢) الوقر : الصمم .

(٣) ودى القتل كوعى : أعطى دية .

(٤) أخذها من قول الإمام على كرم الله وجهه في نفس خطبه : « أعالي بأضاليل » وفي كتب اللغة
 « العلاة بالضم والتعلة كتحية والعلة بالفتح : ما يعمل به » ولم أحد فيها كلمة أعالي ولا مردها ، ولا
 بد أن تكون جمع أعلولة بالضم ، كأعاجيب وألاعيب ... الخ . والأباطيل : جمع أبطولة بالضم أو
 إبطالة بالكسر أو باطل على غير قياس .

فأقمتَ بها طولَ هذه المدة ، واستظهاراً عليك بالحجة ، وقطعاً لمن عسى أن
يتعلق به معذرة علم بأن الأداة غيرُ صادّة ، ولا أنه خالجتني شكٌّ ولا عارضني
ريب في أنك إنما أردتَ النزوح^(١) والاحتيالَ للرّب والنزوعَ إلى بعض
المواضع التي لعلَّ قصدك إيها يُوديك^(٢) ، ولعل مصيرك إليها يكفينيك ،
ويُبلغُ إلى أكثرَ من الإرادة فيك ، لأنك إن شاء الله لا تقصدُ موضعاً
إلا تلوّنتُك ، ولا تأتي بلداً إلا قفوتُك ، ولا تلوذُ بعصمة تظنُّ أنها تُنجيك
إلا استعنتُ بالله عزوجل في جدِّ^(٣) حبلها ، وفصمَ عُروتها ، فإنَّ أحداً
لا يؤوِي مثلك ولا ينصره إلا لأحدِ أمرين من دين أودنيا ، فأما الدين فانت
خارج من جملة ، لمقامك على العقوق ، ومخالفة ريبك وإسقاطه ، وأما الدنيا
فما أراه بقي معك من الحطام الذي سرقتَه وحملتَ نفسك على الإيثار به ،
ما يتبها لك مكائرتنا بمثله ، مع ما وهب الله لنا من جزيل النعمة التي نستودعه
تبارك وتعالى إيها ، ونرغب إليه في إنائها ، إلى ما أنت مُقيم عليه من البغي
الذي هو صارِعُك ، والعقوق الذي هو طالبُك .

وأما ما منيتناه من مصيرك إلينا في حُشودك وجموعك ومن دخل
في طاعتك ، لإصلاح عملنا ، ومكافحة أعدائنا ، بأمرٍ أظهرَ وفيه الشماتة بنا ،
فما كان إلا بسببك ، فأصلح أيها الصبيُّ الأخرقُ أمرَ نفسك قبل إصلاحك
عملنا ، واحزمُ في أمرك قبل استعمالك الحزمَ لنا ، فما أحوجنا الله

(١) النزوح : البعد .

(٢) الذي كتب في اللغة « أودى الرجل : هلك ، وأودى به الموت : أهلكه .

(٣) الجد : القطع . والعصم : القطع والكسر أيضاً .

- وله الحمد - إلى نصرتك وموازرتك ، ولا اضطررنا إلى التكثر بك على شقاقك ومعصيتك « وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا » .

وليت شعري على من تهوّل بالجنود ، وتمخرق^(١) بذكر الجيوش ؟ ومن هؤلاء المسخرّون لك ، الباذلون دماءهم وأموالهم وأديانهم دونك ، دون رزق تَرْزُقُهُمْ إياه ، ولا عطاء تُدرُّه عليهم ؟ فقد علمت - إن كان لك تمييز ، أو عندك تحصيل - كيف كانت حالك في الواقعة التي كانت بناحية أطرابلس^(٢) ، وكيف خذلك أولياؤك والمرترقة معك حتى هزمت ، فكيف تغترُّ بمن معك من الجنود الذين لا اسم لهم معك ، ولا رزق يجري لهم على يدك ؟ فإن كان يدعوهم إلى نصرتك هيبتك والمداراة لك ، والخوف من سلطانك ، فإنهم ليجذبهم أضعاف ذلك منا ، ووجودهم من البذل الكثير والعطاء الجزيل عندنا مالا يجِدونه عندك ، وإنهم لأخرى بخذلك ، والميل إلينا دونك ، ولو كانوا جميعا معك ، ومقيمين على نصرتك ، لرجونا أن يُمكن الله منك ومنهم ، ويجعل دائرة السوء عليك وعليهم ، ويجرينا من عادته في النصر وإعزاز الأمر على ما لم يزل يفضّل علينا بأمثاله ، ويتطوّل بأشباهه ، فما دعاني إلى الإرجاء لك ، والتسهيل من خناقك^(٣) ، والإطالة من عيانتك ، طول هذه المدة إلا أمران : أغلبهما كان على احتقار أمرك واستصغارهِ وقلة الاحتفال والاكتراث به ، وأنى اقتصرت من عقوبتك على ما أحلته^(٤)

(١) المخرقة : التمويه ، والمخرق : الموه .

(٢) يقال فيها : طرابلس وأطرابلس كما في معجم ياقوت .

(٣) الخناق : الحبل يحنق به .

(٤) في الأصل « ما أحلته » وأراه محرفا ، والصواب مادكرته ، والإيقاق : الهرب .

بنفسك من الإياق إلى أقاصى بلاد المغرب ، شريداً عن منزلك وبلدك ،
 فريداً من أهلك وولدك ، والآخر أنى علمت أن الوحشة دعيتك إلى الانحياز
 إلى حيث انحزت إليه ، فأردتُ التسكين من تفارك ، والطمانينة من
 جأشك^(١) ، وعميتُ على أنك تحنُّ إلينا حين الولد ، وتتوقُّ إلى قربنا توقان
 ذى الرِّحم والنسب ، فإن في رِقنا بك ما يعطفك إلينا ، وفي تأخينا إياك
 ما يرذك علينا ، ولم يسمع منا سامع في خلاء ولا ملاء^(٢) انتقاصاً بك ،
 ولا غصاً منك ، ولا قدحاً فيك . رِقَّةً عليك ، واستتماماً لليد عندك ، وتأميلاً
 لأن تكون الراجع من تلقاء نفسك ، والموفق بذلك لرشدك وحظك ، فأما
 الآن مع اضطرارك إياي إلى ما اضطررتني إليه من الانزعاج نحوك ، وحبسك
 رُسلى الناقدين بعهد كثير إلى ما قبلك ، واستعمالك المواربة والخداع فيما
 يجرى عليه تديرك ، فما أنت بموضع للصيانة ، ولا أهل للإبقاء والمحافظة ،
 بل اللعنة عليك حالة ، والذمة منك بريئة ، والله طالبك ومؤاخذك بما
 استعملت من العقوق والقطيعة ، والإضاعة لرِّحم الأبوة ، فعليك من ولد
 عاقٍ مُشاقٍ^(٣) لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، ولا قبل
 الله لك صرفاً ولا عدلاً^(٤) ، ولا ترك لك مُنقلباً ترجع إليه ، وتحذلك خذلان
 من لا يؤوبه^(٥) له ، وأثكاك ولا أمهلك ، ولا حاطك ولا حفظك ، فوالله

(١) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع .

(٢) الملاء : الجماعة .

(٣) أى محالف ، وفى الأصل « شاق » وهو تحريف .

(٤) الصرْف : التوبة ، والعدل : العدية .

(٥) أى لا يحتفل به لحقارته .

لأَسْتَعْمِلَنَّ لَعْنَتَكَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ، وَالِدُعَاءِ عَلَيْكَ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،
وَالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ، وَلَا كُتِبَنَّ إِلَى مِصْرَ وَأَجْنَادِ الشَّامَاتِ وَالشُّغُورِ وَقِنْسَرِينَ
وَالْعَوَاصِمِ وَالْجَزِيرَةِ وَالْحِجَازِ وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ، كُتِبَا تُقْرَأُ عَلَى مَنَابِرِهَا فَيْكَ ،
بِاللَّعْنِ لَكَ ، وَالْبِرَاءَةِ مِنْكَ ، وَالذَّلَالَةِ عَلَى عِقُوقِكَ وَقَطِيعَتِكَ ، يَتَنَاقَلُهَا آخِرُهُ
عَنْ أَوَّلِ ، وَيَأْتُرُهَا^(١) فَابْرٌ عَنْ مَاضٍ ، وَتُخَلَّدُ فِي بَطُونِ الصَّحَائِفِ ، وَتَحْمِلُهَا
الرُّكْبَانُ ، وَيُتَحَدَّثُ بِهَا فِي الْآفَاقِ ، وَتُلْحِقُ بِكَ وَبِأَعْقَابِكَ عَارًا ، مَا اطَّرَدَ
اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَاخْتَلَفَ الظَّلَامُ وَالْأَنْوَارُ .

فحينئذ تعلم أيها المخالفُ أمرَ أبيه ، القاطعُ رَحْمَةَ ، العاصيُ رَبَّهُ ، أَيُّ
جَنَايَةٍ عَلَى نَفْسِكَ جَنَيْتَ ، وَأَيُّ كَبِيرَةٍ اقْتَرَفْتَ وَاجْتَنَيْتَ ؟ وَتَتَمَنَّى لَوْ كَانَتْ
فَيْكَ مُسْكَةً^(٢) ، أَوْ فَيْكَ فَضْلُ إِنْسَانِيَةٍ ، أَنْكَ لَمْ تَكُنْ وُلِدْتَ ، وَلَا فِي الْخَلْقِ
عُرِفْتَ ، إِلَّا أَنْ تُرَاجِعَ مِنْ طَاعَتِنَا ، وَالْإِسْرَاعِ إِلَى مَا قَبَلْنَا ، خَاضِعًا ذَلِيلًا
كَمَا يَلْزُمُكَ ، فَتُقِيمَ الْإِسْتِغْفَارَ مَقَامَ اللَّعْنَةِ ، وَالرِّقَّةَ مَقَامَ الْغِلْظَةِ ، وَالسَّلَامَ عَلَى
مَنْ سَمِعَ الْمَوْعِظَةَ فَوَعَاهَا ، وَذَكَرَ اللَّهَ فَاتَّقَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(صَحِاحُ الْأَعْشَى ٧ : ٥)

٢٥٥ - كِتَابُ بِمِزْهُبِ الْقِرَامِطَةِ

قَالَ الطَّبْرِيُّ :

وَفِي سَنَةِ ٢٧٨ هـ وَرَدَتْ الْأَخْبَارُ بِحَرَكَةِ قَوْمٍ يَعْرِفُونَ بِالْقِرَامِطَةِ بِسَوَادِ

(١) أَيُّ يَتَقَلَّبُ وَيُرْوَبُهَا .

(٢) الْمُسْكَةُ : مَا يَتَمَسَّكُ بِهِ .

الكوفة^(١) ، وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاءوا بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة : إنه داعيةٌ إلى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصوّر له في جسم إنسان ، وقال له : إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك

(١) قال الطبري : فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة ، ومقامه بموضع منه يقال له النهرين ، يظهر الزهد والتشف ، ويسف الخوص ، ويأكل من كبه ، ويكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة ، فكان إذا قعد إليه إنسان ذا كره أمر الدين ، وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، حتى فشا ذلك عنه بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك يقعد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما يئنون بقلوبهم ، وكان يقعد إلى يقال في القرية » إلى أن قال : « ثم مرض فمكت مطروحا على الطريق وكان في القرية رجل يحمل على أتوار له ، أحر العينين شديدة حرتهما ، وكان أهل القرية يسمونه « كرميته » لحررة عينيه ، وهو بالنبطية «أحمر العينين» ، فكلم البقال كرميته هذا في أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، ويوصي أهله بالاشراف عليه والعناية به ، ففعل وأقام عنده حتى برى ، ثم كان يأوى إلى منزله ، ودعا أهل القرية إلى أمره ووصف لهم مذهب ، فأجابه أهل تلك الناحية وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه ديناراً ، ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام ، فمكت بذلك يدعو أهل تلك القرية فيجيبونه ، واتخذ منهم اثني عشر تقياً أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينهم ، وقال لهم : أنتم كحواري عيسى بن مريم ، فاستغل أكرة تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الحسين صلاة ، التي ذكر أنها مفترضة عليهم ، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير أكرته في العبارة ، فسأل عن ذلك فأخبر أن إنساناً طراً عليهم فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أن الذي افترقه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة ، فقد شغفوا بها عن أعمالهم ، فوجه في طلبه فأخذ وحى به إليه ، فسأله عن أمره ، فأخبره بقصته ، فخلف أن يقتله ، فأمر به فحس في بيت وأقفل عليه الباب ووضع المفتاح تحت وسادته وتماغل بالشرب ، وسمع بعض من في داره من الجوارى بقصته فرقت له ، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب وأخرجته ، وأقفلت الباب وردت المفتاح إلى موضعه ، فلما أصبح الهيصم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجدده ، وساع بذلك الحبر ، ففتن به أهل تلك الناحية ، وقالوا : رفع ، ثم ظهر في موضع آخر ، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم ، فسألوه عن قصته فقال : ليس يمكن أحداً أن يبدأني بسوء ، ولا يقدر على ذلك مني ، فعظم في أعينهم ، ثم خاف على نفسه فخرج إلى ناحية الشام فلم يعرف له خبر ، وصمى باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الأتوار كرميته ، ثم خفف فقالوا قرمط . »

الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك روح القدس ، وإنك يحيى بن زكرياء ، وعرفه
أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ،
وأن الأذان في كل صلاة أن يقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر
الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد
أن نوحا رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول
الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأشهد أن
أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ، وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ،
وهي من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة إلى بيت المقدس ،
والحج إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، والسورة
الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه ، قل إن الأهلّة موافقت
للناس ، ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والأشهر والأيام ، وباطنها
أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي ، اتقون يا أولي الألباب ، وأنا الذي
لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي ، وأمتحن
خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنّي واختباري ألقته في جنتي ، وأخذته في
نعمتي ، ومن زال عن أمري وكذب رُسلي ، أخذته مهانا في عذابي ، وأتمت
أجلي ، وأظهرت أمري على السنة رسلي ، وأنا الذي يعمل على جبار إلا
وضعتة ، ولا عزيز إلا أذلتته ، وليس الذي أصر على أمره ، وداوم على
جهالته ، وقالوا لن تبرح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين ، أولئك هم الكافرون .
ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربّي رب العزة وتعالى عما يصف

الظالمون ، يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلى الله أعلى ، الله أعظم الله أعظم .

ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة ، وهما المهرجان والنوروز ، وأن النبيذ حرام ، والخمر حلال^(١) ، ولا غُسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن من حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه اخذت منه الجزية ، ولا يؤكل^(٢) كل ذي ناب ، ولا كل ذي مخلب [ويشترك في المراءة جماعة من الرجال^(٣)] . (تاريخ الطبري ١١ : ٣٣٩ ، وغرر الحقائق الواضحة ص ٢١٣)

٢٥٦ - من كتاب عن المعتضد إلى خمارويه بن أحمد

ابن طولون

ولما أُحْمِلت قَطْرُ النَّدى بنتُ خُمارَويهِ بنِ أحمد بنِ طولون إلى المعتضد^(٤) ، تب معها أبوها يذكُرُه بِخِدمة سَلَفِها^(٥) ، ويذكُرُ ما تَرَدَّ عليه من أُمَّة الخِلافة ، وِجِلالَةِ الخِليفة ، وسألَ إيناسَها وبَسَطَها ، فبَلَغتُ من قلبِ المعتضدِ لَمَّا رُفِّتَ إليه مبلغًا عَظيمًا ، وسُرَّ بِها غايةَ السرورِ ، وأمرَ الوَزيزَ

(١) وفي غرر الحقائق « وأن البید والحمر غير حرام .

(٢) وفيه « ويؤكل » .

(٣) ما بين العوسين وارد في غرر الحقائق .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المنوكل ، ولي الخلافة سنة ٢٧٩ هـ ، وتوفي سنة ٢٨٩ هـ

وولي خمارويه ملك مصر بعد وفاة أمه سنة ٢٧٠ هـ وقتل سنة ٢٨٢ هـ .

(٥) كان حدها طولون مملوكا للأُمون ، وأصله من محاري من قبائل التركستان ، أهداه إلى الأُمون عامه ابن أسد الصامى في حمله من أرسلهم إليه سنة ٢٠٠ هـ ، وقد أعجبه الأُمون فألحقه بحاشيته ، وما زال يرفقه حتى جعله رئيس حرسه ، ولفه بأهـير الستر - وهو مصعب لم يكن ياله إلا من كان للحليفة فيه حاسة بأمانه وإخلاصه ، ليكون محافظا على حياته الشخصية - وكان في عهد المعتصم رئيس طائفة من المياليك .

أبا القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب ، فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو الحسين بن ثوبة أن يؤثِّره بذلك ففعل وغاب أياماً ، وأتى بنسخة يقول في فصل منها :

« وأما الوديعةُ فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها ، وحياطةً عليها ، ورعايةً لمودتك فيها . »

ثم أقبل على عبيد الله يعجب من حسن ما وقع له من هذا ، وقال : تسميتي لها بالوديعة نصف البلاغة ، فقال عبيد الله : ما أقبح هذا ! تفاءلت لامرأة زُفت إلى صاحبها بالوديعة ، والوديعةُ مستردةٌ ، وقولك : من يمينك إلى شمالك أقبح ، لأنك جعلت أباها اليمين ، وأمير المؤمنين الشمال ، ولو قلت على حال :

« وأما الهديةُ فقد حسنَ موقعها منا ، وجَلَّ خطَرُها عندنا ، وهي - وإن بُدَّتْ عنك - بمنزلة ما قرَّبَ منك ، لتفقُّدنا لها ، وأنسنا بها ، ولسرورها بما وردت عليه ، واعتباطها بما صارت إليه » لكان أحسن ، فنقدَ الكتاب . (رهر الآداب ٢ - ٢٨٩)

٢٥٧ - كتاب عن المعتضد بلعن معاوية بن أبي سفيان

وروى الطبري قال :

وفي سنة ٢٨٤ هـ عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرأ على الناس .

وذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه
بلمن معاوية ، فأخرج له من الديوان ، فأخذ من جوامعه نسخة هذا
الكتاب ، وكانت نسخة الكتاب الذي أنشئ للمعتضد بالله :

« بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله العلي العظيم ، الحليم الحكيم ،
العزیز الرحيم ، المنفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته ،
الذي يعلم سوابق الصدور وضمائر القلوب ، لا يخفى عليه خافية ، ولا
يعزب عنه مثقال ذرة في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى ، قد أحاط
بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، وضرب لكل شيء أمدا ، وهو
العليم الخبير ، والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفة ، على
سابق علمه في طاعة مطيعهم ، وماضى أمره في عصيان عاصيهم ، فيبين لهم
ما يأتون وما يتقون ، ونهج لهم سبيل النجاة ، وحذرهم مسالك الهلكة ، وظاهر
عليهم الحججة ، وقدم إليهم المذرة ، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم
وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبيله والتمسكين برؤوته أولياءه وأهل
طاعته ، والعائدين^(١) عنه والمخالفين له أعداءه وأهل معصيته : « لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ يَدِنَا وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَدِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » والحمد لله
الذي اصطفى محمدا رسوله من جميع برئته ، واختاره لرسالته ، وابتعثه بالهدى
والدين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ،
وتأذن له بالنصر والتمكين ، وأيده بالعز والبرهان المتين ، فاهتدى به من
اهتدى ، واستنقذ به من استجاب له من العمى ، وأضل من أدبر وتولى ،

حتى أظهر الله أمره ، وأعز نصره ، وقهر من خالفه ، وأنجز له وعده ،
وختم به رسوله ، وقبضه مؤدباً لأمره ، مبلغاً لرسالته ، ناصحاً لأُمته ، مرضياً
مُهدياً إلى أكرم مآب المنقلين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين ، وعباده
الفائزين ، فصلّى الله عليه أفضل صلاةٍ وأتمّها ، وأجّلها وأعظمها ، وأزكّها
وأطهرها ، وعلى آله الطيبين ، والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين وسلفه
الراشدين المهتدين ، ورثة خاتم النبيين ، وسيّد المرسلين ، والقائمين بالدين ،
والمقومين لعباده المؤمنين ، والمستحفظين ودائع الحكمة وموارث النبوة ،
والمستخلفين في الأمة ، والمنصورين بالعز والمنعة ، والتأييد والغلبة ، حتى
يُظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة ، من شبهة قد
دخلتهم في أديانهم ، وفسادٍ قد لحقهم في معتقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها
أهواؤهم ، ونطقت بها ألسنتهم ، على غير معرفة ولا روية ، وقادوا فيها قادة
الضلالة بلا بينة ولا بصيرة ، وخالفوا الشئ المتبعة إلى الأهواء المبتدعة ،
قال الله عز وجل : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » خروجاً عن الجماعة ، ومسارعة إلى الفتنة ،
وإثارة للفرقة ، وتشتيتاً للكلمة ، وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ،
وبتر منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن
صغر الله حقه ، وأوهن أمره ، وأضعف رُكنته ، من بني أمية الشجرة
الملعونة ، ومخالفة لمن ستندقدهم الله به من الهلكة ، وأسبغ عليهم به النعمة ، من
أهل بيت البركة والرحمة ، قال الله عز وجل : « يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» فَأَعْظَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَأَى فِي تَرْكِ إِنْكَارِهِ حَرَجًا عَلَيْهِ فِي الدِّينِ ، وَفَسَادًا لِمَنْ قَلَّدَهُ اللَّهُ أَمْرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِهْمَالًا لِمَا أَوْجِبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ تَقْوِيمِ الْمُخَالَفِينَ ، وَتَبْصِيرِ الْجَاهِلِينَ ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الشَّاكِكِينَ ، وَبَسْطِ الْيَدِ عَلَى الْعَانِدِينَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُخْبِرُكُمْ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا ابْتَعَتْ مُحَمَّدًا بَدِينَهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصْدَعَ بِأَمْرِهِ ، بَدَأَ بِأَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى رَبِّهِ وَأَنْذَرَهُمْ وَبَشَّرَهُمْ ، وَنَصَحَ لَهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ ، فَكَانَ مَنْ اسْتَجَابَ لَهُ وَصَدَّقَ قَوْلَهُ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ تَقَرَّرَ يَسِيرٌ مِنْ بَنِي آيِيهِ ، مِنْ بَيْنِ مُؤْمِنٍ بِمَا آتَى بِهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَبَيْنَ نَاصِرٍ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَتَّبِعْ دِينَهُ ، إِعْزَازًا لَهُ وَإِشْفَاقًا عَلَيْهِ ، لِمَاضِي عِلْمِ اللَّهِ فِيمَنْ اخْتَارَ مِنْهُمْ ، وَتَفَدَّتْ مَشِيئَتُهُ فِيمَا يَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ مِنْ خِلَافَتِهِ وَإِرْثِ نَبِيِّهِ ، فَمُؤْمِنُهُمْ مُجَاهِدٌ بِيَصِيرَتِهِ ، وَكَافِرُهُمْ مُجَاهِدٌ بِنُصْرَتِهِ وَحِمِيَّتِهِ ، يَدْفَعُونَ مَنْ نَابَدَهُ ، وَيَقْتَهُرُونَ مَنْ عَارَّهَ ^(١) وَعَانَدَهُ ، وَيَتَوَثَّقُونَ لَهُ مِمَّنْ كَانَتْهُ وَعَاصَدَهُ . وَيَبَايَعُونَ لَهُ مَنْ سَمَّحَ بِنُصْرَتِهِ ^(٢) ، وَيَتَجَسَّسُونَ لَهُ أَخْبَارَ

(١) عاراه معاراة وعرارا : قاتله وآذاه ، وفي شرح ابن أبي الحديد « عازه » بالزاي ، يقال : عازني فعزته أي عابني فغلته ، وكأفقه : عاونه وساعده .

(٢) يعني بذلك جده العباس بن عبد المطلب ، وما كان منه في بيعة العقبة الثانية ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قبل هجرته من مكة) كان قد تواعد مع أنصاره من أهل المدينة الذين استجابوا لدعوته (في موسم الحج) أن يجتمع بهم عند العقبة ليلأخيه من قريش ، ووافقهم هناك ومعه عمه العباس ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس ، فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسون هذا الحي من الأنصار الخزرج ، خزرجها وأوسها - إن محمداً مناجت قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أتى بالانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أسكم وافون له بما دعوتموه إليه ، وما سعوه ممن خالفه ، فأتتم وما تحلمتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده ... الخ - انظر تاريخ الطبري ٢ : ٢٣٨ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٦٦

أعدائه^(١)، ويكيدون له بظهور الغيب كما يكيدون له برأى العين، حتى بلغ المدى، وحان وقت الاهتداء، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به، بأثبت بصيرة، وأحسن هدى ورغبة، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة، وأهل بيت الدين، أذهب عنهم الرجس^(٢) وطهرهم تطهيرا، ومعدن الحكمة، وورثة النبوة، وموضع الخلافة، وأوجب لهم الفضيلة، وألزم العباد لهم الطاعة.

وكان ممن عانده ونابذته وكذبه وحرابه من عشيرته العدد الأكبر، والسواد الأعظم، يلقونه بالكذب والتثريب^(٣)، ويقصدونه بالأذية والتخويف، ويبارزونهم بالعداوة، وينصبون له المحاربة، ويصدون عنه من قصده، وينالون بالتعذيب من اتبعه، وكان أشدّهم في ذلك عداوة، وأعظمهم له مخالفة، أوّلهم في كل حرب ومناصبة، ورأسهم في كل إجلاب^(٤) وفتنة، لا يرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها في كل موطن الحرب، من بدر وأحد والخندق والفتح، أبو سفيان ابن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله، ثم الملعونين على

(١) يعنى ما كان من العباس في عزوة أحد، وذلك أن جيش المشركين كان قد خرج من مكة لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتقاما لما أصابهم يوم بدر - حتى نزلوا مقابل المدينة، وبلغ الخبر رسول الله من كتاب بنت به إليه عمه العباس مع رجل استأجره لذلك ولم يخرج معهم في هذه الحرب، محتجا بما أصابه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء (وقد قدمنا في ص ٩٥ من الجزء الثالث أنه كان يخرج مع المشركين يوم بدر وأسر وأخذ رسول الله منه المدينة) وكان بمكة يكتب إلى رسول الله بأخبار المشركين، وقيل: إنه كان قد أسلم قبل الهجرة، وكان يكتب إلى رسول الله بالسيرة الحلبية ٢: ٢٣٠.

(٢) الرجس: كل ما استقدر من العمل.

(٣) التثريب: اللوم.

(٤) الجلبية بالتحريك: اختلاط الأصوات، وفعله كضرب وصر، وقد أجلبوا وجلبوا.

لسان رسول الله في عِدَّة مواطن وعدة مواضع ، لسابق علم الله فيهم ، وماضي حكمه في أمرهم وكفرهم ونفاقهم ، فلم يزل - لعنه الله - يحارب مجاهداً ، ويدافع مُكايِداً ، ويَجَلِبُ مُنابِداً ، حتى قهره السيفُ ، وعلا أمرُ الله وهم كارهون ، فتقول^(١) بالإسلام غيرَ مُنطوٍ عليه ، وأسرَّ الكفرَ غيرَ مُقلِّع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وقبَله وقبَل ولده على علمٍ منه بحاله وحالهم ، وميزله المؤلِّفة قلوبهم^(٢) .

فما لعنهم الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأنزل به كتاباً قوله « وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُحُوقَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا » ولا اختلاف بين أحدٍ أنه تبارك وتعالى أراد بها بني أمية^(٣) ، ومما ورد من

(١) وفي شرح ابن أبي الحديد « فتعوذ » .

(٢) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتصر على هوازن وثميف وجموعهم بحنين سنة ٨ هـ (وحنين بصيغة التصغير : واد بين مكة والطائف) غنم منهم سبياً وغانم كثيرة ، فأعطى المؤلِّفة قلوبهم (وهم من أسلم من أهل مكة) وكانوا أشرفاً من أشرف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فكان أولهم أبو سفيان بن حرب ، أعطاه أربعين أوقية من الفضة ومائة من الإبل ، قال : وأبى يزيد ، فأعطاه كذلك ، قال : وأبى معاوية ، فأعطاه كذلك ، فأخذ أبو سفيان ثلاثمائة من الإبل ومائة وعشرين أوقية من الفضة ، وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لأنت كرم في الحرب وفي السلم - انظر السيرة الحلبية ٣ : ١٣٧ ، وتاريخ الطبري ٣ : ١٣٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٠ وميزله : أي لأجله : وميز الشيء - فصل بعض بعضه من بعض ، والمعنى أنه أفرد المؤلِّفة قلوبهم بفضل من العطاء امتازوا به على من سواهم .

(٣) لا . بل قد اختلفوا في هذه الشجرة ، فالأكثر قالوا : إنها شجرة الرقوم المذكورة في القرآن في قوله . « إِنَّ شَجَرَةَ الرُّقُومِ طَعَامُ الْأَثَمِ » وقوله : « أَذَلِكَ خَيْرٌ مُرُؤلاً أم شَجَرَةُ الرُّقُومِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَبِيمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لَا كَافِرِينَ مِنْهَا فَأَلْتُونَهَا مِنَ الْبَطُونِ » والمراد بلعنها لمن طاعها على الإسناد المجازي ، وكان أبو جهل لما سمع بذلك قال : يزعم محمد أن نار جهنم تحرق الحجارة حيث قال « وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » ثم يقول بأن في النار شجراً ، والنار

ذلك في السنة ، ورواه ثقات الأمة ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ،
وقد رآه مقبلاً على حمار ، ومعاوية يقوده ، ويزيد ابنه يسوق به : لعن الله
الراكب والقائد والسائق^(١) . ومنه ما روته الرواة عنه من قوله يوم يبعث
عثمان : « يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكربة ، فها هناك جنة ولا نار »
وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله ، كما لحقت الذين كفروا من
بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم . ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون . ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره^(٢)
وقوله لقائده : ها هنا رمينا^(٣) محمدا وقتلنا أصحابه . (ومنه الكلمة التي قالها
للعباس قبل الفتح ، وقد عرضت عليه الجنود : لقد أصبح ملك ابن أخيك

أكل الشجر ، فكيف يولد فيها ! . وقال ابن عباس : الشجرة بنو أمية ، يعنى الحكم بن أبي العاص
قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره (وسپرد ذكر هذه
الرؤيا في تلك الرسالة بعد) فقص رؤياه على أنى بكر وعمر وقد خلا في بيته معهما ، فلما تفرقا سمع
رسول الله الحكم يحجر برؤيا رسول الله ، فاشتد ذلك عليه ، واتهم عمر بامتاء سره ، ثم ظهر أن
الحكم كان يتسمع إليهم ، فغاه رسول الله واعنه ، قال الواحدى : هذه العصاة كانت بالمدينة ،
والسورة مكية ، فبعد هذا التفسير ، إلا أن يقال : هذه الآية مدنية ، ولم يهل به أحد ، ومما
يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضى الله عنها لمروان بن الحكم : أما أنت ي مروان فأشهد أن
رسول الله لعن أباك وأمت في صلبه ، فانت فضض من لعنة الله (وفصص كجبل : أى قطعة)
وروى عن عائشة أيضا قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبيك
وحسدك : إنك النجرة اللعونة في القرآن - انظر تصدير الفخر الرازى ، مفاتيح الغيب ٥ : ٦٠٩
وروح المعاني للألومى ٥ : ٥٠٠ وعبرهما من الساسير .

(١) وجاء في مخرصة بين الحسن بن على رضى الله عنه وبين مطوية أن الحسن دل له : « وأنشدك
الله يامعاوية ، أنذكر يوماً جاء أبوك على جبل أحر ، وأنت نسوة ، وأخوك عتبة هذا يقوده ،
فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « اللهم لعن الراكب والقائد والسائق » - انظر شرح
ابن أبي الحديد ٢ : ص ١٠١ .

(٢) الثنية : الطريق في الجبل ، وكان أبو سفيان قد دقت عينه يوم الطائف ، وفقت عينه
الأخرى يوم اليرموك - وقد شهد اليرموك ، وكانت هو القاص في جيش المسلمين محرصهم وحثهم على
القتال - ولما عمى كان يقوده مولى له - انظر أسد الغابة ٣ : ١٢ وصبح الأعشى ١ : ٤٤٨ .

(٣) وفي تاريخ الطبرى « ذبينا محمدا » .

عظيماً ! فقال له العباس : وَيَحْكُ إِنَّهُ لَيْسَ بِمَلِكٍ ، إِنَّهَا النُّبُوءَةُ . ومنه قوله يوم الفتح ، وقد رأى بلالاً على ظهر الكعبة يؤذن ويقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، لقد أسعد الله عبته^(١) بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد^(٢) ، ومنه الرويا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم فَوَجَّهَ^(٣) لها ، فأراني ضاحكاً بعدها ، فأُنزل الله : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » فذكروا أنه رأى قفراً من بني أمية ينزون^(٤) على منبره . ومنه طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبي العاص لمحاكاته إياه في مشيته ، وألحقه الله - بدعوة رسوله - آفة باقية ، حين التفت إليه فرآه يتخلج يحكيه ، فقال له : كن كما أنت ، فبقي على ذلك سائر عمره^(٥) ، هذا إلى ما كان من مروان ابنه في افتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام^(٦) ، واحتقابه^(٧) لكل دم حرامٍ مُفَكِّ فيها ،

(١) هو جر أبو سفيان ، وجد معاوية لأمه هند .

(٢) ما بين القوسين وارد في رواية ابن أبي الحديد ، ساقط من طبعة الطبري التي بأيدينا .

(٣) وجه كوعد : سكت على غيظ .

(٤) نزا ينزو : وثب ، جاء في كتب التفسير : روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى قوماً من بني

أمية يرقون سبره وينزون عليه نزو القردة ، فقال : هذا حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم .

(٥) كان الحكم يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته وبعض حركاته ، وكان صلى الله عليه وسلم يكفأ في مشيته (فالتفت يوماً فرآه وهو يتخلج في مشيته (أي يضطرب) فقال : كن كذلك ،

فلم يزل يرتعش في مشيته من يومئذ ، وطرده رسول الله ولعنه وأخرجته إلى الطائف وقال له :

لا تسأكني في بلد أبداً ، وصار مشهوراً بأنه طرده رسول الله ، ولم يزل منفاً حياة النبي ، فلما ولي أبو

بكر الخلافة قيل له في الحكم ليرده إلى المدينة فقال : ما كنت لأحل عقدها رسول الله ، وكذلك

عمر ، فلما ولي عثمان الخلافة - والحكم عمه - رده وقال : كنت قد شفقت فيه إلى رسول الله فوعدني

برده - انظر أسد الغابة ٢ : ٣٤ .

(٦) هي الفتنة التي نجمت في أواخر خلافة عثمان ، وأفضت إلى قتله ، ثم إلى الشقاق عبا المسلمين ،

وكان مروان غالباً على أمر عثمان ، وقد طلب الثوار إليه أن يسلم إليهم مروان ، إذ اتهموه بأنه اقتل ،

عليه كتاباً إلى عامل مصر ، وبعثه مع غلام عثمان ، يأمره فيه بقتل المصريين منهم ، فأبى عثمان أن يسلمه

والقصة مشهورة .

(٧) احتقب الراكب الحقية : شدها من خلف ، ثم توسعوا في اللفظ حتى قالوا : احتقب فلان

الإثم : إذا اكتسبه ، كأنه شئ محسوس جمعه واحتقبه من خلفه .

أو أريق بعدها ، ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » قالوا : مُلِكَ بِنِي أُمِيَّة (١) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا معاوية ليكتب بين يديه ، فدافع بأمره واعتل بطعامه ، فقال النبي : « لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بَطْنَهُ (٢) » فَبِتِّي لَا يَشْبِعُ ، وهو يقول : وَاللَّهِ مَا أَتْرَكُ الطَّعَامَ شَيْعًا ، وَلَكِنْ إِعْيَاءً (٣) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَطْلَعُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ (٤) رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يُحْشَرُ عَلَى غَيْرِ مِلَّتِي » فَطَلَعَ مَعَاوِيَةَ (٥) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا رَأَيْتُمْ مَعَاوِيَةَ عَلَى مِئْبَرِي فَاقْتُلُوهُ » ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال : « إِنْ مَعَاوِيَةَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنْ جَهَنَّمَ يَتَادَى : يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ ، فَيَقَالُ لَهُ : « آآآ الْآنَ

(١) مما ذكره المفسرون في تفسيرها ، ما جاء في تفسير الفخر الرازي (٨ : ٦٣٠) قال : « روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال : قلت للحسن بن علي عليه السلام : يا مسود وجوه المؤمنين ، عمدت إلى هذا الرجل فبايعت له ! - يعني معاوية - فقال : إن رسول الله رأى في منامه بي أمية يطنون منبره واحداً بعد واحد ، وفي رواية : ينزون على منبره نزو الفردة ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، إِلَى قَوْلِهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » يعنى ملك بي أمية . قال القاسم « فحبنا ملك بي أمية فإذا هو ألف شهر » اهـ ، وذكر ذلك أيضاً الألوسى في روح المعاني (٩ : ص ٤٢٢) وأرى أن الخبر موضوع ، وأن ذلك التأويل لا ينهض عليه دليل ، على أن ملك بي أمية ليس « ألف شهر لا يزيد يوم ولا ينقص يوم » كما يقول القاسم بن فضل ، فقد قامت الدولة الأموية سنة ٤١ هـ وسقطت سنة ١٣٢ هـ ، فولايتهما أكثر من ألف شهر .

(٢) روى ابن الأثير في أسد الغابة (ج ٤ : ص ٣٨٦) قال : « عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كنت ألعب مع الصبيان ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال : فجاء فخطاني حطاة (والخطو : تحريك الشيء مزعزعا) وقال : اذهب فادع لي معاوية ، فجئت فقلت : هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لي معاوية ، فجئت فقلت : هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ، أخرج مسلم هذا الحديث يعينه لمعاوية .

(٣) أعياء إعياء : كل .

(٤) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٥) أرى أن هذا الحديث والحديثين بعده موضوعة .

وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ! » ومنه انبرأؤه بالمحاربة لأفضل
 للمسلمين في الإسلام مكاناً ، وأقدمهم إليه سبقاً ، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً :
 عليّ بن أبي طالب ، يُنازِعُه حَقُّه بباطله ، ويجاهد أنصاره بضلاله وغواته ،
 ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه « وَيَأْتِي
 اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » ويستهوِي أهل الغباوة ، ويموهُ
 على أهل الجهالة ، بكاره وبغيه اللذين قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الخبرَ عنهما ، فقال لعمار^(١) بن ياسر : « تقتلك الفئة الباغية ، تدعوهم إلى الجنة
 ويدعونك إلى النار^(٢) » مؤثراً للعاجلة ، كافرّاً بالأجلة ، خارجاً من ربقة

(١) هو عمار بن ياسر رضي الله عنه ، أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المشركون في بدء الدعوة
 الإسلامية فاحتمل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ، فربهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال : « صبرا آل ياسر فوعدكم الجنة ، اللهم اغفر لآل ياسر » .

(٢) روت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما بي رسول الله مسجده بالمدينة أمر
 بالبن أن يضرب وما يحتاج إليه ، ثم قام فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا
 أردبتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

لئن تعدنا والنبي يعمل ذاك إذن لعمل مضلل

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلاً نظيفاً منتظماً ، فكان يحمل اللبنة ويجافي بها عن ثوبه فإذا وصعها
 نفخ كفيه ، ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء من التراب نقضه ، فنظر إليه على رضي الله عنه فأنشد :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها راكعاً وساجدا

وقاعماً طوراً وطوراً قاعداً ومن يرى عن التراب حائداً

فسمعها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجزها وهو لا يدري من ينسئ ، فسمعه عثمان فقال : يا ابن صمية
 (وسمية أمية) ما أعرفني بمن تعرض ومعه جريدة ، فقال : لتكفن أو لأعترض بها وجهك ، فسمعه
 النبي وهو جالس في ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأنتي ، فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني »
 وأشار بيده فوضعها بين عينيه ، فكف الناس عن ذلك وقالوا لعمار : إن رسول الله قد غضب فيك ،
 ونخاف أن ينزل فبنا قرآن ، فقال : أنا أرضيه كما غضب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مالي
 ولأصحابك ؟ قال : مالك ولهم ؟ قال : يريدون قتلي ، يحامون لبنة ويحملون عليّ لبنتين ، فأخذ به
 وطاف به في المسجد ، وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول : « يا ابن صمية ، لا يقتلك أصحابي » ،
 ولكن نفتلك الفئة الباغية « فلما قتل بصفين - وكان من أصحاب عليّ - وروى هذا الحديث عبد الله
 ابن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عليا قال :
 ونحن قتلنا أيضا حمزة لأننا أخرجناه ! - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٣٧ .

الإسلام ، مستحلاً للدم الحرام ، حتى سُفِكَ في فتنته ، وعلى سبيل غَوَايَتِهِ
وضلالته ، مالا يُحْصَى عُدُوهُ من خيار المسلمين الذَّايِنين عن دين الله ،
والناصرين لحقه ، مجاهداً في عداوة الله ، مجتهداً في أن يُعْصَى اللهُ فلا يُطَاع ،
وتَبْطُلُ أحكامه فلا تُقَام ، ويخالف دينه فلا يُدَان^(١) ، وأن تعلو كلمة الضلالة ،
وترتفع دعوة الباطل « وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا » ودينه المنصور ، وحُكْمُهُ
النافذ ، وأمره الغالب ، وكَيْدُ من عاداه وحادّه^(٢) المفلوبُ الداحِضُ ، حتى
احتمل أوزار تلك الحروب وما تبعها . وتطوّق تلك الدماء وما سُفِكَ
بعدها ، ومن سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ،
وأباح المحارم لمن ارتكبها ، ومنع الحقوق أهلها ، واغتره الإملاء^(٣) ،
واستدرجه الإمهال ، والله له بالمرصاد .

ثم مما أوجب الله له به اللعنة ، قَتْلُهُ مَنْ قَتَلَ صَبْرًا^(٤) من خيار
الصحابة والتابعين ، وأهل الفضل والدين ، مثل عمرو بن الحمق الخزاعي ،
وحُجْر بن عَدِي الكِنْدِي^(٥) فيمن قتل من أمثالهم ، في أن تكون له العزة
والمُلك والغلبة ، ونه العزة والملك والقدرة ، والله عز وجل يقول « وَمَنْ يَقْتُلْ
مَوْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ
عَذَابًا عَظِيمًا » ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادعاؤه زياد بن سميّة

(١) أي فلا يدان به .

(٢) حاده : عاضبه وعاداه وخالفه ، داحض : أي باطل .

(٣) أملى له الله : أملاه ، وفي ابن أبي الحديد « وغرته الآمال » .

(٤) صبر الإنسان على القتل : أن يجلس ويرمي حتى يموت .

(٥) انظر خبرها فيما قدمنا في الجزء الثاني (ص ٤٦ و ٦٣)

أخاه، ونسبته إياه إلى أبيه جُرأةً على الله، والله يقول « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ، هُوَ أَقْسَطُ ^(١) عِنْدَ اللَّهِ » ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول « ملعونٌ من ادَّعى إلى غير أبيه، أو اتقى إلى غير مواليه » ويقول: « الولد للفراش وللعاهر الحجر ^(٢) » فخالفَ حكمَ الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم جهارا، وجعلَ الولدَ لغير الفراش، والحجرَ لغير العاهر ^(٣)، فأحلَّ بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حَيبَةَ ^(٤) زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وفي غيرها من سُفُور وجوه ما قد حرَّمه الله، وأثبتَ بها قرْبَى قد باعدها الله، وأباح بها ما قد حَظَره الله، مما لم يدخل على الإسلام خَلًا مِثْلُه، ولم ينل الدينَ تبديلٌ شِبْهُه، ومنه إيثارُه لخِلافة الله على عباده أبْنَه يزيدَ السُّكَيْرِ الخُمَيْرِ، صاحب الديوك والفهود والقروود، وأخذَه البيعةَ له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعُّد والإخافة والتهدُّد والرهبَة، وهو يعلم سَفَهَه، ويطلع على خُبْثه ورَهَقه ^(٥)، ويعاين سَكَرَانَه ^(٦) وفُجُورَه وكفره، فلما تمكن - قاتله الله - فيما مكَّنه منه، ووطَّأه له، وعصى الله ورسوله فيه، طلبَ بثارات المشركين وطوائِلِهِم ^(٧) عند المسلمين، فأوقع بأهل المدينة في وقعة الحرَّة ^(٨)

(١) أى أعدل .

(٢) انظر ص ٣٧ من الجزء الثانى .

(٣) وفى الطبرى « والعاهر لا يصره غيره » .

(٤) هى بنت أبى سعيان ، وسمرت المرأة كصرت سفورا : كشفت عن وجهها .

(٥) الرهق : السفة والحق والحفة وركوب الشر والطم وعشيان المحارم .

(٦) أى سكره .

(٧) الطوائل : جمع طائفة ، وهى النار .

(٨) انظر الجزء الثانى ص ٩٧ .

الوقعة التي لم يكن في الاسلام أشنع منها ، ولا أفسس مما ارتكب من
الصالحين فيها ، وشقى بذلك عبد^(١) نفسه وغليله ، وظن أنه قد انتقم من
أولياء الله ، وبلغ النوى^(٢) لأعداء الله ، فقال مجاهراً بكفره ، ومُظهراً لشركه :

ليت أشياخي يبدرو شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل^(٣)
لأهلوا واستهلوا قرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل^(٤)
لست من خندق إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٥)
لقت هاشم الملك ، فلا خبر جاء ولا وحى نزل^(٦)

هذا هو المروق من الدين ، وقول من لا يرجع إلى الله ، ولا إلى دينه ،
ولا إلى كتابه ، ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله ،
ثم من أغلظ ما انتهك ، وأعظم ما اجترم ، سفك دمه الحسين بن علي ،
وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع موقعة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ، ومنزله من الدين والفضل ، وشهادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة ، اجترأ

(١) العبد : العصب .

(٢) النوى . الحاجة والوحه الذي تويه ونقصه ، وفي ابن أبي الحديد « وبلغ النار » .

(٣) القرم : السيد .

(٤) هذا البيت والبيتان معه من قول يزيد .

(٥) حدى : هي أم مدركة وطامحة وقمة (كرفة) أبناء إلياس بن مصر بن برار بن معدة

ابن عدنان .

(٦) نفس كمرح : حفظ بالعملة ، وفي الأصل « تاريخ الطبرى » « لقت هاشم بالملك » وهو تحريف

وقد أصلحته كما ترى ، وربما كان « ولقت هاشم بالملك » « بدون صرف » .

على الله ، وكفرا بدينه ، وعداوة لرسوله ، ومجاهدة لعترته ، واستهانة بحُرْمته ،
فكأنما يقتلُ منه ومن أهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم ،
لا يخاف من الله نِقْمَةً ، ولا يَرْقُبُ منه سَطْوَةً ، فَبَتَرَ^(١) الله عمره ، واجتثَّ
أصله وفرعه ، وسلبه ما تحت يده^(٢) ، وأعدَّ له من عذابه وعقوبته ما استحقه
من الله بمعصيته .

هذا إلى ما كان من بني مروان ، من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه ،
واتخاذ مال الله دُولاً^(٣) بينهم ، وهدم بيته ، واستحلال حرامه ، ونصّبهم
المجانيق عليه ، ورَمَيْهم إياه بالنيران ، لا يَأْلُونَ^(٤) له إحراقاً وإخرايماً ، ولما
حرّم الله منه استباحةً وانهاكاً ، ولَمَن لجأ إليه قتلاً وتكليلاً ، ولَمَن أَمَنه
الله به إخافةً وتشريداً ، حتى إذا حَقَّتْ عليهم كلمة العذاب ، واستحقوا من الله
الانتقام ، وملئوا الأرض بالجور والعدوان ، وعمّوا عباد الله بالظلم والافتسار^(٥) ،
وحلّت عليهم السَّخْطَةُ ، ونزلت بهم من الله السَّطْوَةُ ، أتاح الله لهم من
من عِتْرَةِ نبيه وأهل وراثته مَنْ استخلصهم منهم لخلافته ، مثل ما أتاح الله من
أسلافهم المؤمنين ، وآبائهم المجاهدين لأوائهم الكافرين ، فسفك الله بهم
دماء هم مرتدّين ، كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين ، وقطع الله
دابرَ القوم الظالمين ، والحمد لله رب العالمين ، ومكّن الله المستضعفين ،

(١) نزه : قطعه ، والمعنى أماته حدثاً في شرح شناه ، فقد مات وهو ابن نضع وثلاثين سنة ،
وقى ابن أبي الحديد « فبتر » والتبتر : الكسر والإهلاك ، واحتشه : قطعه .

(٢) فقد انتقلت الخلافة بعده إلى ابنه معاوية الثاني الذي لم يلبث في الخلافة إلا أربعين يوماً ثم مات
وانتقلت الخلافة إلى البيت المرواني .

(٣) جمع : دولة بالصم ، أي متداولاً بينهم دون سائر المسلمين .

(٤) لا يألون : أي لا يقصرون .

(٥) الافتسار : القهر .

وَرَدَّ اللهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ الْمُسْتَحِقِّينَ ، كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » .

واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل إنما أمرَ لِبُطَاعِ ، وَمِثْلٍ لِيَتَمَثَّلَ ، وَحَكْمٍ لِيُقْبَلَ ، وَالزَّمَّ الْأَخْذَ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَتَّبِعَ ، وَأَنْ كَثِيرًا مِمَّنْ ضَلَّ فَالتَوَى وَانْتَقَلَ مِنْ أَهْلِ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَاهِ ، مِمَّنْ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ » وَقَالَ : « إِنَّ اللهَ لَمَنْ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا » وَقَالَ : « أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ » فَانْتَهُوا مَعَاشِرَةَ النَّاسِ عَمَّا يُسَخِّطُ اللهُ عَلَيْكُمْ ، وَرَاجِعُوا مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ ، وَارْضُوا مِنَ اللهِ بِمَا اخْتَارَكُمْ ، وَالزَّمُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَجَانِبُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَاتَّبِعُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَالْحِجَةَ الْبَيْتَةَ ، وَالسَّبِيلَ الْوَاضِحَةَ ، وَأَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ الَّذِينَ هَدَاكُمْ اللهُ بِهِمْ بَدِيئًا ^(١) ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِمْ مِنَ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ أَخِيرًا ، وَأَصَارَكُمْ إِلَى الْخَفْضِ وَالْأَمْنِ وَالْعِزِّ بِدَوْلَتِهِمْ ، وَشَمَلِكُمْ الصَّلَاحُ فِي أَدْيَانِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ فِي أَيَامِهِمْ . وَالْعَنُوا مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَفَارِقُوا مَنْ لَا تَنَالُونَ الْقُرْبَةَ مِنَ اللهِ إِلَّا بِفَارِقَتِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَعَاوِيَةَ ابْنَهُ وَيَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ وَمَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَوَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ ، اللَّهُمَّ الْعَنْ أُمَّةَ الْكُفْرِ ، وَقَادَةَ الضَّلَالَةِ ، وَأَعْدَاءَ الدِّينِ ، وَمُجَاهِدِي الرِّسُولِ ، وَمَغْيِرِي الْأَحْكَامِ ، وَمُبَدِّلِي الْكِتَابِ ، وَسَفَّائِي الدَّمِ الْحَرَامِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَبَرَأُ إِلَيْكَ مِنْ مَوَالَاةِ أَعْدَائِكَ ، وَمِنْ الْإِنْعِمَاضِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ كَمَا قُلْتَ « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ »

يأيها الناس ، اعرفوا الحق تعرفوا أهله ، وتأملوا مسبل الضلالة تعرفوا
سابلها ، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالهم ، ويُلحقهم بالضلال والصلاح
آبائهم ، فلا يأخذكم في الله لومة لائم . ولا يميلن بكم عن دين الله استهواء
من يستهويكم ، وكيد من يكيدكم ، وطاعة من تُخرجكم طاعته إلى معصية ربكم .
أيها الناس ، بنا هداكم الله ، ونحن المستحفظون فيكم أمر الله ، ونحن ورثة رسول
الله ، والقائمون بدين الله ، فقفوا عند ما نطقكم عليه ، وأنفذوا لما نأمركم به ، فإنكم
ما أطعم خلقاء الله وأئمة الهدى ، على سبيل الإيمان والتقوى ، وأمير المؤمنين
يستعصم الله لكم ، ويسأله توفيقكم ، ويرغب إلى الله في هدايتكم لرشدكم ،
وفي حفظ دينكم عليكم ، حتى تلقوه مستحقين طاعته ، مستحقين^(١) لرحمته ،
والله حسب أمير المؤمنين فيكم ، وعليه توكله ، وبالله على ما قلده من أموركم
استعانتة ، ولا حول لأمر المؤمنين ولا قوة إلا بالله ، والسلام عليكم .

وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة ٢٨٤^(٢) .

(تاريخ الطبرى ١١ : ٣٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣ : ص ٤٤٢)

(١) أى حاملين .

(١) قال الطبرى : « خوفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة ، وأنه لا يأمن أن
تكون فتنه ، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله . وقال : « وذكر أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف
ابن يعقوب القاضى وأمره أن يعمل الحيلة فى إبطال ما عزم عليه المعتضد ، فضى يوسف بن يعقوب
فكم المعتضد فى ذلك ، وقال له : يا أمير المؤمنين إني أخاف أن تضطرب العامة ، ويكون منها عند
سماعها هذا الكتاب حركة ، فقال : إن تحركت العامة أو نطقت وضعت سنى فيها . فقال :
يا أمير المؤمنين ، فما تصنع بالطالبيين الذين هم فى كل ناحية يخرجون ويميل إليهم كثير من الناس
لهراتهم من الرسول وما آثرهم ، وفى هذا الكتاب إطراؤهم ، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل ،
وكانوا هم أبسط ألسنة وأثبت حجة منهم اليوم ، فأمسك المعتضد فلم يرد عليه حواجا ، ولم يأمر فى
الكتاب بعده شىء » .

٢٥٨ - كتاب أم الشريف إلى ابن أخيها محمد

ابن أحمد بن عيسى

وفي سنة ٢٨٦ هـ أناخ المعتضد بجنده على « آمد^(١) » ، وقد تحصن بها محمد بن أحمد بن عيسى ، فبث المعتضد جيوشه حولها وحاصرها ، ووجه شُعلة ابن شهاب اليشكري إليه ، ليأخذ بالحجة عليه ، فسار إليه ، واتصل الخبر بأم الشريف عمه محمد بن أحمد ، فتحدثت إليه في أمر ابن أخيها ، ثم كتبت معه إليه كتاباً لطيفاً حسناً ، أجزلت فيه الموعدة ، وأخلصت فيه النصيحة .

وكتبت في آخره هذه الأبيات:

إقبل نصيحة أم قلبها وجع	عليك خوفاً وإشفاقاً وقل سداً ^(٢)
واستعمل الفكر في قولي ، فإنك إن	فكرت أقيت في قولي لك الرشد
ولا تثق برجال في قلوبهم	ضغائن تبعث الشنان والحسد ^(٣)
مثل النعاج مخول في بيوتهم	حتى إذا أمنوا أقيتهم أسداً
وداؤ ذلك والأدواء ممكنة	وإذ طبيبك قد ألقى إليك يدا
أعط الخليفة ما يرضيه منك ، ولا	تمعه مالا ولا أهلاً ولا ولدا
واردداً أخا يشكر رداً يكون له	رداً من الشوء ، لا تشمت به أحدا
فأخذ شعلة الكتاب وصار به إلى محمد بن أحمد ، فلما نظر فيه رمى به إليه ،	

(١) آمد : مدينة من مدن ديار بكر .

(٢) السدد والسداد : الاستقامة .

(٣) الشنان بسكون النون وفتحها : البغض .

ثم قال : يا أبا يشكر ، ما بأراء النساء تُسأس الدولُ ، ولا بقولهن يسأس الملك ، ارجع إلى صاحبك ، فرجع إلى المعتضد وأخبره الخبر وأراه كتاب أم الشريف فأعجبه شعرها وعقلها . (مروج الذهب ٢ : ٤١٨)

٢٥٩ - كتاب أم الشريف إلى المعتضد

فلما عضتُ الحربُ وجهه إلى المعتضد يطلب الأمان فأجابه إليه ، ثم وجه المعتضد شُعلة بن شهاب في طلب أم الشريف ، فلما رآته بكت وضربت يديها على الأخرى وقالت : يا شهاب ، كَأَنِّي والله كنت أرى ما أرى ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ! فقال لها : إن أمير المؤمنين قد وجهني إليك ، وما ذاك إلا لحسن رأيٍ منه فيك ، فقالت له : فهل لك أن توصل إليه كتابي هذا بما قلت فيه ؟ قال : نعم ، فكتبت إليه بهذه الأبيات :

قل للخليفة والإمام المرتضى	رأس الخلائق من قریش الأبطح
بك أصح الله البلاد وأهلها	بعد الفساد وظالما لم تصلح ^(١)
وترحزحت بك قبة العز التي	لولاك بعد الله لم تتزحزح
وأراك ربك ما تحب ، فلا ترى	مالاتحِب ، فجد بعفوك واصفح
يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها	هب ظالمي ومفسدي أصلح

فسار بالكتاب إلى المعتضد فأعجبه الأبيات ، وأمر أن يحمل إليها نخوت^(٢) من الثياب وجلة من المال ، وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك ،

(١) أي من قریش التي تسكن أبطح مكة ، وهو مسيل واديها .

(٢) النخوت : جمع نخت بالفتح ، وهو وطاء تصان فيه الثياب .

وشفعها في كثير من أهلها ، ممن عَظُمَ جُرْمُهُ ، واستحق العقوبة عليه .

(مروج الذهب ٢ : ٤٦٩)

٢٦٠ - كتاب صاحب الشامة إلى بعض عماله

ومن كتب صاحب الشامة الحسين بن زكرويه القرمطي^(١) إلى

بعض عماله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله
الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الحاكم بحكم الله ، الداعي إلى كتاب الله ،
الذاب عن حرم الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام
المسلمين ، ومُذِلِّ المنافقين ، خليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين ، وقاصم
المعتدين ، ومُبيد الملحدِّين ، وقاتل القاسطين^(٢) ، ومُهْلِك المفسدين ، وسراج

(١) كان داعية قرمط رجلا يسمى زكرويه بن مبرويه ، فلما تتابع من المعتضد توجيه الجيوش إلى
من سواد الكوفة من القرامطة ، وألح في طلبهم ، وأُخِنَ فيهم القتل ، ورأى زكرويه أنه لا مدفع
عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غناء ، سعى في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب أسد
وطي وتيم وغيرهم من قبائل الأعراب ، ودعاهم إلى رأيه ، وزعم لهم أن من بالسواد من القرامطة
يطاقونهم على أمره إن استجابوا له ، فلم يستجيبوا له .

وكانت جماعة من « كلب » تخفر الطريق على البر بالساوة ، فيما بين الكوفة ودمشق على طريق
تدمر وغيرها ، وتحمل الرسل وأمتعة التجار على إبلاها ، فأرسل زكرويه أولاده إليهم ، فبايعوهم
وخالطوهم وانتسوا إلى علي بن أبي طالب ، وإلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وذكروا أنهم
خائفون من السلطان ، وأتهم ملجئون إليهم ، فقبلوهم على ذلك ، ثم دبوا فيهم بالدعاء إلى رأي القرامطة
فلم يقبل ذلك أحد من الكلبيين إلا الفخذ المعروفة ببني العليص بن ضضم بن عدي بن جناب ومواليهم
خاصة ، فبايعوا في آخر سنة ٢٨٩ بناحية الساوة ابن زكرويه المسمى يحيى ، ثم قتل في بعض
الوقعات ، فنصبوا أخاه الحسين بن زكرويه ، وزعم لهم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل
ابن جعفر الصادق ، وأظهر شامة في وجهه ذكر أنها آتته ، فعرف بصاحب الشامة ، وظهر على
جند حمص وغيرها من أرض الشام ، وتسمى بإمرة المؤمنين على منابرها ، وكان ذلك سنة ٢٨٩ و
سنة ٢٩٠ - انظر تاريخ الطبري ١١ : ٣٧٧ .

(٢) أي الجائرین .

المُبصرين ، وضياء المستضيئين ، ومُشتت المخالفين ، والقيِّم بسُنَّة سيد المرسلين ، وولد خير الوصِيِّين ، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين ، وسلم كثيراً ، إلى جعفر بن حميد الكردى :

سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلى على جدِّى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بعدُ : فقد أنهى إلينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك ، وأظهروه من الظلم والعيث^(١) والفساد فى الأرض ، فأعظمتنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ إلى ما هناك من جيوشنا من ينتقم الله به من أعدائه الظالمين ، الذين يسعون فى الأرض فساداً ، وأتقدنا « عَطِيراً » داعيتنا . وجماعة من المؤمنين إلى مدينة حصص ، وأمددناهم بالمساكر ، ونحن فى إثرهم ، وقد أوعزنا إليهم فى المصير إلى ناحيتك ، لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يُجرينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا فى أمثالهم ، فينبغى أن تشدَّ قلبك وقلوب من معك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذى لم يزل يعوِّدنا فى كل من مرَّق عن الطاعة ، وانحرف عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الناحية وما يتجدد فيها ، ولا تخفِ عنا شيئاً من أمرها إن شاء الله ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ، وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وصلى الله على جدِّى محمد رسول الله وعلى أهل بيته وسلم كثيراً . (تاريخ الطبرى ١١ : ٣٨٤)

٣٦١ - كتاب بعض عماله إليه

وهذه نسخة كتاب عامل له إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله أحمد الإمام المهدي المنصور بالله (ثم
الصدر كله على مثال صدر كتابه السابق إلى قوله : وعلى أهل بيته الطيبين
وسلم كثيرا) ثم بعد ذلك :

من عامر بن عيسى العنقائي .

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : أطال الله بقاء
أمير المؤمنين ، وأدام الله عزّه وتأييده ، ونصره وسلامته ، زكّامته ونعمته
وسعادته ، وأسبغ نعمة عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وفضله لديه .

فقد كان وصل كتاب سيدي أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - يعلمني
فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد من قواده إلى ناحيتنا ،
لمجاهدة أعداء الله بني القصيص ، والحائن ابن دحيم ، وسلبهم حيث كانوا ،
والإيقاع بهم وبأسبابهم وضياعهم ، ويأمرني - أدام الله عزه - عند نظري
في كتابه ، بالنهوض في كل من قدرت عليه من أصحابي وعشائري ،
للقائهم ومكاتفه الجيش ومعاضدتهم ، والمسير بسيرهم ، والعمد إلى كل
ما يؤمّن إليه ويأمرون به ، وفهمته ، ولم يصل إلى هذا الكتاب - أعزّ الله
أمير المؤمنين - حتى وافت الجيوش المنصورة ، فتالت طرفا من ناحية
ابن دحيم ، وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسرور بن أحمد الداعية ،

ليلقوه بمدينة «أفامية»^(١) ثم ورد على كتاب مسرور بن أحمد في درج^(٢) الكتاب الذي اقتضت ما فيه في صدر كتابي هذا ، يأمرني فيه بجمع من تهباً من أصحابي وعشيرتي ، والنهوض إلى ما قبله ، ويحذرنى التخلف عنه ، وكان ورود كتابه على وقت صح عندنا نزول المارق سُبُكْ عَبْدُ مُفْلِحِ مدينة «عِرْقَة»^(٣) في زهاء ألف رجل ، ما بين فارس وراجل ، وقد شارف بلدنا ، وأطل على ناحيتنا ، وقد وجه أحمد بن الوليد عبد أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - إلى جميع أصحابه ، ووجهت إلى جميع أصحابي ، فجمعناهم إلينا ، ووجهنا العيون إلى ناحية «عِرْقَة» لنعرف أخبار هذا الخائن ، وأين يريد؟ فيكون قصدنا ذلك الوجه ، ونرجو أن يظفر الله به ، ويُمكن منه ، بمنه وقدرته ، ولولا هذا الحادث ، ونزول هذا المارق في هذه الناحية ، وإشراقه على بلدنا ، لما تأخرت في جماعة أصحابي عن النهوض إلى مدينة «أفامية» لتكون يدي مع أيدي القواد المقيمين بها ، لمجاهدة من بتلك الناحية ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، وأعلمت سيدي أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - السبب في تخلفي عن مسرور بن أحمد ، ليكون على علم منه ، ثم إن أمرني - أدام الله عزه - بالنفوذ إلى «أفامية» ، كان تفوضي برأيه ، وامتثلت ما يأمرني به إن شاء الله ، أتم الله على أمير المؤمنين نعمه ، وأدام

(١) أفامية : مدينة من سواحل الشام وكورة من كور حص .

(٢) درج الكتاب : طيه وداخله ، يقال في درج الكتاب كذا وكذا .

(٣) عِرْقَة : بلدة في شرقي طرابلس الشام ، بينهما أربعة فراسخ . وهي آخر عمل دمشق ، في

عزه وسلامته ، وهنأه كرامته^(١) ، وأبسته عفوه وعافيته ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار . (تاريخ الطبري ١١ : ٣٨٤)

٢٦٢ - كتاب محمد بن سليمان الكاتب إلى القاسم بن عبيد الله

وفي سنة ٢٩١ هـ وجه القاسم^(١) بن عبيد الله وزير المكتفي بالله^(٢) ، محمد ابن سليمان الكاتب - وكان إليه ديوان الجيش - وضم جميع القواد إليه لمناهضة ذى الشامة وأصحابه ، فالتقوا به قرب « حماة » ، وهزم أصحاب القرمطي وقتلوا ، وأسر من رجالهم بشر كثير ، وتفرق الباقون في البوادي . وكتب محمد بن سليمان إلى الوزير بالفتح :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قد تقدمت كتي إلى الوزير - أعزه الله - في خبر القرمطي اللعين وأشياعه ، بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله . (تاريخ الطبري ١١ : ٣٨٦)

٢٦٣ - كتاب ابن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله

وكتب عبد الله بن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله يعتذر .
« ترفع - أعزك الله - عن ظلمي إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعمو عني إن

(١) استوزره المعتضد بعد وفاة أبيه عبيد الله بن سليمان بن وهب سنة ٢٨٨ ، انظر خبره في الفهرى ص ٢٣٢ ، ومروج الذهب .

(٢) هو أبو محمد علي بن المعتضد ، ولي الخلافة بعد موت أبيه سنة ٢٨٩ ، وتوفي سنة ٢٩٥ .

كنتُ مسيئًا ، فواللهِ إني لأطلبُ غفرَ ذنبي لم أجنيه ، وألتمس الإقالةَ
مما لا أعرفه ، لتزدادَ تطوُّلاً ، وأزدادَ تدلُّلاً ، وأنا أُعيدُ حالي عندك بكرمك
من واثٍ يَكِيدها ، وأحرسُها بوفائك من باعٍ يحاولُ إفسادها ، وأسألُ
اللهَ تعالى أن يجعلَ حظِّي منك بقدرِ ودي لك ، ومحلي من رجائك بحيث
أستحقُّ منك .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٨ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٢)

٢٦٤ - كتاب ابن المعتز إلى القاسم

وله إليه :

« لو كان في الصمت موضع يسع حالي ، خلفت عن سمع الوزير
ونظره ، ولم أشغل وجهها من فكره ، وما زالت الشكوى تُعرب عن لسان
البُلوي ، ومن اختلت حالته ، كان في الصمت هلكته ، وقد كان الصبر
ينصرني على ستر أمري حتى خذلني . » (زهر الآداب ١ : ٢٠٨)

٢٦٥ - كتابه إلى بعض الرؤساء

وله إلى بعض الرؤساء :

« لا تشنَّ حُسنَ الظنِّ بقبح الانتقام ، وتجاوزَ عن مُذنبٍ لم يسلك
بإقرارٍ طريقاً ، حتى اتخذ من رجاء عفوكم رقيقاً . »

(زهر الآداب ١ : ٢٠٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٢٦٦ - كتابه إلى عليل

وكتب إلى عليل .

« أذن الله في شفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، ومسح بيد العافية عليك ،
ووجهه وافد السلامة إليك ، وجعل علتك ماحيةً لذنوبك ، مضاعفةً لثوابك .
(زهر الآداب ١ : ٢٠٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

٢٦٧ - كتاب ابن المعتز إلى بعض الوزراء

وكتب إلى بعض الوزراء :

« مازال الحاسد لنا عليك أيها الوزير ينصب الجبائل ، ويطلب العوائل ،
حتى انتهز فرصته ، وأبلغك شيئاً زخرفه ، وكذباً زوره ، وكيف الاحتراسُ
ممن أحضر ويغيب ؟ ويقول وأمسك ؟ مُرْتَصِدٌ لا يُغْفَلُ ، وما كَرُّ لا يَفْتُرُ ،
وربما استنصح الغاش ، وصدق الكاذب ، والحظوة لا تُدْرِكُ بالحيلة ، ولا
يجري أكثرها على حسب السبب والوسيلة . »

٢٦٨ - رده عليه

فأجابه :

« حصول الثقة بك - أعزك الله - يُغني عن حضورك ، وصدق حالتك
يحتج عنك ، وما تقرّر عندنا من نيتك وطويتك يُغني عن اعتذارك .
(زهر الآداب ٣ : ٢٠٤)

٢٦٩ - كتاب قينة إلى ابن المعتز

قال أبو العباس بن المعتز: كان لنا مجلس حظي، أرسلت بسببه خادمةً إلى قينة^(١)، فأجابت، فلما مرت في الطريق وجدت فيه حارساً حرامياً^(٢)، فرجعت، فأرسلت أعاتبها. فكتبت إلى:

« لم أتخلف عن المسير إلى سيدي في عشتي أمس، لأرى وجهه المبارك، وأجيب دواءه، إلا لعل قد عرفتها فلانة، ثم خفت أن يسبق إلى قلبه الطاهر أني قد تخلفت بغير عذر، فأحبيت أن تقرأ عذري بخطي، ووالله ما أقدر على الحركة، ولا شيء أسر إلى من رؤيتك والجلوس بين يديك، وأنت يامولاي جاهي وسندي، لا فقدت سندي، ورأيتك في بسط العذر مؤقفاً، وكتبت في أسفل الكتاب.

أليس من الحرمان حظاً صلبته وأحوجني فيه البلاء إلى العذر؟
فصبوا، فما هذا بأول حادث رميتني به الأقدار من حيث لا أدري

٢٧٠ - رده عليها

فأجبتها:

« كيف أرد عذر من لا تسلط التهمة عليه، ولا تهدي الموجدة^(٣) إليه،

(١) القينة: الحارية الغنية أو أعم.

(٢) نسة إلى حرام: وهي قبيلة من بني سليم، وقبيلة من بني سعد بن بكر.

(٣) الموجدة: العصب.

وكيف أعلمه قبول المعاذير ، ولا آمنُ بعضَ جواهره إلىَّ يَعبُرُ إلى انتهازِ فُرصةٍ
فيما عاد إلى الفُرطة^(١) ، فإنَّ سلِمْتُ من ذلك ، فمنَّ يَجِبرُنِي مِن تَوَاكُلِهِ عَلَى
تقديم العذر ، ووقوعه موقعَ التصديق في كل وقت ، فتتصل أيام الشغل
والعلَّة ، وتنقضي أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة الغيبة ، وتدرُس آثار
المودة » وكتبت آخر الرقعة .

إذا غبتِ لم تعرف مكاني لذةٌ ولم يلق نفسي لهوها وسرورها
وبدلت ممتما واهياً غير ممسكٍ لقول ، وعينا لا يراني ضميرها
(زهر الآداب ٢ : ٢٠٣)

٢٧١ - كتاب ابن المعتز إلى بعض إخوانه

يصف سرّاً من رأى

وكتب عبد الله بن المعتز إلى بعض إخوانه يصف سرّاً من رأى ،
ويذكر خرابها ، ويدمُّ بغدادَ وأهلها ، ويفضل سامراً^(٢) :
« كتبتُ إليك من بلدةٍ قد أنهض^(٣) الدهرُ سُكَّانَهَا ، وأقعدُ جُدرانَهَا ،
فشاهدُ اليأسِ فيها ينطق ، وحَبْلُ الرجاءِ فيها يَقْصُرُ ، فكانَ عُمرانها يُطوى ،
وكانَ خرابها يُنشر ، وقد وُكِّلتُ إلى المهجرِ نواحياً ، واستُحِثَّ باقيها
إلى فانيها ، وقد تمزقتُ بأهلها الديار ، فما يجب فيها حقُّ جوار ، فالظاعنُ^(٤)

(١) الفرطة : اسم للخروج والتقدم ومجازة الحد .

(٢) لغة في سر من رأى ، وقد قدمنا كلمة هاهنا ص ١٥٠ .

(٣) أي أنهضهم للرحيل .

(٤) أي المسافر الراحل .

منها تَمَحُّوُ الأثر، والمقيمُ بها على طَرَفِ سَفَرٍ ، نهارُهُ إِزْجافٌ^(١) . وسروره
أحلام ، ليس له زاد فَيَرْحَلُ ، ولا مرعى فَيَرْتَعُ ، فخالها تصيف للعيون
الشكوى ، وتشير إلى ذم الدنيا ، بعد ما كانت بالرأى القريبِ جَنَّةَ
الأرض ، وقرارَ الملك ، تَقْبِضُ بالجنود أقطارُها ، عليهم أرديةُ السيوف ،
وغلائل^(٢) الحديد ، كأن رماحهم قُرُونُ الوُعُولِ ، ودُرُوعهم زَبَدُ السُّيُولِ ،
على خيل تأكل الأرضَ بحوافرها ، وتمدُّ بالنقع^(٣) سُرَادِقِها ، قد نُشِرَتْ
في وجوهها غُرَرٌ^(٤) كأنها صحائف البرق ، وأمسكها تحجيلٌ كأنه أسورةُ
اللجين ، وقرطت^(٥) عُذْرًا كالشَنُوفِ ، في جيشٍ يتلقفُ الأعداءَ أوائله ،
ولم تنهض أواخره ، وقد صَبَّ عليه وقارُ الصبر ، وهبَّت له روائحُ النصر ،
يصرِّفه ملكٌ يملأ الميوتَ جمالًا والقلوبَ جلالًا ، لا تُخْلِفُ مَخِيلَتُهُ^(٦) ،
ولا تُنْقِضُ مَرِيئَتُهُ ، ولا يُنْخِطِي بِسَهْمِ الرأى غَرَضَ الصواب ، ولا يَقْطَعُ
بمطايا اللهُو سَفَرَ الشَّبابِ ، قابضًا بيد السياسة على قِطَارِ^(٧) مُلْكٍ لا ينتشر
حَبْلُهُ ، ولا تَنْشِطِي عِصَاهُ ، ولا تُطْفَأُ جَمْرَتُهُ ، في سِنِّ شَبَابٍ لم يَجْنِ مَأْتَمًا ،

(١) أرجفوا : خاضروا في أخبار الغن ونحوها .

(٢) الغلائل جمع علالة بالكسر : وهي الشعار الذي يلبس تحت الثياب مما يلي الجسد ، والوعول
جمع وعل كشمس وكتف : وهو تيس الجبل .

(٣) النقع : الغبار .

(٤) الفرر جمع غرة بالضم : وهي ياض في جبهة الفرس فوق الدرهم ، والتحجيل : ياض في قوائم
الفرس ، واللجين : الفضة .

(٥) العنز جمع عنزار ككتاب : وهو من اللجام ماسال على خد الفرس : وقرط الجارية :
ألبسها القرط ، والشنوف جمع شنف بالفتح : وهو القرط الأعلى .

(٦) المخيلة : الظن ، والمريرة : العزيمة .

(٧) القطار في الأصل : أن تقطر الأبل بعضها إلى بعض على نسق واحد ، وتشظي العود : تطاير
شظايا جمع شظية كغنية : وهي الفلقة (بالكسر) من العصا ونحوها .

وشَيْبٍ لَمْ يُرَاهِقْ^(١) هَرَمًا ، قد فَرَشَ مِهَادَ عدله ، وخَفَضَ جَنَاحَ رحمته ؛
 رَاجِمًا بِالمَوَاقِبِ الظَّنُونِ ، لا يَطِيشُ ، عن قلبِ فاضلِ الحِزْمِ ، بعيدِ العِزْمِ ،
 سَاعِيًا عَلَى الحقِّ يَعْمَلُ بِهِ ، عَارِفًا بِاللهِ يَقْصِدُ إِلَيْهِ ، مُقِرًّا لِلحِلمِ وَيَبْدَأُهُ ، قَادِرًا
 عَلَى العِقَابِ وَيَعْدِلُ فِيهِ ، إِذِ النَّاسِ فِي دَهْرٍ غَافِلٍ ، قد اطمَأْنَنْتَ بِهِمْ سِيرَةً^(٢)
 لِيَنَّةِ الحَوَاشِي ، خَشِينَةَ المَرَامِ ، تَطِيرُ بِهَا أَجْنَحَةُ السَّرُورِ ، وَيَهْبُ فِيهَا نَسِيمُ
 الحُبُورِ^(٣) ، فَالْأَطْرَافُ عَلَى مَسْرَّةٍ ، وَالنَّظَرُ إِلَى مَبْرَّةٍ ، قَبْلَ أَنْ تَحْبُ^(٤) مَطَايَا الغَيْرِ ،
 وَتُسْفِرَ وَجوهُ الحَذَرِ ، وَمَا زَالَ الدَّهْرُ مَلِيًّا بِالنَّوَابِ ، طَارِقًا بِالعِجَابِ ،
 يُؤْتِمَنُ يَوْمُهُ ، وَيَعْدِرُ غَدُهُ .

عَلَى أَنهَا - وَإِنْ جُفِيَتْ - مَعشُوقَةُ السُّكْنَى ، حَبِيبَةُ المَثْوَى^(٥) ، كَوَكْبِهَا
 يَقْظَانُ ، وَجَوْهَا عُرْيَانُ^(٦) ، وَحَصْبَاؤُهَا جَوْهَرٌ ، وَنَسِيمُهَا مُعْطَرٌ ، وَتَرَابُهَا
 مِسْكٌ أَذْفَرُ^(٧) ، وَيَوْمُهَا غَدَاةٌ ، وَلَيْلُهَا سَحَرٌ ، وَطَعَامُهَا هَنِيءٌ ، وَشَرَابُهَا مَرِيءٌ ،
 وَتَاجِرُهَا مَالِكٌ ، وَقَقِيرُهَا فَانِكٌ^(٨) ، لا كِبْغَادِ كِمِ الوَسِيخَةِ السَّمَاءِ ، الوَمِيدَةُ^(٩)
 الهَوَاءِ ، جَوْهَا نَارٌ ، وَأَرْضُهَا خَبَارٌ^(١٠) ، وَمَاؤُهَا تَحْمِيمٌ ، وَتَرَابُهَا سِرْجِينٌ ،

- (١) أى ولم يقارب الهرم والشيخوخة ، يقال : دخل مكة مراهقًا : أى مقاربًا لآخر الوقت حتى كاد يفوته التعريف ، وراهق الغلام : قارب الحلم .
 (٢) السيرة بالكسر : اسم من السير أى الذهاب .
 (٣) الحبور : السرور .
 (٤) الحبب بالتحريك : ضرب من العدو وبابه رد ، وسفرت المرأة كضرب : كشفت عن وجهها .
 (٥) المثوى : المنزل .
 (٦) أى صحو خلو من الغيوم .
 (٧) مسك أذفر وذفر كفرج : جيد إلى الغاية ، من الذفر بالتحريك : وهو شدة ذكاء الريح ، والغداة : البكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .
 (٨) فك بالمكان كتنصر : أقام به ، أى أنه لا يرحل عنها إلى سواها ، إذ يجد بها ما يسد عوزه .
 (٩) الومد بالتحريك : أن تكن الريح مع شدة الحر .
 (١٠) الحار : ملان من الأرض واسترخى ، والحميم : الماء الحار ، وفي رواية « وماؤها طين » والسرجين والسرقين بكسرهما : الربل .

وحيطانها نُزُوز^(١) ، وتَشْرِينها تَمُوز ، فكم من شمسها من محترق ، وفي ظلها
من غرق ، ضيقة الديار ، قاسية الجوار ، ساطعة الدخان ، قليلة الضيقان ، أهلها
ذئاب ، وكلامهم سباب ، وسائلهم محروم ، ومالههم مكتوم ، لا يجوز إنفاقه ،
ولا يحل خنقه^(٢) ، حشوشهم مسایل ، طرفهم مزابل ، وحيطانهم أخصاص ،
ويوتهم أقفاص ، ولكل مكروه أجل ، وللبقاع ذول ، والدهر يسير
بالمقيم ، ويمزج البؤس بالنعيم ، وبعد اللجاجة انتهاء . والهَمُّ إلى فرجة ،
ولكل سائلة قرار ، وبالله أستمع . وهو المحمود على كل حال .

غَدَّتْ سُرْمَنُ رَا فِي الْعَفَاءِ ، فَيَا هَا

« قِفَانِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلٍ^(٣) »

وأصبح أهلها شبيهاً بحالها « لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ^(٤) »

إذا ما مروا منهم شكوا سوء حاله « يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ »

(معجم اللدان ٥ : ١٨ و ٢ : ٢٤١ و زهر الآداب ١ : ٢٠٧)

(١) النز بالفتح ويكسر : ما يتحلب من الأرض من الماء ، وتشرين وتموز : شهران من الشهور
الرومية ، وتشرين من أشهر البرد (يتدئ تشرين الثاني من ١٤ نوفمبر) وتموز من أشهر الحر
(يتدئ من ١٤ يوليو) .

(٢) الحاق : الجبل ينحق به ، والحشوش جمع حش مثل الحاء : وهو الكيف وهو وضع
قضاء الحاجة .

(٣) الأشرطة النائية في الآيات الثلاثة مقتبسة من معلقة امرئ القيس المشهورة ، والعفاء :
الدروس والامحاء .

(٤) الشمال : ربح الشمال .

٢٧٢ - كتاب ابن المعتز إلى أحمد بن سعيد الدمشقي

وكتب ابن المعتز إلى أحمد^(١) بن سعيد الدمشقي جواباً عن كتاب استزاده فيه :

« قِيدُ نَعْمَتِي عِنْدَكَ بِمِثْلِ مَا كُنْتَ اسْتَدْعَيْتَهَا بِهِ ، وَذُبُّ عَنْهَا أَسْبَابَ سُوءِ الظَّنِّ ، وَاسْتَدِيمُ مَا تُحِبُّ مِنِّي بِمَا أَحِبُّ مِنْكَ . »

(معجم الأدياء ٣ : ٤٩ وزهر الآداب ٢ : ١٨١)

٢٧٣ - كتاب آخر إليه

وكتب إليه جواباً عن اعتذار كان من الدمشقي ، في شيء يبلغ ابن المعتز عنه :

« وَاللَّهِ لَا قَابِلَ إِحْسَانِكَ مِنِّي كُفْرًا ، وَلَا تَبِعَ إِحْسَانِي إِلَيْكَ مَنْ ، فَلكَ عِنْدِي يَدٌ لَا أَقْبِضُهَا عَنْ نَفْعِكَ ، وَأُخْرَى لَا أَبْسُطُهَا إِلَى ظُلْمِكَ ، فَتَجَنَّبَ مَا يُسَخِّطُنِي ، فَإِنِّي أَصُونٌ وَجْهَكَ عَنْ ذُلِّ الْعِذَارِ . »

(معجم الأدياء ٣ : ٤٩ وزهر الآداب ٢ : ١٨١)

٢٧٤ - كتاب إلى عبد الله بن شبيب من صديق له

وحدث عبد الله بن شبيب قال : كتب إلي بعض إخواني من البصرة - وقد تأخر كتابي عنه - كتاباً أوجز فيه ، وملح :

« أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ كَمَا أَطَالَ جَفَاءَكَ ، وَجَعَلَنِي فِدَاءَكَ إِنْ كَانَ فِي فِدَاؤِكَ :

(١) كان مؤدب ولد المعتز ، واختص بعبد الله بن المعتز ، مات سنة ٣٠٦ ، انظر ترجمته في معجم الأدياء ٣ : ٤٦ ، وفي زهر الآداب « أحمد بن محمد » وهو تحريف .

كُتِبَتْ وَلَوْ قَدَّرْتُ هَوَىٰ وَشَوْقًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي الْكِتَابِ (١)

(أدب الكتاب ص ١٥٣)

٢٧٥ - كتاب إلى محمد بن طيفور من بعض إخوانه

وورد على محمد بن طيفور، وهو عامل على أصفهان كتاب من بعض إخوانه في شأن رجل استباحه له في منزلة :

« أنت - أعزك الله تعالى - أجلُّ من أن يُتوسَّلَ بغيرك إليك ، وأن يستباحَ جودك إلا بك ، غيرَ أني أذكرك بكتابي في أمرٍ حامِله ما شرعَ كرمك ، وزرعَ إحسانك ، من الأجرِ قبلَ الصادرين والواردين ، فهناك اللهُ تعالى ذلك ، ولا زالت يدُ الله يجمِّلُ إحسانه ونعمته متواترةً عليك .

فقال محمد للرجل : احتكم لك وله ، فأخذ منه ألف دينار ولمن كتب إليه فيها مثلها . (زهر الآداب ٣ : ٢٩٦)

٢٧٦ - كتاب إلى محمد بن طيفور من بعض خاصته

وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بما ل كثير وصله به ، فكتب الرجل إليه :

« قد استغرقتُ نعمتُك وجوهَ الشكر لك ، وغررَ الحمد فيما سلف ، ولولا فرطُ عجزٍ من عجزٍ عن كُفِّ ما يجب لك من الحمد ، لقبِلتُ ما أنفدته .

٢٧٧ - رده عليه

فكتب إليه محمد :

« قد صَغَّرَ شُكْرُكُ لَنَا مَا أَسْلَفْنَاكَ إِلَيْكَ ، نَحْذُ مَا أَتَفَذْنَاكَ ، ثَوَابًا عَنْ
مَعْرِفَتِكَ بِشُكْرِ مَا أَسَدِينَاكَ ، وَإِلَّا سَمَّحَ شُكْرُكَ بِمَا رَأَيْتَ لَكَ أَهْلًا ، إِلَى أَنْ
يَسَعُ قَبُولُ مِثْلِكَ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ جَمِيلَ الدُّعَاءِ ، وَجَزِيلَ الثَّنَاءِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
(زهر الآداب ٣ : ٢٩٧)

٢٧٨ - كتاب صاحب البريد بالدينور

قال الطبري : وفي سنة ٣٠٠ هـ ورد كتاب صاحب البريد بالدينور^(١)
يذكر أن بغلة هناك وضعت فُلُوَّةً^(٢) ، ونسخة كتابه :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَوْضِعِ بِعَبْرَةِ قُلُوبِ الْعَافِلِينَ ، وَالْمُرْشِدِ
بِآيَاتِهِ أَلْبَابِ الْعَارِفِينَ ، الْخَالِقِ لِمَا يَشَاءُ بِلا مِثَالٍ ، ذَلِكَ اللَّهُ الْبَارِي الْمَصُورُ
فِي الْأَرْحَامِ مَا يَشَاءُ ، وَإِنَّ الْمَوْكَلَّ بِخَبْرِ التَّطَوُّافِ بِقَرْمَاسِينَ رَفَعَ يَدَكَ أَنْ
بَغْلَةٌ لِرَجُلٍ يُعْرَفُ بِأَبِي بُرْدَةَ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمُرِّيِّ وَضَعَتْ فُلُوَّةً ،
وَيَصِفُ اجْتِمَاعَ النَّاسِ لَذَلِكَ ، وَتَعَجُّبَهُمْ لِمَا عَايَنُوا مِنْهُ ، فَوَجَّهَتْ مَنْ أَحْضَرَنِي
الْبَغْلَةَ وَالْفُلُوَّةَ ، فَوَجَدْتُ الْبَغْلَةَ كَمَثَلِ^(٣) خَلُوقِيَّةٍ ، وَالْفُلُوَّةَ سَوِيَّةً

(١) دينور : مدينة من أعمال الجبل بفارس ، بقرب قرماسين .

(٢) الفلوة بالكسر وكعدو وصحو : المهر .

(٣) الكنة بالضم : لون بين السواد والحمر يكون في الخيل والإبل وغيرها ، والكنت من

الخيل كزبير يستوى فيه المذكر والمؤنث ، قال في اللسان : واجمع كمت بالضم كسروه على مكبره التوهم

وإن لم يلفظ به ، لأن الملوثة يغلب عليها هذا البناء الأحمر والأشقر ، قال طفيل :

الخلق^(١) ، تامة الأعضاء ، مُنسدلة الذنوب ، سبحان الملك القدوس ،
لأَمَقِّبِ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ .

(تاريخ الطبرى ١٢ : ٢١)

٢٧٩ - كتاب على بن الفرات عن المقتدر فى المواريث

وفى سنة ٣١١ مات أحمد بن محمد بن خالد الكاتب - وكان من مشايخ
الكتاب ورؤسائهم - وخلف ورثة أحداثا ، فأُنهي^(٢) كثرة ما خلف
من المال إلى المقتدر^(٣) ، فأمر بالتوكيل بمخزنته وداره ، فسار بعض الورثة
إلى المحسن بن على بن الفرات ، وضمينوا له مالا ، على إزالة التوكيل وحلِّ
الاعتقال ، فكلم المحسن أباه فى ذلك (وكان أبوه وزير^(٤) المقتدر) فركب إلى
المقتدر فقال له : إن المعتضد والمكتفى قد كانا قطعاً الدخول على الناس فى
المواريث ، وأنا أرى لمولاي أن يُحْيِي رسومهما ، وأن يأمر بإثبات عهد
الأيتعرض لأحد فى ميراث ، فأجابه المقتدر إلى ذلك ، إذ ظن أنها نصيحة
منه ، فسُلِّمت الدار إلى ورثة الكاتب ، وأنشأ ابن الفرات كتاباً عن
المقتدر ، نسخته :

وكنا مدماة كأت متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب

والخلوقية : نسبة إلى الخلق كهبور : طيب يتخذ من الرعفران وغيره من أنواع الطيب وتعلب عليه
الجرة والصفرة ، والمعنى : تشبه الخلق فى لونه .

(١) أى مستوية الخلق معتدلة .

(٢) أنهى الشيء : أبلغه .

(٣) ولى أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد الخلافة سنة ٢٩٥ وقتل سنة ٣٢٠ .

(٤) وزير أبو الحسن على بن الفرات للمقتدر ثلاث مرات وقتل سنة ٣١٢ - انظر ترجمته فى الفجرى

ص ٢٣٩ وتاريخ الطبرى ١٢ : ٢٠ .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أما بعدُ ، فإن أمير المؤمنين المقتدر بالله يُؤثر في الأمور كلها ما قرَّبه من الله عز وجل ، واجتَلَبَ له جزيلَ مَثُوبَةٍ ، وواسِعَ رحمةٍ وحَسَنَتِهِ ، العائِدَةِ على كافَّةِ رعيته ، كما جعل الله في طبعه ، وأوَجَّحَ في يته ، من التعطف عليها ، وإيصالِ المنافع إليها ، وإبطالِ رسومِ الجور التي كانت تُعاملُ بها ، جارياً مع أحكامِ الكتابِ والسُّنة ، عاملاً بالآثارِ عن الأفاضل من الأئمة ، وعلى الله يتوكل أمير المؤمنين ، وإليه يفوض ، وبه يستعين . » (تاريخ الطبري ١٢ : ٦٠)

٢٨٠ - كتاب الوزير ابن مقلة إلى القواد والعمال

ومن حوادث سنة ٣١٨ الإيقاع بجند الرِّجَالَةِ المِصَافِيَّةِ^(١) ببغداد ، وقد كتب الوزير محمد بن علي بن مُقَلَّةٍ فيهم بعد قهرهم نسخة أنفذت إلى القواد والعمال ، وهي :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قد جرى - أعزك الله - من أمر الرِّجَالَةِ المِصَافِيَّةِ بالحَضْرَةِ ما قد اتصل بك ، وعرَفْتَ جملته وتفصيله ، وجهته وسبيله ، وقد خار الله عز وجل لسيدنا أمير المؤمنين وللناس بعده ، بما تَهَيَّأَ من قَمْعِهِم ورذعهم ، خيرةً ظاهرةً متصلةً بالكفاية الشاملة التامة ، بِمَنِّ اللَّهِ

(١) نسبة إلى المصاف جمع مصف : وهو الموقف في الحرب الذي يكون فيه الصفوف ، وقد كان هؤلاء الرحالة في صفوف حرس الخلافة ، وتدلل قوادهم على الخليفة وعلى الوزير حتى كان لا يقدر أن يحتجب عن واحد منهم في أي وقت جاء من ليل أو نهار ، ولا يرد عن حاجة كائنة ما كانت ، وتحكموا على الفضة ، وطالبوهم بحل الجاسات وإخراج الوقوف من أيديهم ، واكتفوا الجناة ، وعطلوا الأحكام ، واستطالوا على المسلمين .

وفضله ، ولم ير سيدنا - أيده الله - استصلاح أحد من هذه العُصبة إلا
السودان ، فإنهم كانوا أخفّ جنايةً ، وأيسرَ جريرةً ، فرأى - أعلى الله
رأيه - إقرارهم على أرزاقهم القديمة ، وتصفيتهم بالعرض على المحنة ، لعلمه
أن العساكر لا يد لها من رجالة ، وأمر - أعلى الله أمره - أن يستخدم
بمحضرته من تؤمن بأثقتهم ، وتخف مؤنتهم ، وترجى استقامتهم ، وبالله ثقة
أمير المؤمنين وتوفيقه ، وقبلك وقبلك مثلك رجالة أنت أعلم بمن مرصت
طاعته منهم ، ومن يعود إلى صحة وصلاح ، فإن قنع من ترصاه منهم بأصل
الجاري عليه ، فتمسك به ، وأقره على جاريه ، ومن رأيت الاستبدال به
فأمره إليك ، والله المستعان . (تاريخ الطبري ١٢ : ٧٧)

٢٨١ - كتاب أحمد بن الضحاك إلى صديق له

يصف شعب بوان

وكتب أحمد بن الضحاك^(١) الفلكي إلى صديق له يصف

شعب بوان^(٢) :

« بسم الله الرحمن الرحيم : كتبت إليك من شعب بوان ، وله عندي

(١) جاء في تاريخ بغداد ج ٤ : ص ٢١١ : « حدثنا أبو عبد الله أحمد بن الضحاك الواسطي
بغداد سنة ٣١١ ... الخ » وربما كان هو صاحب هذا الكتاب .

(٢) شعب بوان : بأرض فارس بين أرجان والنوبنجان ، وهو أحد متزهات الدنيا ، موصوف
بالحسن وكثرة الأشجار وتدفع المياه وكثرة أنواع الأطيوار ، وقد وصفه المتنبي في قصيدته التي مطلعها :

مغاي الشعب طيباً والمغاي بمنزلة الربيع من الربيع

(انظر ديوان المتنبي ص ٤٦٣ ، ومعجم البلدان ٢ : ٢٩٨) .

يدُّ بيضاء مذكورة ، ومِنَّةٌ غَرَاءٌ مشهورة ، بما أولانيه من منظرٍ أَعْدَى (١)
 على الأحزان ، وأقال من صُروف الزمان ، وسَرَّحَ طَرْفِي في جداولٍ تَطَرَّدُ بِمَاءِ
 مَعِينٍ (٢) مُنْسَكِبٍ ، أرق من دموع العُشَّاق ، مرَّرتها لوعة الفراق ، وأبرد
 من نُفُور الأحاب ، عند الالتئام والاكتئاب ، كأنها - حين جرى آذيتها (٣)
 يترقرق ، وتدافع تيارها يتدفق ، وارْتَجَّ حَبَابُهَا يتكسر ، في خلال زهر
 ورياض ترنو (٤) بِحَدَقِ مُوَلِّهِ - قُضِبُ (٥) لُجَيْنٍ في صفائح عَقِيَانٍ ، وُسُوطُ
 دُرِّ بَيْنِ زَبْرَجَدٍ وَمَرْجَانٍ ، أثرت على حكمة صانعه شهيداً ، وعلم على لطف
 خالقه دليل ، إلى ظلِّ سَجْسَجِ أَحْوَى ، وَخَضِلِ أَلْمَى (٦) ، قدغنت عليه أغصانُ
 فَيْنَانَةٍ ، وَقُضِبُ غَيْدَانَةٍ (٧) ، تشورت لها القدودُ المَهْفَهْفَةُ خَجَلًا ، وتقيلتها (٨)
 الخصورُ المَرْهَفَةُ تشبهاً ، يَسْتَقِيدُهَا النسيمُ فتنقاد ، ويعدل بها فتعدل ، فمن

(١) أعداء عليه : نصره وأعانه وقواه .

(٢) تطرد : تجرى ، والمعين : الماء الجاري على وجه الأرض ، من معن الماء ككرم ومنع :
 أى جرى ، أو من عان الماء يعين : أى جرى أيضاً .

(٣) الآذى : الموج ، وحباب الماء : الفقاقيع التي تطفو فوقه كأنها الفوارير .

(٤) رنا : أدام النظر ، والمولة : الذهاب العقل وفي الأصل « تولد » .

(٥) في الأصل « قصب » وهو تصحيف ، واللجين : الفضة ، والعقيان : الذهب ، وسوط جمع سوط
 بالكسر : وهو القلادة .

(٦) أرض سبسج : ليست نصيبة ولاسهلة ، ويوم سبسج : لآخر مؤذ ولاقر ، وكل هواء
 معتدل طيب : سبسج ، وأحوى : وصف من الحوة بالضم : وهى سواد إلى الخضرة ، أو حرة إلى
 السواد ، والخضل : كل شئ ند يترشف نداء ، وألمى : وصف من ألمى ، وألمى مثلثة اللام : سمرة
 في الشفة .

(٧) امرأة فينانة : كثيرة الشعر طويلته ، والغيد بالتحريك : النعومة ولين الأعطاف ، والوصف
 منه على أفعال فعلاء ، فالأغيد من النبات : الناعم اللين ، والغيداء : المرأة المتنية من اللبن ، وقد جاء
 بالوصف منه هنا على فعلاية ، ولم أجده في كتب اللغة .

(٨) تشورت : خجلت ، يقال - تشورت الرجل وبالرجل فتشور . إذا خجلته فحجل ، وجارية
 مهفهفة : أى ضامرة البطن دقيقة الحصر ، وتقيله : أشبهه ، والمرهفة : الرقيقة اللطيفة .

متوردي روق منظره ، ومُرْتَجِحٌ يَهْدَلُ مُشْرِهُ ، مشتركة فيه حُمرةٌ نُضِجَ
الثمار بنفحة^(١) نسيم النوار .

وقد أقيمتُ به يوماً وأنا لخيالك مُسامِرٌ ، ولشوقك منادِمٌ ، وشربت لك
تذكراً ، وإذا تفضل الله بإتمام السلامة إلى أن أوافي شيراز ، كتبتُ إليك
من خبري بما تقف عليه إن شاء الله تعالى . (معجم البلدان ٢ : ٢٩٩)

٢٨٢ - كتاب عن الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم

وكتب الإخشيد^(٢) محمد بن طُغْج صاحب الديار المصرية ، ومأمعها من
البلاد الشامية ، والأعمال الحجازية ، إلى أرمانوس ملك الروم ، وقد أرسل
أرمانوس إليه كتاباً يذكر من جهلته بأنه كاتبه وإن لم تكن عاداته أن يكتب
إلا الخليفة ، فأمر بكتابة جوابه ، فكتب له الكتاب عدة أجوبة ،
ورفعوا نُسخها إليه ، فلم يرتض منها إلا ما كتبه إبراهيم بن عبد الله
النَجِيرَمي^(٣) - وكان عالماً بوجوه الكتابة - ونسخته :

« من محمد بن طُغْج مَوْلى أمير المؤمنين إلى أرمانوس عظيم الروم

ومن يليه :

(١) في الأصل « ينفحه » .

(٢) ولى حكم مصر سنة ٣٢٣ في خلافة الراضى بالله أحمد بن المعتز (الذى ولى الخلافة سنة ٣٢٢ ومات سنة ٣٢٩) وتوفى الإخشيد سنة ٣٣٥ (وقد استولى بنو بويه على بغداد سنة ٣٣٤ في خلافة المستكنى بن المكنى بن المعتضد) .

(٣) نسبة إلى نجيرم ، قال باقوت في معجم البلدان : « بفتح أوله وثانيه ويا ساكنة وراء مفتوحة ، ، ويروى بكسر الجيم . بليدة مما على البصرة على جبل هناك على ساحل البحر ، وقد نسب إليها قوم من أهل الأدب والحديث ، منهم إبراهيم بن عبد الله النجيرمي . . . »

سلامٌ بقَدْرِ ما أنتم له مستحقُّون ، فإنَّا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ،
ونسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .
أما بعد ، فقد تُرجم لنا كتابك الواردُ مع نقولا وإسحاق رسوليك ،
فوجدناه مفتتحاً بذكر فضيلة الرحمة ، وما نُعي^(١) عنا إليك ، وصحَّ من
شيمنا فيها لديك ، وبما نحن عليه من المعدلة وحسن السيرة في رعايانا ،
وما وصلت به هذا القول من ذكر الفداء ، والتوصل إلى تخلص الأسرى ،
إلى غير ذلك مما اشتمل عليه وتفهمناه .

فأمَّا ما أطببت فيه من فضيلة الرحمة ، فمن سديد القول الذي يليق
بذوى الفضل والنبل ، ونحنُ - بحمد الله ونعمه علينا - بذلك عارِفون ،
وإليه راغبون ، وعليه باعِثون ، وفيه - بتوفيق الله إيانا - مجتهدون ، وبه
مُتَواصون وحاملون ، وإياه نسأل التوفيق لمراشد الأمور ، وجوامع
المصالح ، بمنه وقدرته .

وأما ما نسبته إلى أخلاقنا من الرحمة والمعدلة ، فإننا نرغب إلى الله
جل وعلا ، الذي تفرَّد بكل هذه الفضيلة ، ووهبها لأوليائه ، ثم أثابهم
عليها ، أن يُوفِّقنا لها ، ويجعلنا من أهلها ، وييسِّرنا للاجتهاد فيها ، والاعتصام
من زيغ الهوى عنها ، وعُرَّة^(٢) القسوة بها ، ويجعل ما أودع قلوبنا من ذلك
موقوفاً على طاعته ، وموجبات مرَضاته ، حتى نكون أهلاً لما وصفتنا به ،
وأحقَّ حقاً بما دَعَوْتنا إليه ، وممن يستحق الزُّلفى من الله تعالى ، فإننا فقراء

(١) نعت الحديث : رفعته .

(٢) العرة بالفتح : المعرة والحلة الفيحة ، وبالضم : القدر ، وتستعار للساوى والمعاب .

إلى رحمته ، وحق لمن أنزله الله بحيث أنزلنا ، وحمله من جسيم الأمر ما حملنا ،
وجمع له من سعة الممالك ما جمع لنا بمولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
أن يتهل^(١) إلى الله تعالى في معونته لذلك وتوفيقه وإرشاده ، فإن ذلك إليه
ويده « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

وأما ما وصفته من ارتفاع محلك عن مرتبة من هودون الخليفة في
المكاتبه ، لما يقتضيه عظم ملككم ، وأنه الملك القديم الموهوب من الله ،
الباقي على الدهر ، وأنت إنما خصصتنا بالمكاتبه لما تحققت من حالنا
عندك ، فإن ذلك لو كان حقا ، وكانت منزلتنا - كما ذكرته - تقصر عن منزلة
من تكاتبه ، وكان لك في ترك مكاتبتنا غم ورشد ، لكان من الأمر البين
أن أخطى وأرشد وأولى بمن حل محلك ، أن يعمل بما فيه صلاح رعيته ،
ولا يراه وصمة ولا نقیصة ولا عيبا ، ولا يقع في معاناة صغيرة من الأمور
تعقبها كبيرة ، فإن السائس الفاضل قد يركب الأخطار ، ويخوض الغمار ،
ويعرض لهجة فيما ينفع رعيته ، والذي تجشمته من مكاتبتنا إن كان كما
وصفته ، فهو أمر سهل يسير ، لأمر عظيم خطير ، وجل تقعه وصلاحه
وعائده^(٢) تخصمكم ، لأن مذهبنا انتظار إحدى الحسنتين ، فمن كان منافي
أيديكم فهو على يئنة من ربه ، وعزيمة صادقة من أمره ، وبصيرة فيما هو
بسبيله ، وإن في الأسارى من يؤثر مكانه من ضنك الأسر ، وشدة البأساء ،
على نعيم الدنيا وخيرها ، لحسن منقلبه ، وحميد عاقبته ، ويعلم أن الله تعالى

(١) الاتهال : الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه .

(٢) العائده . المنفعة .

قد أعاده من أن يفتنه ، ولم يُعِده من أن يبتليه ، هذا إلى أوامر الإنجيل الذي هو إمامكم ، وما توجبه عليكم عزائم سياستكم ، والتوصل إلى استنقاذ أسرائكم ، ولولا أن إيضاح القول في الصواب ، أوّلى بنا من المسامحة في الجواب ، لأضربنا عن ذلك صفحا ، إذ رأينا أن نفس السبب الذي من أجله سما إلى مكاتبة الخلفاء عليهم السلام من كاتبهم ، أوعدا عنهم إلى من حلّ محلنا في دولتهم ، بل إلى من نزل عن مرتبتنا ، هو أنه لم يثق من منعه ، ورد مُلتَمسه ممن جاوره ، فرأى أن يقصده به الخلفاء الذين الشرب كلّه في إجابتهم ، ولا عار على أحد وإن حلّ قدره في ردّهم ، ومن وثق في نفسه ممن جاوره ، وجد قصده أسهل السبيلين عليه ، وأدناها إلى إرادته ، حسب ما تقدم لها من تقدم ، وكذلك كاتب من حلّ محلّك من قصر عن محلنا ، ولم يقرب من منزلتنا ، فمالِكنا عِدّة ، كان يتقلد في سالف الدهر كل مملكة منها ملك عظيم الشأن :

فمنها ملك مصر الذي أطفى فرعون ، على خطر أمره ، حتى ادعى الإلهية ، وافتخر على نبي الله موسى بذلك .

ومنها ممالك اليمن التي كانت للتبابعة ، والأقبال العباهلة^(١) ، ملوك حمير ، على عظم شأنهم ، وكثرة عددهم .

ومنها أجناد الشام ، التي :

(١) العباهلة : الذين أقروا على ملكهم فلم يرالوا عه (بالبناء للمجهول) انظر الجزء الأول ص ٨٥

منها جُندِ حَمَصَ ، وكانت دارهم ودار هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ وَمَنْ قَبْلَهُ
من عَظَمائِهَا .

ومنها جُندِ دِمَشَقَ عَلَى جَلالَتِهِ فِي القَدِيمِ والحَدِيثِ ، واختيارِ المُلُوكِ
المتقدمين لَهُ .

ومنها جُندِ الأَرْدُنِّ عَلَى جَلالَةِ قَدْرِهِ ، وَأَنَّهُ دارُ المَسِيحِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسَلَّمَ وغيرِهِ مِنَ الأنبياءِ والحَواريِّينَ .

ومنها جُندِ فِلَسطينَ ، وَهِيَ الأَرْضُ القُدْسَةُ ، وبِهَا المَسْجِدُ الأَقْصَى ،
وَكُرْسِيُّ النُّصْرانِيَّةِ ، وَمَعْتَقِدُ غَيْرِهَا ، وَمَحَجُّ النُّصاريِّ واليَهُودِ طُرًّا ، وَمَقَرُّ
داودَ وسليمانَ وَمَسْجِدُهما ، وبِهَا مَسْجِدُ إِبْرهيمَ وَقَبْرُهُ ، وَقَبْرُ إِسْحاقَ وَيَعقُوبَ
ويُوسُفَ وإِخوتِهِ وَأزواجِهِمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وبِهَا مَوْلِدُ المَسِيحِ وَأُمَّهُ وَقَبْرُهَا .
هذا إِلَى ما نَتَقَلَّدُهُ مِنْ أَمْرِ مَكَّةَ المَحْفُوفَةِ بِالآياتِ الباهِرَةِ ، وَالذَّلالاتِ
الظاهِرَةِ ، فَإِنا لَوَلَّمْ نَتَقَلَّدُ غَيْرَها ، لكانتِ بَشَرنا ، وَعِظَمُ قَدْرِها ،
وما حَوَتْ مِنْ الفِضْلِ ، تُوفِّي عَلَى كُلِّ مَمْلَكَةٍ ، لَأَنَّها مَحَجُّ آدَمَ ، وَمَحَجُّ
إِبْرهيمَ وارثِهِ وَمُهاجِرُهُ ، وَمَحَجُّ سائِرِ الأنبياءِ ، وَقَبْلَتنا وَقَبْلَتِهِمُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ،
وَدارُهُ وَقَبْرُهُ^(١) وَمَنْبِتُ ولَدِهِ ، وَمَحَجُّ العَرَبِ عَلَى مَرِّ الحِقْبِ^(٢) ، وَمَحَلُّ
أَشْرافِها وذَوِي أخطارِها ، عَلَى عِظَمِ شأنِهِمُ ، وَنِخامَةِ أَمْرِهِمُ ، وَهُوَ البَيْتُ
العَتِيقُ المَحْرَمُ المَحْجُوجُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ ، الَّذِي يَعرِفُ بِفِضْلِهِ وَقَدَمِهِ

(١) كَذَا فِي صَبْحِ الأَعْمَى ، وَقَدْ جاءَ فِي هامِشِهِ : « كَذَا فِي المَغْرِبِ فِي أخبارِ المَغْرِبِ أَيْضاً -
وهو الَّذِي نَقَلَ عَنْه القَلْقَشَنْدِيُّ هَذَا الكِتابَ - وَيُظْهِرُ أَنَّهُ قَدَّمَ عَلَى ما بَعْدَهُ - أَيْ وَمَنْبِتُ ولَدِهِ -
ويَكُونُ الضَّمِيرُ فِيهِ عائِداً عَلَى سَيِّدِنَا إِسْماعِيلَ ، فَإِنَّ مَكَّةَ كانَتْ دارَهُ وَمَنْبِتَهُ » .
(٢) الحِقْبُ : جَمْعُ حَفْبَةٍ الكَسْرِ ، وَهِيَ مَدَّةٌ مِنَ الدَّهْرِ لا وَقْتُ لَها ، وَالسَّةُ .

أهل الشرف ، مَنْ مَضَى وَمَنْ خَلَفَ ، وهو البيت المعمور ، وله الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المقدسة بترابته ، وأنها مَهَبَطُ الوَحْيِ ، وَبَيْضَةُ هذا الدين المستقيم الذي امتد ظِلُّهُ على البر والبحر ، والسَّهْلِ والوَعْرِ ، والشرق والغرب ، وصحارى العرب على بُعد أطرافها ، وتَنَازُحٍ^(١) أقطارها ، وكثرة سكانها في حاضرتها وباديتها ، وعِظَمِها في وفودها وشدتها ، وصدق بأسها ونجدتها ، وكِبَرِ أعلامها^(٢) وبعُدِ مَرَامِها ، وانعقاد النصر من عند الله براياتها ، وأن الله تعالى أبادَ خَضْرَاءَ^(٣) كِسْرَى ، وشرَّدَ قَيْصَرَ عن داره ومحلِّ عِزِّه ومجده بطائفة منها .

هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا ، وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كراسي من أعظم كراسيكم: بيت المقدس ، وأنطاكية ، والإسكندرية ، مع ما إلينا من البحر وجزائره ، واستظهارنا بأتم العتاد^(٤) ، وإذا وفيت النظر حقه ، علمت أن الله تعالى قد أصفانا^(٥) بجُلِّ الممالك التي ينتفع الأنامُ بها ، وبشرف الأرض المخصوصة بالشرف كله دُنْيَا وَآخِرَةً ، وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك فوق كل منزلة ، والحمد لله ولي كل نعمة .

وسياستنا هذه الممالك قريبا وبعيدها ، على عِظَمِها وسَعَتِها ، بفضل الله

(١) أى تباعد ، وهو تفاعل من نزلت الدار كمع وضرب : أى بعدت .

(٢) الأعلام : العقول ، جمع حلم بالكسر .

(٣) الخضراء : سواد القوم ومعظمهم ، وفي حديث الفتح « أيديت خضراء قريش » أى دهاؤم وسوادهم .

(٤) استظهر به : استعان ، والعتاد : العدة .

(٥) أصفاه بكذا : آثره به .

علينا ، وإحسانه إلينا ، ومعونته لنا ، وتوفيقه إيانا كما كتبت إلينا ، وصحَّ
عندك من حُسن السيرة ، وبما يؤلّف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء
والرعية ، ويجمعهم على الطاعة واجتماع الكلمة ، ويوسعها الأمن والدعة في
المعيشة ، ويكسبها المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً ، على نِعَمِهِ التي تَفُوت عندنا عددَ
العاديين ، وإحصاء المجتهدين ، ونشر الناشرين ، وقول القائلين ، وشكر
الشاكرين ، ونسأله أن يجعلنا ممن تَحَدَّث بنعمته عليه شكرًا لها ، ونشراً لما
منحه الله منها ، ومن رضي اجتهاده في شكرها ، ومن أراد الآخرة وسعى
لها سعيها وكان سعيه مشكورا ، إنه حميد مجيد .

وما كنتُ أحبُّ أن أبهيك بشيء من أمر الدنيا ، ولا أتجاوز
الاستيفاء لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذي كرمه وأظهره ، ووعَدنا في
عواقبه الغلبة الظاهرة ، والقدرة القاهرة ، ثم الفوز الأكبر يوم الدين ،
لكنك سلكت مسلكا لم يحسن أن تعدل عنه ، وقلت قولا لم يسعنا
التقصير في جوابه ، ومع هذا فإننا لم نقصد بما وصفناه من أمرنا مكارم تلك ،
ولا اعتمدنا تعيين فضلنا نعوذ به ، إذ نحن نكرم عن ذلك ، ونرى أن
نكرمك عند محلك ومنزلتك ، وما يتصل بها من حسن سياستك ومذهبك
في الخير ومحبتك لأهله ، وإحسانك لمن في يدك من أسرى المسلمين ، وعطفك
عليهم ، وتجاوزك في الإحسان إليهم جميع من تقدّمك من سلفك ، ومن كان
محمودا في أمره رُغِبَ في محبته ، لأن الخير أهل أن يُحِبَّ حيث كان ، فإن
كنت إنما توَهَّل لمكاتبتك ومماثلتك ، من اتسعت مملكته ، وعظمت

دولته ، وحسنت سيرته ، فهذه ممالك عظيمة ، واسعة جمة ، وهي أجل الممالك التي ينتفع بها الأنام ، وسير الأرض المخصوصة بالشرف ، فإن الله قد جمع لنا الشرف كله ، والولاء الذي جعل لنا من مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - مخصوصين بذلك ، إلى مالنا بقديتنا وحديثنا وموقعنا ، والحمد لله رب العالمين الذي جمع لنا ذلك بمنه وإحسانه ، ومنه نرجو حسن السعي فيما يرضيه بلطفه ، ولم ينطو عنك أمرنا فيما اعتمدناه . وإن كنت تجرى في المكاتبة على رسم من تقدمك ، فإنك لو رجعت إلى ديوان بلدك ، وجدت من كان تقدمك قد كاتب من قبلنا من لم يحل محانا ، ولا أغنى غناءنا^(١) ولا ساس في الأمور سياستنا ، ولا قلده مولانا أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ما قلدنا ، ولا فوض إليه ما فوض إلينا ، وقد كُتِب أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، وآخر من كُتِب تكين مولى أمير المؤمنين ، ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها

ونحن نحمد الله كثيرا أولا وآخرا ، على نعمه التي يفوت عندنا عددها عد العادين ، ونشر الناشرين ولم نرد بما ذكرناه المفاخرة ، ولكننا قصدنا بما عددنا من ذلك حالات : أولها التحدث بنعمة الله علينا ، ثم الجواب عما تضمنه كتابك من ذكر المحل والمنزلة في المكاتبة ، ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا في هذه المسالك ، وعندنا قوة تامة على المكافأة على جميل فعلك بالأسارى ، وشكر واف لما توليهم وتوختاهم من مسرتهم ، إن شاء الله تعالى وبه الثقة . وفقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة ، والتوفيق

(١) أعي عاده : كنى كعابه .

للسُّداد في الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذي يحبه ويرضاه
ويُثيب عليه ، ويرَفَع في الدنيا والآخرة أهله ، بمنه ورحمته .

وأما الملك الذي ذكرت أنه باق على الدهر ، لأنه موهوب لكم من الله
خاصةً ، فإنَّ الأرضَ لله يُورِثُها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَإِنَّ
الْمُلْكَ كُلَّهُ لله ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُعْزِزُ مَنْ
يَشَاءُ ، وَيُدِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ، وَإِنَّ اللهَ عز وجل نَسَخَ مُلْكَ الْمُلُوكِ ، وَجَبَرِيَّةَ الْجَبَّارِينَ ، بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين ، وشفع نبوته بالإمامة ، وحارها إلى
العِترة الطاهرة ، بن العنصر الذي منه أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
والشجرة التي منها غُصنُه ، وجعلها خالدةً فيهم يتوارثها منهم كابرٌ عن كابر ،
ويُلْقِيها ماضٍ إلى غابر ، حتى نَجَزَ أمرُ الله ووعده ، وبهر نصره وكلمته ،
وأظهر حجته ، وأضاء عمودَ الدين بالأئمة المهتدين ، وقَطَعَ دابرَ الكافرين ،
ليُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ولو كره المشركون ، حتى يرث الله الأرض
ومن عليها وإليه يرجعون .

وَإِنَّ أَحَقَّ مُلْكٍ - أَنْ يَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَأَوْلَاهُ وَأَخْلَقَهُ أَنْ
يَكُنْفَهُ ^(١) اللهُ بِحِرَاسَتِهِ وَحَيَاطَتِهِ ، وَيُحْفَهُ بِعِزِّهِ وَأَيْدِهِ ^(٢) ، وَيُجَلِّلُهُ بِهَاءِ
السَّكِينَةِ فِي بَهْجَةِ الْكِرَامَةِ ، وَيُجَمِّلُهُ بِالْبَقَاءِ وَالنَّجَاءِ ^(٣) ، مَالِحَ فُجْرٍ ،

(١) كفه كصره : صاه وحطه .

(٢) الأيد : القوة .

(٣) النجاء : النجاة .

وكره دهره - مُلكُ إمامة عادلة ، خَلَفَتْ نَبُوَّةً فَجَرَتْ عَلَى رَشْمِهَا وَسَنَنِهَا ،
وَارْتَسَمَتْ أَمْرَهَا ، وَأَقَامَتْ شَرَائِعَهَا ، وَدَعَتْ إِلَى سُبُلِهَا ، مُسْتَنْصِرَةً بِأَيْدِهَا ،
مُنْتَجِزَةً لَوَعْدِهَا ، وَإِنْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ إِمَامَةِ عَادِلَةٍ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عُمْرِ
الدُّنْيَا تَمَلَّكَ وَجَبَرِيَّةً .

وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ نِعْمَهُ عَلَيْنَا ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْنَا ، بِشَرَفِ
الْوَلَايَةِ ، ثُمَّ يُحَسِّنِ الْعَاقِبَةَ بِمَا وَفَّرَ عَلَيْنَا نَفْرَهُ وَعُلاَّهُ ، وَتَجَدَّهُ وَإِحْسَانَهُ ، إِنْ
شَاءَ اللَّهُ ، وَبِهِ الثِّقَةُ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَأَمَّا الْفِدَاءُ وَرَأْيُكَ فِي تَخْلِيصِ الْأَسْرَى ، فَإِنَّا وَإِنْ كُنَّا وَاثِقِينَ لِمَنْ
فِي أَيْدِيكُمْ بِأَحَدِي الْحُسَيْنِيِّينَ ، وَعَلَى يَدَيْهِ لَهْمٌ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَثَبَاتٍ مِنْ حُسْنِ
الْعَاقِبَةِ وَعِظَمِ الثُّبُوتِ ، عَالِمِينَ بِمَا لَهْمٌ ، فَإِنْ فِيهِمْ مَنْ يُؤَثِّرُ مَكَانَهُ مِنْ ضَنْكَ
الْأَسْرِ وَشِدَّةِ الْبَأْسَاءِ ، عَلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا ، سَكُونًا إِلَى مَا يَتَحَقَّقُهُ مِنْ
حَسَنِ الْمُنْقَلَبِ ، وَجَزِيلِ الثَّوَابِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَادَهُ مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُ ،
وَلَمْ يُعِذْهُ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَهُ^(١) ، وَقَدْ تَبَيَّنَّا مَعَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْبَابِ مَا شَرَعَهُ لَنَا
الْأُمَّةُ الْمَاضُونَ ، وَالسَّلَفُ الصَّالِحُونَ ، فَوَجَدْنَا ذَلِكَ مُوَافِقًا لِمَا التَّمَسَّتْهُ ،
وغيرَ خَارِجٍ عَمَّا أَحْبَبْتَهُ ، فَسُرِرْنَا بِمَا تَبَسَّرْتَهُ ، وَبَعَثْنَا الْكُتُبَ وَالرُّسُلَ
إِلَى عَمَّالِنَا فِي سَائِرِ أَعْمَالِنَا ، وَعَزَمْنَا عَلَيْهِمْ فِي جَمْعِ كُلِّ مَنْ قَبْلَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ
بِمَا وَفَّرَ الْإِيمَانَ فِي إِنْفَازِهِمْ ، وَبَدَلْنَا فِي ذَلِكَ كَيْدًا مُمْكِنًا ، وَأَخَّرْنَا إِبْجَابَتَهُ عَنْ
كِتَابِكَ ، لِيَتَقَدَّمَ فِعْلُنَا قَوْلُنَا ، وَإِنْجَازُنَا وَعِدَّتُنَا ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَهَرَ
لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا وَقَعَ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

(١) مكرر مع ما سبق .

وأما ما ابتدأتنا به من المواصلة ، واستشعرته لنا من المودة والمحبة ، فإن عندنا في مقابلة ذلك ما توجبها السياسة التي تجتمعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة الشرف الذي يؤلفنا على تباين النحل ، فإن ذلك من الأسباب التي تخصنا وإياك ، ورأينا من تحقيق جميل ظنك بنا إيناس رُسُلك وبَسْطهم ، والاستماع منهم ، والإصغاء إليهم ، والإقبال عليهم ، وتلقينا انبساطك إلينا ، وإِطافك^(١) إيانا ، بالقبول الذي يحقُّ علينا ، ليقع ذلك موقعه ، وزدنا في توكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك في هذا الوقت - على استقلالنا إياه - من طرائف بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بعدله وحكمته أودع كل قرية صنفا ، ليتشوف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سببا لعمارة الدنيا ومعايش أهلها ، ونحن نُفردك بما سلمناه إلى رسولاك لتقف عليه إن شاء الله .

وأما ما أنفذته للتجارة ، فقد أمكنا أصحابك منه ، وأذننا لهم في البيع ، وفي ابتياع ما أرادوه واختاروه ، لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دين ولا سياسة ، وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة ما بدأتنا به ورعايته ، ورب^(٢) ما غرستته ، أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك ، والله يعين على ما تنويه من جميل ، ونعتقده من خير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتداء جميل لزمه الجري عليه والزيادة ، ولا سيما إذا كان من أهله

(١) أطفه بكذا : أحفه وبره به .

(٢) رب النعمة كنصر : حفظها وراعها وربها كما يرثي الرجل ولده .

وخليقابه ، وقد ابتدأتنا بالمؤانسة والمبايطة ، وأنت حقيقٌ بعمارة ما بيننا ،
وباعتمادنا بجوانحك وعوارضك قبلنا فأبشر بتيسير ذلك إن شاء الله .
والحمد لله أحق ما ابتدئ به ، وخيم بذكره ، وصلى الله على محمد نبي
الهدى والرحمة ، وعلى آله وسلم تسليماً . (صبح الأعشى ٧ : ١٠)

٢٨٣ - كتاب أبي الطيب المتني إلى أحد إخوانه

وكتب أبو الطيب المتني بعد أن أبل^(١) من مرض إلى أحد إخوانه :
« وصلتني - أعزك الله - مُعتلاً ، وقطعتني مُبلاً ، فإن رأيت ألا تكدر
الصحة علي ، وتجبب العلة إلي ، فعلت » . (مفتاح الأفكار ٣٧٣)

٢٨٤ - كتاب الراضى إلى المتقى

وكتب الراضى إلى أخيه المتقى^(٢) - وكان قد جرى بينهما كلام بحضرة
المؤدب ، وكان المتقى قد اعتدى على الراضى - :
« أنا معترف لك بالعبودية فرضاً ، وأنت معترف لى بالأخوة فضلاً ،
والعبد يُذنب ، والمولى يعفو ويغفر ، وقد قال الشاعر :
إذا الذى يفضبُ فى غيرِ شئٍ أعتبُ فعتباك حبيبٌ إلى^(٣)
أنت (على أنك لى ظالمٌ) أعزُّ خلقِ الله طراً على
فضى إليه المتقى راضياً ، وأكب عليه باكياً . (غرر الحقائق الواضحة ص ٢٨٣)

(١) أبل من مرضه : صح .

(٢) هو أبو إسحق إبراهيم بن المقدر ، ولى الخلافة بعد أخيه الراضى من سنة ٣٢٩ إلى سنة ٣٣٣

(٣) أعتبه : أعطاه العنى ، وهى الرضا .

التوقيعات

في العصر العباسي الأول

السفاح

كتب إلى السفّاح جماعة من أهل الأنبار^(١) يذكرون أن منازلهم أخذت منهم ، وأدخلت في البناء الذي أمر به ، ولم يُعطوا أثمانها ، فوقع :
« هذا بناء أسس على غير تقوى » .

ثم أمر بدفع قيم منازلهم إليهم .

ووقع في كتاب أبي جعفر ، وهو يحارب ابن هُبيرة بواسط^(٢) :
« إن حملك أفسد علمك ، وتراخيك أثر في طاعتك ، تحذلي منك ،
ولك من نفسك » .

ووقع إليه في ابن هُبيرة بعد أن راجعه فيه غير مرة : « لستُ منك
ولست مني إن لم تقتله^(٣) » .

وجاءه كتاب من أبي مُسلم يستأذنه في الحج وفي زيارته ، فوقع إليه :
« لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام وخليفته ، وإذنك لك » .
ووقع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم :
« من صبر في الشدة ، سُورك في النعمة » .

(١) الأنبار : مدينة على العرات في غربي بلاد ، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ذوالأكتاف ملك العرس ، ثم جدها أبو العباس السفاح ، وبني بها قصورا ، وأقام بها إلى أن مات .

(٢) انظر ص ٢ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٦ من الجزء الثالث .

ثم أمر بأرزاقهم .
ووقع إلى عامل تُظلم منه : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا » .
وفي قوم شكوا غرق^(١) ضياعهم في ناحية الكوفة :
« وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

ووقع إلى أبي سلمة الخلال^(٢) ، وقد كتب إليه يستأذنه في تولية قوم
من الحاشية والشيعة :

« يَا أَبَا سَلَمَةَ ، مَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ تَكُونَ لَنَا الدُّنْيَا ، وَأَوْلِيَاؤُنَا خَالُونَ مِنْ
حَسَنِ آثَارِنَا ! »

ووقع إلى سابع : « تَقَرَّبْتَ إِلَيْنَا بِمَا بَاعَدَكَ عَنِ اللَّهِ ، وَلَا ثَوَابَ لِمَنْ
خَالَفَ اللَّهَ » .

ووقع إلى أخيه في بعض الجناة : « إِذَا كَانَ الْحَلِيمَ مَفْسُودًا ، كَانَ الْعَفْوُ
مَعْجَزَةً » .

المنصور

ووقع المنصور في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه^(٣) :

(١) في الأصل « حرق » وأراه محرفا .
(٢) هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال ، أول وزير ودرر لأول خليفة عباسي ، وقد فوض
السفاح إليه الأمور ، وسلم إليه الدواوين ، وكان يقال له وزير آل محمد (كما كان يقال لأبي مسلم :
أمين آل محمد) تم اتهم بانحرافه عن بي العباس ، فتكر له السفاح ، وكتب مع أخيه المنصور إلى
أبي مسلم بخراسان ، يطلبه بما عزم عليه أبو سلمة من نقل الدولة عنهم ، وما يتخوف منه ، فبعث
أبو مسلم قوما من أهل خراسان قتلوه وقالوا قتله الخوارج - انظر تاريخ الطبري ٩ : ١٤٠ والفخرى
ص ١٣٦ .

(٣) انظر ص ١٨ من الجزء الثالث .

« لا تجعلن للأيام فيّ وفيك نصيباً من حوادثها » .

ووقع إليه أيضا :

« ادفعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

مَحْمُومٌ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » فاجعل

الحظّ لك دوني ، يكن لك كله » .

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان :

« شكوت فأشكيناك^(١) ، وعتبت فأعتيناك^(٢) ، ثم خرجت عن العامة ،

فتأهبت لفراق السلامة » .

ووقع إلى أهل الكوفة - وشكوا عاملهم - :

« كما تكونوا يومئذ عليكم^(٣) » .

(١) أشكاه : أزال شكايته (وأستكاه أيضا : زاده أذى وشكابة ، صد) .

(٢) أعتبه : أراضاه .

(٣) أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم : « عمالكم كأعمالكم ، وكما تكونوا يولى عليكم »

- انظر نهاية الأيب ٣ : ٣ - ذكروا أن بعض النحويين أحمل ما المصدرية جملا على أن المصدرية ،

وخرج عليه هذا الحديث ، وقيل : لاحقة إلى جعل ما هنا ناصبة ، بل الفعل بعدها مرفوع ، ونون

الرفع محذوفة للتخفيف ، وقد سمع حذفها نثرا ونظما ، جاء في الحديث : « والذي نفس محمد بيده

لاندخلوا الجنة حتى يؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » وقال الشاعر :

أبيت أسرى وتبتى تدلّكى وجهك بالعبير والسك الذكى

وقيل : الكاف مختصرة من كى ، فهي الناصبة ومازائدة .

(انظر حاشية الصان ٣ : ١٨٧ باب إعراب الفعل ، وحاشية الحضري على ابن عقيل ٢ : ١٠٠)

وجاء في حاشية يس على التصريح ٢ : ٢٣٢ : « في فتاوى الجلال السيوطى : مسألة : هل ورد في

الحديث « كما تكونون يولى عليكم » ؟ الجواب : نعم ، رواه ابن جرير في مجمعه من حديث الحسن

ابن أبى نكرة ، وفيها بعد ذلك : أنه سئل عن لفظ حديث « كما تكونوا يولى عليكم » حذف النون

من تكونوا دون ناصب وجارم ، فأجاب : بأن هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ كما

ككونوا بلا نون ، وقد خرج على ثلاثة أوجه : أحدها أنه على لغة من يحذف النون دون ناصب

وجازم ، الثانى : وهو رأى الكوفيين والمبرد أنه منصوب وأوردوه شاهدا على مذهبهم أن ماتنصب ،

الثالث : أنه من تغييرات الرواة » .

وإلى قوم تظلموا من عاملهم : « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » .
وفي قصة رجل شكَا عِيْلَةً^(١) : « سَلِ اللَّهَ مِنْ رِزْقِهِ » .
وفي قصة رجل سأله أن يبنى بقريّة مسجداً : « فَإِنِ الصَّلَاةُ عَلَى بَعْدِ
ذَلِكَ ، أَعْظَمُ لثَوَابِكَ » .

وفي رواية أخرى :

ورفع رجل من العامة إليه رُقْعَةً في بناء مسجد في مَحَلَّتِهِ ، فوقع :
« إِنِ مِنْ أَشْرَاطٍ^(٢) السَّاعَةِ أَنْ تَكْثُرَ الْمَسَاجِدُ ، فَرِدْ فِي خُطَاكَ يَزِدُّ
فِي أَجْرِكَ » .

وفي قصة رجل قُطِعَتْ عَنْهُ أَرْزَاقُهُ :

« مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ، وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وفي قصة رجل شكَا الدَّيْنَ :

« إِنِ كَانَ دَيْنُكَ فِي مَرَضَةِ اللَّهِ قِضَاهُ » .

وإلى صَرُورَةٍ^(٣) سأله أن يَحْجَّ :

« وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نُقْصَانَ النِّيلِ .

« طَهَّرْ عَسْكَرَكَ مِنَ الْفَسَادِ ، يُعْطِكَ النِّيلُ الْقِيَادَ » .

(١) العيلة : الفقر ،

(٢) أشراط : جمع شرط كسب ، وهو العلامة ، والساعة : القيامة ، ورواية الطبري : « من

أشراط الساعة كثرة المساجد ، فزد في خطاك تزد من الثواب » .

(٣) رجل ضرور وضرورة : أي لم يحج .

وإلى عامله على حِمْص - وجاءه منه كتاب فيه خطأ - :

« استبدل بكتابك ، وإلا استبدل بك » .

وإلى صاحب أرمينية :

« إن لي في قفاك عينًا ، وبين عينيك عينًا ، ولهما أربع آذان » .

وإلى رجل استوصله^(١) : « لا مانع لما أعطاه الله » .

وفي كتاب أثاره من صاحب الهند ، يخبره أن الجند شغبوا^(٢) عليه ،

وكسروا أقفال بيت المال ، فأخذوا أرزاقهم منه :

« لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وقيت لم ينتهبوا » .

وشكا إليه رجل من بعض عماله ، فوقع في قصته إلى العامل .

« اكفني أمره ، وإلا كفيته أمرك » .

وكتب سوار^(٣) بن عبد الله القاضي إليه : « إن عندنا رجلا شديد

الترفض^(٤) يدعى السيد الحميري^(٥) » فوقع في كتابه :

(١) أي طلب صوته .

(٢) شغبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح : هيج الصر عليهم .

(٣) ولاء المنصور قضاء البصرة منذ سنة ١٣٨ وتوفي سنة ١٥٧ - انظر تاريخ الطبري ج ٩ :

١٧١ حوادث سنة ١٣٨ وما بعدها .

(٤) أي القول بالرفض ، والرافضة : فرقة من الشيعة ، وكان زيد بن علي قد بايعه على إمامته

خمس عشرة ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق يوسف بن عمر الثقفي عامل

هشام بن عبد الملك على العراقيين ، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف ، قالوا له : إنا ننصرك على

أعدائك بعد أن نخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب ، فقال زيد : إني

لا أقول فيهما إلا خيرا ، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا ، وإنما خرجت علي بن أبي أمية الذين قتلوا

جدي الحسين ، وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بمحجر المنجنيق والنار . فقارقه عند

ذلك ، حتى قال لهم : رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة - انظر الفرق بين الفرق ص ٢٥ ، ومقدمة

ابن خلدون ص ٢١٩ .

(٥) كان السيد الحميري من شيعة محمد بن الحنفية ، وكان يعتقد أن ابن الحنفية لم يموت ، وأنه في

« إنا بعثناك قاضياً لاساعياً » .

ووقع في كتاب بليغ استباحه^(١) :

« إن البلاغة والغنى إذا اجتمعا في رجل أطغياه ، وقد رزقت إحداهما ،
فاكتف بها ، واقتصر عليها » .

وكتب إليه عبد الله بن زياد بن الحرث رقعة بليغة يستمنحه فيها ،
فكتب عليها :

« إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا في بلد أبطراه ، وأمير المؤمنين مشفق
عليك ، فاكتف بالبلاغة^(٢) » .

ورفع رجل إليه يشكو عامله أنه أخذ حداً من صنيعته ، فأضافه إلى ماله ،
فوقع إلى عامله في رقعة المتظلم :

« إن آثرت العدل صحبتك السلامة ، فأنصف هذا المتظلم من
هذه الظلّامة » .

وتظلم رجل من أهل السواد من بعض العمال في رقعة رفعها إليه ،
فوقع فيها :

« إن كنت صادقاً فجيء به ملبياً^(٣) ، فقد أذنا لك في ذلك » .

جبل رضوى (جبل بالحجاز) بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ،
ويعود بعد الغيبة فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً انظر الملل والنحل ١ : ١٥٥ .

(١) استباحه : سأله العطاء .

(٢) كان المنصور يرمى بالبخل ، وكان يلقب أبا الدوانيق (والدائق بكسر النون وفتحها والدائق :

سدس الدرهم) لقب بذلك لأنه لما ببى بغداد كان ينظر في العماره بنفسه ، فيحاسب الصناع والأجراء ،
فيقول لهذا : أنت نمت الفائلة ، ولهذا : أنت لم تبكر إلى عمالك ، ولهذا : أنت انصرفت لم تكمل اليوم :

(٣) لب الرجل : جعل ثيابه في عنقه وصدرة في الحصومة ثم قبضه وجره ، ويقال أيضاً : أخذ
بتليبه وتلايبه : إذا جمع عليه توبه الذي هو لابسه عند نحره وصدرة وقبض عليه يجره .

المهدى

ووقع المهدي في قصة متظلمين شكوا بعض عماله :
« لو كان عيسى عاملاً لكم قُذِّناه إلى الحق ، كما يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ ^(١) » .
يريد عيسى ولده .

ووقع إلى صاحب أرمينية - وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه - :
« خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .
وإلى صاحب خراسان في أمر جاءه : « أنا ماهرٌ وأنت نائمٌ » .
وفي قصة قوم أصابهم قحطٌ :

« يَقْدِرْ لَهُمْ قُوَّةُ سَنَةِ الْقَحْطِ وَالسَّنَةِ الَّتِي تَلِيهَا » .
وإلى شاعر ^(٢) : « أسرفت في مديحتك ، فقصرنا في جيبائك ^(٣) » .
وفي قصة رجل من النارمين ^(٤) :

« خذ من بيت مال المسلمين ما يُقْضَى بِهِ دَيْنُكَ ، وَتَقَرَّ بِهِ عَيْنُكَ » .
وفي قصة رجل شكوا الحاجة : « أتاك الغوثُ » .
وإلى رجل من بطانته استوصل :

فيعطى كل واحد منهم بحسب ما عمل في يومه ، فلا يكاد يعطى أجرة يوم كامل - اقرأ حكايات بخله في
غرر الخصائص الواضحة ص ٢٩٢ .

(١) الخشاش ككتاب : ما يدخل في عظم أذن البعير من خشب لينقاد ، وحششت البعير : جعلت في
أنفه الخشاش .

(٢) قال صاحب العقد الفريد : « أظنه مروان بن أبي حفصة » وهو شاعر عباسي مشهور .

(٣) الجباء : العطاء .

(٤) الفارمون : هم المدينون في غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وقاء ، وهم ممن تصرف
لهم الزكاة كما جاء في القرآن الكريم .

« ليت إسرائعنا إليك يقومُ بإبطائنا عنك^(١) » .

وفي قصة قوم تظلموا من عاملهم ، وسألوا إيشخاصه إلى بابه :

« قد أنصفَ القارةَ من راماهما^(٢) » .

وفي قصة رجل حبس في دم :

« ولَكُمْ في القصاصِ حياةٌ يا أولي الألبابِ^(٣) » .

وإلى صاحب خراسان - وكتب إليه يُخبره بفلاء الأسعار - :

« خذم بالمدل في المكيال والميزان » .

وإلى يوسف الرومي حين ظفر^(٤) به بخراسان :

« لك أمانِي ، وموؤ كدِّ أيمانِي » .

وكتب إليه مسلم^(٥) بن قتيبة يسأله أن يُشرِّفه بالإذن له في تقييل يده ،

فوقع إليه :

« يا أبا قتيبة ، إنا نصونك عنها ونصونها عن غيرك » .

(١) ويروي أن هذا القول قاله عتبة بن أبي سفيان لأعرابي استباحه في موسم الحج سنة ٤٩ - انظر

جهرة خطب العرب ٢ : ٢١١ .

(٢) هو مثل ، والقارة : قبيلة ، وهم قوم رماة ، ويزعمون أن رجلين النخيا ، أحدهما قاري ، فقال

القاري : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال الآخر : قد اخترت

المرامة ، فقال القاري : قد أنصفتي ، وأنا يقول :

قد أنصف القارة من راماهما إنا إذا ماشة نلقاها

* نرد أولاهما على آخرها *

ثم انزع له بسهم فشك به فؤاده .

(٣) وفي خاص الحاص أن هذا التوقيع ليجي بن خالد البرمكي .

(٤) في الأصل « حين ظفر بخراسان » وأراه محرفا كما يدل عليه معنى التوقيع .

(٥) هو مسلم بن قتيبة الباهلي ، وكان والي البصرة في عهد المنصور - انظر تاريخ الطبري ٩ :

٢٦٠ حوادث سنة ١٤٥ .

المهادى

وكتب موسى المهادى إلى الحسن بن قحطبة في أمر واجعه فيه :

« قد أنكرتناك منذ لزممت أبا حنيفة ، كفاتاه الله » .

وإلى صاحب إفريقية في أمر فرط منه :

« يابن اللخناء^(١) أنى تمرّس ؟ »

هرون الرشيد

ووقع هرون الرشيد إلى صاحب خراسان :

« دَاوِ جُرْحَكَ لَا يَتَسَعِ » .

وإلى عامله على مصر :

« احذر أن تُخربَ خِزَانَتِي^(٢) وخِزَانَةَ أَخِي يَوْسُفَ ، فَيَأْتِيكَ مِنْهُ

مَالًا قَبْلَ لَكَ بِهِ ، وَمِنْ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْهُ » .

ووقع في قصة البرامكة :

« أَنْبَسْتَهُمُ الطَّاعَةَ ، وَحَصَدْتَهُمُ الْمَعْصِيَةَ » .

وإلى عامله على فارس :

(١) اللخن بالتحريك : قبيح ربح الفرج ، وامرأة لحناء ، ويقال اللخناء : التي لم تختن ، وهي من

شتم العرب ، كأنهم يقولون : يادنى الأصل ، أو يالكيم الأم ، وتمرّس بالشئ : احتك به .

(٢) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام حين قال لملك مصر : « قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى

خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » .

« كن مني على مثل ليلة البيات^(١) » .

وإلى عامل خراسان :

« إن الملوك يؤثر منها الحظُّ » .

وإلى خزيمة بن خازم^(٢) إذ كتب إليه أنه وضع السيف حين دخل

أرض أرمينية :

« لا أم لك^(٣) ، تقتل بالذنب من لا ذنب له ؟ » .

وفي قصة محبوبس : « من جأ إلى الله نجا » .

وفي قصة متظلم : « لا يجاوز بك العدل ، ولا يقصر بك دون

الإِنصاف » .

وإلى صاحب السُّنْد إذ ظهرت العصبية^(٤) :

« كل من دعا إلى الجاهلية ، تعجل إلى المنية » .

وفي رواية أخرى : وكتب إليه صاحب السُّنْد بظهور العصبية ،

فوقع : « من أظهر العصبية فعاجله بالمنية » .

وإلى عامله على خراسان :

« كل من رفع رأسه فأزله عن بدنه » .

وفي رقعة متظلم من عامله على الأهواز - وكان بالمتظلم عارقا - :

(١) بيت العدو : أوقع بهم ليلا ، والاسم البيات .

(٢) وله خبر في فتنة الأمين - انظر تاريخ الطبري ١٠ : ١٩٢ .

(٣) لا أم لك : شتم وسب ، معناه : ليس لك أم حرة - وذلك أن بي الإماء عند العرب مذمومون ليسوا بمرضيين ولا لاحقين ببي الحرائر - وقيل معناه : أنت لقيط لا تعرف لك أم ، ولا يقول الرجل لصاحبه لا أم لك إلا في عصبه عليه مقصرا به شامتا له (وربما وضع موضع المدح ، بمعنى التعجب منه)

(٤) في الأصل « العصبية » وهو تحريف - انظر ما بعده .

« قد وليتك موضِعَه . فتنكَّب^(١) سيرته . »

وفي كتاب بكار الزبيرى إليه يخبره بسر من أسرار الطالبين :
« جرى الله الفضل^(٢) خير الجزاء فى اختياره إياك ، وقد أتاك
أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك . »

وإلى محفوظ صاحب خراج مصر :

« يا محفوظ ، اجعل فرع^(٣) مصر فرعا واحدا وأنت أنت . »

وإلى صاحب المدينة :

« ضع رجلك على رقاب أهل هذا البطن^(٤) ، فإنهم قد أطالوا ليل
بالشهاد ، ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد . »

ووقع إلى السندي^(٥) بز شامك :

« خف الله وإمامك ، فهما نجاتك . »

وإلى سليمان بن أبى جعفر فى كتابه ورد عليه منه يذكر وروب

أهل دمشق :

« استحييت لشيخ ولده المنصور أن يهزب من لده كندة وطىء . »

فها لا قابلتهم بوجهك وأبديت لهم صفحتك^(٦) ، وبدلت لهم منحتك ،

(١) أى اعدل عنها .

(٢) يعنى الفضل بن يحيى الرمكى .

(٣) فى الأصل العقد الفريد « اجعل فرع مصر فرعا واحدا » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه

« اجعل فرع مصر فرعا واحدا » والفرع : المال الطائل المعد ، أو صوابه « اجعل خراج مصر

خراجا واحدا » والمعنى : اجعل خراج مصر وحدة واحدة ، وأنت قار فى مكاتك دون أن تنحصر برفقة

(٤) البطن من الأرض : المطب .

(٥) كان صاحب الحرس ، وله خبر فى فتنة الأمين أيضا - انظر تاريخ الطبرى ١٠ : ١٠٧ .

(٦) أبدى لهم صفحته : جاهرهم بالعداوة .

وكنت كمرّوان^(١) ابن عمك ؟ إذخرج مُصَلِّتًا^(٢) لسيفه ، متمثلاً ببیت
الجَدَّاف بن حکیم :

مَتَقَلِّدِينَ صَفَائِحًا هِنْدِيَّةً يَتَرَكُنْ مَنْ ضَرَبُوا كَمَنْ لَمْ يُولَدِ^(٣)
فَجَالَدَبَهُ حَتَّى قُتِلَ ، إِمَّا بِدَعَةٍ ، وَإِمَّا خَلَّةً ، أَشَدَّ هِرَاشًا^(٤) ، وَأَخْشَنَ مِرَامِسًا ،
وَلَوْ لَا أَنْ يُقَالَ . . . لَقُلْتُ رَحِمَهُ اللهُ ، اللَّهُ أُمَّ تَنْدُبُهُ ، وَأَبٌ أَنْهَضَهُ !

وكتب ممتلك الروم إلى هرون الرشيد : « إني متوجه نحوك بكل
صليب في مملكتي ، وكل بطل في جندي ، فوقع في كتابه :
« سَيَلِمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ^(٥) » .

وكتب إليه تقفور ملك الروم يتهدده ، فوقع في كتابه : « الجواب
ما راه لا ما تقرأه^(٦) » .

ووقع إلى صاحب النصرانية بالروم : إنا بالأثر ، وعلى الله الظفر .
وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت : « قد تقدم
الخصم إلى موقف الفصل ، وأنت بالأثر ، والله الحكيم العدل ، وستتقدم فتعلم .
فوقع فيه الرشيد .

« الحكم الذي رضيناه في الآخرة هو أعدى الخدم عليك ، وهو
من لا يُرَدُّ حُكْمَهُ ، وَلَا يُضَرَّفُ فِضَاؤُهُ^(٧) :

(١) يعنى مروان بن محمد خعد ، آخر خلفاء بني أمية .

(٢) اصلت اسيف : سله وجرده .

(٣) الصبائح : السوف العريضة ، والهدية : الصوغة الهدى .

(٤) الخلة : الخصلة ، وعراشا : ابي غابلا .

(٥) انظر ص ٣٢٦ من الجزء الثالث .

(٦) انظر ص ٣٢٥ من الجزء الثالث .

(٧) انظر ص ٢٢٣ من الجزء الثالث .

ووقع إلى علي بن عيسى بن ماهان ، وقد كتب إليه بقتل العُمركي^(١) :
« بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

المأمون

ووقع المأمون في قصة متظلم من علي^(٢) بن هشام :
« يَا أَبَا الْحُسَيْنِ ، الشَّرِيفُ^(٣) مَنْ يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ ، وَيُظْلِمُهُ مَنْ دُونَهُ ،
فَانظُرْ أَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَنْتَ ؟ » .

وإلى هشام : « لَا أَدْنِيكَ وَلَكَ يَا بِي خَصْمٌ » .
وإلى الرُّشْتُمِيِّ وقد تظلم منه غَرِيمٌ^(٤) له :
« لَيْسَ مِنَ الْمَرْوَةِ أَنْ تَكُونَ أَوَانِيكَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَجَارُكَ
طَاوٍ^(٥) ، وَغَرِيمُكَ حَاوٍ » .

وفي قصة متظلم من عمرو بن مَسْعُودَةَ :
« يَا عَمْرُو ، عَمَّرَ نِعْمَتِكَ بِالْعَدْلِ ، فَإِنَّ الْجَوْرَ يَهْدِمُهَا »
وفي قصة متظلم من أبي عَبَّاد :
« يَا ثَابِتَ ، لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قَرَابَةٌ » .

(١) نسبة إلى عمرك منحوتا من عمر كسكر (كما قالوا حضرمي في النسب إلى حضرموت) وكسكر
كجعفر : كورة واسعة كانت قصبتها واسط التي بين البصرة والكوفة ، والعمر بالضم : الدير
للنصارى ، وهذا العمر في شرقي واسط ، يحيط به بساتين نخيل بينه وبين دجلة .

(٢) انظر ص ٥٢٩ من الجزء الثالث .

(٣) وفي رواية القند : « من علامة الشريف أن يظلم ... » .

(٤) الغريم : الدائن .

(٥) أي جائع ، من الطوى : وهو الجوع ، وفي رواية القند : « وعريمك خاو » .

وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه :

« وَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ » :

وفي قصة متظلم من حميد الطوسي :

« يَا أَبَا غَنَمٍ ، لَا تَفْتَرَّ بِمَوْضِعِكَ مِنْ إِمَامِكَ ، فَإِنَّكَ وَأَخْسَرُ عبيده

في الحق سيان » .

وفي رواية أخرى : « يَا أَبَا حَامِدٍ ، لَا تَتَكَلَّمْ عَلَى حَسَنِ رَأْيِي فِيكَ ،

فإنك وأحد رعيتي عندي في الحق سواء » .

وإلى طاهر^(١) صاحب خراسان :

« إِحْمَدُ ، أبا الطيب ، إِذَا أَحْلَاكَ خَلِيفَةُ مَحَلِّ نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، فَمَا لَكَ

مَوْضِعٌ تَسْمُو إِلَيْهِ نَفْسُكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَوْقَهُ عِنْدَهُ » .

وفي كتاب بشر بن داود^(٢) :

« هَذَا أَمَانٌ عَاقَدْتُ اللَّهَ فِي مَنَاجَاتِي إِيَّاهُ » .

وفي كتاب قثم بن جعفر في فدك حين أمره بردها^(٣) :

« قَدْ أَرْضَيْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي فَدَكٍ ، كَمَا أَرْضَى اللَّهُ خَلِيفَتَهُ فِيهَا » .

وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي :

« قَدْ أَحْتَمَلْنَا بَدَاءَكَ^(٤) وَشَكَاسَةَ خُلُقِكَ ، فَأَمَّا ظَلَمُكَ لِلرَّعِيَةِ فَإِنَّا

لَا نَحْتَمِلُهُ » .

(١) هو طاهر بن الحسين وكنيته أبو الطيب .

(٢) انظر تاريخ الطبري ١٠ : ٢٨١ .

(٣) انظر ص ٥٠٩ من الجزء الثالث وفي الأصل « إبراهيم بن جعفر » وصوابه « قثم بن جعفر » .

(٤) البذاء والبذاءة . السفه والفحش في المطلق ، وقد بنو وثك فهو بنديء ، وشكس ككرم

فهو شكس كصعب وكتف ورجل (بفتح قضم) أي صعب الخلق .

ووقع إلى بعض عماله :

« طَالِعٌ كُلٌّ نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِيكَ ، وَقَاصِيَةٌ مِنْ أَقَاصِيكَ ، بِمَا فِيهِ
اسْتِصْلَاحُهَا » .

وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : « إِنْ غَفَرْتَ فَبِفَضْلِكَ ، وَإِنْ
أَخَذْتَ فَبِحَقِّكَ » فوقع في كتابه :

« الْقُدْرَةُ تُذْهِبُ الْحَفِيظَةَ ^(١) ، وَالنَّدَمُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَبَيْنَهُمَا
عَفْوُ اللَّهِ » .

ووقع في رُقعة مَوْئِي طلب كِسْوَةٍ :

« لَوْ أَرَدْتَ الْكِسْوَةَ ، لَلَزِمْتَ الْخِدْمَةَ ، وَلَكِنَّكَ آثَرْتَ الرَّقَادَ ،
فَحَظُّكَ الرَّوْيَا » .

ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه - وقد وافته الأموال - :

« يُرْمَرُ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لَطُولُ هِمَّتِهِ ، وَلِثُمَامَةِ بْنِ أَشْرَسَ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ
لِتَرْكِهِ مَا لَا يَعْنِيهِ ، وَلَأَبِي مُحَمَّدِ الْيَزِيدِيِّ يُؤَمَّرُ لَهُ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لِكِبَرِهِ ،
وَلِلْمُعَلِّيِّ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لِصَحِيحِ سُنَّتِهِ ^(٢) ، وَلِإِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ
لِصِدْقِ لَهْجَتِهِ ، وَلِلْعَبَّاسِ بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ لِفَصَاحَةِ مَنْطِقِهِ ، وَلِأَحْمَدَ ^(٣) بْنِ أَبِي
خَالِدٍ بِأَلْفٍ أَلْفٍ لِمَخَافَتِهِ شَهْرَتَهُ ، وَلِإِبْرَاهِيمَ بْنِ بُؤَيِّهِ كَذَلِكَ لِسُرْعَةِ دَمَعَتِهِ ،
وَلِلرَّيْسِيِّ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ لِإِسْبَاحِ وَضُوئِهِ ^(٤) ، وَلِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشَرَ بِثَلَاثَةِ
لِحَسَنِ وَجْهِهِ » .

(١) الحفيظة : الغضب ، ويروى أن قول ابن المهدي ورد المأمون عليه كان مشافهة لا مكتوبة
- انظر جهرة خطب العرب ٣ : ٢٦ .
(٢) في الأصل « سنه » وأراه محرقا .
(٣) أحد وزراء المأمون - انظر خبره في الفخرى ص ٢٠٥ .
(٤) أسبغ الضوء : أبلغه مواضعه ووفى كل عضو حقه .

ووقع إلى الواقدي وقد كتب يذكر ديننا عليه ويستمنح :
« فيك خصلتان : سخاء وحياء ، أما السخاء فهو الذي أطلق يدك فيما
ملكته ، وأما الحياء فهو الذي حملك على أن ذكرت بعض دينك دون
كله ، وقد أمرت لك بضعف ما كتبت ، فزد في بسط يدك ، فإن خزائن
الله مفتوحة ، ويده بالخير مبسوطة . »

ووقع إلى عامل شكاه أهل عمله :
« إن آثرت العدل حصلت على السلامة ، فأنصف رعيتك من
هذه الظلّامة . »

ووقع إلى نصر بن سيار^(١) .
« يا أبا رافع ، إني رافِعُكَ إلى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا^(٢) . »
ورفع إليه أهل السواد قصة في إتيان الجراد على غلاتهم ، فوقع فيها :
« نحن أولى بضيافة الجراد ، من أهل السواد ، فليحطّ عنهم نصفُ
الخراج . »

وكتب إليه عبد الله بن طاهر يشكو إليه بعدد عن مَضْرُوقه ، ويسأله
الإذن له في الإلما^(٣) بها ، فوقع في كتابه :

(١) كذا جاء في خاص الخاص ، وهو خطأ ، فإن نصر بن سيار مات في ساوة بالقرب من همدان سنة
١٣١ - انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢ في خلال ترجمة أبي مسلم ، وتاريخ الطبري ٩ : ١١٢ -
وقد قدمنا لك في ص ٣٣٣ من الجزء الثالث أن رفع بن ليث بن نصر بن سيار خرج على الرشيد
بسرقة وخلفه سنة ١٩٠ ، فالظاهر أن الذي كتب إليه المأمور ، هذا التوقيه هو ابن رافع هذا .
(٢) اقتبس من الآية الكريمة : « إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ
وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا » .
(٣) ألم به : نزل .

« قُرْبِكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ إِلَى حَيْبٍ ، وَأَنْتَ مِنْ قَلْبِي حَيْثُ كُنْتُ قَرِيبٌ ،
وإِنَّمَا بَعَدْتُ دَارَكَ ، نَظَرًا بِكَ ، وَرَغْبَةً إِلَيْكَ ، مَعَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
« رَأَيْتُ دُنُوَّ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ مَا بَيْنَ الْقُلُوبِ بَعِيدٌ »
ولما مات عمرو بن مَسْعَدَةَ رُفِعَتْ إِلَى الْمَأْمُونِ رُقْعَةٌ أَنَّهُ خَلَفَ ثَمَانِينَ
أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَوَقَعَ فِي ظَهْرِهَا :
« هَذَا قَلِيلٌ لِمَنْ اتَّصَلَ بِنَا ، وَطَالَتْ خِدْمَتُهُ لَنَا ، فَبَارِكْ اللَّهُ لَوْلَدِهِ فِيمَا
خَلَفَ ، وَأَحْسِنْ لَهُمُ النَّظَرَ فِيمَا تَرَكَ » .

الوائق

وكتب محمد بن حماد يعرّض في حاجة له يبتي شعر إلى الواثق يقول :
جذبتُ دواعي النفس عن طلب المنى وقلتُ لها كُفِّي عن الطلب المُرِّي
فإن أمير المؤمنين بكفه مدارُ رحى بالرزق دائبة تجري
فوقع تحتها : « جذبتُ نفسك عن امتهانها بالمسألة دعاني إلى صونك
بسمة فضلي عليك ، فخذ ما طلبت هنيئا » .

أبو مسلم الخراساني

ووقع أبو مسلم الخراساني في كتاب سليمان^(١) بن كثير الخزاعي :
« لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » .

(١) أحد دعاء العباسيين - انظر الجزء الثاني ص ٥٥٢ - وبعد أن تم الأمر للسفاح اتهم أبو مسلم
سليمان بن كثير فقتله - انظر تاريخ الطبري ٩ : ١٤٢ .

وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هبيرة :
« قَلَّ طَرِيقٌ سَهْلٌ تُلْقَى فِيهِ الْحِجَارَةُ إِلَّا عَادَ وَعَرَا ، وَاللَّهِ لَا يَصْلُحُ طَرِيقٌ
فِيهِ ابْنُ هَبِيرَةَ أَبَدًا ^(١) » .

وإلى محمد بن صُول - وكتب إليه بسلامة أطرافه - :
« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »

وإلى عامله يَبْلُغُ : « لَا تُؤَخِّرْ عَمَلٌ يَوْمَ لَعْدٍ » .

وإلى أبي سلمة الخَلَّالِ حين أنكر نيته :
« وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ
قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ » .

عمرو بن عبيد

وكتب أبو جعفر المنصور إلى عمرو ^(٢) بن عبيد .
« أبا عثمان ، أعني بأصحابك ، فإنهم أهل العدل ، وأصحاب الصدق ،
والمؤثرون له » فوقع في كتابه : « ارفع علم الحق يَنبئكَ أهله » .

أبو عبيد الله

وكتب إلى أبي عبيد الله كاتب المهدي رجل يعتذر ولا يُحسِن ،
فوقع في كتابه .

(١) انظر ص ٥ من الجزء الثالث .

(٢) هو أحد أئمة المعتزلة . وكانت أخته زوجة واصل بن عطاء ، توفي سنة ١٤٤ ، انظر ترجمته

في وفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ والنية والأمل ص ٢٢ .

« ما رأيتُ عُذْرًا أَشْبَهَ بِاسْتِثْنَائِ ذَنْبٍ مِنْ هَذَا » .

الفيض بن أبي صالح

ووقع الفيض^(١) بن أبي صالح في رُقعة معتذر تائب :
« التوبة للمذنب كاللدواء للمريض ، فإن نصححت^(٢) توبته ، أتمَّ الله شفاءه ، وإن تكن الأخرى أدام الله داءه » .

يحيى بن خالد البرمكي

ووقع يحيى بن خالد البرمكي في جواب رُتمة لابنه الفضل « ما أهونَ التدبيرَ بالوصف »

وفي رُقعة متظلم ليعرض التوقيع على من شكاه : « أَنْصِفْ مَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ ، وَإِلَّا أَنْصَفَهُ مِنْكَ مَنْ يَلِي أَمْرَكَ^(٣) » .
وإلى رجلٍ ائتمَّ ببطأه واستزابه « أُجَنِّحُ إِلَيْكَ بِغَالِبِ الْفَضْلِ ، وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ بِصَادِقِ النِّيَّةِ » .

جعفر بن يحيى البرمكي

ورقع جعفر بن يحيى البرمكي في قصيدة محبوبس التمس الإطلاق :
« لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ »^(٤) .

(١) ورد للعهدى ، ووفى به - ١٧٣ - اطر برحمته في المسرى ص ١٦٩ .

(٢) أي خلصت .

(٣) ويعرى هذا التوقيع إلى ابنه جعفر .

(٤) وفي حاشي الحاشي أن هذا التوقيع لأبيه يحيى بن خالد .

ووقع في مثله : « المدلُّ أوقعه ، والتوبة تُطلقه » .
وفي قصة مُتَنَصِّح^(١) : « بعضُ الصديق قبيح » .
وأكثرَ الناسُ شكِّيَّةَ عاملٍ فوقع إليه في قصتهم :
« يا هذا ، قد كُتِرَ شاكوكُك ، وقلَّ شاكروكُ ، فإِذَا اعتدلتَ ،
وإِذَا اعتزلتَ »^(٢) .

وفي قصة رجلٍ شكَا بعضَ خَدَمِهِ :
« خذ بِأُذُنِهِ ورَأَاهُ ، فهو مَالِكٌ »
وإلى عاملٍ فارسٍ في رَجَلٍ كَتَبَ إِلَيْهِ بِالْوَصَاةِ .
« كُنْ لَهُ كَأَيْبِهِ وَلَوْ كَانَ مَكَانَكَ »

وإلى عاملٍ مصريٍّ رجلٍ من بَطَانَتِهِ يوصيه :
« إِنَّهُ رَغِبَ إِلَى شِعْبِكَ^(٣) ، فَارْغَبْ فِي اصْطِنَاعِهِ »
وفي قصة متظلمٍ من بعضِ عماله « إلى ظلمتِكَ دِرْتَهُ » .
وفي قصة محبوبٍ من : « الجناية حبستهُ ، والتوبة تُطلقه » .
وإلى قومٍ : « عَيْنُ الْخَلِيفَةِ تَكَلَّمَتْ^(٤) ، وَنَظَرُهُ يَعْصِمُكُمْ » .
وفي رقعة صرورةٍ استأذنه في الحج : « من سافرَ إِلَى اللَّهِ أَنْجَحَ »^(٥) .

(١) تنصح - تشبه بالناصح .
(٢) وفي رواية الكامل للمبرد . « وقل حامدوك ، فإِذَا عدلت ... » وفي نهاية الأرب :
« وكتب محمد إلى يحيى بن هرمة - وكان عامله على أصفهان - وقد تظلم منه أهلها : « يا يحيى ... »
ولاندرى من محمد المذكور ، إذ لم يرد بعده ما يعبه ، وجاء في شرح نهاية الأرب عن يحيى بن هرمة :
(كدا في الأصل ، ولم تقف على هذا الاسم فيمن بولي عمل أصفهان ، ولعل صوابه « هرمة ») .
(٣) الشعب بالكسر . ما فرج بين جبلين ، يعنى به وادي النيل .
(٤) أي تحرسكم .
(٥) أنجح : صار ذا نصح .

- وفي قصة رجل شكَا عُرْبِيَّةً^(١) : « الصوم لك وِجَاءٌ »^(٢) .
- وفي رقعة رجل سأل ولاية : « لا أُؤَلِّيَ بعضَ الظالمينَ بعضاً » .
- وفي قصة رجل سأل أن يُقْفَلَ^(٣) أبته ، فقد طالت غَيْبَتُهُ عنه :
« غَيْبَةُ يوسفَ صلى الله عليه وسلم كانت أطول »
- وفي قصة رجل تظلم من أحد عماله : « إِنْ^(٤) لِيْثْلُهُ حَتَّى يُنْصَفَكَ » .
- وفي قصة قوم شكوا سُوءَ جِوَارِ بعضِ قرابته : « يَرْحَلُ عَنْكُمْ » .
- وفي قصة مستمنح كان قد وصله مراراً :
« دَعِ الضَّرْعَ يَدِرُّ لغيرك كما درَّ لك »^(٥)
- وإلى الفضل بن الربيع ، وجاءه منه كتاب عمه وأكْرَبَهُ :
« كثرة ملاحاة^(٦) الرجال ، ربَّما أراقت الدماء »
- وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : « لم تَزْرَعْكَ لِنَحْصُدْكَ » .
- وإلى بعض عماله : « اجعل وسيلتك إلينا ما يزيدك عندنا » .
- وكتب إليه رجل يستبطئه ، فوقع في ظهر كتابه :
« أحتجُّ عليك بغالب القضاء ، وأعتذرُ إليك بصادق النِّبَّةِ »^(٧)

(١) العزبية : العروبة .

(٢) أحذره من قوله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاءٌ » والباءة النكاح ، ووجع التيس وجثا ووجاء : إذا دق عروق حصيته بين حجرين من غير أن يخرجها ، أى أن الصوم يقطب الشهوة للنكاح كما يقطعها الوجاء ، إذ أن الموحوء لا يصرب .

(٣) أقل الجند : ردم من الغزوي إلى وطنهم .

(٤) أى بث شكواك وتوجع ، أمر من أن يئن : أى تأوه من الوجع .

(٥) وفى خاص الحاص أن هذا التوقيع لأبيه محي .

(٦) الملاحاة : المنازعة ، وفى القعد « ملاحاة الدما » وأراه محرفاً .

(٧) انظر ص ٤٤٤

وإلى بعض ندمائه : « لا تُبْعِدْ مَنْ ضَمَكَ » .
ووقع إلى متنصل من ذنب : « حُكْمُ الْفَلَتَاتِ خِلَافُ حُكْمِ الْإِصْرَارِ » .
وكتب إليه أن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الأموال
فوقع : « هذا رجل منقطع عن السلطان ، وبين ذُوْبَانٍ ^(١) العرب ، بحيثُ
العَدْدُ والعُدَّةُ ، والقلوبُ القاسيةُ ، والأنوفُ الحميَّةُ ، فليُمددْ من المال
بما يَستَصلِحُ به مَنْ معه ، لِيَدْفَعَ به عدوّه ، فإن تفقات الحروب يُستَظْهَرُ لها ،
ولا يُستَظْهَرُ عليها » .

ووقع في رقعة معتذر من ذنب :
« قد تقدّمت طاعتك ، وسبقت ^(٢) نصيحتك ، فإن بدرت منك
هفوة فلن تغلب سيئة حسنتين » .

ووقع - وقد قرأ كتابا فاستحسن خطّه - :
« الخطُّ خيطُ الحكمة ، يُنظَمُ فيه منشورها ، ويفصلُ فيه شدورها ^(٣) » .
ووقع : « الخراج عمودُ الملك ، وما استغرر ^(٤) بمثل العدل ، وما استنزر
بمثل الجور » .

وكتب عمرو بن مسعدة إلى ضمرة الحروري ^(٥) كتابا ، فنظر فيه جعفر
ابن يحيى فوقع في ظهره :

(١) ذُوْبَانُ العرب : لبوصهم وصاليكهم .
(٢) وفي رهم الآداب « وطهرت » .
(٣) الشدر (بالفتح) : قطع من الذهب ، حرر يفصل بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار ، واحده شذرة .
(٤) استنزر : كثر ، واستنزر : قتل .
(٥) كان الخوارج يسمون « الحرورية » نسبة إلى حروراء ، وهي قرية بظاهر الكوفة نزلوها
حين اعبروا عليها بعد رجوعه من صفين .

« إذا كان الإكثار أبلغَ كان الإيجاز مقصراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً » .

ويروى أن جعفر بن يحيى قال لكتابه : « إن قدّرتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعاتٍ فافعلوا^(١) » .

وقال ابن خلدون في مقدمته^(٢) : « وقد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ، ويرى بالقصة إلى صاحبها ، فكانت توقيعاته يتنافس البلاء في تحصيلها ، للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها ، حتى قيل إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار » .

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان^(٣) « ويقال إن جعفر بن يحيى وقع ليلةً بحضرة هرون الرشيد زيادةً على الـ . توقيع . ولم يسرج في شيء منها عن سوجب التوقيع » .

وقال الجاحظ في البيان والبيّن^(٤) : « وخبرني جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال : ذكرت لعمر بن مسعدة توقيعات جعفر ابن يحيى قال : قد قرأت لام جعفر توقيعات في حواشي الـ . تب وأساذلها ، فوجدتها أجود اختصاراً ، وأجمع للمعاني » .

(١) انظر الكامل للمبرد ١ : ١٤٤ وأدب الكتاب ص ١٣٤ وص ٢٢٨ والصناعين ص ١٦٦ وجاء في الصناعين أيضا (ص ١٨١) أنه مع إعجاب بالإنجاز قال : « متى كان الإنجاز أبلغ كان الإكثار عيباً ، ومتى كانت الكتابة في موضع الإكثار كان الإنجاز تقصيرا » .

(٢) انظر ماب ديوان الرسائل والكتابة ص ٢٧٤ .

(٣) انظر ج ١ : ص ١٠٥ .

(٤) انظر ح ١ : ص ٥٩ .

الفضل بن يحيى

ووقع أخوه الفضل : « بئس الزاد إلى المعاد ، التعمد على العباد » .

الفضل بن سهل

وكتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن :

« اتَّحَمِدُ اللَّهَ يَا أَخِي ، فَمَا يَبِيْتُ خَلِيفَةَ اللَّهِ إِلَّا عَلَى ذِكْرِكَ » .

وإلى طاهر بن الحسين : « تَخَيَّرَ مَا اصْطَنَعْتَ » .

وإليه أيضا : « لِشَرِّ مَا سَمَوْتَ » .

وإلى هرة ثمة - وأشار عليه برأي - : « لَا يُحَلُّ مَا عَقَدْتَ » .

وفي قصة متظلم : « كَفَى بِاللَّهِ لِلْمَظْلُومِ نَاصِرًا » .

وفي قصة من نَقَبَ بَيْتَ الْمَالِ : « يُدْرَأُ^(١) عَنْهُ الْحَدُّ إِنْ كَانَ لَهُ فِيهِ سَهْمٌ » .

ووقع إلى حاجبه : « نَمَهْلٌ وَتَسَهْلٌ » .

وإلى صاحب الشرطة : « تَرَفَّقْ تُوَفَّقْ » .

وفي قصة متظلم : « طِيبْ نَفْسًا ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمَظْلُومِ » .

وإلى رجل شكَا غَلَبَةَ الدِّينِ :

« قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَسَدَنًا فَعْمُهَا بِمِثْلِهَا ، لِيَرْغَبَ الْمُنْتَصِحُونَ^(٢) »

(١) يدفع .

(٢) انتصح : قبل الصبح .

وإلى رجل شكاً إليه الدين :

« الدينُ سوءٌ يهَيِّضُ^(١) الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه »

وفي قصة قوم قطعوا الطريق :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْمَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .

وفي امرئٍ قاتلٍ شهيدٍ عليه العدوُّ فشُفِّعَ فيه : « كتابُ الله أحقُّ أن يُتَّبَعَ » .

وفي قصة رجلٍ شهيدٍ عليه أنه شتم أبا بكرٍ وعمر : « يُضْرَبُ دُونَ الْحَدِّ وَيُسْمَرُ^(٢) ضَرْبُهُ »

وفي رقعة ساعٍ :

« نَحْنُ نَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرًّا مِنْهَا ، لِأَنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ وَأَخْبَرَ بِهِ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ ، فَاتَّقُوا السَّاعِيَّ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سَعَايَتِهِ صَادِقًا ، لَكَانَ فِي صِدْقِهِ آثِمًا ، إِذْ لَمْ يَحْفَظِ الْحُرْمَةَ ، وَيَسْتُرِ الْعَوْرَةَ ، وَالشَّيْءُ يُقْرَنُ مَعَ جِنْسِهِ » .

ووقع إلى تميم بن خزيمه^(٣)

« الأمور بتامها ، والأعمالُ بخواتمها ، والصنائعُ باستدامتها ، وإلى

(١) هاس العظم يهَيِّضُه : كسره عد الجور .

(٢) سمره كمنعه ، وشهره - أظهره في شعبة .

(٣) وفي كتاب بغداد لابن طيهور والعقد الفريد : ووقع طاهر بن الحسين إلى خزيمه بن خازم :

« الأعمالُ بخواتمها ، والصنعةُ باستدامتها ، وإلى العانة ماجرى الحواد ، شمد السابق ، وذم الساقط » .

الغاية يجري الجوادُ ، فهناك كشفتِ الخبيرة قناعَ الشكِّ ، فحمدَ السابق ،
وذمَّ الساقطَ .

الحسن بن سهل

ووقع الحسن بن سهل في قصة متظلم :

« يُنظر فيما رَفَع ، فإن الحق متَّبِع ، وإلا فشانُ السليم دواء السقيم » .

وفي قصة قوم تظلموا من واليهم :

« الحقُّ أولى بنا ، والعدلُ بُعِثنا ، وإن صحَّ ما ادَّعيتم عليه صرَفناه

وعاقبناه » .

وفي قصة امرأة حُبِس زوجها : « الحقُّ يحبسُه والإِنصافُ يُطلقُه » .

وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له :

رَأَيْتُ فِي النُّومِ أَنِّي رَاكِبٌ قَرَمًا وَلى وَصِيفٌ وَفِي كَفِي دَنَانِيرٌ^(١)

فقال قوم لهم فهمٌ ومعرفةٌ : رَأَيْتَ خَيْرًا وَلِلأَحْلَامِ تَعْبِيرٌ

رُؤْيَاكَ فَسَّرْ غَدًا عِنْدَ الأَمِيرِ تَجِدُ فِي الحَلْمِ دُرًّا وَفِي النُّومِ التَّبَاشِيرُ

فوقع في أسفل كتابه : « أَضْفَاثُ أَحْلَامٍ^(٢) وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ

الأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ، وألحق له ما التمسهُ^(٣) » .

(١) الوصيف : الخادم والخدمة .

(٢) أضفاث أحلام : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها .

(٣) وفي رواية أخرى لصاحب القصد : « عن البطين الشاعر قال : قدمت على بن يحيى الأرمي ،
فكسبت إليه ... » والبيت الثالث :

رؤياك فسر غدا عند الأمير تجد تعبير ذلك وفي الفال التبشير

جئت مستبشرا مستشعرا فرحا وعند مثلك لي بالفعل تشير

وبعده :

وكتب إليه رجل يتوسل بسالف إحسانه ، فوقع :
« مرَّجَبًا بِمَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْنَا بِنَا » وأمر له بصِلَّة

طاهر بن الحسين

ووقع طاهر بن الحسين في رقعة مُتَّصِح : « سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ » .

وفي رقعة مستبطن إياه في الجواب : « تَرَكَ الْجَوَابَ جَوَابٌ »
ورفع إليه مستمنح وكذب في عدد عياله - وكان طاهر يعرفهم - فوقع :
« لَا جَوَابَ لِكَذِّابٍ » ثم عاود وصدق في عددهم ، فوقع : الْآنَ
جِئْتَ بِالْحَقِّ ، وأمر له بصلة .

ووقع في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شيبث (١) :
« طَلَبْتَ الْحَقَّ فِي دَارِ الْبَاطِلِ » .

ووقع في قصة قهرمان (٢) له شكاء سوء معاملة :
« اسْمَعْ يُسْمَعْ لَكَ » .

ووقع في قصة رجل طلب قبالة (٣) بعض أعماله :
« الْقِبَالَةُ مِفْتَاحُ الْفَسَادِ ، وَلَوْ كَانَتْ صِلَاحًا مَا كُنْتَ لَهَا مَوْضِعًا » .
وإلى السندي بن شاهك - وجاءه منه كتاب يسأله الأمان - :
« عِشْ مَا لَمْ أَرْكَ » .

(١) في العقد « نصر بن شيبث » وهو تحريف ، وقد تقدم .
(٢) هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمر الرجل بلغة الفرس ، معرب .
(٣) القبالة : الكفالة ، قيل به كنصر وسمع وضرب فهو قبيل : أي ضامن وكفيل .

وإلى العباس بن موسى الهادي - واستبطأه في خراج الكوفة - :
وليس أخو الحاجاتِ مَنْ بَاتَ نائماً ولكنْ أخوها مَنْ يَبِيتُ على وَجَلٍ
ووقع في قصة رجل شكاً أن بعض قواده تزل في داره وفيها حُرْمَةٌ^(١) :
« إذا رأيتَه في ناحيةِ دارِكَ فقد حلَّ لك قتله » .
ووقع في قصة رجل ذكر أن أخاه قُتل في طاعة المأمون :
« سألِكَ طاعةِ اللهِ ، واللهُ وليُّ جزائه » .
ووقع في قصة رجل ذكر أنه قتل في يوم واحدٍ عشرةً من أصحاب
المخلوع « الأمين » :

« لو كنت كما وصفت لم يخفَ علينا ما ذكرت » .

ووقع في قصة رجل ذكر أن منزله أُحرق بالنار :
« أخطأك مَنْ قصَّدَكَ » .

ودخل على طاهرٍ كاتبِ العباسِ بن موسى - وكان ريكاً - فقال :
أخيتك ابنُ موسى يُقرئك السلام ، قال : وما تلي من أمرِه ؟ قال : أنا كاتبه
الذي أطعمه الخبزَ ، فوقع :

« يُعزل العباسُ ، بسوءِ اختياره للكفاء^(٢) » .

ووقع في قصة محبوبس : « يُخرج ولا يُجوج » .

ووقع في قصة آخر : « يُطلق ويُعتق »

ووقع في قصة مستمنح : « يبل^(٣) حاله »

(١) حرم الرجل : نسأوه وما يعنى .

(٢) الكفاء والأكفاء جمع كفاء ، وربما كان الأصل « للكفاءة » بضم الكاف ، جمع كاف

(٣) بله كنصره : نداءه ، وبل رحمة : وصلها ، استعاروا البل بمعنى الوصل كما استعاروا اليبس

- ووقع في رقعة مستوصيل : « يُقَامُ أَوْدُهُ ^(١) »
ووقع في قصة مستجير : « أنا جارُهُ »
ووقع في قصة مستأمن : « يَوْمَئِذٍ سِرْبُهُ ^(٢) »
ووقع في قصة قاتل : « لا يُوَخَّرُ قَتْلُهُ »
ووقع في قصة شاعر : « يَعَجَّلُ ثَوَابَهُ »
ووقع في قصة لص : « يَنْفِذُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ »
ووقع في قصة ساع : « لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ »
ووقع في قصة قوم شغبوا على عاملهم :
« الشَّغْبُ لِفِرْقَةٍ سَبَبٌ ، فَلْتُمَحَّحَ أَسْمَاؤُهُمْ ، وَتُحَسِّنَ آدَابُهُمْ ، وَتُقَطَّعَ
بِالنِّبْيِ آثَارُهُمْ »

عبد الله بن طاهر

وأدب عبد الله بن طاهر بعض قواده فمات ، فرُفِعَ إِلَيْهِ أَنْ النَّاسَ
يَقُولُونَ : إِنَّهُ قَتَلَهُ ، فَوَقَعَ : « إِنَّمَا أَدَبْنَا فَوَافِقَ الْأَدَبِ الْأَيْلِ » .
وأهدى نصر بن شيبث ^(٣) إليه هدايا كثيرة فردَّها ، فزاد فيها وبعثها
ليلا مع رُقْعَةٍ فِي مَعْنَاهَا ، فَرَدَّهَا وَوَقَعَ فِي الرُّقْعَةِ :

لمعنى القطيعة ، وفي الحديث « ملوا أرحامكم ولو بالسلم » أى نذوها بالصلة ، وربما كان الأصل « يبلى
حاله » من بلاء يبلوه إذا اختره .

(١) الأود : الأعوجاج .

(٢) السرب : النفس والقلب .

(٣) فى خاص الحاص « نصر بن شيبث » أيضا ، وهو تحريف .

« لَوْ قَبِلْتُ الْهَدِيَّةَ لَيْلًا لَقَبَلْتُهَا نَهَارًا ، وَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا آتَاكُمْ ،
بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ^(١) . »

ووقع إلى عمال له شكاهم الرعية :

« قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ الْإِعْذَارَ ، وَاحْتَجَجْتُ إِلَيْكُمْ بِالْإِنْدَارِ ، وَلَيْتَ الْعِتَابَ
بِالْعَامَا أُرِدْتُ ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِأَنْ أَجْعَلَ مَعَاقِدَتِي لَكُمْ مَعَاقِبَةً ، فَانْتَبَهُوا مِنْ
سِنَّتِكُمْ ^(٢) ، وَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ ، وَأَحْسِنُوا بِالْأَكْرَةِ ^(٣) ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
جَعَلَ أَيْدِيَهُمْ لَنَا طَعَامًا ، وَأَلْسِنَتَهُمْ سَلَامًا ، وَظَلَمَهُمْ حَرَامًا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَى ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ »

وكتب إليه بعض قواده يسأله حطَّ خراجِه والزيادة في أرزاقه ، فوقع
في كتابه :

« أَفَى النَّوْمِ أَبْصَرْتَ ذَا كَلِّهِ ؟ نَحِيْرًا رَأَيْتَ ، وَخَيْرًا يَكُونُ ! »

يوسف بن القاسم

ووقع يوسف ^(٤) بن القاسم - والد أحمد بن يوسف - إلى عامل :

« إِنْ كُنْتَ مُنْصِيفًا مِنْ نَفْسِكَ فَلِمَ تَظْلِمُ لغيرِكَ ؟ وَإِنْ ظَلَمْتَ لغيرِكَ
فكيف تنتصف من نفسك ؟ »

ووقع في رقعة رجل قد استباحه :

(١) وفي رواية أخرى أن تلك القصة كانت لعبد الله طاهر مع عبيد الله بن السري بمصر - انظر
ما قدمناه في ص ٥٠٤ من الجزء الثالث .

(٢) السنة : الناس .

(٣) الأكار : الحراث وجمعه أكرة ، كأنه جمع آكر في التقدير .

(٤) روى الصولي في كتاب الأوراق ١ : ١٥٦ أن يوسف بن القاسم كان بخنفس يحيى بن خالد على
التوقيع في داره ودار أمير المؤمنين .

« قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك على الاجتهاد ، وفوق كفايتك مع الاقتصاد^(١) . »

ولما ولى الرشيد على بن عيسى بن ماهان خراسان ، سأل الرشيد أشياء ثقلت عليه ، فقال ليوسف ، عرفه مقدار ما فعلت به ، فإني أظنه جهله ، فوقع إليه :

« قد كفييناك بما وليناك ، وخراسان تسعك ما وسعك عمر » .

ووقع إلى بعض ولده :

« إذا لم يكن معروفك إلا عند من تعرف ، لم يجز معروفك

رُواق بيتك » .

ووقع : « من جور الدنيا أنها لا تُعطي أحدا ما يستحق ، إما أن تزيد

وإما أن تنقصه » :

ووقع إلى بعض ولده :

« إياك وصحبة فلان ، وإن كان قريب النسب منك ، فإنه بعيد

الشبه بك ، فقد يفسد على الإنسان بعض جسده فيقطعه وهو أولى به

وأقرب » .

ووقع : « إن إساءة المحسن أن يكف عنك إحسانه ، وإحسان المسيء

أن يكف عنك إساءته ، وأبعد ما بينهما ! » .

ووقع إلى رجل كذبه في شيء :

(١) ورد في العقد الفريد أن الحسن بن سهل كتب هذا التوقيع في قصة رائد ، وفيه « في

الاستحقاق » محل قوله « على الاحهاد » .

« لو صُوِّرَ الصدقُ لكانَ أسداً ، ولو صُوِّرَ الكذبُ لكانَ ثعلباً ، وما صاحباهما يبيعدَيْن من هاتين الصورتين » .

أحمد بن يوسف

ووقع أحمد بن يوسف إلى عامل ظالم :

« الحقُّ واضحٌ لمن طلبه ، تهديبه محجته ، ولا تخافُ عثرته ، وتؤمن
في السرِّ مغيبته ، فلا تنتقلن منه ، ولا تعدلن عنه ، فقد بالغت في مناصحتك ،
فلا تُحوجني إلى معاودتك ، فليس بعد التقدمة إليك ، إلا سَطوةُ
الإنكار عليك »



ووقع في كتاب رجل يحثه على استتمام صنائعه عنده :

« مستتمُّ الصنِيعَة من صابرها ، فعَدَل زِينَهَا ، وأقام أودها ، صيانة
لمعروفه ، ونُصرةً لرأيه ، فإنَّ أولَ المعروف مستخفٌّ ، وآخره مستثقلٌ ،
تكاد أوائله تكون للهوى ، وأواخره تكون للرأى ، ولذلك قيل : رَبُّ^(١)
الصنِيعَةِ أشدُّ من ابتدائها »



ووقع في عناية بإنسان إلى بعض العمال :

« أنا بفلان تامُّ العناية ، وله شديد الرعاية ، وكنت أحبُّ أن يكون

(١) رب الصنِيعَة كصير: نحاها وزادها وأتمها وأصلحها ، وفي زهر الآداب « تميم الصنِيعَة ... »

ما أَرَعَيْتُهُ طَرْفَكَ مِنْ أَمْرِهِ فِي كِتَابِي ، مُسْتَوْدَعًا سَمْعَكَ مِنْ خُطَابِي ، فَلَا تَعْدِلَنَّ بَعْنَايَتِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَا تَمْنَحَنَّ تَفَقُّدَكَ سِوَاهُ ، حَتَّى تُثْبِتَهُ إِرَادَتَهُ ، وَتَجَاوِزَ بِهِ أَمْنِيَّتَهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



وَوَقَعَ إِلَى رَجُلٍ غَضَبٌ رَجُلًا عَلَى ضَيْعَةٍ وَكَانَ غَائِبًا فَاسْتَعْلَمَهَا سَتِينٌ ، وَقَدِمَ الرَّجُلُ فُطَالِبَهُ فَقَالَ : الضَّيْعَةُ لِي وَفِي يَدِي ، فَوَقَعَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ : « الْحَقُّ لَا تَخْلُقُ ^(١) جِدَّتُهُ ، وَإِنْ تَطَاوَلَتْ بِالْبَاطِلِ مَدَّتُهُ ، فَإِنْ أَنْطَقْتَ حُجَّتَكَ بِإِفْصَاحٍ ، وَأَزَلْتَ مُشْكِلَهَا بِإِضْوَاحٍ - غَيْرَ « لِي وَفِي يَدِي » فَكَثِيرًا مَا آرَاهَا ذُرِيعةَ الْغَاصِبِ ، وَحِجَّةَ الْمَغَالِبِ - وَفَرَّ حَقُّكَ عَلَيْكَ ، وَسِيقَ بِلَا كَدٍّ إِلَيْكَ ، وَإِنْ رَكَنْتَ مِنَ الْبَيَانِ إِلَيْهَا ، وَوَقَفْتَ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ عَلَيْهَا ، كَانَتْ حُجَّتُهُ بِالْبَيِّنَةِ أَعْلَى ، وَكَانَ بِمَا يَدَّعِيهِ أَوْلَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



وَمِنْ تَوْقِيعَاتِهِ :

« مَا عِنْدَ هَذَا فَائِدَةٌ وَلَا عَائِدَةٌ ^(٢) ، وَلَا لَهُ عَقْلٌ أَصِيلٌ ، وَلَا فِعْلٌ جَمِيلٌ . »



وَوَقَعَ إِلَى عَامِلٍ قَدْ أُخِّرَ حَمْلَ مَالٍ :

« قَدْ اسْتَبْطَأَكَ الْإِعْفَالُ ، وَأَبْطَرَكَ الْإِهْمَالُ ، فَمَا تُصْحِبُ قَوْلَكَ فَعْلًا ،

(١) خَلَقَ الثَّوْبَ كَصَرَ وَكَرَمَ وَسَمِعَ : بَلَى .

(٢) الْعَائِدَةُ : الْمَعْنَى وَالْعُرُوفُ .

وَلَا تُتْبِعْ وَعْدَكَ إِجْازًا ، وَقَدْ دَافَعْتَ بِمَالِ نَجْمٍ^(١) لَزِمَكَ سَمَلُهُ ، حَتَّى
وَجَبَ عَلَيْكَ مِثْلُهُ ، فَاحْمِلْ مَالَ ثَلَاثَةِ أَنْجُمٍ ، لِيَكُونَ مَا يُتَمَجَّلُ مِنْكَ أَدَاءً
مَا آخَرَ عَنْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .



ووقع إلى رجل استماحه :

« وَدِدْتُ لَوْ مَلَكَتُ بَغِيَّتَكَ ، لِبَلِّغْتُكَ أَمْنِيَّتَكَ ، وَلَكِنِّي فِي عَمَلٍ
قَصِدْتُ فِيهِ اتِّخَاذَ الْحَامِدِ ، وَعَدَلْتُ عَنْ اقْتِنَاءِ الْفَوَائِدِ ، نَفْسٌ^(٢) نَصِيْبِي مِنْ
الْوَفْرِ ، وَوَفَّرْتُ حَظِّي مِنَ الشُّكْرِ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمَا يَجِلُّ عَنْهُ قَدْرُكَ ، غَيْرَ
مُخْتَارٍ لَهُ ، بَلْ مُضْطَرًا إِلَيْهِ ، فليكن منك عُذْرٌ فِيهِ ، وَشُكْرٌ عَلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

عمرو بن مسعدة

وقال عمرو بن مسعدة : كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي ،
فرفع إليه غلمانة ورقة يستزيدونه في روايتهم ، فرمى بها إليّ ، وقال : أجِبْ
عنها ، فكتبت : « قليلٌ دائمٌ خيرٌ من كثيرٍ منقطعٍ » فضرب يده على
ظهري وقال : « أيُّ وزيرٍ في جلدك !^(٣) »

(١) اللحم والقسط : الحصاة ، وكانت العرب تؤقت طلوع الحجوم ، لأهم ما كانوا يعرفون الحساب ،
وإنما يحسبون أوقات السنة بالأبواب ، وكانوا يسمون الوقت الذي يحل فيه الأداء تحما تحورا ، لأن
الأداء لا يعرف إلا باللحم ، ثم توسعوا حتى سموا ما يؤدى تحما لوقوعه في الأصل في الوقت الذي يطلع
فيه اللحم ، واشتقوا منه فقالوا : نحمت الدين تحما إذا جعلته محوما .

(٢) في الأصل « نفس » وأرى أنه محرف وصوابه نفس وهو ما يقتضيه المقام ، والوفر : العبي .

(٣) وفي حاشي الحاشي : « ووقع إلى يحيى بن خالد قوم من حشمه يستزيدونه في أرائقهم ، فأمر
أس بن أبي شيبح بالتوقيع في قصصهم ، فوقع بين يديه « قليلٌ دائمٌ خيرٌ من كثيرٍ منقطعٍ » فأعجب به
يحيى فقال : قد فاحت منك رائحة الوراثة .

محمد بن يزيد

ومن توقيعات محمد بن يزيد^(١) :

« أبوابُ الملوكِ معادِنُ الحاجاتِ^(٢) ، ومواطنُ الطَّلِبَاتِ ، وليس
لاستنجاحها واستنجازها كالصبر والملازمة ، والمُعَادَاةُ والمِراوِحَةُ .
ومنها : « ما استحالَت لي فيك نِيَّةٌ ، ولا تغيَّرتْ عقيدَةٌ ، فكيف
أُخلفُ وعَدَّكَ ، وأُحلُّ عَقْدَكَ ، وَأَنْقُضُ عَهْدَكَ ، وَأَنْسَى رِفْدَكَ؟^(٣) »

عبد الله بن محمد بن يزيد

ووقع عبد الله بن محمد بن يزيد إلى بعض أصحابه :

« يا أبا العباس . ليس عليك بأسٌ ، ما لم يكن منك بأسٌ . »

ووقع إلى عامل اغتر^(٤) بكفايته وزاد :

« يا هذا : أشرفتَ وما أنصفتَ . وأوجفتَ^(٥) حتى أعجفتَ ، وأدلتَ

حتى أملتَ ، فاستصغرتَ ما فعلتَ تبلغُ ما أملتَ . »

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن سويد آخر وزراء الأمون - انظر خبره في الفجرى

ص ٢٠٨ - .

(٢) قدمنا لك في ص ٤٣٤ من الجزء الثالث أن الأمون وقع في كتاب لأحمد بن يوسف : « الخير

متبع ، وأبواب الملوك مغاني لطالبي الحاجات ... » وفيه روايتان أخريان ، انظرها هناك .

(٣) الرفد : العطاء والصلة .

(٤) في الأصل « خاص الخاص » « اعتذر » وأرى أنه محرف ، وأن صوابه « اغتر » أو

« اعتر » أو « اعتد » .

(٥) وجف الفرس والنعير كوعد وحيفا : عدا ، وأوحفه : أعداه ، وعجفت الدابة كتنب :

هزلت ، وعجفها كنصر وصرب وأعجفها : هزلها ، وأدل عليه وتدل : انبسط ووثق بحبته

فأقرط عليه .

إبراهيم بن العباس

وورد كتاب بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بمدح رجل ودم
آخر ، فوقَّع في كتابه :

« إذا كان للمحسن من الجزاء ما يُقْنِعُهُ ، وللمُسِيء من النَّكَال
ما يَقْمَعُهُ ^(١) . بَدَلَ الْحَسَنِ الْوَاجِبَ عَلَى رَغْبَةٍ ، وَانْقَادَ الْمُسِيءِ لِلْحَقِّ رَهْبَةً » .
فوثب الناس يقبلون يده .

ووقع لرجل مَتَّ ^(٢) إليه بِحُرْمَةٍ :

« قَدْ مَتَّتْ بِحُرْمَةٍ مَأْلُوفَةٌ ، وَوَسِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، أَقُومُ بِوَأَجِبِهَا ، وَأُرْعَاهَا مِنْ
جَمِيعِ جَوَانِبِهَا » .

محمد بن عبد الله بن طاهر

ووقع محمد بن عبد الله بن طاهر إلى الكُتَّاب ، وقد ضاقت بهم
الكواعِدُ ^(٣) في أيام فتنة المستعين والمعز .

« دَقَّقُوا الْأَقْلَامَ ، وَأَوْجِزُوا الْكَلَامَ ، فَإِنَّ الْقِرَاطِيْسَ لَا تُرَامُ ،
وَالسَّلَامُ » .

واعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه ، فرأى
خطه قبيحا فوقَّع في رقعته .

(١) قمع كمنعه : فهره وذلك .

(٢) أي توسلت .

(٣) الكواعد جمع كاغد بالفتح : وهو القراطيس ، معرب .

« أردنا قبولَ عُذْرِكَ ، فاقطعنا عنه ما قابلنا من قبيحِ خطك ، ولو كنتَ صادقاً في اعتذارك ، لساعدتكَ حركةُ يدك ، أو ما علمتَ أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجية ، ويمكن له دَرَكُ البُغْيَةِ ؟ »

عبيد الله بن سليمان بن وهب

ورَفَعَ إلى عُبيدِ الله بن سليمان بن وهب عامل من عماله ، « إن في بيتِ النارِ كاثوناً من آثارِ الأَكاسِرَةِ ، وفيه أكثر من ألفي رطلِ فضةٍ ، وفي فضته توفيرٌ لبيتِ المالِ » فوقع :

« حِرْصُكَ على تَقْفِيَةِ آثارِ الأوائلِ ، يدلُّ على لؤمِ أصلِكَ ، فَبُعْدًا وَسُحْقًا^(١) لك . »

ووقع في كتابِ مَتَنَجَزِ إياه وعدا : « الشرطُ أملاكُ ، والوعدُ كأخذٍ باليدِ ، والوفاءُ من سجايا الكرامِ »

وفي كتابِ مثله : ليس كل من أنسيناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاعِ الشغلِ إيانا ، واقتسامِهِ زماننا^(٢) »

ووقع في شأنِ عاملٍ : « أنا قادر على إخراجِ هذهِ النعرةِ^(٣) من رأسه ،

(١) السحق بالضم وضمين : البعد .

(٢) انظر ما قدمناه في ص ٣٢٦ .

(٣) النعرة ضم ففتح وكرفية : الخيلاء والسكبر ، يقال : إن في رأسه نعرة : أي كبرا ، والأصل فيه أن الحمار إذا نعر (كفرح) ركب رأسه ، يقال لكل من ركب رأسه : فيه نعرة ، وفي خاص الحمار « النعرة » وهو تصحيف .

والوَحْرَةَ^(١) من صدره ، والنَّخْوَةَ^(٢) من نفسه «

ووقع إلى ابن طولون . « اتق الله في الأرصاد ، فإن الله بالمرصاد »

عبد الله بن المعتز

وكتب إلى عبد الله بن المعتز قَهْرَ مَانِهِ^(٣) يَنْسِبُ وكيه إلى الخيانة

والسرقة ، ويستأمره في الاستدلال به ، فوقع في رقته :

« أَغْنِي مَنْ وَلِيَّتَهُ عَنِ السَّرِقَةِ ، فَلَيْسَ يَكْفِيكَ مَنْ لَمْ تَكْفِهِ » .

وكتب إليه بعض مواليه يذكر جِدَّهُ في خدمته وتوقعه زيادة نظر

له ، فوقع : « مَنْ نَصَحَ الخِدْمَةَ نَصَحْتَهُ المَجَازاةُ » .

علي بن عيسى

وكتب إلى علي بن عيسى^(٤) بعض العمال في ذكر أموال متخيرة ،

وتفصيح في كتابه :

(١) الوحرة في الأصل : وزغة تكون في الصحارى أصغر من العظاءة (بكسر العين) وهي على شكل سام أبرص ، وقيل : صرب من العظاءة ، وهي صغيرة حمراء تعدو في الجباين ، لها ذنب دقيق تصعب به إذا عدت ، وهي أخبث العظاءة ، لا تطأ طعاما ولا شرابا إلا شتمته ، ولا يأكله أحد إلا أخذه فيء ، وربما هلك آكله ، والوحر بالتحريك أيضا : غش الصدر وبلابله والفيظ والحقد ، قالوا : وأصل هذا من تلك الدويبة التي يقال لها الوحرة ، شهبوا العداوة ولروقتها الصدر بالتزاق الوحرة بالأرض ، وفي خاص الحاص « والوغرة » وهو تحريف .

(٢) النخوة : الكبر والعظمة ، وفي رهر الآداب « والحررة » وهو تحريف .

(٣) القهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس .

(٤) هو علي بن عيسى بن الجراح ، ولي الوزارة للمقتدر مرارا ، وكان هو وعلي بن القرات

يتناوبان الوزارة - انظر خبره في الصخرى ص ٢٤١ .

« دعنى من تشديقتك وتقييرك ، وتفاصح على نظيرك ، تخير الكلام
ما قلَّ ودلَّ ولم يُعَلِّ » .

وكتب إليه ابن الفرات يستشهده على زور فوقع في رقته :
« لا تُلني على نُكوصي عن الشهادة لك بالزور ، فإنه لا بقاء لاتفاق
على نفاق ، ولا وفاء لئدي مئين^(١) واختلاق^(٢) ، وأحرى بمن تمدى الحق في
موافقتك إذا رضى ، أن يتخطى إلى الباطل في مخالفتك إذا سخط ، وبين كذب
لك ، أن يكذب عليك » .

« العقد الفريد ١ : ٨٣ ، ٢ : ١٦٥ ، ١٨٧ - ١٩١ وزهر الآداب ١ : ٢٣٠ ، ٣٠٥ ،
٣٠٦ ، ٣٣٤ و ٢ : ٤٣ و ٣ : ١٩٩ ، ٣٥٤ وخاص الحاص للثعالبي ص ٦٨ - ٧٢ ووفيات
الأعيان ١ : ١٠٥ ، ٣٩٠ والكامل للبرد ١ : ١٤٣ ونهاية الأرب ٧ : ٢٦١ ومقدمة ابن
خلدون ص ٢٧٤ وعيون الأخبار م ٣ : ص ١٠٠ وتاريخ الطبرى ٩ : ٣١٥ وكتاب الأوراق
لأبي بكر الصولى ١ : ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ومعجم الأدباء ٦ : ٩٠
(طبع هدية) وأدب الكتاب ص ٥٣ وغرر الخصاص الواضحة ص ٣٥ ، ص ٢٩٥ وكتاب بغداد
لابن طينور ٦ : ١٢٧ - ١٢٩ .

(١) المين : الكذب .

(٢) فى الأصل « واختلاف » وهو تصحيف .

استدراك

فاتنا أن نورد هذه الرسالة في موضعها من الجزء الثالث ، وهامى ذى :

رسالة الإمام مالك

في

السنة والمواعظ والآداب

كتبها

الى امير المؤمنين

هارون الرشيد

ووزيره يحيى بن

عبد البرمكي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رُشداً ، ولم أدخرك فيه نُصحا ، تحميداً لله ، وأدبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدبره بعقلك ، وردد فيه بصرك ، وأرعه سمعك ، ثم اعقله بقلبك ، وأحضره فهمك ، ولا تُعيبن عنه ذهنك ، فإن فيه الفضل في الدنيا ، وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة ، أذكر نفسك غمرات الموت وكربته ، وما هو نازل بك منه ، وما أنت موقوف عليه بعد الموت ، من العرض على الله سبحانه ، ثم الحساب ، ثم الخلود بعد الحساب . وأعد الله عز وجل ما يسهل به عليك أهوال تلك المشاهد وكربها ، فإنك لورأيت أهل سُخطِ الله تعالى ، وما صاروا إليه من ألوان العذاب ، وشدة نِقمة عليهم ، وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم ، مع كَلُوح^(١) وجوههم ، وطول غمهم وتقلبهم في دركاتهما على وجوههم ، لا يسمعون ولا يُبصرون ، ويدعون بالويل والثبور^(٢) - وأعظم من ذلك حسرة إعراض الله تعالى عنهم ، وانقطاع رجائهم ، وإجابته إياهم بعد طول

(١) كَلُوح كَمَح كَلُوحًا وَكَلُوحًا : تَكَثَّرَ فِي عَمُوس .

(٢) الثُّبُور : الْهَلَاكُ

الغنى بقوله : « اِخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » - لم يتعاطفك^(١) شئ من الدنيا
إن أردت النجاة من ذلك ، ولا أمنتك من هوله ، ولو قدّمت في طلب النجاة
منه جميع ما ملك أهل الدنيا ، كان في معانتك ذلك صغيرا ، ولو رأيت أهل
طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلتهم مع قُرْبهم
من الله عز وجل ، ونَصْرَة وجوههم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ،
والنظر إليه ، والمكانة منه ، لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به صغيرا ما عند
الله ، ولصغر في عينك جسيم ما طلبت به صغيرا ذلك من الدنيا ، فاحذر على
نفسك حذرا غير تغرير ، وبادر بنفسك قبل أن تُسبق إليها ، وما تخاف
الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل ، وأنت تقدر بإذن
الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها ، قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم
لا تقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك انفسك نصيبا بالليل
والنهار ، وصل من النهار اثنتي عشرة ركعة ، واقرا فيهن ما أحببت ، إن شئت
فصلهن جميعا ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم أنه قال : « من صَلَّى من النهار اثنتي عشرة ركعةً بنى الله له بيتا
في الجنة » ، وصل من الليل ثمانى ركعات بجزء من القرآن ، وأعط كل
ركعة حقها والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلهن مشى
مشى ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى من الليل ثمانى
ركعات ، والوتر ثلاث ركعات ، سوى ذلك ، يسلم من كل اثنتين ، وصم

(١) تعاطفه : عظم عليه .

ثلاثة أيام من كل شهر: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ذلك صيامُ الدهر » وأعطى زكاة مالك طيبة بها نفسك ، حين يحول عليها الحول ، ولا تؤخرها بعد حلها^(١) ، وضعها فيمن أمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا في أهل ملتك من المسلمين ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله تعالى لم يرض من الصدقة بحكم نبي ولا غيره حتى حدها هو على ثمانية أجزاء » ، قال عز وجل: « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَارِسِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ » واحجج حجة الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيبًا ، وبلغني أن قوله تعالى : « فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ » غفر^(٢) له .
 مُر بطاعة الله ، وأحبب عليها ، وأنه عن معاصي الله تعالى ، وأبغض عليها ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنَّمَا هَلَكٌ مِّنْ كَانَ قَبْلِكُمْ بتركِهِمْ نَهْيِهِمْ عَنِ الْمَعاصِي ، وَلَمْ يَنْهَوْهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ^(٣) ، فَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ الَّذِي تَزَلُّ بِهِمْ ، فَإِنِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، لَا يُقَدِّمُ أَجْلاً ، وَلَا يَقْطَعُ رِزْقًا » . أحسن إلى من خولك^(٤) الله تعالى ،

(١) حل الحق حلا وحلولا : وجب .

(٢) الغفر : الغفران .

(٣) الرباني : منسوب إلى الرب أي الله تعالى كقولهم إلهي : هو التأله العارف بالله ، والخبير

بالكسر ويفتح : العالم .

(٤) التخويل : التملك ، خوله الله نعمة : ملكه إياها ، والمعنى : إلى خدمك وعبيدك الذين

تملكهم وتلى أمرهم .

واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يُصليُّ فأنصرف وقال : « أُطَّتْ^(١) السماء ، وحقَّ لها أن تَئِطَّ ، ما فيها موضعُ أربع أصابعٍ إلا عليه جَبْهَةٌ مَلَكٍ ساجد ، فمن كان له خَوْلٌ^(٢) فليُحْسِنِ إليه ، ومن كرهه فليَسْتَبْدِلْ ، ولا تعذبوا خلق الله . أَلْزِمِ الأَدبَ مَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ وأدبَهُ ، ومن يجب عليك النظرُ في أمره ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للفضل بن العباس : « لا ترفعُ عصاك عن أهلِكَ ، وأخفهم في الله . لا تستسلمِ إلى الناس ، واستجرهم^(٣) في طاعة الله ، لا تغمص^(٤) الناس ، واخفِضْ لهم جناحك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا أحدثكم بوصية نوح ابنه ، قال : أمرُك باثنين ، وأنهاك عن اثنين : أمرُك بقول : لا إله إلا الله ، فإنها لو كانت في كفة ، والسموات والأرض في كفة ، وزنتها ، ولو وضعتها على حلقة قصمتها ، وقل : سبحان الله وبحمده ، فإنها عبادة الخلق ، وبها تُقَطَّع^(٥) أرزاقهم ، فإنهما يُكثِران لمن قالهما الوُلوَجَ على الله عزَّ وجل ، وأنهاك عن الشُّركِ والكِبَرِ ، فإن الله محتجبٌ عنهما ، فقال له بعض أصحابه : أمِنَ الكِبَرُ أن يكون لى الدابة النَجِيبةُ^(٦) ؟ قال : لا ، قال : أمِنَ الكِبَرُ أن يكون لى الثوبِ الحَسَنِ ؟ قال :

(١) أط يَطُّ أطيظا : صوت .

(٢) الخول : ما أعطاك الله من العبد والخدم ، الواحد خائل ، وقد يكون الخول واحدا .

(٣) استجرهم : أى استخدمهم ، والجري كفى : الحادم .

(٤) غمصه كضرب وسمع وفرح : احتقره وعابه وتهاون بحقه .

(٥) أى تقدّر .

(٦) النجبية : الكريمة التى يساقى عليها .

لا ، قال : أفن الكبر أن يكون لى الطعامُ أجمع عليه الناس ؟ قال : لا ، إنما الكبر أن تسفه^(١) الحق ، وتتمص الخلق . وإياك والكبر والزهو ، فإن الله عز وجل لا يحبهما ، وبلغنى عن بعض العلماء أنه قال : « يُحشَر المتكبرون يوم القيامة فى صور الدر^(٢) ، تطوُّهم الناس بتكبرهم على الله عز وجل » . لا تأمن على شىء من أمرك من لا يخاف الله ، فإنه بلغنى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « شاور فى أمرك الذين يخافون الله » . احذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك ، فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا^(٣) ، وهو مع التى استولت عليه ، ومن وقي بطانة السوء فقد وقي » واستبطن أهل التقوى من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه ، وارزع حق جارك : يذل المعروف ، وكف الأذى عنه ، فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » واتق فضول المنطق ، فإنه بلغنى عن ابن مسعود أنه قال : « أندركم فضول المنطق » . وأكرم من وادك وكافئه بمودته ، وإياك والغضب

(١) سفه كمرح : جهل

(٢) الدر : صغار الرمل .

(٣) الخبال : العساد .

في غير الله . لا تأمر بخير إلا بدأت بفعله ، ولا تنه عن سوء إلا بدأت بتركه .
دَعُ من الأمر ما لا يعنيك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » . صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَاغْفُ عَمَّنْ
ظَلَمَكَ ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« إِنَّهَا أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . اتَّقِ كَثْرَةَ الضَّحْكَ ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى
السَّفَةِ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ضحكه كان تبسُّماً . لا تَمْرَحْ
فَتُدْمَ تَفْسِكَ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنِّي لَأَمْرَحُ
وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » . لا تُخَالِفْ إِلَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ ، وَإِذَا نَطَقْتَ فَأَوْجِزْ ،
فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي نَارِ
جَهَنَّمَ إِلَّا هَذَا ؟ يَعْنِي لِسَانَهُ » . لا تُصَاعِرْ ^(١) خَدَّكَ لِلنَّاسِ ، فإنه بلغني عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلُّ هَيْئٍ لَيْسَ سَهْلٌ طَلَّقَ » .
اترك من أعمال السر ما لا يحسن بك أن تعمله في العلانية ، اتق كل شيء
تخاف فيه تهمته في دينك ودنياك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفُ مَوَاقِفَ التَّهْمِ » . أَقْلِلْ طَلِبَ
الْحَوَائِجِ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ غَضَاظَةً ^(٢) ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال لرجل : « لَا تَسْأَلِ النَّاسَ » . وليكن مجلسك بيتك أو مسجدك ،
فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الْمَسَاجِدُ بِيُوتِ الْمُتَّقِينَ » .
لا تُكْثِرِ الشُّخُوصَ مِنْ بَيْتِكَ إِلَّا فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ ، فإنه بلغني عن النبي صلى

(١) صَعَّرَ حِدَهُ وَصَاعَرَهُ وَأَصْعَرَهُ : أَمَالَهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى النَّاسِ مَهَابًا مِنْ كَرَمِ .

(٢) الْعِصَابَةُ : الدَّاءُ وَالْمَقْصَةُ .

الله عليه وسلم أنه قال : « ستة مجالس المسلم ضامنٌ على الله ما كان في شيء منهن : في سبيل الله ، أوفى بيت الله ، أوفى عيادة مريض ، أو شهود جنازة ، أو الجمعة ، أو عند إمام مُقْسِطٍ ^(١) يعزُّرُه ويوقِّره » . أحسنُ خُلُقك مع أهلك ومن اعترَبك ، فإن في ذلك رضا لربك ، ومحبة في أهلك ، ومثراً ^(٢) في مآلك ، ومنسأة ^(٣) في أجلك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك . أحسن البشر إلى عامة الناس ، واتق شتمهم وغيبتهم ، فإن الله تعالى قال : « أَيُّبُّ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » . وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تشتم الناس » . اتق أهل الفُحش ، ومجالسة أهل الردى ، ومحادثة الضعفة ^(٤) من الناس ، فإنه بلغني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « اعتبر الناس بأخذانهم ^(٥) ، فإنما يخادِن الرجل الرجلَ مثله » . أكرم اليتيم وارحمه واعطف عليه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كفل يتيماً له أو لغيره كنتُ أنا وهو في الجنة كهاتين » وأشار بأصبعيه ، فضمَّهما . اعرف لابن السبيل حقه ، واحفظ وصية الله تعالى فيه ، فإنه بلغني أن أول من أضاف ^(٦) الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام . أعن المظلوم ، وانصره ما استطعت ، وخذ على يد

(١) مقسط : عادل (وفي العدل لغتان : قسط وأقسط ، وفي الجور لغة واحدة ، قسط بغير الألف)
 والتعزير : التفخيم والتعظيم .
 (٢) مزاة : أي مكررة .
 (٣) منسأة : أي تأخير .
 (٤) جمع ضعيف .
 (٥) الأخدان جمع خدن بالكسر وهو : الصاحب ، وخادنه : صاحبه .
 (٦) أضاف الرجل وضيَّفه : أنزله به ضيفاً ، وضافه يضيفه ضيفاً وضيافة وتضيفه : نزل عليه ضيفاً ، وفي الأصل « ضاف » وهو تحريف .

الظالم ، وادفعه عن ظلمه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ، ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام » .
اتق اتباع الهوى في ترك الحق ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « إني أخاف عليكم اثنتين : اتباع الهوى وطول الأمل ، فإن اتباع
الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسى الآخرة » . أنصف الناس
من نفسك ، ولا تستطل عليهم ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « أشرف الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ
من المال ^(١) ، وإنصاف الناس من نفسك » . اغضض بصرك عن محارم
الله ، فإنه بلغني عن علي كرم الله وجهه أنه قال : « لا تتبع النظرة النظرة ،
فإنما لك النظرة الأولى ، وليست لك الأخرى » . اتق المطعم الوبي ^(٢) ،
والمشرب الوبي ، والملبس الوبي ، فإن ذلك تذهب أنفته ^(٣) ، وتبقى عاقبته ،
وإن الله سبحانه أدب رسله ، فقال : « كُتِلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا
صَالِحًا » وقال النبي عليه السلام : « من أكل بأخيه المسلم أكلة
أطعمه الله مكانها أكلة من نار ، ومن سَمِعَ ^(٤) بأخيه المسلم سَمِعَ الله به يوم
القيامة ، ومن لبس بأخيه المسلم ثوبا ألبسه الله مكانه ثوبا من نار » . اقبل
عذر من اعتذر إليك ، ورجع عما كرهت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) آسأه بحاله : أناله منه وجعله فيه أسوة أي قدوة .

(٢) الوبي : مسهل عن الوبيء ، يقال : أرض وبيئة ووبئة : أي كثيرة الرباء وهو الطاعون ،

والمراد هنا : المكسوب من طريق غير سريف ، الأخوذ من غير حل .

(٣) أنف الشيء : وأفته : أوله وابتدأؤه .

(٤) التسميع : التشنيع والتشهير .

أنه قال : « من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يعذره ، كان عليه مثلُ وزر صاحب مكس^(١) » . لتكن يدك العليا على كل من خالطت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اليد العليا^(٢) خير من اليد السفلى » . أوصب الأخيار ، فإنهم يُعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما تحابَّ رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه » . صل رحمتك وإن قطعك ، ولا تكافئه بمثل ما أتى إليك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له : إن لي أقرباء ، أعفو ويظلموني^(٣) ، وأصل ويقطعونني ، وأحسن ويسيتون إلى^(٤) ، أفكافئهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إذن تُتركوها جميعا ، ولكن إذا أساءوا فأحسن فإنه لن يزال لك عليهم من الله ظهير^(٥) » . ارحم المسكين المضطر ، والغريب

(١) جاء في لسان العرب : المكس : الضريبة التي يأخذها الماكس ، وهو العشار ، ويقال للعشار صاحب مكس ، وفي الحديث « لا يدخل صاحب مكس الجنة » وفي حديث ابن سيرين قال لأنس : « تستعملني على المكس أي على عشور الناس فأما كسهم ويماكسوني » قيل معناه : تستعملني على ما ينقص ديني ، لما يخاف من الزيادة والقصان في الأخذ والترك اه نقل عن النهاية في غريب الحديث لابن الأثير - انظر ج ٤ : ص ١٠٣ .

(٢) اليد العليا : العطية ، واليد السفلى : المعطاة ، وهو حث على البر والصدقة .

(٣) هكذا في الأصل ، وقد ذكروا أن نون الرفع تحذف جوازا بكثرة في الفعل المتصل بنون الوقاية نحو قوله تعالى « قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » بتخفيف النون في قراءة نافع ، فالصحيح عند سيبويه أن المحذوف نون الرفع والمذكور نون الوقاية ، وقيل المحذوف نون الوقاية ، وتحذف نون الرفع جوازا بقله في غير ذلك نحو قوله :

أبيت أسرى وتبتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

وفي الحديث : « والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » .

(٤) في الأصل « ويسيتوني » والذي في كتب اللغة أن « ساء » متعد بنفسه ، يقال : ساءه يسوءه : فعل به ما يكره ، تقيض سره ، وأساء متعد بجرف الجر ، يقال : أساء إليه تقيض أحسن إليه ، ويقع متعديا بنفسه ولكن بمعنى أسد ، يقال أساء الشيء : أي أسده ولم يحسن عمله .

(٥) أي معين .

المحتاج ، وأعينه على ما استطعت من أمره ، فإنه بلغني عن ابن عباس أنه قال :
« كل معروف صدقة » . ارحم السائل وارُدْهُ من بابك بفضل معروفك ،
بالبذل منك ، أو قول معروف تقوله له ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال : « رُدَّ عَنْكَ مَذْمُومَةُ السَّائِلِ ، [ولو] بمثل رأس الطير من
الطعام » . لا تزهد في المعروف عند من تعرفه ، وعند من لا تعرفه ، فإنه
بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تزهد في المعروف ، ولو أن
تصَّبَّ مِنْ دُلُوكَ فِي إِيَّائِ الْمُسْتَقِي » . أرِدْ بكل ما يكون منك من خير إلى أحد
الله ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قوله عز وجل : « فَوَيْلٌ
لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاهُونَ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ » قال : « المنافق » : الذي إن صلى رآه ، وإن فاتته لم يبلغ إليها ،
« ويمنعون الماعون » قال : الماعون : الزكاة التي فرضها الله عز وجل . إياك
والرياء ، فإنه بلغني أنه لا يصعد عمل المرأى إلى الله عز وجل ، ولا يزكِّيه
عنده . إن استطعت أن تعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل ، فإنه بلغني
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نَصَّرَ اللَّهُ أُمَّرَأَةً تَسْمِعُ مَقَالَتِي فَوْعَاهَا
حَتَّى يَبْلُغَهَا غَيْرَهُ ، فَرُبَّ غَائِبٍ أَحْفَظُ مِنْ شَاهِدٍ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ غَيْرُ
فِقْهِهِ » . لا يغفل قلب امرئ مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ،
والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من
ورائهم . إياك وسوء الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصي الله تعالى ، وقد بلغني عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » . اخضع لله إذا

خلوت بعملك، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن ملكاً أتاه فقال : إن ربك يُقرئك السلام ويقول : إن شئت أجعلك ملكاً نبياً ، أو عبداً نبياً ، فأشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع ، فما أكل متكثاً حتى مات » .
لا تظلم الناس فيديهم^(١) الله عليك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : « ما ظلمتُ أحداً أشدَّ عليَّ ظمناً ، من أحد لا يستعين عليَّ إلا بالله تعالى » . احذر البني ، فإنه عاجلُ العقوبة ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أعجلَ الخير ثواباً صلةُ الرحم ، وإن أعجلَ الشر عقوبةً البينُ الغموس^(٢) ، تترك الديار بلا قيع^(٣) » . لا تحلف بغير الله في شيء ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تحلفوا بآبائكم ، ليحلف حالفٌ بالله أو ليسكت » ولا تحلف بالله في كل شيء ، فإنه بلغني أن ذلك قوله تعالى « وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ » . أرحم الناس يرحمك الله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . أحبب طاعة الله يُحبك الله ويحببك إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيه : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » وقال عليه السلام : « إن الله جعل قرّةَ عيني في السجود » وقال بعض العلماء : « ما أسرَّ عبد قطُّ سريرةً خيراً إلا ألبسه الله رداءها ، ولا أسرَّ سريرةً شراً قطُّ إلا ألبسه الله رداءها » . وليكن عليك السكينة والوقار في منطقتك ومجلسك ومركبتك ، فإنه بلغني عن النبي

(١) أي فينصرهم ويعطيهم الغلة .

(٢) البين الغموس : هي البين الكاذبة التي يعتمدها صاحبها علماً بأن الأمر بخلافه ، وصميت بذلك لأنها تنفس صاحبها في الإثم ثم في النار .

(٣) جمع يتبع كجعفر : الأرض القفر .

صلى الله عليه وسلم أنه قال ، والناس يزحفون حوله : « عليكم بالسكينة » .
أعطى دابتك إذا ركبها حظها من الأرض ، وحظها من المقصد عليها ، بلغنى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا ركبتم هذه الدواب العُجمَ
فأعطوها حظها من الأرض » . عليك بالحلم والإغضاء عما كرهت ،
ولا تمنع^(١) ذلك من أحد بلغك عنه أذى ولا تكافئه ، فإن فى ذلك الفضل
فى الدنيا والآخرة ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب
الحليم الحَيَّ العفيف المتعفف » . ادفع السيئة بالتي هي أحسن ، بلغنى عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها السلمي : اتق العقوق وقطيعة
الرحم ، فإن فى ذلك شيناً فى الدنيا ، وتباعداً فى الآخرة » ، وبلغنى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اشتكت الرحم إلى الله عز وجل ممن
يقطعها ، فردَّ الله عليها : أما ترصين أن أصل من وصلك ، وأقطع من
قطعتك ! » . إذا غضبت من شىء من أمر الله ، فاذا كر ثواب الله على كظم
الغيظ ، قال عز وجل : « وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » ، وبلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما امتلأ
رجل غيظاً ، فكظمه الله ، إلا ملأه الله رضواناً يوم القيامة » . إذا وعدت
مَوْعِداً فى طاعة الله فلا تخلفه ، وإذا قلت قولاً فى رضا الله فأوف به ودُم عليه ،
بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تكفل لى بسيتٍ أتكفل
له بالجنة : إذا حدث لم يكذب ، وإذا وعد لم يخلف ، وإذا أوتى لم يمن ،

(١) فى الأصل « ولا تمنع » وأراه محرفاً .

وَعَضَّ بَصْرَهُ ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ ، وَكَفَّ يَدَهُ . إِذَا حَلَفْتَ عَلَى عَيْنٍ لَيْسَتْ
 مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا تَهَمَّنْ بِهَا وَكُفِّرْهَا ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّهُ قَالَ : « لَأَنْذَرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ » وَكُفَّارَتِهَا كُفَّارَةُ يَمِينٍ ، وَالنَّذْرُ يَمِينٌ ، وَإِذَا
 حَلَفْتَ عَلَى عَيْنٍ ثُمَّ رَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكُفِّرْ عَنِ
 يَمِينِكَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ . إِيَّاكَ وَالتَّزْيِيدَ
 فِي الْقَوْلِ ، وَأَنْ تَقُولَ قَوْلًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْإِمَامُ
 الْكُذَّابُ ، وَالْعَائِلُ الْمَرْهُوُّ^(١) ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي » . بِرَّ^(٢) وَالذِّكْرُ وَخُصَمَاهُمَا
 مِنْكَ بِالْإِسَاءَةِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ ، وَأَكْثَرُهُمَا الْإِسْتِغْفَارُ ، وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ قَبْلَهُمَا ،
 فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » فَدَأَّ بِنَفْسِهِ قَبْلَ
 وَالذِّكْرِ ، وَبَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ^(٣) لَهُ
 فِي عَمْرِهِ ، وَيَزَادَ فِي رِزْقِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلْيَصِلْ رَحْمَتَهُ » . اشْكُرْ لِلنَّاسِ
 مَا أَتَوْا إِلَيْكَ مِنْ خَيْرِهِمْ ، وَكَافَّهُمْ إِنْ قَدَّرْتَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ »
 إِذَا رَكِبْتَ دَابَّةً فَوَضَعْتَ رِجْلَكَ فِي الرَّكْبِ فَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ ، وَإِذَا
 اسْتَوَيْتَ رَاكِبًا فَقُلْ : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ^(٤) » .

(١) العائل : الفقير ، عال يعيل عيلا وعيلة : افتقر ، والمرهو : المتكبر ، من الرهو : وهو
 الكبر والتيه والفخر ، وقد زهى كفى ، وكدعا قليلة .

(٢) فعله كعلم وصره .

(٣) أى يؤخر .

(٤) أى مطيقين ، أقرن للامرء : أطافه وقوى عليه ، وعن الأمر ضعف ، ضد ، وأوله الآية الكريمة

فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة .
إذا أكلت وشربت فاذا ذكر اسم الله ، فإن نسيت في أول حالك فاذا ذكره إذا
ذكرت ، بلغني عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « تذكر اسم الله
حين تأكل^(١) ، فإنه يحول بين الخبيث وبين أن يأكل معك^(٢) ، ويتقيأ
ما أكل » ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ،
فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ،
وإذا أكلت ومعك آخر فكل مما يليك يمينك ، ولا تأكل من فوق
الطعام ، ولا من بين يدي أحد ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
لرجل يفعله : « اذكر اسم الله ، وكل مما يليك ، وكل يمينك ولا تأكل
بشمالك ، ولا تشرب بشمالك » ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« إنها إكالة الشيطان » . لا تسافر ما استطعت إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس ،
لا يسافر إلا فيه . إذا أصابك كرب فقل : يا حيُّ يا قيُّومُ ، برحمتك
أستغيثُ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك عند
الكرب . احترس ممن يقرب إليك بالنميمة ، ويبلغ الكلام عن الناس ،
بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ملعونٌ من لعن أباه ملعونٌ من

« وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَوْنَ كَيْونَ ، لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا
نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي . . . »

(١) في الأصل « تذكر » وأراه محرفاً .

(٢) في الأصل « معه » .

لَعَنَ اللَّهُ ، ملعونٌ من غيرِ تخوم^(١) الأرض ، ملعون كلُّ صقَّار ، وهو النَّمَامُ . لا تجرُّ ثيابك ، فإن الله لا يحب ذلك . وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من جرَّ ثيابه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » . أطع الله في معصية الناس ، ولا تطع الناس في معصية الله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاطاعةً لمخلوق في معصية الخالق » . إذا أصابك حزن أو سقم أو ذلة أو آواء^(٢) - يعني الجوع - فقل : الله ربي لا أشرك به شيئاً ، ثلاث مرات ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بذلك من أصابه شيء من ذلك . اصبر على ما أصابك من فجائع الدنيا وأحزانها ، لقول الله تعالى « إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . لا تمارين أحدا وإن كنت مُحِقًّا ، بلغني أن قول الله عز وجل « فَلَا رَفَثَ^(٣) وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » أنه المرء^(٤) . إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ، فإن كان مُشَدًّا فَأَمْضِهِ ، وإن كان غيًّا فانتَه عنه » . إياك والتجريد^(٥) خاليا ، فإنه ينبغي لك أن تستحي من الله إذا خلوت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(١) التخوم : الفصل بين الأرضين من العالم والحدود .

(٢) في اللسان : الآواء : الشدة وضيق المعيشة ، ومنه الحديث « من صبر على آواء المدينة ... » والآواء المشقة والشدة وقيل القحط ، يقال أصابتهم آواء وشصاصاء بالفتح وهي الشدة ، وتكون الآواء في العلة .

(٣) الرفث : الجماع والفحش .

(٤) كفا في كتب التفسير قالوا : ولا جدال : أي ولا مرء مع الحدم والرفقة ، والمرء : المجادلة

(٥) التجريد : التعرية من الثياب .

« لا أحب أن يلي لي شيئاً من لا يستحي من الله في الخلاء » . وإياك أن تدخل الحمام والماء إلا بإزار ، ولا يدخل معك أحد الحمام إلا بإزار ، ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر فغض طرفك عن كل أحد كان مكشوفاً ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدخل الحمام إلا بإزار » . أفش السلام ، وإن استطعت ألا يسبقك أحد إليه فافعل ، تعط بذلك فضلا عن الناس ، وبلغني عن ابن مسعود أنه قال : « السلام اسم من أسماء الله وضعه فيكم ، فأفشوه فيكم ، فإن الرجل إذا سلم كتب له عشر حسنات » . أدب ولدك ومن وليت أمره على خلقك وأدبك ، حتى يتأدبوا على ما أنت عليه ، فيكونوا لك عوناً على طاعة الله ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : « كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن » . وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكت ، واجتهد رأيك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المستشار بالخيار ، إن شاء تكلم ، وإن شاء سكت » . لا تفس على أحد سرا أفشاه إليك ، فإنما هي أمانة استودعكها وأتمنك عليها ، إلا أن يكون إفشاؤه خيراً له في دنياه وآخرته ، فأفشيها عليه وانصحه فيها ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حق المسلم على المسلم إذا استنصحه أن ينصحه » . إذا تعلمت علماً من طاعة الله فليُر عليك أثره ، وليُر فيك سمته ، وتعلم للذي تعلمه ، وتعلم له السكينة والحلم والوقار ، بلغني عن النبي صلى الله

عليه وسلم أنه قال : « العلماء ورثة الأنبياء » . رُدَّ جوابَ الكتاب إلى كلِّ أحد كتب إليك ، فإنما هو كردُّ السلام ، قال الله عز وجل : « وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « أرى رجَعَ الكتاب علىِّ حقاً ، كما أرى رجَعَ السلام » . الزم الحياء فإنه خُلِقَ الإسلام ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل شيء خلق ، وخلق الإسلام الحياء » . إذا سافرت فقل : اللهم إني أعوذ بك من وَعْثَاء^(١) السفر ، وكآبة المنقلب ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال ، والحوْر بعد الكور^(٢) ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك إذا سافر . إياك وظلم الضعيف ومن لا يستعين عليك إلا بالله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يُفطر ، ودعوة المظلوم فإنها تصعد فوق الغمام ، فيقول الله لها : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين » . إذا ودَّعت مسافراً فقل : زودك الله التقوى ، وغفر لك ذنبك ، ويسر لك الخير حيثما كنت ، أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بها أصحابه . إذا حضرت أمراً ليس لله بطاعة ، ولا تقدرُ على أن تدفعه ، فقم عنه ولا تقعد ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يمنع أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق إذا شهده أو علمه » . الزم

(١) الوعْثاء : المتثقة .

(٢) الحور : النقصان ، والكور : الريادة ، وفي الحديث : « عوذ بالله من الحور بعد الكور »

أي من النقصان بعد الريادة ، وقيل : معناه من ساد أمورنا بعد صلاحها .

السُّوَاكُ فَإِنَّهُ سُنَّةٌ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « السُّوَاكُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ » . أَفْشِ الصَّدَقَةَ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ مِنْ أَطِيبِ مَالِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ أَحَدُكُمْ لِيَتَصَدَّقَ بِالتَّمْرَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - فَيَجْعَلُهَا فِي كِفِّهِ ، فَيُرَبِّبُهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ قَلْوَهُ ^(١) أَوْ قَصِيصَهُ ، حَتَّى تَكُونَ فِي يَدِهِ مِثْلَ الْجَبَلِ » . إِذَا نَزَلَتْ بِكَ كُرْبَةٌ مِنْ كَرَبِ الدُّنْيَا فَلْيَكُنْ مَفْرَعَكَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ تَنْزِلُ بِكَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَنْ يَنْزَلَ بِعِيدٍ قَطُّ أَمْرٌ كَانَ مَفْرَعُهُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ » . لَا تَضْطَجِعْ عَلَى بَطْنِكَ إِذَا نِمْتَ ، وَلَا فِي غَيْرِ نَوْمِكَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّهَا لَضَجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ » . أَوْفِ بِالْعَهْدِ إِذَا أُعْطِيَتهَ مِنْ نَفْسِكَ لِكُلِّ أَحَدٍ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَحَقُّ مَا وَفَّى بِهِ عَهْدُ اللَّهِ » . إِذَا حَضَرَتِ السُّلْطَانَةَ فَاسْتَفْعِ بِخَيْرٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْكَلَامَ عِنْدَهُ إِلَّا بِمَا يُرْضَى اللَّهُ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أَسِرَّ مَا أَرَدْتَ بِهِ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ

(١) القلو بالكسر وكعدو وصمو : الجحش أو المهر فظما أو بلغا السنة ، والفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صدقة السر تطفى غضب الرب » . اتق كثرة
التركية لنفسك ، أو ترضى بها من أحد يقولها لك في وجهك ، بلغنى أن
رجلا امتدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « وَيُحِكْ قَطَمَتَ عُنُقِهِ !
ولو سمعها ما أفلح أبدا » . إياك ومدح الناس والثناء عليهم في وجوههم ،
بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « احْتُوا^(١) التراب في وجوه
المداحين » . طهر ثيابك ونقها من معاصي الله تعالى ، فإنه بلغنى أن قوله
« وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » يأمره ألا يلبسها على عذرة^(٢) . واكره لكل أحد
ما تكره لنفسك ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بايع جريرا البجلي
على الإسلام والنصيحة لكل مسلم ، إياك والحسد والشرة ، بلغنى أنهما
خُلِقَانِ مُرَدِيَانِ لصاحبهما في الدنيا والآخرة ، وقال صلى الله عليه وسلم :
« لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رجل آتاه الله مالا وسلطه على إنفاقه في الحق ،
ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » . اقتد في أمورك برأى ذوى
الإنصاف من أهل التقوى ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« حياركم شبانكم المتشبهون بشيوخكم ، وشراركم شيوخكم المتشبهون
بشبانكم » . لا تحتكر^(٣) أحدا ، ولا تجالس ما بونا^(٤) فإن الوحدة خير من
جليس السوء . عليك بمعالى الأخلاق وكرمها ، واتق رذائلها وما تنفسف

(١) حنا التراب في وجهه يحشوه ويحشبه حشوا وحشيا : رماه .

(٢) العذرة : الغائط .

(٣) الحكر بالفتح : سوء المباشرة ، وفعله كضرب ، يقال : فلان يحكر فلانا إذا أدخل عليه

مشقة ومضرة في معاشرته ومعايشته .

(٤) أى متها بشر .

منها ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب معالي الأخلاق ، ويكره سفاسفها^(١) » . إذا رأيت من فضلت عليه في دينك ودنياك فأكثر حمد الله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنعم الله على عبد بنعمة فقال الحمد لله ، إلا كان ذلك أعظم من تلك النعمة وإن عظمت » . لا تترك الميثة^(٢) الحمراء ، ولا تلبس المعصفر ، فإنه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذلك . إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعدا فاضطجع ، بلغني ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . لا تطيرن من شيء تراه أو تسمعه ، وإذا كان من ذلك شيء فقل : اللهم لا يأتي بالخير إلا أنت ، ولا يدفع السوء إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئا لا تتوضأ بشيء مما تأكل من الطعام ، ولا تدلك به في الحمام ، فإن ذلك من الجفاء ، لا تتخلقن بالخلق^(٣) إلا أن يكون في إثر النورة^(٤) ليذهب ريحها . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينما رجل في بردين له متخلق يتبختر فيهما إذ ساخت به الأرض فهو يتجلجل^(٥) فيها إلى يوم القيامة » . لا تُقبرن^(٦) أظفارك بالحناء ولا يديك

(١) سفاسف الأخلاق : رديها

(٢) الميثة : مركب من مركب الأعاجم من ديباج أو حرير ، وثوب مصفر . مصوغ بالمصفر كقنفذ .

(٣) الخلق : ضرب من الطيب ، وتخلق : تطيب .

(٤) النورة : حجر الكاس تم غلبت على أخلاط نضاف إلى الكلس من زرنيع وغيره وتستعمل لإزالة الشعر .

(٥) التجلجل : السوخ في الأرض .

(٦) غبره به تغييرا : لطحه به ، وفي الأصل « لا تقبرن » وهو تصحف .

إذا دخلت الحمام ، فإنه ليس من سيمى أهل الفضل ، ولا تحلف بالطلاق ولا بالعتاق ، فإنها من أيمان الفساق ، بلغني عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : « أربع جائزة إذا تكلم بهن : الطلاق والعتاق والنكاح والنذر ، وأربعة يُمسون والله عليهم ساخط ، ويُصبحون والله عليهم غضبان : المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتى بهيمة ، أو عمل عمل قوم لوط ، لا تتطيبن بشيء من الطيب يظهر لونه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « طيب الرجل ما بطن لونه وظهر ريحُه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وبطن ريحُه » الزم الراى الحسن ، والهدى^(١) الحسن ، والاقتصاد ، بلغني عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « الراى الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » إن استطعت ألا تدع العمامة والبرد في العيدين والجمعة فافعل ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة ، وقال : « إن الله تعالى أعز الإسلام بالعمام والألوية » . إذا طلاك أحد بالتورة فبلغ المراق^(٢) فلا يل ذلك منك إلا نفسك ومن يُحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء أنه كان يلبس ذلك من نفسه . لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلى ، بلغني عن ابن عباس أنه سئل عن الجنب يغتسل في الحمام ، فقال : إن الماء لا يجنب^(٣) ، وإذا تحممت في المسجد فادفنته ، بلغني عن بعض العلماء أنه قال :

(١) الهدى : الطريقة والسيرة .

(٢) مراق الطرس : مارق منه ولان . جمع مرق ، أو لا واحد لها .

(٣) أى لا يحسن .

« هي خطيئة ، وكفارتها دقها » . إذا نمت فقل عند منامك : « اللهم أنت القائم الدائم لا تزول ، خلقت كل شيء لاشريك لك ، علمت كل شيء بغير تعليم ، اغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا قلت كما قال علي بن أبي طالب » رضى الله عنه ! وهو الذى قال ذلك . إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستديرها ولا تستنج يمينك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أصحابه ألا يستقبلوا القبلة ، ولا يستنجوا بأيانهم ، ولا يستنجوا بعظم ولا روث . إذا انصرفت من الصلاة فقل : « اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم إني أسألك من الخير ما سألك الصالحون ، وأعوذ بك من الشر ما عاذ منه عبادك الصالحون ، اللهم آتينا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : مادعا مرسل ولا عبد صالح بشيء حسن إلا هو فيه . يعنى فى هذا الدعاء . لا تشتم عبدا لك ولا أمة بزنا ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قذف أمة أو حرة أو يهودية أو نصرانية ، فلم يضرب فى الدنيا ضرب يوم القيامة ثمانين جلدة » . إذا كنت مسافرا أو مقيما فامسح إن شئت على خفيك ، إن كنت مسافرا ثلاثة أيام ولياليهن ، وإن كنت مقيما فيومسا ليلة ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى ابن أبي طالب وابن عباس رضوان الله عليهم قالوا ذلك . إذا صالحك أحد فلا

تَنْزِعُ عَنْ يَدِكَ عَنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ عَنْ يَدِكَ ، بَلَغَنِي عَنْ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَصَافِحْ أَحَدًا فَتَزِعَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ
الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ . إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ رَجُلٌ بِوَجْهِهِ يَحْدُثُكَ فَلَا تَصْرِفُ وَجْهَكَ
عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْكَ ، وَإِذَا جَلَسْتَ إِلَى جَنْبِ
رَجُلٍ أَوْ جَلَسَ إِلَى جَنْبِكَ رَجُلٌ ، فَلَا تَقُومَنَّ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا تَجَاوِزَنَّ
رُكْبَتَكَ رُكْبَتَهُ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ تَجَاوِزْ رُكْبَتَهُ رُكْبَةً
جَلِيسٍ لَهُ . وَإِذَا أَحْسَسْتَ مِنْ أَمِيرٍ ظُلَامَةً أَوْ تَغَطُّرُماً فَقُلْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ
أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِمَّا أَخَافُ وَأُحْذِرُ ،
وَأَعُوذُ بِاللَّهِ الْمَسِيكِ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مِنْ شَرِّ فُلَانٍ ، اللَّهُمَّ
كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلَانٍ وَجُنُودَهُ أَنْ يَفْرُطَ^(١) عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطْفَنِي ،
جَلَّ جَلَالُكَ ، وَعَزَّ جَارُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، تَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بَلَغَنِي
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ وَأَمَرْنَا بِهِ ، وَإِذَا كَتَبْتَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ
الْإِسْلَامِ فَلَا تَكْتُبَنَّ : « سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ : « السَّلَامُ عَلَى
مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى » ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَتَبَ ذَلِكَ إِلَى
مَسِيلَةَ . إِذَا عَطَسْتَ فِي الْخَلَاءِ فَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ خَفِيًّا لَا تَدَّهِنُ فِي مُدَّهِنٍ
ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ ، وَلَا تَسْتَجِيرُ فِي مَجَامِرِ^(٢) الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الشَّرْبِ فِي إِنْاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِأَنَّكُمْ عَلَى
الْحَرِيرِ وَالذَّبْيَاجِ فَإِنَّهُ لَيْسَتْ لِلنِّسَاءِ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ

(١) أَي يَحُلُّ : عَلَى بِالْعُقُوبَةِ .

(٢) الْمَجَامِرُ جَمْعُ مَحْمَرَةٍ بِالسُّكْرِ : وَهِيَ الْمَحْرَةُ .

نهى عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء . إذا رأيت أمرا في أهلك وخاصتك مما ينبغي تغييره ، فلا تحايين منهم أحدا ، وطم فيه بالذي يحق عليك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » . إذا هممت بأمر من طاعة الله عز وجل فلا تحبس إن استطعت فوفا (١) حتى تمضيه ، فإنك لا تأمن الأحداث ، وإذا هممت بأمر غير ذلك فإن استطعت ألا تمضيه فوفا فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك تركه . لا تستحي إذا دُعيت لأمر ليس بحق أن تقول : لا ، فإن الله تعالى يقول : « وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ » إذا سمعت المؤذن يؤذن فقل كما يقول ، إلا أنك تقول إذا قال : « حَيَّ عَلَى الصَّلَاة ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاح ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، بلغني ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . لا تخلون بامرأة ليست لك بمحرم (٢) ، بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « ما خلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان تالهما الشيطان » . إذا قال الإمام آمين ، فقل آمين ، فإنه ينبغي إذا فرغ من أم (٣) القرآن أن يقول آمين ، ويقره من خلفه سرا ولا يجهر به ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا آمن الإمام فأمنوا ، فإن الملائكة تؤمن لتأمين الإمام . فمن وافق منكم تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » . إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشيء حتى تغسل فرجك بالماء . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل

(١) الفواق ناصم ويهتج : ما بين الحلتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقصها على الصرع .

(٢) المحرم : ذات الرحم في القراءة التي لا محل بروحها .

(٣) أم القرآن : العائجة .

مسجد قُباء : إنما نزلت هذه الآية فيكم « فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ » . فَأَنْبِئُونِي مَا هَذَا التَّطَهِيرُ الَّذِي ذُكِرْتُمْ بِهِ فَأَنْبِئْتُمْ^(١) عَلَيْهِ؟
قالوا : « وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا ، مَامِنَّا امْرَأَةٌ وَلَا رَجُلٌ يَأْتِي الْخَلَاءَ قَبِيْدًا
بِشَيْءٍ دُونَ غَسَلِ فَرْجِهِ بِالْمَاءِ » . إِذَا أَكَلْتَ طَعَامًا فَعَلِقَ بَيْنَ أَصَابِعِكَ
فَالْعَقَّةَ ، وَأَسْنَانِكَ فَتَخَلَّلْ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ أَنْ يَرَى فِي الرَّجُلِ طَعَامًا وَهُوَ يَصَلِّي » . إِذَا
نَزَلْتَ مِنْزَلًا فَقُلْ : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » ، بَلَغَنِي عَنِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ نَزَلَ مِنْزَلًا فَقَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ
وَوَقِيَ تَرًّا مِنْزَلَهُ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ » . لَا تَأْكُلْ شَيْئًا مِنْ ثَمَنِ طَعَامٍ لَا يَحِلُّ لَكَ
أَكْلُهُ ، وَلَا شَيْئًا مِنْ ثَمَنِ شَرَابٍ لَا يَحِلُّ لَكَ شُرْبُهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي الْحَجْرِ : « إِنْ الَّذِي حَرَّمَ شَرْبَهَا حَرَّمَ ثَمَنَهَا » وَلَا تُدَاوِ بِشَيْءٍ لَا يَحِلُّ لَكَ
أَكْلُهُ وَلَا شُرْبُهُ ، وَلَا تَبِعُهُ وَلَا تَشْتَرِهِ وَلَا تَطْعَمَهُ ، وَلَا تُطْعِمَهُ أَحَدًا وَلَا تَسْقَهُ
وَلَا تُدَاوِ بِهِ أَحَدًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا وَلَا بِهِيْمَةً وَلَا غَيْرَهَا ، بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ
عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ نُعِيَ لِبَعْضِ الْخَمْرِ فَقَالَ : « لَا وَاللَّهِ لَا أُوجِرُهُ^(٢) خَمْرًا » .
لَا تَأْكُلْ لَحْمَ شَيْءٍ مِنَ السَّبَاعِ وَلَا ذَا مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ ، بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ إِذَا فَرَعَتْ فِي مَنَامِكَ
فَقُلْ : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ
شَرِّ الشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ » ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

(١) فِي الْأَصْلِ « فَأَنْبِئُوا » .

(٢) أَوْ حَرَّهُ الدَّوَاءُ : صَه فِي يِهِ .

« إذا فرغ أحدكم في منامه فليقل ذلك ». إذا قلت لأحد أقسمت عليك لتفعلن ، فلم يفعل الذي أقسمت عليه أن يفعله وجب عليك الحنث ، وكفر عن عينتك ، وكذلك إن قلت له : أحلف عليك أو أشهد عليك لتفعلن ، فلم يفعل ، وجب عليك الحنث ، وكذلك إذا كنت وقتاً له وقتاً معلوماً فتركه حتى جاوز الوقت . لا تبدأن أحداً من غير أهل الإسلام بالسلام ، لكن لو سلم هو فقل : وعليكم ، بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك . لا بأس أن تأكل جنباً - وإن كنت لم تتوضأ - إذا غسلت يديك لا تقل لأحد صلى الله عليك ، بلغني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « لا تنبغى الصلاة من أحد لأحد إلا للنبي عليه السلام » ولا تقل لأحد : جعاني الله فداءك ، بلغني أن الزبير قال للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك وهو مريض ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ما تركت أعرابيتك بعد ! » وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : « لا يفد أحد أحداً » لا بأس بمصافحة الجنب ومباشرته ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : « أربعة ليس عليهم جنابة : الأثنان^(١) والماء والثوب والأرض » لا بأس بمصافحة اليهودي والنصراني والصلاة في بيوتهم لا تبغى بشيء من أدبك إذا أدبت وعاببت أحداً على جرم اجترمه أربعين سوطاً ، قال صلى الله عليه وسلم : « من بلغ حداً في غير حد فهو من المتدين » . إذا أحبت أحداً لله فأعلمه ، لما قال

(١) في الأصل « الأسنان » وأرى أن صوابه « الأثنان » وقد تقدم شرحه في ص ١ ، والكلام على حذف مضاف أي دوو الأسنان ... الخ ، والمعنى أن هذه الأشياء الأربعة لا تعدى إليها حافة الحب ، فلا بأس باستعمالها ومباشرتها إن استعملها هو وباسرها .

رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إني أحبُّ فلانا لله ، قال : أما أخبرته ؟ قال : لا ، قال : فأخبره ، فلما أخبره قال : أحببك الله الذي أحببتني له . لا تشفع فيمن وجب عليه حدٌ من حدود الله إذا انتهى إلى الإمام ولا تحلُّ دونه ، ولا بأس أن تشفعَ قبل ذلك ، قال ذلك بعض علماء الصحابة - وتشفعَ في سارق - فقيل له : أتشفع فيه وأنت من الصحابة ؟ فقال : لا بأس به قبل أن يبلغ الإمام ، فإذا بلغه فلا عفا الله عنه إن عفا عنه . الزم الصمت ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يستكمل الرجل الإيمان حتى يخزن لسانه » . وإذا أتيت قرية أو بلدا فقل : « اللهم ارزقنا خيرها ، واصرف عنا وباءها » ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إذا دنا من قرية . إذا عطست فقل : الحمد لله ، فإن قال قائل : يرحمك الله ، فقل . غفر الله لنا ولك ، وإن عطس عندك مسلم فقل : الحمد لله ، فقل : يرحمك الله ، كان على رضى الله عنه يقولها لمن عطس ويقول ذلك : يهديك الله ويصلح بالاك ، وكان ابن مسعود يقول لمن عطس : يرحمنا الله وإياك ، ويقول ذلك : يغفر الله لنا ولك ، ولا تسمته^(١) حتى يحمد الله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من حق المسلم إذا عطس أن يُسمت إذا حمد الله » . وقرَّ الكبير ورحم الصغير ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس منامن لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا » . لا تصانح امرأة ليست لك بزوجة ولا ملك عيين ، ولا تضع يدها على شيء من جسدك ، ولا تضع يدك على شيء من جسدها ، ولا تقبل يدك ولا شيئاً

(١) التسميت : الدعاء للعاطس .

من جسدك ، ولا تعانق رجلا ولا تقبله ليس بذي رحم لك ، واصنع ذلك
بذي رحمك ، ضمَّ النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب حين قدم
من الحبشة إلى نفسه وقبل بين عينيه ، لا ترفع صوتك في مسجد جماعة ،
ولا تشهر فيه سلاحا ، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه . إذا دُعيت إلى
تحمل شهادة فإنك مخير ، فإن شهدت فلا يسمع الامتناع إذا دُعيت إلى
الأداء . لا تمنن على أحد بإحسانك فإنه يُبطل أجره ، قال الله عز وجل
« لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ، وَمَنْ أَوْلَاكُمْ مَعْرُوفًا وَعَجَزْتَ عَنْ
مُكَافَأَتِهِ ، فَأَنْتَ عَلَيْهِ وَادَّكَّرَهُ بِهِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَوْلِيَ
مَعْرُوفًا فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُكَافَأَتِهِ إِلَّا بِالثَّنَاءِ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ »
إذا طعمت وعندك أحد فادعه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنْ فِي
الْجَنَّةِ غُرْفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا » قيل : لمن هي ؟
قال : « لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ ، وَطَيَّبَ الْكَلَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ
وَالنَّاسُ نِيَامٌ » . إذا عملت عملا لله فأحسنه ، لقوله تعالى « لِيَبْلُوكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » . لا تمنن على أحد بعقوبة ولا بتهمة حتى تُحقَّه (١) .
لاتأت أهلك أو جاريتك وغيرها يراك أو يسمع حسك ، قال صلى الله عليه
وسلم : « اسْتَجِبُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالُوا : وَكَيْفَ نَسْتَجِي مِنْ اللَّهِ حَقَّ
الْحَيَاءِ ؟ قَالَ : احْفَظُوا الرُّؤْسَ وَمَا حَوَى ، وَابْطِنَ وَمَا رَعَى وَادْكُرُوا
الموت والبيلى ، وذرُوا زينة الحياة الدنيا » . إذا أصبحت فقل : اللهم لا إله
إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، بك الملكُ وملك الحمد لا شريك لك

(١) حقه كدّه وأحقه : غلبه على الحق .

حسرت مرات « ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قالها عشر مرات حين
يُصْبِحُ وَكُلَّ بِه مَلَكَانِ يَحْرُسَانِه حَتَّى يُمِئِي ، وَإِذَا قَالَهَا لَيْلًا فَكَذَلِكَ حَتَّى
يُصْبِحُ » وَإِذَا كُنْتَ فِي الْعِيدِينَ وَالْجُمُعَةِ وَيَوْمَ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ فَاغْتَسِلْ ، وَإِنْ
تَوَضَّأْتَ أَجْزَأَكَ ، سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا عَنِ الْغُسْلِ فَقَالَ : لِلْجُمُعَةِ وَالْعِيدِينَ وَعَرَفَةَ .
إِذَا رَأَيْتَ الْهَلَالَ فَلَا تَسْتَقْبِلْهُ حَتَّى تَدْعُوَ وَقُلْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ،
أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الشَّهْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدْرِ وَشَرِّ يَوْمِ الْمَحْشَرِ .
لَا تُؤْمِنَنَّ أَحَدًا فِي بَيْتِهِ وَلَا سُلْطَانَهُ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَكَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يُؤْمِنَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي بَيْتِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ
إِلَّا بِإِذْنِهِ » . وَلَا تَحِبَّ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَمَثُلُوا لَكَ قِيَامًا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
« مِنْ سَرَّهْ أَنْ يَمَثُلَ لَهُ ابْنُ آدَمَ قِيَامًا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ » . أَحَبُّ الدَّعْوَةِ إِذَا
دُعِيتَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الدَّعْوَةُ يَوْمَ الْعُرْسِ حَقٌّ » وَقَالَ : « لَوْ دُعِيتُ
إِلَى كُرَاعٍ ^(١) لَأَجَبْتُ » . إِذَا حَلَفْتَ عَلَى شَيْءٍ وَحَلَفَ وَالِدَاكَ أَوْ أَحَدَهُمَا عَلَى
خِلَافِهِ فَأَطِعْهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً . احْتَجِمِ فِي سَبْعِ عَشْرَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ
وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ ، أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ . إِذَا عُدْتَ مَرِيضًا
فَأَخِفْ الْعِيَادَةَ ، وَأَقِلَّ اللَّبَثَ ، إِذَا مَرَرْتَ بِالْمَقَابِرِ فَقُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
الْدارِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ ^(٢)
وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلِكُمُ الْعَافِيَةَ . لَا بَأْسَ أَنْ تَمْشِيَ أَمَامَ الْجَنَازَةِ ،

(١) الكراع من القر والغم بمنزلة الوظيف من الفرس : وهو مستدق الساق .

(٢) فرط : أى متقدمون ، والفرط فى الأصل : المتقدم إلى الماء يتقدم الواردة فهى لهم الأرسان
والدلاء ، ويملاً الحياض ويستقى لهم ، يقال رجل فرط ، وقوم فرط .

مشى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وابن عمر أمامها ، وإذا كنت راكبا فلا تسبقها ، ولا تنزل حتى توضع عن عواتق الرجال ، بلغني ذلك عن بعض الصحابة . لا تنفخ في الطعام والشراب فإنه جفاء ، قاله بعض العلماء . ارفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة والعيدين والقنوت والتكبير وعند استلام الحجر وعرفة وجمع^(١) والصفاء والمروة والجمار ، روى ذلك عن ابن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتى تحاذي إبهامك أذنك ، وتبسطنهما عند صدرك في باقى ذلك . لا تلعب بالترد ، لعن النبي صلى الله عليه وسلم اللاعب به وقال : « إياكم وإياه » . لا تمضغ العلك^(٢) ، ولا تحلل إزارك ، ولا تجرد ولا تحذف^(٣) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنها من أخلاق قوم لوط » . اجمع الصوام عند فطرك على طعامك ، قال صلى الله عليه وسلم : « من فطر صائما كان له مثل أجره ، ولا ينقص من أجر الصائم شيء »

واعلم - رحمتك الله - « أن الله تعالى خصك من موعظتي بما نصحتك ، وأنهيته إليك منه ما أرجو أن يكون سعادة لك وسببا إلى الجنة ، فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى واتباع ما هو أهله ما ترجوه القربة عند الله تعالى ، ولا يكن ذلك مما تظلف^(٤) عنه نفسك ، وتعاهدتها

(١) جمع : الردفة .

(٢) العلك : ضرب من صمغ الشجر كاللبان يعضغ .

(٣) حذف في مشيته حرك جنبه وعجزه أو تدانى خطوه .

(٤) ظلف نفسه عنه كضرب : كفتها .

بالأخذ والتأديب عليه إن شاء الله حتى توقفها على الذي لا ينبغي لك التقصير
بها عنه إن شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآبُ «
رسالة مطبوعة بالمطبعة الأميرية سنة ١٣١١ هـ ، ومنها نسخة محفوظة
في دار الكتب المصرية رقم ١٣٠١ تصوف وأخلاق^(١) .

(١) وقد طعت بحديثها بمطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر .

بحمد الله تم طبع كتاب (جمهرة رسائل العرب) بقلم الأستاذ
أحمد زكي صفوت المدرس بدار العلوم العليا مصححاً بمعرفة

رئيس التصحيح

أحمد سعد علي

من علماء الأزهر الشريف

[القاهرة في يوم الخميس ١٥ ق.م.ي الآخرة سنة ١٣٥٧ هـ / ١١ أغسطس سنة ١٩٣٨ م]

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

ملاحظ المطبعة

محمد أمين عمراة